

# اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

السر سائل  
حاسة داسا  
البحر مجمع  
حاسة داسا

# الأثر القرآني في نهج البلاغة

دراسة في الشكل والمضمون

أطروحة قدمها  
إلى مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة

عباس علي حسين الفحام

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة  
في اللغة العربية وآدابها

بإشراف  
الأستاذ الأول المتمرس  
الدكتور محمد حسين علي الصغير

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قال تعالى :

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِيْ عِلْمًا ﴾

(طه: من الآية ١١٤)

صدق الله العلي العظيم

Republic of Iraq  
Ministry of Higher Education and  
Scientific Research  
University of Kufa  
president Office

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جمهورية العراق  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الكوفة  
مكتب رئيس الجامعة

No: Date: / /

العدد: ١٨٠ التاريخ: ٢٠٢٥ / ١١ / ١٢

إلى / الدكتور عباس علي حسين الفحام المحترم

م / شكر وتقدير

تحية طيبة ...

انطلاقاً من تميّنا للنتائج العلمية الرصينة في جامعتنا، نود أن نسجل شكرنا  
وامتناننا الكبيرين لكم على الجهود العلمية المتميزة في أطروحتكم للدكتوراه، التي سررنا  
واقترنا بها كثيراً، إذ تركت أثراً كبيراً في نفوسنا لما تحمل من دلالات عميقة تبعث على  
الإكبار بهذا النتاج العلمي الأصيل .

نأمل منكم مزيداً من العطاء خدمة لعراقنا الحبيب ...



أ. د. عبد الرزاق عبد الجليل العيسى

رئيس جامعة الكوفة

نسخة منه إلى / ...  
رئاسة جامعة الكوفة / قسم الشؤون الإدارية والقانونية  
الملقة الشخصية  
الموا إلىه  
الملف الدوار

الإهداء

- إلى أبي الذي وسعنا بعطفه صغارا وغمرنا برعايته كبارا يمدنا بالحكمة والنصح ، مد الله بعمره .
- إلى روح أمي التي علمني شغفها بقراءة القرآن أن السمو بالنفس عمل، وأن البراءة هبة من الله .
- إلى إخوتي الذين وهبوني كل ما يملكون ولم استطع رد بعضه : أياد ، أحمد ، عماد ، حسن ، فؤاد وحسام .
- إلى زوجتي التي أكبر فيها كل يوم قيم التفاني ، وروح الإيثار .
- إلى أولادي زهرة الحياة الدنيا : تبارك ، مصطفى ، هبة .
- اليكم جميعا أرفع ثمرة جهدي المتواضع عرفانا مني بفضلكم علي .

الباحث

## المحتويات

|        |  |
|--------|--|
| ٢٨-١٢  | التمهيد : ملامح الأثر والتأثر بالقرآن في نهج البلاغة |
| ١٩٩-٢٩ | الباب الأول : الأثر القرآني في نهج البلاغة ( الشكل ) |
| ٩٤ -٣٠ | الفصل الأول : الألفاظ والبناء الجملي                 |
| ٦٤ -٣١ | الكلمة المفردة                                       |
| ٣٣ -٣١ | توطئة  |
| ٥١ -٣٣ | أولا - الإختيار :                                    |
| ٤٣ -٣٣ | ١- دقة الاستعمال                                     |
| ٥١ -٤٤ | ٢- الألفاظ الموحية                                   |
| ٦٠ -٥٢ | ثانيا : الاقتباس :                                   |
| ٥٧-٥٢  | ١- اقتباس اللفظة القرآنية                            |
| ٦٠ -٥٨ | ٢- اقتباس الاستعمال القرآني للألفاظ                  |
| ٦٤ -٦١ | ثالثا : النقل  |
| ٩٤ -٦٥ | التركيب الجملي                                       |
| ٦٦-٦٥  | توطئة  |
| ٦٩-٦٦  | ١- إعادة صياغة الجملة القرآنية                       |
| ٩٤-٦٩  | ٢- بناء الجملة القصيرة والطويلة                      |
| ٨٨- ٧٠ | أولا : ركائز بناء الجملة القصيرة                     |
| ٧٦- ٧٢ | ١- التقديم والتأخير :                                |
| ٧٣-٧٢  | الأول : التقديم بين جزئي الجملة                      |
| ٧٦-٧٣  | الثاني : التقديم في المتعلقات                        |
| ٨٠-٧٧  | ٢- الحذف   |
| ٨٤-٨١  | ٣- الاستفهام   |
| ٨٨-٨٥  | ٤- الأمر   |
| ٩٤-٨٩  | ثانيا : ركائز بناء الجملة الطويلة                    |
| ٩٠-٨٩  | ١- جملة الشرط  |
| ٩٢-٩١  | ٢- جملة ( إن )                                       |

٩٣-٩٢

٣- جملة النداء

٩٤-٩٣

٤- جملة القسم

١٥١-٩٥

الفصل الثاني : الأداء البياني

١٠٨-٩٦

أولاً : الاستعمال المجازي

٩٦

توطئة : التعريف بالمجاز والمجاز القرآني

١٠٨-٩٧

أنواع المجاز القرآني في نهج البلاغة :

١٠٣-٩٧

١- المجاز في الافراد ( المرسل )

١٠٨-١٠٤

٢- المجاز في التركيب ( العقلي )

١٢٦-١٠٩

ثانياً : البعد التشبيهي

١١٠-١٠٩

التعريف بالتشبيه عند البلاغيين

١٢٦-١١١

ظواهر من التأثير القرآني في نهج البلاغة

١١٥-١١١

١- صيغ المثل القرآني وتأثر نهج البلاغة بصورها

١٢٣-١١٦

٢- اللوحات التشبيهية بين القرآن ونهج البلاغة

١٢٦-١٢٤

٣- التشبيهات المفردة في ضوء القرآن ونهج البلاغة

١٤٣-١٢٧

ثالثاً : التركيب الاستعاري

١٢٨- ١٢٧

التعريف بالاستعارة

١٤٣- ١٢٩

ظواهر من التأثير القرآني في استعارات نهج البلاغة:

١٣٦-١٢٩

١- التوليد :

١٣٣-١٢٩

استعارات الليل والنهار

١٣٦-١٣٤

استعارات الحق والباطل

١٤٠-١٣٧

٢- ظاهرة التشخيص

١٤٣-١٤١

٣- الإستعارة التمثيلية

١٥١-١٤٤

رابعاً : الملحظ الكنائي :

١٤٤

تعريف الكناية

١٥١-١٤٥

من آثار الكناية القرآنية في نهج البلاغة :

١٤٨-١٤٥

١- جدة الكناية القرآنية

١٥١-١٤٩

٢- تصوير الحالات الإنسانية

|           |                            |
|-----------|----------------------------|
| ١٩٩ - ١٥٢ | الفصل الثالث : جرس الألفاظ |
| ١٥٧-١٥٣   | توطئة                      |
| ١٩٩-١٥٨   | آليات الجرس                |
| ١٦٤-١٥٨   | الأول : السجع              |
| ١٦٤-١٥٨   | تعريفه وقيمه الموسيقية     |

|         |                  |
|---------|------------------|
| ١٧٦-١٦٥ | الثاني : التكرار |
| ١٧٦-١٦٨ | أنماط التكرار :  |
| ١٧٠-١٦٨ | ١- تكرار الحرف   |
| ١٧٦-١٧١ | ٢- تكرار اللفظة  |

|         |                        |
|---------|------------------------|
| ١٩٣-١٧٧ | الثالث : الجناس        |
| ١٧٩-١٧٧ | توطئة                  |
| ١٩٢-١٧٩ | أنواع الجناس في القرآن |
| ١٨١-١٧٩ | ١- الجناس التام        |
| ١٨٢-١٨١ | ٢- الجناس الناقص       |
| ١٨٥-١٨٣ | ٣- جناس التصحيف        |
| ١٨٦-١٨٥ | ٤- جناس التحريف        |
| ١٨٨-١٨٦ | ٥- الجناس المضارع      |
| ١٩٠-١٨٩ | ٦- جناس الاشتقاق       |
| ١٩٣-١٩١ | ٧- الجناس المعكوس      |

|         |  |
|---------|--|
| ١٩٩-١٩٤ | الرابع : التوازن :                     |
| ١٩٥-١٩٤ | ١- تعريفه وأثره في إحداث النغم القرآني |
| ١٩٩-١٩٥ | ٢- وسائل الإمام في طلب التوازن         |

|           |  |
|-----------|--|
| ٢٨٥ - ٢٠٠ | الباب الثاني : الأثر القرآني في نهج البلاغة(المضمون) |
|-----------|--|

|           |   |
|-----------|---|
| ٢٤٥ - ٢٠١ | الفصل الأول : مجالات الأثر القرآني في نهج البلاغة |
| ٢٠٢       | توطئة   |
| ٢١٣-٢٠٣   | ١- تعظيم الله وتنزيهه الباري :                    |
| ٢٠٥-٢٠٣   | أ - التوحيد                                       |
| ٢٠٧-٢٠٦   | ب - الولادة واتخاذ الأبناء                        |

٢١٠-٢٠٧  
٢١٣-٢١٠

ج - التحميد  
د - اسماء الله الحسنى

٢٢٣-٢١٣  
٢١٦-٢١٥  
٢٢٣-٢١٦

٢- عالم الموت والحياة  
أ - الدنيا وزينتها  
ب - بيع الآخرة بالحياة الدنيا وبالعكس

٢٣٣-٢٢٤  
٢٣٨-٢٣٥  
٢٤٥-٢٣٩

٣- خلق الإنسان والكون  
٤- الجهاد في سبيل الله  
٥- الدعوة الى التقوى

٢٩٧-٢٤٦  
٢٤٧

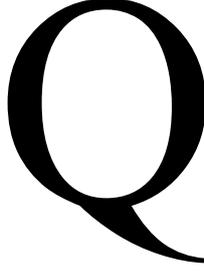
الفصل الثاني : الشاهد القرآني في نهج البلاغة  
توطئة :

٢٦٢-٢٥٤  
٢٥٥-٢٤٧  
٢٥١  
٢٥٥-٢٥٢

أولاً : أسلوب الإمام (ع) في استعمال الشاهد القرآني  
١- التصريح بنسبة الشاهد  
٢- عدم التصريح بنسبة الشاهد  
٣- التذييل

٢٩١-٢٥٦  
٢٥٩-٢٥٦  
٢٦٥-٢٦٠  
٢٧٠-٢٦٦  
٢٧٥-٢٧١  
٢٨٠-٢٧٦  
٢٨٥-٢٨١  
٢٩١-٢٨٦  
٣٢٠-٢٩٢

ثانياً : توظيف الشاهد القرآني  
١- إصلاح الذات وتهذيب النفس  
٢- الترغيب والترهيب  
٣- الوظيفة العبادية  
٤- الاحتجاج  
٥- الوظيفة العقلية  
ثالثاً : فهرس الشواهد القرآنية  
الخاتمة ( النتائج والاقتراحات )  
المصادر



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين .

لاريب في أن رحلة البحث في نهج البلاغة شاقة وشيقة في أن معا ، شاقة لأن الإحاطة بكلام الإمام علي (ع) أمر عسير لغنائه وثرائه في المعاني والمباني ، والباحث فيه على خطر عظيم إما النجاح وإما الفشل ولا سبيل ثالث لهما . وشيقة لأن النظر في كلام الإمام (ع) والبحث في مبانيه مما ينفع الدارس ويكسبه فطنة وثقافة على صعيد السلوك اليومي وهو كله بعد توفيق من الله تعالى .

وليس غريبا انكباب الدارسين قديما وحديثا على استبيان أسرار التعبير في هذا الكتاب واستكشاف خبيئات المعاني فيه ، ولعل مما يقر العين أن تتناولته البحوث الأكاديمية في الجامعات العراقية قاطبة بالدرس والتحليل في رسائل الدكتوراه والماجستير في السنوات الأخيرة بمختلف التخصصات الانسانية خاصة في الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبلاغية والنحوية والفلسفية فضلا عن التشريعية والأخلاقية . فهو يبقى معينا ثرا يغتني به الدارسون ولن ينضب ويعطي بقدر الاستعداد والعدة ، والمنهل العذب كثير الزحام .

ولا جديد في الخوض بتوثيق نص نهج البلاغة وقد أغنانا عن البحث في ذلك السيد عبد الزهراء الخطيب رحمه الله في كتابه ( مصادر نهج البلاغة وأسانيده )<sup>(١)</sup> ، والسيد صادق الموسوي في كتابه ( تمام نهج البلاغة )<sup>(٢)</sup> وهما نسختان مسندتان روائيا. هذا إضافة إلى الدلائل الفنية والروائية التي أثبتتها أستاذنا الدكتور الصغير في محاضراته (الأدب في العصر الإسلامي ) التي ألقاها على طلبة كلية الفقه في النجف الأشرف منذ عام ١٩٨٣م ، فضلا عن أن النص الذي اعتمده في البحث بتحقيق كبير المحققين وهو الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، كما أن البحث الذي

( ١ ) طبع في بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، ١٩٧٥م .

( ٢ ) طبع في بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، ١٤٢٦هـ .

أضعه بين يدي القاريء هو نفسه إثبات عملي يبرهن صحة انتساب الكلام في نهج البلاغة الى الإمام علي (ع) .

وليست بنا حاجة للتعريف بقائله أمير المؤمنين (ع) فهو أمير البيان العربي علي بن أبي طالب ( سلام الله عليه ) وكفى ، مثلما ليست بنا حاجة للتعريف بجامعة وهو الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) نقيب الطالبين وشاعر الهاشميين وسليل العترة الطاهرة من أئمة أهل البيت عليهم السلام .

إن أكثر ما يلفت النظر في نهج البلاغة ديمومة الحياة فيه فكلمة زاده الباحث قراءة ازداد منه انتفاعا وجدة فهو أثر لغوي لآتمله الأسماع مهما تردد ذكره . وسر هذه الديمومة ونبض الحياة في نهج البلاغة هو القرآن الكريم ، فثمة ثوب شفيف يغطي كلمات نهج البلاغة وصياغاته ومعانيه ، نسيجه بلحمته وسداه من كلمات ومعاني الكتاب العزيز .

ومن هنا وقع اختيار عنوان البحث ( الأثر القرآني في نهج البلاغة ) لأن هذا الفراغ في دراسة انسراب التأثير القرآني الى نهج البلاغة دراسة لغوية وبلاغية وموضوعية لم يملأ بدراسة أكاديمية بعد على الرغم من الدراسات التي كثرت حول نهج البلاغة .

وإني لأعلم بصعوبة مركبي ، ولا أدعي لنفسي فضلا ، ولكن كان لابد من إقتحامه للخلوص منه بنتيجة علمية عسى أن تذلل الطريق للدارسين من بعد هذا البحث . فدراسة الأثر والتأثير بين القرآن الكريم ونهج البلاغة أشبه ما تكون بالدراسة المقارنة ، وهو ليس أمرا يسيرا بسبب الثراء الإعجازي في النص القرآني والمسالك اللغوية المعقدة في نهج البلاغة .

وتخلصا من ذلك كانت المحاولة منصبة في تسليط الضوء على نقطة معينة من التأثير عند ايراد الشاهد بغية تقديم الدليل العملي المقنع للأثر القرآني في نهج البلاغة ، مما يعني أن النص لابد أن ينفلت من بين يدي الباحث بمجرد أن يستجمع قواه للإمساك به وهذا أمر كنت قد أحسست به في الماجستير منذ أكثر من عقد من الزمان حين درست ( التصوير الفني في خطب الإمام علي (ع) ) ، وها أنا أعيشه اليوم في الدكتوراه .

أما المنهج البحثي الذي اتبعته فقد كان قائما على الأسس الآتية :  
دار البحث على محورين من التأثير القرآني هما الشكل والمضمون ولا يعني ذلك فصلا بينهما فلا شكل بدون مضمون ولا مضمون بلا شكل ولكن الدراسة التفصيلية اقتضت هذا الفصل لأن لكل منهما خصائصه ومميزاته مما يعني تركيز البحث على جانب معين من خلالهما وحصر النتائج في ظل ذلك .

إذن البحث انتظم في بابين وخمسة فصول ، خص الباب الأول بعنوان ( الأثر القرآني في نهج البلاغة "الشكل" ) ، واشتمل على ثلاثة فصول هي بحسب علاقتها بالشكل :

الفصل الأول : وهو بعنوان (الألفاظ والبناء الجملي ) ، وقد درس الألفاظ والبناء الجملي من خلال المفردات البحثية الآتية :

- الكلمة المفردة : وصدى التأثير القرآني في نهج البلاغة فيها من طريق انتقاء المفردة ودقة استعمالها واقتباسها وسبل توظيفها .

- التركيب الجملي لما له من أثر واضح في صياغة الشكل ، وتم حصر هذا التركيب من خلال نمطين شاعا في الجملة القرآنية ونهج البلاغة هما الجمل القصيرة والجمل الطويلة والعناصر المعتمدة في بنائهما ، وهي أغلب مباحث علم المعاني في صناعة الجملة من تقديم وتأخير وحذف واستفهام وأمر وشرط ونداء وقسم .

ولما كان الفن البياني في نهج البلاغة من أوضح طرق الأداء للمعاني وأظهرها فقد كان لا بد من الوقوف عليه ودراسة تأثير البيان القرآني فيه وهو ما تكفل به الفصل الثاني فجاء بعنوان ( الأداء البياني ) وهو جزء متمم للشكل في الصياغات التعبيرية من خلال العناصر التي تأثر بها الإمام (ع) من القرآن واتخذها وسائل تفنن بها في أداء معانيه وهي بحسب شدة تأثيره بها :

المجاز بأنواعه الإفرادي والتركيبية ثم التشبيه والتركيب الاستعاري فالملحظ الكنائي .

وفي كل تلك المباحث جرت المحاولة لالتماس الشواهد القرآنية التي اقتبسها الإمام (ع) أو ولد عليها كثيرا من الصياغات .

وكان الفصل الثالث بعنوان ( جرس الألفاظ ) وقد درس الصدى النغمي القرآني الذي اقتفاه الإمام علي (ع) وأدخله كلامه من خلال الوسائل الموسيقية التي توافر عليها التعبير القرآني وهي السجع والتكرار بأنواعه والجناس بأنماطه المختلفة والتوازن .

أما الباب الثاني فقد تكفل بدراسة المعاني القرآنية وموضوعاته التي انتهل منها الإمام (ع) في كلامه فكان بعنوان ( الأثر القرآني في نهج البلاغة " المضمون " ) وقد انتظم في فصلين حاولت أحصر فيهما أكثر المعاني تداولها في كلام أمير المؤمنين (ع) وهما :

الفصل الأول : وكان بعنوان ( مجالات الأثر القرآني في نهج البلاغة ) .

ودرس الموضوعات القرآنية التي استقاها الإمام (ع) من المعين القرآني ، وشمل المباحث الآتية المرتبة بحسب كثرتها في الاستعمال :

١- تعظيم الله وتنزيهه البارئ

٢- عالم الموت والحياة

٣- خلق الإنسان والكون

٤- الجهاد في سبيل الله

٥- الدعوة الى التقوى

أما الفصل الثاني : فقد جاء بعنوان ( الشاهد القرآني في نهج البلاغة ) وانقسم على ثلاثة مباحث رئيسة ، درس الأول أسلوب الإمام (ع) في استعمال الشاهد القرآني وحصر بثلاثة أساليب هي :

- ١- التصريح بنسبة الشاهد الى القرآن
- ٢- عدم التصريح بنسبة الشاهد .
- ٣- التذييل

وتخلل المبحث الثاني منه دراسة الوظائف التي من أجلها استعمل الإمام (ع) الشاهد القرآني وحصر أهمها في خمس وظائف بحسب كثرة استعمالها في نهج البلاغة :

- ١- إصلاح الذات وتهذيب النفس
- ٢- الترغيب والترهيب
- ٣- الوظيفة العبادية والعقائدية
- ٤- الاحتجاج
- ٥- الوظيفة العقلية .

أما المبحث الثالث فقد تناول الفهرس التفصيلي للآيات القرآنية المباركة التي استشهد بها الإمام (ع) بحسب اسبقيتها في نهج البلاغة لغرض استقرارها والخروج منها بنتائج تكمل البحث إحصاءً واستقصاءً .

وكان آخر رحلة البحث في الخاتمة التي وقعت في محورين ، تناول الأول ما وصل اليه البحث من نتائج ، وقدم المحور الثاني ما خرج به من اقتراحات موضوعية .

وقد تعددت مشاربي من المصادر والمراجع بسبب تنوع الدراسة بين النص القرآني ونهج البلاغة ، فقد كانت أغلب مصادر التفسير القرآني ، القديمة منها خاصة ، عدتي في محاولة الولوج الى النص القرآني واستكناه معانيه واستشفاف خباياها .

أما بشأن كلام الإمام (ع) في نهج البلاغة فقد أفدت من كل الشروحات القديمة والحديثة لنهج البلاغة خاصة شرح ابن أبي الحديد وشرح ابن ميثم البحراني نظرا لقدمهما وعمقهما في الشرح .

وكان لابد لي من محاولة الأخذ بأطراف البلاغة القديمة وما وصلت اليه اليوم الدراسات الأسلوبية البلاغية ، خاصة الدراسات الحديثة والأجنبية المترجمة ، فكانت لكل ذلك زوافري التي استندت اليها في الخوض في النصي الأثر والتأثر .

هذا وقد حاولت في البحث أن أكون جادا مجتهدا ألتمس الجدة فيه ، والابتعاد عن اجترار التكرار ، فبذلت فيه كل وسعي وعصارة جهدي ، فإن بانة الفائدة منه فله

الفضل ، وإن ظهر النقص فيه فمجد الكمال مختص به الله وحده ، والله تعالى من وراء القصد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## شكر وامتنان

ولعل من باب الإقرار بالفضل أن أقف شاكرًا ممتنًا لأستاذي الكبير مد الله في عمره ، وألبسه ثوب العافية الأستاذ الأول المتمرس الدكتور محمد حسين علي الصغير ، الذي طالما تتعم الباحثون بظله ، ونهلوا من علمه ، فجزاه الله عني وعن أهل العلم أفضل جزاء المحسنين .

وأقدم بالشكر وعظيم الامتنان الى السيد رئيس جامعة الكوفة الأستاذ الدكتور عبد الرزاق عبد الجليل العيسى ، الذي ما زلت أتعلم منه الخلق الجم والجد والاجتهاد في العمل ، وكذلك الشكر موصول الى السيد عميد كلية الآداب الأستاذ الدكتور عبد علي الخفاف لما يوليه من رعاية خاصة للباحثين .

وأخص بالشكر والامتنان السيد رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب الأستاذ الدكتور حاكم حبيب الكريطي ، والأستاذ المساعد الدكتور خليل عبد السادة وكل أساتذة القسم الذين درسونا وأفاضوا بعلمهم علينا .

وبكل احترام وتواضع أتقدم بالتحية والشكر الى الأستاذ المساعد الدكتور مناف مهدي الموسوي، والأستاذ المساعد محمد محمود زوين ، والدكتور حسن حميد فياض ، والدكتور رزاق عبد الأمير الطيار، والدكتور ميثم مهدي الحمامي .

وأقدم تحياتي وشكري إلى الدكتور سيروان عبد الزهرة ولكل زملائي خالص الحب والتقدير .

# التمهيد

ملاحم الأثر والتأثر

بالقرآن في نهج البلاغة

يطلق النقد الحديث على الأثر والتأثر لفظ التناسل القائم على أساس أن (( كل نص يتشكل من تركيبه فسيفسائية من الاستشهادات وكل نص هو امتصاص أو

تحويل لنصوص أخرى))<sup>(١)</sup> فهو تفاعل النصوص المخترنة في نص واحد باستدعاء خبرات متراكمة موروثة في الذهن وإعادة صياغتها من جديد بحسب ما يمليه الموقف الفني على الأديب .

وفي الموروث النقدي العربي يسمى السرقات وهي اللفظة الشائعة على السنة النقاد القدامى وغرضهم من ذلك الغضاضة من شأن الأعمال الأدبية للشعراء المحدثين كما في كتاب (الإبانة عن سرقات المتنبي) لابن العميدي (ت ٤٣٣ هـ) ، بل كان أكثر ما يغتاز منه الشعراء وسمهم بالسرقة<sup>(٢)</sup> .

وتبدو نظرة النقد الحديث أكثر إنصافا وموضوعية بشأن التناسل من موقف النقد العربي القديم الذي سماه السرقة والسطو والإغارة والسلخ ... وهي كلها فيما يبدو من قساوة هذه الصفات نابعة من موقف النقاد العرب القدامى وميلهم إلى القديم من شعر الجاهليين ومن تبعهم على حساب الجديد من شعر المحدثين<sup>(٣)</sup> .

وكان من الإنصاف أن يسمى ذلك بـ ((التداعي في الأفكار والتلاقي في الهواجس والاشتراك في المفاهيم الشائعة بين الباحثين والأدباء والشعراء))<sup>(٤)</sup> ، فالأدب نتاج إنساني مشترك لا مندوحة للمبدعين من الاعتراف منه والاستعانة به واستجلابه من المخزون الذهني ، والعبرة في إبداع هذا الأديب من ذلك هي في مديات الإضافة والنقصان ممتزجين بومضات شعورية نفسية يحتمها عليه موقفه الفني الأنبي فالوقوف الأدبي عملية تجل روحية .

ومن الغريب أن النقد العربي القديم لم يؤاخذ الشاعر على استقائه جملة من القرآن أو آية كريمة بل سماه النقاد اقتباسا بينما انصب وكدهم على تتبع صياغات الشعراء المحدثين ومعانيهم وانتقصوا من شأن من يأخذ من الجاهليين - على الإجمال - ويتكى على معانيهم .

وقد بالغ النقد العربي القديم في إعلاء سلطة النص الجاهلي - على رفعة قدره - مثلما أسرف الشعراء فيما بعد - شعراء العصر الأموي خاصة - في الاقتداء بصياغات الجاهليين ومعانيهم متغافلين - طوعا أو كرها - عن لغة جديدة نزل بها القرآن الكريم كان يمكن لو أمعن النقاد والشعراء معا في الوقوف عليها واحتذائها ولفت الانتباه إليها ابتكار معلقات إسلامية - إذا صح الكلام - في عصر صدر الإسلام وما بعده بدلا من تقليد الموروث الجاهلي بأشد مما عليه الجاهليون أنفسهم ، لأن الفرصة كانت مواتية والفطرة السليمة لازالت بكررا في فهم النص القرآني المعجز والاقتداء به وحل رموز علاقاته التركيبية)) ولو أنهم تمعنوه لوجدوا فيه أساليب من القول ، وضروبا من الفن الأدبي ، كان يسيرا عليهم أن يحتذوها . في القرآن مثلا الأسلوب القصصي ، وتاريخ الأقدمين ، وقصص الأنبياء ، وتلك أمور

(١) إيمان الشنيني ، التناسل النشأة والمفهوم ، مجلة أفق الثقافية ، العدد ١ ، أكتوبر ٢٠٠٣ م .

(٢) ظ. طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد العربي : ١٠٢-١٠٣

(٣) ظ. محمد حسين الأعرجي ، الصراع بين القديم والجديد : ٥٠-٥٢

(٤) مقابلة شخصية مع الأستاذ المشرف في ١٢/١ / ٢٠٠٧ م .

تزيد في روحية الأدب وتمد الشعراء بالأخيلة والإلهام ((<sup>(١)</sup> ، وكان يمكن أن يكون النص القرآني مثالهم للانفلات من أسر تقليد النص الجاهلي .

ولكن لماذا لم يستطع الأدباء المسلمون استغلال النص اللغوي القرآني المعجز واقتفاء صياغاته وجمال عباراته ؟ ولم لم يكن النتاج الأدبي في عصر النبوة بمستوى فني رفيع يبذ ما أنتجته الجاهلية إن لم يكن يوازيه ؟

لاشك في أن فرصة تأثر الصياغات القرآنية على صعيد بناء لغة تقتفي لغة القرآن وإعادة صياغة الفن القولي المتمثل بالشعر والخطابة وتشكيله تشكيلا قرآنيا قد ضاعت من أيدي أرباب هذا الفن في عصر صدر الإسلام وما تلاه واقتصرت على أناس محدودين للغاية يقف على رأسهم النبي الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وابن عمه علي بن أبي طالب (ع) في الخطابة والإيجاز بشهادة كل الدارسين للبلاغة العربية . وكلاهما - لاشك - أرفع من صفة الأدباء .  
لذلك كانت خطب الرسول(ص) - على الرغم من قلّة ما وصل إلينا منها - وأحاديثه وابتكاره لأوضاع تركيبية جديدة في الكلام العربي<sup>(٢)</sup> وخطب الإمام علي ورسائله وأقواله العلامة الفارقة في جبين الأدب العربي فكان أن انتظمت شروحا مميزة ينتهل منها الأدباء قديما وحديثا مثل كتاب ( المجازات النبوية ) ، و ( نهج البلاغة ) لجامعه الشريف الرضي مثلا للمصنفات القديمة ، وكتاب (الإعجاز القرآني والبلاغة النبوية) للرافعي مثلا للمصنفات الحديثة .

وكل ذلك تأتي من فهم طبيعة اللغة القرآنية التي يدركها العربي بفطرته ولكنه لا يحسن التعبير عنها لجدّة مضامينها ولأن عليه الانصهار بروح القرآن والذوبان في مضامينه لتغدو اللغة حينئذ صورة سريعة للمعنى فلا ينشغل الذهن في أدائه ولا يكذب في استجلاب الألفاظ المناسبة لتجليته .

وهذا يفسر سر ذهول الشعر العربي عند ظهور القرآن وما بعده ، فقد لمس النقاد العرب القدامى ضعفا في الشعر وهو ضعف واضح بمجرد مقارنته بالعهد الجاهلي غير البعيد عنهم في الوقت الذي يمكن أن يكون النص اللغوي القرآني عامل قوة وإثراء لغوي عظيم في الفن الشعري ، أليس ذلك غريبا ؟ .

نعم هناك فن شعري رفيع في بعض نصوص حسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك في مدح الرسول(ص) وانتصاراته في حروبه ، وهناك صور فريدة في رثاء أبي ذؤيب الهذلي لأبنائه ، ولكن على إجمال المرحلة - عصر صدر الإسلام - ومقارنة بأعمال الشعراء الجاهليين نلمس الفرق بينا واضحا في قوة الأداء وحرارة المعنى وقدرة التأثير ، فأدباء الدعوة الإسلامية لم يصلوا إلى

(١) طه أحمد إبراهيم ، تاريخ النقد الأدبي : ١٠٧

(٢) ظ. الجاحظ ، البيان والتبيين : ١٦/٢

حد التأثير القرآني المأمول في ترسم بناء لغوي محكم يتناسب والأثر القرآني ،  
واكتفوا باقتباس اللفظة أو الجملة القرآنية ، كقول كعب بن مالك في يوم الخندق <sup>(١)</sup> :

(الوافر)

ويعلم أهل مكة حين ساروا      وأحزاب أتوا متحزبين  
بأن الله ليس له شريك      وأن الله مولى المؤمنين

وقوله <sup>(٢)</sup> :

(الطويل)

شهدنا بأن الله لا رب غيره      وأن رسول الله بالحق ظاهر

وكقول عبد الله بن رواحة (ت ٨هـ) <sup>(٣)</sup> :

(الوافر)

شهدت بأن وعد الله حق      وأن النار مثوى الكافرين

ولا نريد اقتطاع القصائد من مناخها العام الذي قيلت فيه وما يحمل من هم  
مناخه الشعر المعادي الذي يلجئهم الى الرد السريع ولو على حساب الفن ، ولكن  
في نتيجة الأمر يبقى أن التأثير القرآني لم يمس أبعد من اقتباس اللفظة أو العبارة  
القرآنية دون بناء الصورة الجديدة ، أو الجري الى تتبع الجملة القرآنية والاقتداء  
بصناعة علاقات تركيبية على غرارها مثل بناء الجمل على علاقات الفن  
الاستعاري وصياغة الجمل بالتمثيلي وهي كلها مما حفل به التعبير القرآني  
وقل في فن القول العربي الجاهلي فضلا عن استعمالات فنون البديع المختلفة .

وهذا حسان بن ثابت (ت ٦٠هـ) الذي يقف على رأس شعراء الدعوة الإسلامية <sup>(٤)</sup>  
يكاد يجمع النقاد العرب القدامى على هذا التباين الكبير ما بين مرحلتي شعره في  
قوته في الجاهلية وليونته في الإسلام ، قال الأصمعي (ت ٢١٦هـ) معللا ذلك :  
(الشعر نكد بابه الشر ، هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء  
الإسلام سقط شعره ) <sup>(٥)</sup> ، وقال مرة أخرى : (( شعر حسان في الجاهلية من أجود  
الشعر ، فقطع منته في الإسلام )) <sup>(٦)</sup> .

وقصيدته الهمزية في رده على شاعر قريش أبي سفيان بن الحارث شاهد زعمنا  
ومطلعها <sup>(٧)</sup> :

(الوافر)

عفت ذات الأصابع فالجواء      الى عذراء منزلها خلاء

(١) كعب بن مالك ، الديوان : ٢٨٠

(٢) المصدر نفسه : ٢٠٠

(٣) عبد الله بن رواحة : ٣٨

(٤) ظ. ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء : ٢١٩/١

(٥) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء : ٣٠٥

(٦) المصدر نفسه والصفحة .

(٧) حسان بن ثابت ، ديوان حسان ، تح . وليد عرفات : ٤

ففيها تباين من القوة والضعف الفني في الأداء في بعض مواطنها الى حد التشكيك بمقدمته وأنها مستعارة (( مما كان قد قاله قبل الإسلام ))<sup>(١)</sup> فهو حين يجري على طبعه في استعمال لغته الجاهلية القديمة نحسه قوي العبارة عالي النغمة كقوله<sup>(٢)</sup> :

(الوافر)  
كأن سبيئة من بيت رأس  
على أنيابها أو طعم غض  
إذا ما الأشربيات ذكرن يوماً  
ونشربها فتركنا ملوكاً  
يكون مزاجها عسل وماء  
من التفاح هصره الجناء  
فهن لطيب الراح الفداء  
وأسدا ما ينهنها اللقاء

حتى إذا وصل الى المعاني الجديدة في الدفاع عن الرسالة الإسلامية وذكر الرسول والإله الواحد تفتت عبارته ويخبو بريقها ، كقوله<sup>(٣)</sup> :

(الوافر)  
هجوت محمدا فأجبت عنه  
أتهجوه ولست له بكفاء  
فإن أبي ووالده وعرضي  
وعند الله في ذاك الجزاء  
فخيركما لشركما الفداء  
لعرض محمد منكم وقاء

فالتقريرية ، والخطاب المباشر ، والمعنى المستهلك في الحوار اليومي ملأت أبياته التي لا تتناسب ومكانة الرسول ، ولعل لحسان عذره ، فالشعراء تعودوا مدح الممدوح لذاته ، الأمر الذي يختلف في حالة النبي ، إذ ينبغي النظر الى ذاته مرتبطة بمكانته من الرسالة الإلهية ، وعلاقته بالله تعالى ، وهي كلها دلالات جديدة تشغل ذهن الشاعر عن الأداء الفني الرفيع ، وتتطلب وقتنا لاستيعابها واستثمارها والتعبير عنها<sup>(٤)</sup> .

على أنه يسجل لحسان إبداعه في قوله<sup>(٥)</sup> :

(الوافر)  
خلقت مبرأ من كل عيب  
كأنك قد خلقت كما تشاء

ولكن كم بيتا يمثل هذا المستوى الفني من قوة مدح الرسول(ص) خاصة في إجادته استعمال الأفعال المبنية للمجهول ومشتقاتها مثل ( خلقت ، مبرأ ) وجمال تكرار الفعل ( خلقت ) .

(١) ابتسام الصفار ، الأمالي : ٦٦

(٢) حسان بن ثابت ، ديوان حسان : ١٨/١

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

(٤) ظ. حسن فياض ، الرؤية الإسلامية في شعر المخضرمين(رسالة دكتوراه) : ١٣٩

(٥) حسان بن ثابت ، ديوان حسان : ١٨/١

ومثل هذا الخطاب المباشر والتقريرية التي تكاد تحيل الشعر إلى نثر قوله (١):  
(الطويل)

وَأُنذِرْنَا نَارًا وَبِشْرٍ جَنَّةٍ      وَعَلِمْنَا الْإِسْلَامَ فَاللَّهُ نَحْمَدُ  
وَأَنْتَ إِلَهَ الْخَلْقِ رَبِّي وَخَالِقِي      بِذَلِكَ مَا عَمِرْتَ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ  
تَعَالَيْتَ رَبُّ النَّاسِ عَنْ قَوْلٍ مِنْ دَعَا      سِوَاكَ إِلَهًا أَنْتَ أَعْلَى وَأَمْجَدُ  
لَكَ الْخَلْقِ وَالنِّعْمَاءِ وَالْأَمْرِ كُلِّهِ      فَايَاكَ نَسْتَهْدِي وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ

فهذه أبيات خلت من روح الشعر فعادت نظماً نحسه في قوله ( فأنه نحمد )  
وفي قوله ( ربي وخالقي ) وفي التجائه لأجل الموسيقى الشعرية إلى تغيير الآية  
الكريمة واستعمال لفظة ( نستهدي ) مكان ( نستعين ) وأصل الآية الكريمة من قوله  
تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢) .

وكان أظهر تفسير لذلك الضعف الفني في النتاج الأدبي الشعري هو التعلل  
بالموقف السلبي للإسلام من الشعر (٣) تذرعا بقوله تعالى :

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ \* أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ \* وَأَهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ (٤) .

والحال ليس كذلك ، ففي الآية استثناء واضح يعلي من الشعراء المؤمنين بالعقيدة  
الجديدة والمدافعين عنها ، لأن المرحلة الفكرية الجديدة تستوجب إعادة صياغة هذه  
الثقافة وصقلها بما يخدم مصلحة الإسلام وانتشال هذا الفن من الإسفاف في مبالغات  
المدح والتعزل والتكسب بالشعر ، بل قد لا يمانع من التشبيب - أحيانا - إذا لم يكن  
بمعين ما ، كما ورد في مقدمة قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول(ص) (٥):  
(البيسط)

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول      متمم إثرها لم يفد مكبول  
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا      إلا أغن غضيض الطرف مكحول

فإن وراء ذلك هدفا جليلا للدخول في صميم الموضوع من بيان مكانة الرسول  
الأعظم(ص) ومنزلته الكبرى فيقول (٦) :

(البيسط)

(١) حسان بن ثابت ، ديوان حسان : ٣٠٦/١

(٢) الفاتحة : ٥

(٣) ظ. ابتسام الصفار ، أثر القرآن في الأدب العربي : ٥-١٢

(٤) الشعراء : ٢٢٤-٢٢٧

(٥) كعب بن زهير ، ديوانه : ٦٥

(٦) كعب بن زهير ، ديوانه : ٦٥

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القـ إن الرسول لنـور يستضاء به  
رآن فيها مواعظ وتفصيل مهند من سيوف الله مسلول

لهذا نجد شعر الشعراء في صدر الإسلام قد شهر سلاحا في المعركة ضد قريش والوثنية ، ومن المؤكد إن الإسلام لم يقف بوجه الشعر والشعراء بل عمل على توجيهه وجهة أخرى تناسب الفكر الروحي الجديد ، واتخذ منه وسيلة دفاع مشروعة كما جاء على لسان حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ، ولعل من الإنصاف لشعراء الدعوة الإسلامية الأول أن لا يجري تحميلهم ثقل المعنى الجديد وثقل أدائه فنا شعريا ، فربما كانت مرحلة الدفاع عن العقيدة التي تستوجب على الشعراء أحيانا الرد السريع والارتجال سببا يضاف إلى أسباب ضعف فنية الشعر الإسلامي في عصر النبوة وما تلاه ، ولكن كان على الأديب الإسلامي في الوقت ذاته استيعاب بنية اللغة القرآنية التي حملت معاني غاية في الجودة كقضايا التوحيد والمعاد والثواب والعقاب وبناء نظام الدولة الجديدة واستثمارها فنيا ، الأمر الذي يتطلب فسحة طويلة من الوقت لهضمها وتمثيلها ثم التعبير عنها تعبيرا فنيا .

وقد كان يمكن استثمار الوقت الطويل للثقافة القرآنية التي مرت على الذهنية العربية والانطلاق بها نظما ونثرا فنيين لولا السياسة الأموية المتعمدة في تجاوز الإسلام وإرجاع الثقافة العربية إلى سابق عهدها في الجاهلية<sup>(١)</sup> فكان لهم ما أرادوا فعاد الشعر جاهليا كأشد ما يكون عليه من إيغال في أساليب الجاهلية ومقدماتها الطللية ورحلة الصيد وذكر أسماء مواضع الجاهليين وعاد الشعراء وكأنهم لم ينتسوا لغة الإسلام الجديد فغدا فنهم تقليديا محضا .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إن المنظومة الذهنية الشعرية للعربي وقتذاك اعتادت الإجابة في فن القول الشعري عن التجارب المشتركة الواسعة كالممدح مثلا فإذا ضاقت عليه دائرة المعنى ينحاز عنه أو يتركه وهذا يفسر انحسار الشعر عن فن الرثاء والإخفاق في التجويد في المعاني الضيقة ، ومن المعلوم أن المعنى إذا كان أكثر عموما وأغنى أمثلة وخصائص كان أيسر في التعبير عنه وكانت الألفاظ إليه أسرع ، وكلما ضاق المعنى وتحدد ودق وتعمق كان التعبير عنه أشق وكانت الألفاظ من حوله أقل وهذا ما قرره الأصمعي(ت٢١٦هـ) فيما ذكر من أن (( طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ))<sup>(٢)</sup> ، لذا كانت موضوعات التوحيد والمعاد والثواب والعقاب مما يعسر على الأدباء تأديتها تأدية فنية كما رأينا .  
وحتى في النثر الذي علا شأنه في عصر صدر الإسلام نجد الخطيب منشغلا بهذه المعاني عن تأديتها تأدية فنية مبتعدا عن التلوينات النغمية في صياغة العبارة مفضلا الجريان على طبعه لعدم قدرته على التوفيق بين المعنى الجديد والأداء الفني

(١) ظ. داود سلوم ، سوسولوجيا النقد العربي القديم : ٦٢-٦٤

(٢) الأصمعي ، فحولة الشعراء : ٤٢

لذلك كان الإمام علي (ع) (( أول من عالج فن الخطابة معالجة الأديب ، وأول من أضفى عليها صبغة الإنشاء الذي يقتدى به في الأساليب ))<sup>(١)</sup> .

وهذا الأمر هو الذي يفسر سر الاستحياء في استعمال السجع في النثر الإسلامي كما سيأتي في فصول البحث .  
فأصحاب الفصاحة والبيان - بشكل عام - خاضوا بقوة في موضوعات الفخر والموعظة والمديح والحماسة والهجاء بينما في مجالات الفلسفة والتشريع ومختلف العلوم بدوا أقل احتفاء منهم بها ، وقلما نجد الشعر يقتحم هذه الميادين .

أما القرآن فلغته شيء آخر ، فالنسق واحد ينتظم مختلف الموضوعات . في الموعظة بناء لغوي محكم تشبه قوة نسجه في موضوع التشريع أو خلق الإنسان والكون من غير ضعف في هذا النسج أو ذاك . في البناء اللغوي القرآني عناصر حياة تجعل منه لا يخلق على الأذان سماعه ولا يدب الملل الى سامعه ففي أسلوب القرآن (( لا ترى غير صورة واحدة من الكمال وإن اختلفت أجزاءها في جهات التركيب وموضع التأليف وألوان التصوير وأغراض الكلام ))<sup>(٢)</sup> .

لذلك لم نر أديباً أجاد في المعاني الإسلامية الجديدة إجادة الأديب الجاهلي لمعانيه، لأنه لا يمكن التعبير فنيا عن المعنى الإسلامي الجديد بلغة الجاهلية القديمة، فعليه التخلي عن الثقافة اللغوية الموروثة القديمة والانصهار في الثقافة القرآنية الجديدة ، فقد وفرت الصياغات القرآنية زخماً عالياً من الثراء اللغوي وكان على الأديب في عصر النبوة التنبيه إليه واقتفاء أثره واستثماره بشكل كلي وليس الوقوف عند حد اقتباس اللفظة أو الجملة من القرآن ، وأعني بالشكل الكلي البناء اللغوي المتكامل للنص القرآني القائم على نظام من العلاقات التركيبية التي تعمقت فيها الدلالة بوسائط لغوية انمزج فيها الصوت بالصورة من غير أن يسمى شعراً .

كان الأثر الحقيقي المبكر للقرآن في الكلام العربي على لسان علي (ع) فما وصلنا من كلامه المجموع في ( نهج البلاغة ) يعد من أظهر تجليات الأثر القرآني في الأدب العربي لسبب واضح هو أن المعاني الإسلامية ذائبة في نفس علي (ع) وهي بعد جديدة على غيره (ع) فقد كان (( مما انعم الله على علي بن أبي طالب (ع) أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام ))<sup>(٣)</sup> ، إذ رباه الرسول (ص) بعد أن مست الضراء بيت أبيه أبي طالب إثر القحط الذي ضرب

(١) العقاد ، عبقرية الإمام علي : ١٨١

(٢) الرافعي ، تاريخ الأدب العربي : ٢٤١

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري : ٢١٣/٢

قريشا ، فاستخلصه النبي 9 لنفسه<sup>(١)</sup> وكانت تلك بداية علاقة الإمام(ع) بالقرآن لأنه كان لا يفارق ابن عمه 9 حتى في تأملاته في غار حراء.

وقد صور الإمام علي (ع) نفسه هذه المرحلة من حياته مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال من خطبة له :

(( وَ لَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ ، فَأَرَاهُ وَ لَا يَرَاهُ غَيْرِي ، وَ لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَهُ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ ، غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ 9 وَ حَدِيجَةَ وَ أُنَا تَالِيَهُمَا ، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَ الرِّسَالَةَ وَ أَشْمُ رِيحَ التُّبُوَّةِ ))<sup>(٢)</sup> .

لهذا نشأ الإمام (ع) حافظا للقرآن واعيا لآياته يعرف باطنها مثلما يعرف ظاهرها وهو ما أكده النبي 9 بأحاديثه في فضل علي(ع)<sup>(٣)</sup> .  
قال ابن أبي الحديد(ت ٦٥٦هـ): (( وقد اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد الرسول صلى الله عليه وآله ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه ))<sup>(٤)</sup> .

وكلام الإمام علي (ع) وخطبه تشكل (( تراثا جما يمثل قدرة هذه الأمة العظيمة على الخلق والإبداع متمثلة بقابلية الإمام البلاغية وقدرته في التعبير عن شتى المعاني بأسلوب رائع مؤثر . وقد استمد معانيه وأفكاره من معين القرآن الذي نهل أدبه ، وارتوى من آياته ))<sup>(٥)</sup> .

كان الإمام علي(ع) شديد التأثير بالقرآن الكريم قولاً وفعلاً وعمل على ترسيخ الثقافة القرآنية في أذهان الناس بلفت أنظارهم إلى وجوب إحلال هذه الثقافة في النفوس وإمكانية استبدال البناء اللغوي الجاهلي بأخر جديد معجز في بنائه ومعانيه من خلال قدرتها على استيعاب الحياة .

جاء في كتاب ( وقعة صفين ) أن الإمام عليا (ع) لما سار بجيشه إلى صفين مر بمدينة بهر سير<sup>(٦)</sup> ، وإذا رجل من أصحابه يقال له حر بن سهم بن طريف من

---

(١) ظ. المصدر نفسه والصفحة . ظ. ابن هشام ، سيرة ابن هشام : ٢٢٨/١ . إسماعيل الصدر ، حياة أمير المؤمنين في عهد النبي : ٤٥-٤٠  
(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢٣٨/٢  
(٣) ظ. النسائي ، خصائص أمير المؤمنين : ١٣١  
(٤) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٨/١  
(٥) ابتسام الصفار ، أثر القرآن في الأدب العربي : ١٨٦  
(٦) من نواحي سواد بغداد في غربي دجلة وهي إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن ظ. ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٥١٥/١ . البلاذري ، فتوح البلدان : ٣٢٢/٢

بني ربيعة بن مالك ينظر إلى آثار كسرى ويتمثل بقول الشاعر الجاهلي الأسود بن يعفر (١) :

(الكامل)  
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد (٢)

فقال له (ع) :

(( أفلا قلت : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونٍ \* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ \* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ \* فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ (٣) إن هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا مورثين ، ولم يشكروا النعمة ، فسلبوا دنياهم بالمعصية ، إياكم وكفر النعم لا تحل بكم النقم ، انزلوا بهذه النجوة )) (٤) .  
ولاشك في أن النص القرآني هو القمة في الاستشهاد بمثل هذه المواقف ، بيد أن الإمام (ع) إنما نهى عن ذكر هذا الشاعر خاصة لأنه من كبار شعراء قريش الذين عارضوا الإسلام وأعلنوا وثنيته كما في قوله (٥) :

(الوافر)  
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيى  
الأمن مبلغ الرحمن عني  
فقل لله يمنعي شرابي  
وكيف حياة أصداء وهام  
بأني تارك شهر الصيام  
وقل لله يمنعي طعامي

وكان هذا معروفا لدى المسلمين ، وكان الشاعر مبعوضا لديهم جدا لذلك لم يرد الإمام (ع) أن يستشهد بشعره .

وكل ذلك ثقافة جديدة عمل الإمام (ع) على ترسيخها في النفوس في وقت كان يعتقد فيه العربي أن الشعر وحده القادر على التأثير في معان غلب عليها في ذكر الطلل وعبر الذكريات ، وإيراد الإمام (ع) لمثل هذه الآيات الكريمة يعد تطبيقا حيا ينقل النظرية الى التطبيق ويوحي بوجود الإفادة من الوقوف على آثار الماضين وهو كله ينبئ عن ذوبان الإمام (ع) في القرآن .

ولذلك نجد في كلام علي (ع) ما يشبه الإحجام عن ثقافة الشعر الجاهلي فليس في كلامه ظلالها ، فهو مقل على كثرة خطبه ورسائله من الاستشهاد بالشعر الجاهلي ، وإن تمثل ببيت منه فهو يتخيره من الحكم التي تجري أمثالا سائرة ،

(١) تنظر ترجمته في الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٢٥٥ . البغدادي ، خزائن الأدب : ٣٨٩/١ . الزركلي ، الأعلام : ٣٣٠/١

(٢) ظ. المفضل الضبي ، المفضليات : ١٠٢

(٣) الدخان : ٢٥-٢٩

(٤) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين : ١٤٢

(٥) تنظر الأبيات في كتب التفسير والأدب في آيات تحريم الخمر مثل : الطبري ، جامع البيان : ٤٩٢/٢ . الطباطبائي ، الميزان : ١٣٢/٦ . الثعلبي ، تفسير الثعلبي : ١٤٢/٢ . الأبيسي ،

المستطرف : ٢٢٩/٢

كقوله (ع) لما عصاه قومه بشأن التحكيم<sup>(١)</sup> متمثلاً ببيت من قصيدة دريد بن الصمة  
(٢):

(الطويل)  
مَرَّتْهُمْ مَرِي بِمُنْعَرَجِ الدَّوَى قَدَمٌ تَسْتَبْرِيئُوا النَّصِيحَ إِلَّا ضَحَى الْعَدَا

وكان من خبر هذا البيت أن عبد الله وهو أخو دريد ويسمى عارضاً لم يستمع لأخيه نصحاء فكان أن لقي حتفه ، ومن هنا وقع استشهاد الإمام (ع) بالبيت فقد التقى معه بسبب من التفرق والهلاك نتيجة عدم استماع النصيحة .

ومن تمثله بالشعر الذي يجري مثلاً قوله (ع) في جواب إلى أخيه عقيل:  
( ( وَ لَا يَنْجَسُنِ أَبِيكَ ، وَ لَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِعاً ، وَ لَا مُقَرَّراً لِلضَّمِيمِ وَاهِناً ، وَ لَا سَلِسَ الرِّمَامِ لِقَائِدٍ ، وَ لَا وَطِيءَ الظُّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُقْعَدِ ، وَ لَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمِ :

(الطويل)  
نُ تَسْأَلِنِي كَيْفَ أَنْتَ فَايْنِي صَبُورٌ عَلَي رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ  
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِرِي كَابَةٌ هَيْشَمَتٌ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن أبي الحديد(ت٦٥٦هـ) معلقاً على نسبة هذه الأبيات : ((الشعر ينسب إلى العباس بن مرداس السلمي ولم أجده في ديوانه))<sup>(٤)</sup> .

وتكثر في استشهادات الإمام(ع) بالشعر الجاهلي ظاهرة التمثل بأنصاف الأبيات بسبب التقائه معها بسبب من الحكمة أو مناسبة من الموقف نحو قوله من رسالة إلى معاوية :

(( وَ زَعَمْتَ أَنَّ لِكُلِّ الخُلَفَاءِ حَسَدْتُ وَ عَلَيَّ كَلِّهِمْ بَعِثْتُ ، فَإِنْ يَكُنْ تِلْكَ كَذَلِكَ فَلَا يَسْتِ الجَائِيَةَ عَلَيْنِكَ ، فَيَكُونُ العُنْزُ إِلَيْنِكَ ، وَ تِلْكَ شِكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنكَ عَارُهَا ... ثُمَّ تَكَرَّرَتْ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَ أَمْرِ عَثْمَانَ وَ مَا كُنْتُ لِأَعْتَدِرَ مِنْ أَنَّي كُنْتُ أَتَقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً ، فَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ إِلَيْهِ إِرْشَابِي وَ هِدَايَتِي لَهُ ، فَرُبَّ مَلُومٍ لَا تُنَبِّ لُهُ ، وَ قَدْ يَسْتَنْفِيذُ الظُّلْمَةَ الْمُتَنَصِّحَ وَ بَكَرَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَ لِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ ، مَتَى أَهْلَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ ، وَ بِرِالسَّيْفِ مُحَوِّفِينَ ، فَدَبَّتْ قَلِيلاً يَلْحَقُ الهَيْجَا حَمَلٌ ))<sup>(٥)</sup> .

(١) ظ. ابن مزاحم المنقري ، وقعة صفين : ٤٩٧-٥١٨

(٢) البيت لدريد بن الصمة ، تنظر ترجمته : أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني : ١٢/٩-١٩

(٣) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢٠٩/٢

(٤) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٥٢/١٦

(٥) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٧٤/٢

فقوله : (وتلك شكاة ظاهر عنك عارها) ، وقوله : ( وقد يستفيد الظنة المتنصح) ،  
وقوله : ( لبت قليلا يلحق الهيجا حمل ) ، كلها أشطار لأبيات شعرية مختلفة مما  
يجري مجرى الأمثال عند العرب ، فالأول لأبي ذؤيب الهذلي وتمامه<sup>(١)</sup> :

(الطويل)

وعيرها الواشون أني أحبها      وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وهو مما يجري مجرى الأمثال (( يضرب لمن ينكر أمرا ليس منه في شيء ولا  
يلزمه إنكاره )) .<sup>(٢)</sup>

والثاني مثل يضرب لمن يببالغ في النصيحة لصاحبه حتى يتهم أنه غاش له  
وصدره<sup>(٣)</sup> :

(الطويل)

وكم سقت في آثاركم من نصيحة      وقد يستفيد الظنة المتنصح

والثالث مثل يضرب للوعيد بالحرب فر(حمل) أسم رجل شجاع كان يستظهر به  
في الحرب ، وأصله أن حمل بن بدر رجل من قشير أغير على إبل في حرب  
داحس والغبراء وأغار واستنقذها وقال<sup>(٤)</sup> :

(الرجز)

لَبْتُ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ      مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ

ومثله قوله (ع) وقد سأله بعض أصحابه كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم  
أحق به ؟ :

(( إِمَّا لِلاتِّبَادِ عَلَيْنَا بِرِ هَذَا الْمَقَامِ ، وَ تَجَالُ عَلَاوْنَ نَسَبًا وَ الْأَشْدُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ  
نَوَاطًا ، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثْرَةً سَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ ، وَ سَخَتْ عَنْهَا نَفُوسُ آخَرِينَ ، وَ  
الْحَكْمُ اللَّهُ وَ الْمَعْوَدُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَ دَعُ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجْرَاتِهِ ، وَ هَلُمَّ  
الْحَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُقْيَانَ ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ ... ))<sup>(٥)</sup> .

وقوله : ( وَ دَعُ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجْرَاتِهِ ) من شطر بيت لامرئ القيس وتمامه<sup>(٦)</sup> :

(الطويل)

ودع عنك نهبا صيح في حجراته      ولكن حديثا ما حديث الرواحل

(١) السكري ، شرح أشعار الهذليين : ٧٠/١

(٢) ابن ميثم البجراني ، شرح نهج البلاغة : ٤٤٣/٤

(٣) ظ.العسكري ، جمهرة الأمثال : ١٦١/٢ وقد اختلف في نسبة البيت ، ونسبه العسكري خطأ الى

عمارة بن عقيل وهو شاعر عباسي .

(٤) ظ.العسكري ، جمهرة الأمثال : ٢٠٦/٢ .

(٥) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٦٣/١

(٦) امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، تحقيق عمر فاروق الطباع : ١٢٠

وهو مثل يضرب لمن ذهب من ماله شيء ثم ذهب بعده ما هو أجل منه (١).  
وأصل المثل أن امرأ القيس (( نزل على خالد بن سدوس النبهاني ، فأغار باعث  
بن حويص على إبله ، فبلغ الخبر امرأ القيس ، فذكره لخالد ، فقال خالد : أعطني  
رواحلك أطلب عليها القوم ، فركبها ومضى ، فلحق القوم ، فقال لهم : أغرتم على  
إبل جاري ، قالوا : ما هو لك بجار ، قال : بلى والله ، وهذه رواحله تحتي ، فأنزله  
عنها ، فأخذوها ، فقال امرؤ القيس :

(الطويل)

دع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل

يقول : دع نهبا صاح باعث في نواحيه ، فغير منكر أن يكون مثل ذلك ، ولكن  
حدثني حديث الرواحل التي كنا نريد أن نستنقذه بها ، فذهبت هي أيضا (( (٢) .

وهذا هو السر في تمثّل الإمام (ع) بصدر البيت (( فكأنه قال دع عنك ما مضى  
وهلم ما نحن الآن فيه من أمر معاوية فجعل ( هلم ما نحن فيه من أمر معاوية )  
مقام قول امرئ القيس ( ولكن حديثا ما حديث الرواحل ) (( (٣) .

ولا يمكن تفسير قلة تمثّل الإمام (ع) بالشعر الجاهلي بعدم معرفته به أو خلو  
حافظته منه ، بل يدل استشهاده وتخييره لأبيات منه على دراية واسعة بمضامينه  
ومناسباتها وقائلها ، وهذا التخير يعني أنه يحفظه ويحسن استثماره في كلامه ،  
ولكنه لم يتأثر به أسلوبا ولم يتبع صياغاته أو يستعر صورته ولم يتفق معه إلا من  
خلال الأبيات التي تجري مجرى المثل السائر ، فجل عدد الأبيات التي تمثّل بها في  
كلامه الواصل إلينا في ( نهج البلاغة ) اثني عشر بيتا أكثرها من أنصاف  
الأبيات (٤) .

أليس ذلك دليلا على عدم تأثره بالأدب الجاهلي على علو كعبه ؟ .  
وماذا يصنع علي (ع) بأدب لا يمس قيمه ولا يمثل الفكر الذي آمن به ؟ ، ولا  
يعني ذلك غضا من شأن الشعر الجاهلي ولكن الإمام (ع) متأثر بشكل كلي بأدب  
القرآن وصوره وأساليبه ، ومن (( قصد البحر استقل السواقيا )) (٥) .

(١) ظ. الميداني ، مجمع الأمثال : ٨٨ . ابن الأثير ، الفائق في غريب الحديث : ٣٤٣/١

(٢) العسكري ، جمهرة الأمثال : ٤٥٢/١

(٣) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٤٦/٩

(٤) ظ. صبجي الصالح ، نهج البلاغة (فهارس الشعر) : ٨١٨ . عباس الفحام ، التصوير الفني في

خطب الإمام علي (ع) (رسالة ماجستير) : ١١٩-١٢٠

(٥) من بيت للمتنبّي وتامه : قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا .

ينظر البرقوق ، شرح ديوان المتنبّي : ٥٠٩/٢

كان علي (ع) (( يخلط القرآن بذاته ويحوّله الى نفسه وفي حياته الى منهج واقعي والى ثقافة متحركة لا تبقى داخل الأذهان ولا في بطون الصحائف ، إنما تتحول آثارا وأحداثا تحول خط سير الحياة . فالقرآن لا يمنح كنوزه الا لمن يقبل عليه بهذه الروح : روح المعرفة المنشئة للعمل . إنه لم يجيء ليكون كتاب متاع عقلي و لا كتاب أدب وفن ولا كتاب قصة وتاريخ - وإن كان هذا كله من محتوياته - إنما جاء ليكون منهاج حياة ، وهذا ما تدبره الإمام علي (ع) من القرآن ، فكان معه فكرا وعملا ))<sup>(١)</sup> .

إذن الإمام علي (ع) أشربت روحه حب القرآن فعاد سلوكا وعملا ومنطقا فقد أثر عنه (ع) أنه (( كان يمشي في الأسواق وحده ، وهو وال يرشد الضال ، ويعين الضعيف ، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ : ﴿ تَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، ويقول : نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس ))<sup>(٣)</sup> .

وأثر عنه (ع) أنه إذا سار إلى قتال ووضع رجله في الركاب قال : (( بسم الله ، فلما استوى على الدابة قال : الحمد لله الذي أكرمنا ، وحملنا في البر والبحر ورزقنا من الطيبات ، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا ﴾<sup>(٤)</sup> سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

ومن عمق تأثره بالقرآن جاءت دقة استدلالاته به في كثير من الأحكام الشرعية التي شهد له بها كبار صحابة الرسول صلى الله عليه وآله ، ذكر في الموطأ (( أن عثمان بن عفان أتى بامرأة قد ولدت في ستة أشهر فأمر بها أن ترحم ، فقال له علي بن أبي طالب : ليس ذلك عليها ، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقال :

---

(١) قاسم حبيب جابر ، الفلسفة والاعتزال في نهج البلاغة : ٣٧  
(٢) القصص : ٨٣  
(٣) المتقي الهندي ، كنز العمال : ١٨٠/١٣ . السيوطي ، الدر المنثور : ١٣٩/٥ . الطبرسي ، مجمع البيان : ٤٦٤/٧  
(٤) الزخرف : ١٣  
(٥) الطوسي ، الأمالي : ٥١٥ . ظ. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٦٨/١٦  
(٦) الأحقاف : ١٥

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْتِمَ الرِّضَاعَةَ ﴾<sup>(١)</sup> ، فالحمل يكون ستة أشهر فلا رجم عليها . فبعث عثمان بن عفان في أثرها فوجدها قد رجمت<sup>(٢)</sup> .

وفي مظهر من مظاهر التأثير القرآني بالإمام علي (ع) قدرته على تفسير القرآن بالقرآن في دلالة بيينة على إحاطته بآيات الكتاب العزيز في موضوعات عجز عن فهمها كبار الصحابة مثل موضوع الكلاله<sup>(٣)</sup> وبلغه ذلك فقال (ع) : (( الكلاله هم الإخوة والأخوات من قبل الأب والأم ، ومن قبل الأب على انفراده ، ومن قبل الأم أيضا على حدتها ، قال الله عز قائلا : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤُوهَاكَ لَيْسَ لَهُ وَكْدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَكْدٌ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقال جلّت عظمته : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ إِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾<sup>(٥)</sup> ))<sup>(٦)</sup> ، فهذا تعريف تطبيقي للكلاله من خلال القرآن الكريم يدل على معرفة واسعة بآيات القرآن تتيح له تخير الآية المتطابقة مع الموضوع .

ومن تلك الآيات التي استوقف عندها كبار الصحابة واستعصى عليهم معناها كلمة ( أبا )<sup>(٧)</sup> في قوله تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةٌ وَأَبٌ \* مَا عَالَكُمْ وَلَا نِعَامُكُمْ ﴾<sup>(٨)</sup> ، وفسرها الإمام (ع) انطلاقا من سياقها القرآني من جهة ومن مفهومها اللغوي من جهة أخرى بالكأ والمرعى وقال : (( إن قوله : ( وفاكهة وأبا ) اعتداد من الله بإنعامه على خلقه فيما غذاهم به ، وخلقهم لهم ولأنعامهم ، مما تحيي به أنفسهم وتقوم به أجسادهم ))<sup>(٩)</sup>

(١) البقرة : ٢٣٣

(٢) مالك بن أنس ، الموطأ : ٨٢٥/٢ . ظ. البيهقي ، سنن البيهقي : ٤٤٢/٧ ، وتروى الحادثة مع الخليفة عمر بن الخطاب ، ينظر : الرازي ، التفسير الكبير : ١٢٧/٦ . الشنقيطي ، أضواء البيان

: ٢٢١ / ٤

(٣) ظ. الزمخشري ، الكشاف : ٥١٠/١ . الراغب ، المفردات : ٤٣٧

(٤) النساء : ١٧٦

(٥) النساء : ١٢

(٦) الدارمي ، سنن الدارمي : ٣٦٥/٢

(٧) ظ. الزمخشري ، الكشاف : ٢٢٠/٤ . القرطبي ، جامع الأحكام : ٢٢٣/١٩ وتتنظر مقولة الخليفة

أبي بكر في ذلك : ابن حجر ، فتح الباري : ٢٢٩/١٣

(٨) عبس : ٣١-٣٢

(٩) المفيد ، الإرشاد : ٢٠٠/١ . ظ. الكاشاني ، التفسير الصافي : ٢٨٦/٥

و(الأب) هو المرعى المتهيئ للرعى والجز (١) .

إذن الإمام (ع) انبعث في سلوكه من ثقافة قرآنية وعاها وذاب في معانيها فجسدها في عمله مثلما جرت على لسانه بيانا وإبداعا كما سنرى ، لأن لغة الإمام تطابق صادق بين الإيمان والعمل وبين المعنى والأداء اللفظي .

وخلاصة الأمر إن سيرة أمير المؤمنين (ع) كلها تنطق بآيات الكتاب العزيز سلوكا وقولا ، لذلك كانت لغته الصدى الحقيقي للغة القرآن الكريم ، فلم تجد ألفاظه غرابة في أداء الفكر الإسلامي العميق لأنها ببساطة ألفاظ القرآن الكريم ترسم بها جملة وبنى عليها صياغاته ، وفصول البحث كلها تبرهن على أن كلام علي (ع) دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق .

---

(١) ظ. الراغب ، المفردات : ٨ . ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث : ١٣/١

# الباب الأول

الأثر القرآني في نهج البلاغة

" الشكل "

الفصل الأول : الألفاظ والبناء الجملي

الفصل الثاني : الأداء البياني

الفصل الثالث : جرس الألفاظ

# الفصل الأول

## الألفاظ والبناء الجملي

الكلمة المفردة :

اولا : الاختيار :

١ . الدقة

٢ . الألفاظ الموحية

ثانيا : الاقتباس :

١ . اقتباس اللفظة القرآنية

٢ . اقتباس الاستعمال القرآني للألفاظ

ثالثا : النقل

التركيب الجملي :

اولا : اعادة صياغة الجملة القرآنية

ثانيا : بناء الجمل القصيرة والطويلة

أ : ركائز بناء الجملة القصيرة

١ . التقديم والتأخير

٢ . الحذف

٣ . الأمر

٤ . الاستفهام

ب : ركائز بناء الجملة الطويلة

١ . جملة الشرط

٢ . جملة ( إن )

٣ . جملة القسم

٤ . جملة النداء

## الكلمة المفردة

توطئة :

لم تكن الألفاظ في القرآن الكريم في مجملها مما لم يسمعه العرب ، إلا أن تناسقها كان غاية الإبداع ضمن السياق الجملي ، وهي قريبة التداول بعيدة المعنى ملكت من أسباب البقاء ما أتيح لها أن تتسلخ من ضيق لغة القبيلة الواحدة والبداءة المنغلقة الى أفق أرحب بكثير يعد بداية انطلاقة لحضارة جديدة تستوعب المستقبل بكل تطلعاته .

وبرغم ما وصل اليه الأدب العربي قبل الإسلام من الرفعة والرقي إلا أن في لغة القرآن شيئاً متميزاً في الصنعة والصياغة حتى لو كان اللفظ نفسه ، فعملية التركيب وضم اللفظة الى أختها ، والكلمة الى ما يناسبها ، جعلها في مناخ جديد ، أثر في حياة الألفاظ .

فما الذي أضفى على ألفاظ القرآن الكريم هذه الحياة ؟ .  
وما الذي أبقى عليها نضرة لا تبلى ؟ .  
وكيف أثرت في كلام الإمام علي (ع) فنفذت اليه ؟ .

قبل الشروع بالإجابة عن كل تلك التساؤلات ينبغي الإقرار أولاً بان القرآن ليس معجماً لمفردات اللغة يضم كل ما استعمله العرب من ألفاظ ، بل هو طريقة استعمال لهذه المفردات ، وليس الذي اعجز العرب عن الإتيان بمثل آياته الشريفة فيما تضمن من ألفاظ اللغة بقدر الطريقة التي جاءت بها هذه الألفاظ<sup>(١)</sup> ، لذلك فالقرآن اخذ من ألفاظ اللغة ما هو اقدر على الإحاطة بالمعنى وابلغ في تقديمه .

وهنا تتجلى القيمة الاعجازية للقران الكريم ، فهو الوحيد في تاريخ معجزات الأنبياء الذي رفع من شان لغات البشر فاتخذها وسيلة إعجاز وبرهنة على رسالة السماء ، قال ابن الأثير (ت ٦٣٨ هـ) : (( وإذا نظرنا الى كتاب الله تعالى الذي هو أفصح الكلام وجدناه سهلاً سلساً ، وما تضمنه من الكلمات الغريبة يسير جداً هذا وقد انزل في زمن العرب العرباء وألفاظه كلها من أسهل الألفاظ وأقربها استعمالاً ، وكفى به قدوة في هذا الباب قال النبي " وما انزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني " يريد بذلك فاتحة الكتاب ))<sup>(٢)</sup> .

لذلك خلت ألفاظ القرآن من كل تعقيد سواء أكان ذلك التعقيد مبعثه تنافر حروف اللفظة الواحدة أم كان من عدم انسجامها مع قريناتها داخل البناء الجملي<sup>(٣)</sup>

( ١ ) ظ .الرماني ، النكت في إعجاز ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ١١١

( ٢ ) ابن الأثير ، المثل السائر : ١٥٧ / ١

( ٣ ) ظ .ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة : ٦٥ ، الرازي ، نهاية الإيجاز : ١

وخلت مما تمجه الأسماع من غرابة استعمال أو زيادات في مبنى اللفظة تكون على حساب ذائقة السمع<sup>(١)</sup>.

كل ذلك بين لان ثمة عناية في تخير اللفظة وقصدا في استعمال المفردة ، فالاختيار إحدى أظهر السمات القرآنية في استعمال الألفاظ العربية ، فهناك ألفاظ عدل القرآن الكريم عن استعمالها لابتدالها مثل لفظة ( أجر ) مستعوضا عنها تركيبا في غاية الأناقة في قوله تعالى:

﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، فعبر عن ((الاجر بالوقود على الطين))<sup>(٣)</sup>.

كما عدل القرآن عن استعمال صيغة الفعل الماضي (ودع) لأنها غير مستحسنة بهذه الصيغة كقول أبي العتاهية<sup>(٤)</sup> :

(المضارع)

**وكان ما قدموا لأنفسهم أعظم نفعاً من الذي ودعوا**

وجدير بالذكر أن نهج البلاغة تابع القرآن الكريم في خلوه من هاتين الصيغتين. إذن قد استعمل القرآن من الألفاظ أقدرها على الإحاطة بالمعنى وأخفها على السمع وأقربها الى الاستعمال وأبعدها عن الغرابة والتقعر ، فسلك بالمفردة مسلكا وسطا فهو لم يأخذ منها تلك التي قتل روحها الاستعمال اليومي ، مثلما لم يأخذ منها تلك التي تمجها الأسماع و (( أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله وفهم العامة معناه))<sup>(٥)</sup>.

وهب القرآن الألفاظ العربية زخما كبيرا من الحياة من خلال تخطي المدلول الجاهلي لللفظة وإضافة مدلولات جديدة استوجبتها المرحلة الفكرية الجديدة للغة الإسلام ، الأمر الذي جعلها تبدو وكأنها جديدة رغم أن لها جذورا ومعاني استعملت في العصر الجاهلي ، كألفاظ القرآن والعقيدة والإيمان والتقوى والمعاد .

وهذا من أبين الآثار في نهج البلاغة فقد حفل بالألفاظ الإسلامية المختلفة التي جاء بها القرآن الكريم ويكفي نظرة في المعاجم التي أحصت ألفاظ القرآن وألفاظ نهج البلاغة للكشف عن الأثر العظيم للقرآن الكريم في هذا الباب<sup>(٦)</sup> ، ولكن هناك اثرا آخر لللفظة القرآنية في نهج البلاغة يتمثل في الطريقة التي سلكها في التعبير الفني والتي اقتفى فيها الأثر القرآني في انتقائها .

( ١ ) ظ . ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة : ١٠٧

( ٢ ) القصص : ٣٨

( ٣ ) ابن الأثير ، المثل السائر : ١٨٣/١-١٨٤

( ٤ ) أبو العتاهية ، الديوان : ٢٦٨

( ٥ ) ابن الأثير ، المثل السائر : ١٥٧/١-١٥٨

( ٦ ) ظ.محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . جواد مصطفى ، الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة . صبحي الصالح ، نهج البلاغة ( فهارس ) .

إن الذي ميز كلام الإمام (ع) علي ليس ورود هذه الألفاظ بقدر طريقة استعمالها الاستعمال النابع من فهم اللفظة من النص القرآني أولاً ، لان للقرآن استخدامه اللغوي الخاص ، الأمر الذي يجعل الاتكاء على المعاجم وحدها في التعرف على معاني الكلمات لن يؤدي الغرض المراد تحقيقه و (( أن تكتسب وعياً صادقاً وأن تفاضل بين مبدأ التقييد والانتقاد وانطباعتك الشخصي الحي وان تكون لك معايير ثم تطبقها بمرونة وحكمة ليس بالامر السهل اليسير ))<sup>(١)</sup>.

وبهذا المدخل سيكون النفاذ الى دراسة اثر المفردة القرآنية في نهج البلاغة على النحو الآتي :

أولاً : الاختيار  
ثانياً : الاقتباس  
ثالثاً : النقل

### أولاً : الاختيار

اقتفى الإمام علي (ع) الأسلوب القرآني في اختيار اللفظة الأقدر على الإحاطة بالمعنى والأكثر انطباقاً عليه فصحيح ((نحن نسمع الكلمات مثلما نسمع صوت الرعد لكن الكلمات بعكس تلك المظاهر الأخرى لها طبيعة مزدوجة فهي تحيلنا على ما هو كائن وراءها ))<sup>(٢)</sup>.

وقد صدر الإمام (ع) في ذلك عن أسلوب مطرد في اختيار المفردات الذي يمكن رصده بشكليين :

### ١- الدقة :

للإمام علي (ع) مراعاة واضحة في اتباع دقة القرآن الكريم في استعمال الألفاظ المتقاربة المعنى والمتفاوتة الدلالة ، وهو بذلك يوحى بالعمق الدلالي للألفاظ ، ويمكن تبيان ذلك بالأمثلة :

### ألفاظ (اليأس ، القنوط ، الإبلاس):

جاءت لفظة (اليأس) في القرآن تعني انتفاء الطمع، وشدة انقطاع الرجاء<sup>(٣)</sup> لذا اقترنت في الغالب بمواضع الكفر والصدور عن الكافرين قال تعالى:

( ١ ) ويلبريس . سكوت ، خمسة مداخل الى النقد الأدبي : ٤٤

( ٢ ) صلاح فضل ، أساليب الشعرية المعاصرة : ١٥

( ٣ ) الراغب : المفردات : ٥٥٠ . ظ. الطبري، جامع البيان ١٤٢/٢٨ . ابن منظور، لسان العرب : يأس

﴿الْيَوْمَ يَسِّرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> ، أي انقطع رجاء الكافرين من عودة الجاهلية<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى: ﴿قَدْ يَسُّوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُّ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾<sup>(٣)</sup> .

لأن الكافر لا يرجو بعثا ولا نشورا ولا حياة أخرى بل هو منقطع عن ذلك كله .

واستعمل الإمام علي (ع) اللفظة بالدقة نفسها فقال من خطبة له:

(( وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رَبَّنَا الشَّيْطَانَ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ (صلى الله عليه وآله) ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّئِةُ ؟ فَقَالَ : هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ )) (٤) ، فالتعبير (بـ أيس) انقطاع عن رجاء عبادة الله تعالى .

واستشف الإمام (ع) المعنى القرآني لكلمة (اليأس) فأورده بلسان النهي عنه نحو قوله من وصية لولده الحسن (ع):

﴿إِعْلَامٌ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ ، ... ،  
وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (٥) ، فقد استشف معناها من قوله تعالى في العاصيين: ﴿أُولَئِكَ يَسُّوْا مِنْ رَحْمَتِي﴾<sup>(٦)</sup> .

ولذا عد (ع) ((الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي الناس)) (٧) .

أما (القنوط) فقد جاء في القرآن الكريم بمعنى اليأس من الخير خاصة (٨) ،  
لذا جاء مقترنا باليأس من رحمة الله تعالى وفضله نحو قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾<sup>(٩)</sup> ، وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ

اللَّهِ﴾<sup>(١٠)</sup> ، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾<sup>(١١)</sup> .

(١) المائدة : ٣

(٢) ظ . النحاس ، معاني القرآن : ٢٧٠

(٣) الممتحنة : ١٣

(٤) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١١٣/٢

(٥) المصدر نفسه : ١٨٩/٢

(٦) العنكبوت : ٢٣

(٧) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٨٣/٢

(٨) ظ . الراغب ، المفردات : ٣٩٠

(٩) الثورى : ٢٨ ، وينظر : الراغب ، المفردات : ٣٩٠

(١٠) الزمر : ٥٣

(١١) الحجر : ٥٦

فكما أن الرجاء يقع من المؤمنين خوفا من فوات رحمة الله كذلك القنوط يقع في خطاب المؤمنين في عدم اليأس من رحمة الله فرحمته نوع من الخير لذا وقع القنوط في قبالتها.

يقول الإمام (ع) من خطبة في الاستسقاء:

(( نَدْعُوكَ حِينَ قَطَّ الْأَنَامُ )) ( ١ ) ، وقنوط الأنام يعني به الإمام (ع) قنوطهم من

رحمة الله في إنزال الغيث بدليل قوله (ع) في الخطبة نفسها:

(( فَإِنَّكَ تُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطُّوا ، وَ تَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَ أَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ )) (٢)

مضمنا قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطُّوا وَيُنَشِّرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ

الْحَمِيدُ ﴾ (٣).

ويتكرر المعنى نفسه في خطبة أخرى في الاستسقاء فيقول (ع) : (( اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا

عَيْنَكَ وَ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ )) ( ٤ ) ، فهذا معنى قوله تعالى :

﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (٥).

ولفهم الإمام (ع) لمعنى (القنوط) من داخل النص القرآني قال:

(( عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْطُ وَ مَعَهُ الْاِسْتِعْفَارُ )) ( ٦ ) .

ولاستشفاف الإمام (ع) معنى القنوط من النص القرآني وضعها في صفة المنافقين

فقال : (( حَسَدَةُ الرَّحَا ءِ وَ مُؤَكِّدُو الْبَلَاءِ وَ مُقْطُو الرَّجَاءِ )) ( ٧ ) .

لأنهم يحرصون على منع الخير عن الناس وتبئيسهم.

وقد جمع القرآن الكريم لفظتي ( اليأس ) و ( القنوط ) في آية واحدة بمعنيين

مختلفين في قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسُ قَنُوطًا ﴾ (٨).

فقد جمعت الآية الكريمة اليأس لأنه قرين الشر وقرنت به القنوط لأنه يأس من

الخير، وذكر اليأس أولا لاقترابه من الشر فهو أولى به ثم جاء بالقنوط آخر ليعود

على بدء فضلا عن ذلك إن ذكر القنوط بعد اليأس من باب ذكر الخاص بعد العام

لان اليأس عام في انقطاع الرجاء والقنوط خاص باليأس من الخير ( ٩ ) .

( ١ ) الإمام علي ، نهج البلاغة : ٢٦٨/١

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٦٨/١

( ٣ ) الشورى : ٢٨

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٢٥/١

( ٥ ) الزمر : ٥٣

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٢٤/٢

( ٧ ) المصدر نفسه : ٤٤٩/١

( ٨ ) فصلت : ٤٩

( ٩ ) ظ . محمد الدوري ، دقائق الفروق اللغوية : ١٨٧-١٨٨

واحتذى الإمام (ع) الأسلوب القرآني في الجمع بين اللفظين فقال من خطبة له: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ عَيْرَ مَقْطُوبٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لَا مَحْطُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ وَ لَا مَا يُوسِ مِنْ مَعْفَرَتِهِ)) (١).

فقرن القنوط بالرحمة والاياس بالمغفرة وقدم القنوط على اليأس اتباعا للأسلوب القرآني، و(مايوس) على القلب من (ميؤوس) كما في (مازور) بدلا من (موزور). أما الابلاس فهو اليأس الشديد الذي ينطوي على معنى السكون وانقطاع الحجة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٢) ، لانقطاع حجتهم وحرزهم من يأسهم، وسمي إبليس بذلك ليأسه من رحمة الله وانقطاع حجته (٣) .

وجاء الابلاس في العذاب كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (٤)، وكله بمعنى الحزن المعترض من شدة اليأس (٥).

واستعمل الإمام علي (ع) لفظة (ابلس) بالمعنى القرآني ذاته كقوله : ((وَبَادِرُوا الْمَوْتَ فِي عَمْرَاتِهِ... وَ أَعْدُوا لَهُ قَبْلَ تَوُّلِهِ... وَ قَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ، وَ شِدَّةِ الْإِبْلَاسِ)) (٦) .

وقال الإمام (ع) في صفة الموتى: ((ثُمَّ أُدْرَجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِيسًا)) (٧) ، فهو يأس مع حزن وانكسار ، وقد يوحي بعدم التمكن من النطق وإدلاء الحجة . ألفاظ ( الصراط ، السبيل ، الطريق ) :

استعمل القران الكريم لفظة (الصراط) للدلالة على الطريق الواضح أو طريق الحق الذي لا اعوجاج فيه (٨) ، وسمي الصراط بذلك لأنه مأخوذ من الاستراط - إذ أصله السين - لأنه يستترط السابلية إذا سلكوه أي يبتلعهم كما سمي لقما لأنه يلتقمهم (٩).

ويقترن الصراط بالاستقامة التي هي ضد الاعوجاج وهو الغالب في القران الكريم نحو قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١٠)، وقوله تعالى:

(١) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١ / ١٠٩ . وينظر مثلها في المصدر نفسه : ٢ / ٣٢٥

(٢) الروم : ١٢ . وينظر : النحاس ، معاني القرآن : ٥ / ٢٤٨

(٣) ظ . الراغب ، المفردات : ٦٦ . الطبري ، جامع البيان : ٧ / ٢٥٣

(٤) المؤمنون : ٧٧

(٥) ظ . الراغب ، المفردات : ٦٠ . الطبري ، جامع البيان : ١٨ / ٥٣

(٦) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢ / ٨١ .

(٧) المصدر نفسه : ١ / ١٦٥

(٨) ظ . الطبري ، جامع البيان : ١ / ٧٣ . ابن منظور ، لسان العرب : سطر

(٩) ظ . الراغب ، المفردات : ٢٣٠ . الزمخشري ، الكشاف : ١ / ٢٥ . العكبري ، التبيان في اعراب

القرآن : ١ / ٧

(١٠) الفاتحة : ٦

﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> ، والصراط المستقيم هو الدين الحق ، وانما سمي الدين صراطا لانه يؤدي بمن يسلكه الى الجنة كما ان الصراط يؤدي بمن يسلكه الى قصده<sup>(٢)</sup> .

واستعمل الامام(ع) لفظة ( الصراط ) بمعناها القراني وهي الطريق الموصل الى الجنة وجاءت في نهج البلاغة في موضعين ، قال الامام(ع) واعظا :  
(.. وَ أَنتُمْ وَ السَّاعَةَ فِي قَرْنٍ كَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِرَأْسِهَا وَ أَزْفَتْ بِرَأْسِهَا ، وَ وَقَفَتْ بِرُكْمٍ عَلَى صِرَاطِهَا ))<sup>(٣)</sup> .

وقال الامام(ع) محذرا : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّ مَجَازِكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ ﴾<sup>(٤)</sup> .  
فالصراط طريق مخصوص في الآخرة يفضي بأصحابه الى النعيم ويؤدي بأهل المعاصي الى الجحيم بحسب استعمال الإمام (ع) لها .  
أما ( السبيل ) فهو الطريق الذي فيه سهولة والسبيل هي الطريق المسلوكة تقول سبيل سابلة أي مسلوكة ، لذا يقترن لفظ (السلوك) مع السبيل كثيرا<sup>(٥)</sup> .  
قال تعالى: ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقال تعالى: ﴿ فَاسْأَلْكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا ﴾<sup>(٧)</sup> ، وقال تعالى: ﴿ تَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾<sup>(٨)</sup> .  
وانما اقترن السلوك مع السبيل لسهولة اذ هو مشتق من الجريان تقول أسبل السحاب مطره وسمي السبيل كذلك لكثرة الجريان فيه، والسبيل هي الطريق السهلة السلوك .

ولذلك تقترن كثيرا بالله اشارة الى الطريق الذي يسلك لنيل الخير<sup>(٩)</sup> ، فقد وقعت في بضع وخمسين موضعا من القرآن الكريم بلفظ (سبيل الله)<sup>(١٠)</sup> .  
ففي الجهاد قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ﴾<sup>(١١)</sup> .  
وفي الانفاق قوله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾<sup>(١٢)</sup> .

- 
- ( ١ ) البقرة : ١٤٢  
( ٢ ) الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٤/١  
( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٨٣/٢  
( ٤ ) المصدر نفسه : ١٥٨/١  
( ٥ ) ظ. الراغب ، المفردات : ٢٣٣ . الأنباري ، أسرار التكرار في القرآن : ١٣٩  
( ٦ ) طه : ٥٣  
( ٧ ) النحل : ٦٩  
( ٨ ) نوح : ٢٠  
( ٩ ) ظ. الزركشي ، البرهان : ٨٠/٤  
( ١٠ ) المصدر نفسه والصفحة نفسها .  
( ١١ ) البقرة : ١٥٣  
( ١٢ ) البقرة : ١٩٥

وتوخى الامام علي (ع) الاستعمال القراني ذاته للفظه السبيل فقد كثرت اضافتها الى الله تعالى كقوله مذكرا: ﴿مَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، إِلَّا كَنْفَةٌ فِي بَحْرِ لُجِّي ﴾ ((١)).

وقوله ﴿لِلَّهِ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِرَأْمَوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَ أَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ((٢)).  
واتبع الامام (ع) الاسلوب القراني فقرن بالسبيل السلوك كثيرا ، قال (ع) يصف أهل الدنيا : ((كَسَفَرٍ سَلَكَوا سَبِيلًا )) (٣) ، وانما قال ذلك لانهم سرعان ما يرحلون فالطريق سالكة تنتقل باهلها من حال الى حال ، فوجه الشبه (( اعتبار سرعة سيرهم وقرب الاخرة منهم )) (٤).

ولاستشعار الامام (ع) بما تحمل لفظه السبيل من نيل الخير عند سلوكه فانه كثيرا ما يصفها او يضيف اليها الفاظ الخير والتفاؤل مثل : (سبيل الرشده ، سبيل الجنة ، سبيل الحق ، سبيل المنهج ، سبيل مرضاته ، سبيل الراغبين ، سبيل السلامة ، سبيل قاصد سبيل الهدى ، سبيل النجاة ، سبيل المؤمنين ، سبيل أبلج ، قصد السبيل ، وضح السبيل ، نهج السبيل ، سبل الامن ، سبل الطاعة ، سبل نيرة ) ((٥)).  
، بينما لم يرد مثل ذلك في لفظه ( الطريق ) سوى ولقصد بلاغي - سناتي عليه - في لفظه ( الهدى ) .

والامام (ع) في كل ذلك صادر عن تتبع حريص للاسلوب القراني في دقيق استعماله لهذه اللفظة ، فقد كثر في التعبير القراني وصف السبيل او اضافتها الى بعض ما ذكرناه من الفاظ الخير والتفاؤل ، كقوله تعالى: ﴿ وَتَبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ((٦)) ،  
وقوله تعالى: ﴿ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ((٧)).

اذن صدر الامام (ع) في توليد اشتقاقاته في دقة الاستعمال عن طرائق الاستعمال القراني للفظه (السبيل) .  
وقد يكون السبيل تبعا لمن يقصده فيضاف الى القاصد لسهولة وتوطئه للسالك ((٨)) ،  
كقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ ((٩)).

(١) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٩٢/٢

(٢) المصدر نفسه : ٢٣١/٢

(٣) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٢١/١

(٤) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٤/٣

(٥) ظ. مصطفىوي ، الكاشف : سبل

(٦) النساء : ١١٥

(٧) الممتحنة : ١ ، وينظر مثلها : الأعراف : ١٤٦ ، غافر : ٢٩ ، المائدة : ١٦

(٨) ظ. ابو هلال العسكري ، الفروق اللغوية : ٢٤٦

(٩) الأعراف : ١٤٦

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (١) .

فالاية الكريمة تدل على ان الله تعالى سهل السبيل للقاصدين ويبيدهم اتخاذ السبيل الذي يرتضونه ويزيد ذلك وضوحا كون الله تعالى يسرهم لذلك كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ (٢) .

وبهذا الفهم استعمل الامام علي (ع) لفظ السبيل في قوله :

(( اَلْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلٰى سَبِيلِ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ )) ( ٣ ) .

أما ( الطريق ) فمأخوذ من السبيل التي تطرق بالارجل ثم استعير لكل مسلك يسلكه الانسان وهو لا يقتضي السهولة كالسبيل( ٤ ) .

ولذلك استعملها الامام(ع) في بعض اوصاف اصحابه الذين افتقدتهم بقوله:﴿بَيْنَ إِحْوَانِي الَّذِينَ رَكَبُوا الطَّرِيقَ﴾ (( ٥ ) ، لأن طريق الموت تكتنفه الصعوبة ومع ذلك فهم ركبوه مروضين له .

ويقول في وصف التقوى :

(( فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَزْرُ وَالْجَنَّةُ ، وَ فِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ )) ( ٦ ) ، في اشارة الى ان الطريق الى الجنة ليس سهلا .

ولأن في الطريق معنى عدم السهولة فكان مما جعله الامام(ع) في اوصاف المنافقين بقوله : (( قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ ، وَ أَضْلَعُوا الْمَضِيقَ )) ( ٧ ) ، لأن في كلامهم تزييفا للحق وتسهيلا للصعب ، ولأن في الطريق معنى الوعورة للسالكين فيه فالامام(ع) ينصب نفسه دليلا على الهدى بقوله : (( وَ إِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ ، لَفُطَةٌ لَفْطًا )) ( ٨ ) .

وفي مثال آخر يقول الامام(ع) :

((بَلِّغُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقُدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّْي بِطُرُقِ الْأَرْضِ )) ( ٩ ) ،

لان طرق السماء لم تسلك من قبل والامام (ع) أخبر بها وأعلم .

وقد جاءت لفظة ( الهدى ) مضافة الى (الطريق) في موضع واحد من نهج

البلاغة في قول الامام(ع) :

( ١ ) الإنسان : ٣

( ٢ ) عبس : ٢٠

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٧/١

( ٤ ) ظ. العسكري ، الفروق اللغوية : ٢٤٦ . الراغب ، المفردات : ٣٠٣ . المناوي ، التوقيف على

مهمات التعاريف : ٤٨١

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٣٥/١

( ٦ ) المصدر نفسه : ٤٤٩/١

( ٧ ) المصدر نفسه : ٢١٦/١

( ٨ ) المصدر نفسه : ٢١٦/١

( ٩ ) المصدر نفسه : ٧٩/٢

(( لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ )) ( ١ ) ، اشعارا بان الهدى أصبح طريقا يتجافاها اكثر الناس لذا تبدو موحشة غير سهلة السلوك .  
وإذا اراد الامام(ع) الاشارة الى سهولة الطريق فانه يورد معه لفظة (يسلك)  
كقوله : (( مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الواضِحَ وَرَدَ الماءَ )) ( ٢ ) .

ولذا قال الامام(ع) يصف الشيطان : (( وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ ، إِنَّمَا يُسَيِّ لَكُمْ طُرُقَهُ لِيَتَّبِعُوا عَقْبَهُ )) ( ٣ ) ، لانها طرق وعرة لا تقضي الى خير ولكن الشيطان يحبها في أعين مريديه .

ولا يكاد اسم ( الطريق ) يراد به الخير إلا مقرونا بوصف أو إضافة تخلصه لذلك( ٤ ) ، كقوله تعالى : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ( ٥ ) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا \* إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ ( ٦ ) .

وأخذ الامام(ع) بهذا المعنى فقال لائما أصحابه : (( قَدْ خُلِّيْنَا وَ الطَّرِيقَ ، فَالْتَّجَاةَ لِمُتَّقِمٍ وَ الْهَلَاكَةَ لِمُتَلَوِّمٍ )) ( ٧ ) .

وتوسع الامام(ع) في ذلك فكثرت في كلامه الالفاظ المناسبة لمعنى (الطريق) مثل : (طريق المنافرة ، طريق مظلم ، طريق المتاهة ، طريق العمى ، وعشاء الطريق ، طرق الافة ) كقوله مثلا : (( وَ عَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ )) ( ٨ ) .

وجمع الامام(ع) بين لفظتي السبيل والطريق مفرقا في الاستعمال بينهما كقوله في صفة المؤمن : (( إِذْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ وَ سَلَكَ سَبِيلَهُ )) ( ٩ ) .  
وفي موضع اخر قال فيه : (( وَ بَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرَقِ ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَ سَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ )) ( ١٠ ) .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٦٩/١

( ٢ ) المصدر نفسه : ٤٦٩/١

( ٣ ) المصدر نفسه : ٢٨٥/١

( ٤ ) ظ. الزركشي ، البرهان : ٨٠/٤ . السيوطي ، الإتقان : ١٩٤/١

( ٥ ) الأحقاف : ٣٠

( ٦ ) النساء : ١٦٨-١٦٩

( ٧ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٨٦/١

( ٨ ) المصدر نفسه : ٤٠/١

( ٩ ) المصدر نفسه : ٢٧٣/١

( ١٠ ) المصدر نفسه : ٣٢/٢

وفي الحق إن اتباع الامام(ع) دقة الاستعمال القرآني للألفاظ بدا أسلوبا مطردا لديه ينبع من فهم عميق للفظة القرآنية داخل النص وتفاعلاتها مع جاراتها من المفردات الأخرى - كما مر- وليس بمعزل عن السياق الذي وردت فيه ولولا خوف الإطالة لكثرت الأمثلة كما في استعمال ( البصر والبصير ) و(الروح والنفس ) و(الغيث والمطر) .

ومن اطراد الامام(ع) في دقة استعمال الألفاظ قوله يصف ضعف الانسان: ((فَقَرَعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ الْأَطْبَاءُ ، مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ وَ تَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ )) ( ١ ) .

فقد جعل(التسكين ) للحار و(التحريك) للبارد لان من شأن الحرارة التهيج والتثوير فاستعمل في قهرها بالبارد لفظة (التسكين) ومن شأن البرودة التخدير والتجميد فاستعمل في قهرها بالحار لفظة (التحريك) .

ومثل ذلك قوله (ع) : ((إِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ ، قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةٌ أَفِيظُ ، أَمْهَلْنَا يُسَبِّحُ عَنَّا الْحَرُّوْ، إِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي السَّنَاءِ ، قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَةٌ الْفَرُّ ، أَمْهَلْنَا يُسَلِّحُ عَنَّا الْبَرْدُ )) ( ٢ ) .

فقد ناسب مع (الحر) التسييح لأن الحر ثائر هائج وناسب مع البرد (الانسلاخ) لأنه جامد ملتصق .

واستعمل لفظة (الباريء) في قوله يصف بديع خلقة الخفاش : (( تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لِأَجْلِ إِتْيَانِهَا ، يَفْعُ إِذَا وَقَعَتْ وَ يَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ ، ... ، فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ )) ( ٣ ) .

فقد استعمل الباريء ولم يستعمل الخالق مثلا لأن ((البرء خلق على صفة فكل مبروء مخلوق وليس كل مخلوق مبروء)) (٤) ، والباريء هو الذي خلق الخلق لاعن مثال وانما أوجدهم وأبدعهم فهو المخترع والمحدث(٥) ، وجاء تعريف الباريء مطابقا لقول الامام(ع) وكأنه مأخوذ منه .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٩/٢

( ٢ ) المصدر نفسه : ٧٨/١

( ٣ ) المصدر نفسه : ٣٥٩/١

( ٤ ) الزجاج ، تفسير أسماء الله الحسنى : ٣٧

( ٥ ) ظ. الطبري، جامع البيان : ٥٦/٢٨ . الزمخشري، النهاية في غريب الحديث: ١١/١

وأصل البرء مأخوذ من تبرئة الشيء من الشيء وخلوصه منه كبرء المريض من المرض والمديون من دينه وسمي البارئ كذلك لأنه ميز الأشكال بعضها من بعض بعد التقدير (١)، قال تعالى في بني إسرائيل الذين اتخذوا العجل:

﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ (٢).

وذكر البارئ هنا إشارة الى التمييز والايجاد ، اذ فيه إشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة (( فذكر البارئ ههنا تقريع لهم لتركهم عبادة العالم الحكيم برأهم بتمييز صورهم بعضها من بعض )) (٣).

ومن الاستعمال الدقيق للالفاظ قوله (ع) في وصف الدنيا :  
(( وَ لَا يُمَسِّي مِنْهَا فِي جَنَاحِ مَنْ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ )) (٤).

وحسن التخصيص لأن الامام (ع) ساق كلامه (( ليصف ذل الدنيا وإن حصل فيها أمن فهو في محل التغير السريع والخوف اليه أسرع )) (٥)، فقد خص الامن بالجنح والخوف بالقوادم لأن الجناح يستتر ويقي البرد والأذى ، والقوادم مقادير الريش والراكب عليها بعرض خطر عظيم وسقوط قريب ، كقول أبي نواس (٦) :

تغطيت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري ، وليس يراني

ومن أمثلة الدقة في اختيار الألفاظ قوله (ع) من خطبة له:

(( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ ، فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ وَ أَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ ، وَ سَلَّمَ لِمَنْ دَخَلَهُ وَ بُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَ شَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ عُنْهُ ، وَ نُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ وَ فَهَمًا لِمَنْ عَقَلَ ، وَ لُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ ، وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَ نُبْصِيرَةً لِمَنْ عَزَمَ ، وَ عِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ وَ نَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ وَ ثِقَّةً لِمَنْ تَوَكَّلَ وَ رَاحَةً لِمَنْ هَوَّضَ وَ جَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ )) (٧) .

فقد ناط بكل واحدة من اللفظات لفظة تناسبها وتلائمها، يقول ابن أبي الحديد(ت٧٣٦هـ): (( ولو نيظت بغيرها لما انطبقت عليها ولا استقرت في قرارها

(١) ظ. الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى : ٣٧ . العسكري ، الفروق اللغوية : ١١٣ . الزبيدي ، تاج العروس : ٤٤/١

(٢) البقرة : ٥٤

(٣) الألوسي ، روح المعاني : ٢٥٩/١ . النسفي ، تفسير النسفي : ٤٤/١

(٤) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٥٧/١

(٥) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٨٧/٣

(٦) أبو نواس ، الديوان : ٤٨٠/٢

(٧) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٣٧/١

فقد قال: (أما لمن علقه) فالأمن مرتب على الاعتلاق وكذلك في سائر الفقر كالسلم المرتب على الدخول والبرهان المرتب على الكلام والشاهد المرتب على الخصام والنور المرتب على الاستضاءة ، ولو قال : ( وبرهانا لمن دخله ونورا لمن خاصم عنه وشاهدا لمن استضاء به ) لكان قد قرن باللفظة مالا يناسبها)) ( ١ ).

ففي النص تبدو الألفاظ منسجمة مع جملها وفقراتها التي وردت فيها ، حتى ليصعب استبدالها بكلمات أخرى ، قد لا تؤدي المعنى الدقيق الذي تحمله هذه الألفاظ في دلالتها وانسجامها التركيبي .

إذن ثمة قصد وانتقاء في اختيار دقائق الألفاظ ، وهذا من صناعة الخطابة التي علمه الله إياها بلا تعليم وتعلمها الناس من بعده كما يقول ابن أبي الحديد.( ٢ )

---

( ١ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٧١/٧  
( ٢ ) ظ. المصدر نفسه : ١٤٣/١٣

## ٢- الألفاظ الموحية :

ويسمى الدارسون المعاصرون الألفاظ ذات الدلالة الإضافية أو ظل المعنى (١) (shade of meaning) ، وللالفاظ خزير هائل من التجارب البشرية فهي (( كالمقام أغلقت سداداتها على شحنة من تجارب لا حصر لها اختزنها فيها الانسان على كر العصور )) (٢) .

ويبدو ان الالفاظ الموحية اكتسبت من هذا الخزين ضعفين من المعاني :الاول وهو المعنى الاصلي للفظه ، والثاني وهي المعاني الجانبية المصاحبة للفظه بحيث توحى بأكثر من مدلولها الظاهري لذلك ((فهي المقياس الفني لتقدير قيمة اللفظ)) (٣) .

واختيار الالفاظ الموحية في الاستعمال يعني ((استغلال ما للالفاظ من قوة تعبيرية بحيث يؤدي بها فضلا عن معانيها الفعلية كل ما تحمل في أحشائها من صور مدخرة ومشاعر كامنة لفت نفسها لفا حول ذلك المعنى الفعلي)) (٤) .

ورغم ان احياء اللفظة من اهتمامات النقد الحديث ومصطلحاته (٥) ، الا أن معناها ادركه النقاد العرب الاقدمون ووقفوا عليه وعالجوه وهم يتحدثون عن فصاحة اللفظة المفردة كابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) وابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) وابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) (٦) ، (( وإن لم يحددوا للافصاح عنه عبارة كالتي نستخدمها في عصرنا الحاضر)) (٧) .

وقد كان لتفرد الاسلوب القرآني في انتقاء الالفاظ أثر كبير في ظهور هذا اللون من الدراسات اللغوية الادبية القديمة كدراسات غريب مفردات القرآن التي انطوى تحت هذا العنوان كثير من الالفاظ الموحية ، ومثل وقفات الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) ، وتدبير الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) لالفاظ القرآن الكريم في استشفاف ما تضمنت من معان دلالية (٨) .

وبلغ من احتفال ابن الاثير (ت ٦٣٧هـ) باللفظ الموحى أن سماه جوامع الكلم وقال عن أثرها في نفسه ((وكننت إذا مررت بنظري في ديوان من الدواوين ويلوح فيه مثل هذه الالفاظ أجد لها نشوة كنشوة الخمر وطربا كطرب الالحن . )) (٩)

(١) أحمد مختار عمر ، علم الدلالة : ٣٦ .

(٢) شارلتون، فنون الأدب : ٣٦

(٣) محمد حسين الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني : ٢٥

(٤) شارلتون ، فنون الأدب : ٧٦

(٥) ظ. العزاوي، النقد اللغوي عند العرب : ٢٣١ . كرومبي، قواعد النقد الأدبي: ٣٩

(٦) ظ. العلوي: عيار الشعر: ٤٠- ٤٨ . ابن رشيق، العمدة : ١٢٦/١-١٢٧ . الخفاجي ، سر الفصاحة : ٦٧

(٧) احمد بدوي ، اسس النقد الأدبي : ٤٢٤

(٨) ظ. الراغب ، المفردات : ٢٠٠ وما بعدها . الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٢٠٢-٣٢٣ . الزمخشري،الكشاف: ١٠٨/١-١١٢-١٣٤-١٩٠ . الصاوي ، منهج الزمخشري في تفسير القرآن : ٢٣٢:

(٩) ابن الاثير ، المثل السائر : ٩٦/١-٩٨

ولكن كيف يرتسم الإيحاء على الألفاظ ، فكان مما اختاره التعبير القرآني وانسرب تأثيره الى كلام الامام علي (ع) ؟ .

يبدو ليست كل الألفاظ لها امكانية الإيحاء بمعان ظلالية فهي صيغ لالفاظ معينة وصحيح (( أن كل كلمة أيا كانت توظف دائما في الذهن صورة ما )) (١) ، ولكن ليست كل كلمة لها القدرة على بعث ما استبطنت من خيال وظلال وربما اختلف إدراك هذا المعنى من فرد الى آخر بحسب التقارب والتشابه بين التجارب المكتسبة في ذهن السامع والتجارب المختزنة في طيات اللفظ (٢) . وقد يتوصل الى الكشف عن الألفاظ الموحية من خلال جرس اللفظة أو زيادات مبانيها أو بكثرة المران والخبرة في الألفاظ العربية (٣) .

ولجرس الكلمة إسهام واضح في نقل إيحاءات اللفظة فليس ثمة فاصل كبير بين القيم الصوتية للالفاظ ودلالاتها ((فجرس الكلمة هو الموسيقى الداخلية أو هي الاصوات المفردة التي ينشأ من تأليف أصوات حروفها وحركاتها ومدى توافق هذا الإيقاع الداخلي مع دلالة اللفظة )) (٤) .

وما كان ليفوت البلاغيين العرب القدامى الالتفات الى الدلالة الإيحائية لموسيقى اللفظة ، فأكدوا الربط بين إيقاع اللفظة ومدلوله وصوره الإيحائية ، يقول ابن جني (( فإن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه اصوات الأفعال التي عبر عنها )) (٥) .

ولجرس الكلمة قيمة حسية في الألفاظ (( ونوع من الموسيقى يوحي الى الأذهان بمعنى فوق المعنى الذي تدل عليه الألفاظ )) (٦) ، لأن ((الألفاظ أصوات ذات جرس)) (٧) ، كما إن ((الكلمات ليست مجرد إشارات مجردة واصطلاحية فحسب بل بوسعها أن تنشيء بجرسها ورننتها وإيقاعها لحنا مستقلا عن مدلولها الخاص وهي تملك إيحاءات أخرى عديدة)) (٨) .

ونخلص من هذا أن إيحاء اللفظ يعطي إضافة بيانية في المعنى ونبرة في الجرس تعبر عن صدى دلالة اللفظ . ويمكن تبين ذلك وبيان انسراب أثره الى كلام الامام علي (ع) بالامثلة :

(١) فندريس ، اللغة : ٢٣٧

(٢) ظ. أحمد مختار عمر ، علم الدلالة : ٣٦

(٣) ظ. ابراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ : ١٠٣

(٤) المصدر نفسه : ٧٥

(٥) ابن جني ، الخصائص : ٦٥/١-٦٦

(٦) طه حسين وآخرون ، التوجيه الأدبي : ١٣٧

(٧) أمين الخولي ، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب : ٢٧٦

(٨) لويس هارتيك ، الفن والأدب : ٣٦

## أ- استغلال طاقة الحرف في اللفظة :

استعمل القرآن الكريم لفظة (خشع ) و(خضع) إحياء بمعنيين مختلفين فعبر بالأول عن السكون والتذلل كأثر عن الباطن المعنوي وعبر بالثاني عن التظامن والتوضع أثرا للظاهر الحسي، ف جاء أكثر استعمال (الخضوع) في البدن وهو الإقرار بالتسليم والانقياد ، في حين جاء استعمال (الخشوع) في القلب والبصر و الصوت( ١).

ومن هنا كانت صفة الخشوع مما يحمد عليه المؤمن لان منبعها القلب والخشية من الله والايمان به (( وهي هيئة تظهر في الجوارح متى كانت في القلب ولذلك خص تعالى القلب بالذكر )) ( ٢ ) ، كقوله تعالى:

﴿لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ ( ٣ ).

أما الخضوع فإذا كان لغير الله فهو قبيح مستهجن في شخص الانسان ، قال تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ ( ٤ )، تعبيراً عن الذل والانقياد . ولأن في الإنة

الكلام سببا إلى الإنة البدن وخضوعه نهى الله تعالى النساء عنه فقال سبحانه:

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ ( ٥ ).

وتابع الامام علي (ع) القرآن في هذه الدلالة الايحائية فقال:

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ ، يَحْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ وَ يَبْهَرُ الْعُقُولَ رَوَاؤُهُ وَ طَيِّبَ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ ، وَ لَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً﴾ (٦).

فقوله: ((ظلت له الأعناق خاضعة )) وصف لظاهر البدن تكنية عن الذل والانقياد .

ومثل ذلك قوله (ع) في وصية لولده الحسن (ع):

(( مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَ الْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى )) ( ٧ )، لما تحمل من معنى الذلة.

ولعل في صوت الضاد في لفظة(الخضوع) شيء من إحياءات القهر والاستكانة فهي تحمل جميع صفات الشدة والقوة كالجهر والاستعلاء والإطباق والاستطالة( ١).

( ١ ) ظ. العسكري ، الفروق اللغوية : ٣٨

( ٢ ) الثعالبي ، تفسير الثعالبي : ٣٧٧/٥

( ٣ ) الحديد : ١٦

( ٤ ) الشعراء : ٤

( ٥ ) الأحزاب : ٣٢

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٩٠/٢

( ٧ ) المصدر نفسه : ١٩٨/٢

( ١ ) ظ. مناف الموسوي ، علم الأصوات اللغوية : ٦٤

أما لفظة (الخشوع) ففي صوت الشين صفات للهمس والرخاوة (١)، وفيها التفشي التفشي والانتشار الذي يتفق مع الخشوع الذي يكون منبعه القلب ثم ينتشر على بقية الجوارح كالأبصار والأصوات ، لذا لا يصح التعبير عن القلب بالخشوع لأن الخشوع عن خوف وتقية ومداراة.

والخشوع بعد مصطلح إسلامي يعبر عما يستشعره الإنسان من إيمان وخشية وتقوى في قلبه ، قال تعالى: ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ﴾ (٢)، لأن خشوع البصر له علاقة

بايمان القلب فهو صورته كقوله تعالى: ﴿ قُلُوبٌ يُؤْمِدُّ وَأَجْفَةٌ \* أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ (٣).

واقتنى الإمام (ع) إحياء اللفظة نفسها فقال يوصي الحسن (ع) :  
( ( فَكُنْ أَوْ خُشِعَ مَا تُكُونُ لِرَبِّكَ )) (٤)

وفي موضع آخر قال: ( ( فَاتَّقُوا تَقِيَّةً مَنْ سَمِعَ فَخْشَعَ )) (٥)، لأنه يؤشر مدى إيمان القلب .

وقال في بعث الموتى : ( ( وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيَّيْمَةً )) (٦)، والهيمنة الصوت الخفي.

والخشوع والخشية كلاهما من ((أفعال القلوب التي لاتصدر عن جماد إلا أن يكون ذلك من صنع البيان إذ يبيت الحياة في الصخر الاصم)) (٧)، لذا قدم التعبير القرآني لفظة (الخشوع) قبل التصدع لأنه مقدمة للتصدع لما فيه من التأثير الباطني الذي يكون أولا مقدمة للتأثير الظاهري ، في قوله تعالى :  
﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (٨).

وقد عد السيد المرتضى لفظة (خاشعاً) من صيغ الإيحاء في الدلالة على المبالغة التي تدعو إلى (( تعظيم القرآن في مقام الإخبار عن جلالة خطره )) (٩).

ومن امثلة استغلال طاقة الحرف في إلقاء مزيد من الإيحاءات الجانبية استعمال القرآن الكريم لبعض الأبنية الخاصة في توخي تكثير المعنى مثل زيادة حرف (طاء) في بعض الألفاظ المبتدئة بحرفي الصاد والصاد مثل (اصطرخ ، اصطنع ، اصطفى ، اصطفى ، اصطاد ، اضطر ) ، وهي من حروف الإطباق التي تزيد

( ١ ) ظ. مناف الموسوي ، علم الأصوات اللغوية : ٧٧

( ٢ ) القلم : ٤٣

( ٣ ) النازعات : ٨-٩

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٨٨/٢

( ٥ ) المصدر نفسه : ١٥٤/١

( ٦ ) المصدر نفسه : ١٥١/١

( ٧ ) بنت الشاطيء، الإعجاز البياني للقرآن : ٨٩

( ٨ ) الحشر : ٢١

( ٩ ) ظ. المرتضى ، أمالي المرتضى : ٤٢٨/١

الصوت تفخيماً ( ١ ) ، كقوله تعالى موحياً ومصوراً جلبة أهل النار وكثرة صراخهم من العذاب: ﴿ وَهُمْ يُصْطَرَّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً ﴾ ( ٢ ) .

فالاصطراخ هو شدة الصياح والنداء والاستغاثة وهي توحى بأن الصراخ بلغ ذروته والاضطراب قد تجاوز مداه ( ٣ ) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا مُرْسَلُونَ نَائِقَةً قَتْنَةً لَهُمْ فَأَرْقَبْتَهُمْ وَأَصْطَبِرُ ﴾ ( ٤ ) .

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ( ٥ ) .

وقال تعالى على لسان موسى (ع): ﴿ أَوَاتِيكُمْ بِشَهَابٍ فَبَسِّ لِعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ( ٦ ) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ ( ٧ ) .

والإحلال هو الخروج من الإحرام ، لذلك فيه كبير إباحة بعد المنع . ففي كل هذه الألفاظ المزيدة زيادة في المعنى وتفخيم له للفت النظر إليه .

وأخذ الإمام (ع) بهذا الإيحاء من الألفاظ المزيدة كلما طلب السياق مزيداً من المعنى الإضافي كقوله (ع) :

(( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكَبْرِيَاءَ ، وَ اخْتَارَ هُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ ... وَ اصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ )) ( ٨ ) .

وقال جامعاً بين الإصطفاء والاصطناع :

(( ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَ اصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ )) ( ٩ ) .  
( واصطنعه على عينه ) تقال لما يشتد الإهتمام به .

ويختار الإمام (ع) لفظة (مصطلحون) فيصف المقبلين على الدنيا :  
(أَقْبَلُوا عَلَى حَيْفَةٍ قَدْ أَقْضَوْا بِأَكْلِهَا ، وَ اصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا )) ( ١٠ ) ،  
والاصطلاح التراضي بعد التعاضب .

( ١ ) ظ. تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة : ١١٦ . مناف الموسوي ، علم الأصوات اللغوية : ٤٧ - ٤٩

( ٢ ) فاطر : ٣٧ . وينظر : سيد قطب ، التصوير الفني للقرآن : ١٦

( ٣ ) محمد حسين الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن : ١٦٥ - ١٦٦

( ٤ ) القمر : ٢٧

( ٥ ) فاطر : ٣٢

( ٦ ) النمل : ٧

( ٧ ) المائدة : ٢

( ٨ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٨٩/٢

( ٩ ) المصدر نفسه : ٤٦٢/١

( ١٠ ) المصدر نفسه : ٢٤٩/١

ومثله قوله (ع): (( قَدْ اصْطَلَحْتُمْ عَلَيَّ الْغِلَّ فِيمَا بَيْنَكُمْ ))<sup>(١)</sup> ، توبيخا للسامعين على ارتكاب رذائل الأخلاق وإنما قال (اصطلحتم) لسكوتهن عن إنكار بعضهم على بعض ما يصدر عنه من المنكر .

وتوسع الإمام (ع) في هذا الأسلوب من الألفاظ الموحية فقال :

((بِهَذَا عِلْمِ الْعَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَ مَا سِوَى تِلْكَ فَعِلْمٌ ، عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ ص فَعَلَّامَنِيهِ ، وَ دَعَا لِي بِأَنْ يَعْيَهُ صَدْرِي ، وَ تَضَمَّ عَلَيَّ جَوَانِحِي ))<sup>(٢)</sup> .

فقوله (تضطم) يوحي بشدة اشتغال قلب الإمام (ع) على العلم الإلهي وكنى بالجوانح عن القلب لاشتغالها عليه .

وقال واصفا ما بقي من الدنيا :  
((أَلَا وَ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَنَاءً ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ ، اصْطَبَّهَا صَابُهَا ))<sup>(٣)</sup> .

والصباية ما تبقى في الإناء، وفي قوله (ع) (اصطبها صابها) تهكم وتحقير للقلة القليلة مما بقي من الدنيا وهي مثل قولهم تركها تاركها<sup>(٤)</sup> .

وقال (ع) من خطبة في خلق الأرض وهياج ماء بحارها :  
((فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِيًا مَقْهُورًا ))<sup>(٥)</sup> .

وفي لفظة (اصطخاب) إحياء بشدة الغلبة والصبخ .

ومثل هذا كثير من الألفاظ التي استنفدت فيها طاقة الحرف مثل لفظة (قضم) وخضم) و(كظم وكتم) و(قضم وقضم) .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣١١/١

( ٢ ) المصدر نفسه : ٢٩٩/١

( ٣ ) المصدر نفسه : ١٠٥/١

( ٤ ) ظ.ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٣١٨/٢

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٩٦/١ . ظ.ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٢٢٩/١

ب - ومن الألفاظ الموحية في القرآن الكريم انتقاء صيغ زيد في مبانيتها مقاطع صوتية مكرورة زيادة في قوة معناها (( وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة فمن ذلك خشن واخشوشن فمعنى خشن دون اخشوشن لما فيه من تكرار العين وزيادة الواو ))<sup>(١)</sup> .

من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ومعنى (الكببة) هو القلب وإنما كرر المعنى دلالة على شدة العقاب ، وهو (( تدهور الشيء في قوة ))<sup>(٣)</sup> .

ومثله قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله تعالى :

﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقوله سبحانه في وصف المنافقين:

﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وانتهج الإمام (ع) الأسلوب نفسه فاستعمل هذه الصيغ وتوسع فيها فجاءت في أشكال كثيرة مثل (جرجرة ، زحزح ، شقشقة ، قلقله ، اعذوذب ، احلولى ، وحاوح ، ذعذعة ، وعوعة ، نهنهة ، لجلجة ، ذبذبة ، بلبلة) .

فمن الزحزحة التي جاءت في القرآن قوله (ع) مقتبسا يصف المؤمنين: (( قَدْ أُدْخِلَ مِنَ الْعَذَابِ وَ انْقَطَعَ الْعِتَابُ ، وَ زُحِرُوا عَنِ النَّارِ ))<sup>(٧)</sup> .

وقال لائما المتقاعسين عن طاعته :

(( دَعَوْتُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ ، فَجَرَّجْتُمْ جَرَجَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِ ))<sup>(٨)</sup> .

فلفظة جرجرتم فيها زيادة معنى للتضجر والتناقل الذي عليه أصحابه المتقاعسون .

واستعمل ( احلولى ) في ثلاثة مواضع مختلفة ، كقوله ذاكرا النبي (ص) :

((فَمَا أَحْلَوْلَتْ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَدَّتِيهَا ، وَ لَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَوْلَادِهَا ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَدَّ أَهْلُهَا جَائِلًا خِطَامُهَا ، فَلِقَاءَ وَضِيِّهَا ))<sup>(٩)</sup> .

ففي (احلولت) فضل معنى على (حلي) .

ومثلها يصف الدنيا وقد جمع معها لفظة ( اعذوذب ) :

((إِنَّ جَانِبٌ مِنْهَا اعْتَوَبَ وَ أَحْلَوْلَى ، أَمْرٌ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى ))<sup>(١٠)</sup> .

( ١ ) ابن الأثير ، المثل السائر : ٢٥٠/٢

( ٢ ) الشعراء : ٩٩ . وينظر في تفسيرها : الزمخشري ، الكشاف : ١١٩/٣

( ٣ ) الراغب ، المفردات : ٤٢٠

( ٤ ) آل عمران : ١٨٥ . وينظر : سورة البقرة : ٩٦

( ٥ ) يوسف : ٥١ . وينظر فيها: محمد حسين الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن : ١٨١

( ٦ ) النساء : ١٤٣

( ٧ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٨٢/٢

( ٨ ) المصدر نفسه والصفحة . وينظر : ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١٤٨/١

( ٩ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٣٤/١

( ١٠ ) المصدر نفسه : ٢٥٧/١

وقال ناصحا: (( فَمَنْ أَخَذَ بِرِثْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوبِهَا وَ اِخْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا )) (١).  
وتوحي لفظة (احلولى) بكثرة التطعم ببلدة الدنيا والابتهاج بها .

وما عرض له الإمام(ع) في هذه الألفاظ أثر مقصود اليه في ذاته ، لأنه من باب زيادة المعنى في زيادة المبنى .

ومن زيادة المباني في الألفاظ الموحية استعمال صيغة ( افتعل ) بدل ( فعل ) ، يقول ابن الأثير(ت٦٣٨هـ) : (( فمعنى اقتدر أقوى من معنى قدر، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٢)، فمقتدر ههنا أبلغ من قادر، وإنما عدل إليه للدلالة على التفضيم للأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب او للدلالة على بسط القدرة )) (٣).

قال الإمام(ع) ينصح أصحابه :  
(و بِرَحَقِّ أَقْوَلُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرْتُمْ الْعَبْرُ ، وَ رُجِئْتُمْ بِرِمَا فِيهِ مُرْدَجَرُ )) (٤) .

ففي لفظ ( مردجر ) تكثير معنى وايحاء بشدة الضوابط الزاجرة ، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ﴾ (٥) .

ومن الإيحاء قوله (ع): (( وَ جَرَّ عَثْمُونِي نُعَبَ التَّهْمَامُ أَتَفَاسَا )) (٦).  
ففعل التضعيف ( جرع ) زاد في معنى الإيجاب والتجرع .

ومثل ذلك قوله يصف أحوال بني اسرائيل: (( اتَّخَتَّتُهُمُ الْفِرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، وَ جَرَّعُوهُمْ الْمُرَارَ )) (٧) .

وهكذا نجد الإمام(ع) قد اختار لكل عبارة ألفاظا ذات طاقة معينة في إيضاح المعنى المراد .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٦٥/١

( ٢ ) القمر : ٤٢

( ٣ ) ابن الأثير ، المثل السائر : ٢٥٠/٢-٢٥٢

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٦١/١

( ٥ ) القمر : ٤

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٧٨/١

( ٧ ) المصدر نفسه : ١٠٥/٢

## ثانيا - الاقتباس

زخر نهج البلاغة بألفاظ القرآن الكريم ووشي بمفرداته التي حرص الإمام علي (ع) فيها على اقتباسها من نصها ليوظفها في الدلالة نفسها ، ولكن بموقفه الفني الذي هو فيه .  
وفي اقتباس الألفاظ القرآنية نلمس تمكن المفردة القرآنية المقتبسة وتفاعلها مع مفردات الإمام علي (ع) وامتزاجها بعلاقات جديدة في جمل الإمام (ع) ، إذ لا نجد ثمة غرابة بينها وبين نص الإمام (ع) .  
ويمكن تلمس طريقين لاقتباس الألفاظ القرآنية :

- ١- اقتباس اللفظة القرآنية
- ٢- اقتباس الاستعمال القرآني للألفاظ

### ١- اقتباس اللفظة القرآنية :

والمقصود باللفظة القرآنية اللفظة التي نقل القرآن الكريم دلالتها من الجاهلية الى دلالة جديدة اختص بها وحده ، وهي كثيرة جدا في كلام الإمام (ع) ، في خطبه ورسائله ووصاياه وكتبه وقصار كلمه، فلا تكاد تخلو منها فقرة من فقرها ، فقد طبع الإمام (ع) كلامه بكلام الله تعالى بهذه الاقتباسات التي تجيء متمكنة في النص مما يدل على شدة امتزاج ذات الإمام (ع) بثقافة القرآن الكريم<sup>(١)</sup> ، فلا يجد مشقة من استلال اللفظة القرآنية من مخزونه الذهني لأنها حاضرة دائما باللفظ والمعنى في ذهنه كلما أراد التعبير عن معنى ما .

واقتباسات الإمام (ع) للألفاظ التي اختص بها القرآن كثيرة جدا ، كألفاظ الصلاة وأعمالها، والعبادات وتفصيلاتها، وألفاظ الآخرة والعالم الآخر، وألفاظ التقوى والتوحيد وأسماء الذات المقدسة وصفاتها .  
وبعيدا عن استقصاء الألفاظ القرآنية وإحصائها في نهج البلاغة سيكون وكذا البحث في التأثير الفني في طبيعة هذه الإقتباسات ومدى انصهار المفردة القرآنية في النص الجديد في نهج البلاغة ، لذا سأحاول تسليط الضوء على الإقتباسات التي تكشف عن عمق فهم المفردة المقتبسة داخل النص القرآني.

بمعنى ثان إن اقتباسات الإمام علي (ع) للفظ القرآنية تحمل في طابعها اقتباس النص الذي جاءت فيه وتلك سمة فنية تضاف الى طبيعة اقتباسات الإمام للفظ

(١) ظ. البصير ، عصر القرآن : ٣٦

القرآنية والتي هي اقتباسات فاعلة تضيف مزيدا من المعاني داخل النص الجديد الذي حلت فيه وتمتزج معه بعلاقات غاية في التمكن والانشداد .

لذا فالإمام(ع) في اقتباساته يوجد المناخ المشابه لما هو موجود في النص الاصيلي القرآني للمفردة من خلال صناعة علاقات تقتفي الأسلوب القرآني - كما سيمر بنا - كي لا تبدو اللفظة المقتبسة غريبة على المحيط الجديد ، وذلك واحد من أسرار تعبير الإمام وطبيعة تأثير القرآن فيه . وبيان ذلك وتفصيله بالأمثلة :

### ألفاظ القرآن وصفاته :

جاءت لفظة القرآن في نهج البلاغة أكثر من أربعين مرة بينا جاءت ألفاظ أسمائه وصفاته مستتلة من الفهم الواعي للنص القرآني ، بمعنى إن فهم اللفظة القرآنية المقتبسة ينبع من داخل السياق القرآني نفسه .

قال الإمام علي (ع) : (( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِذِكْرِهِ ))<sup>(١)</sup> ، والذكر هو القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

والإمام(ع) إنما جعل الحمد مفتاحا للذكر لأن أول كتاب الله تعالى قوله سبحانه :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وهذه إضافات قرآنية للمعنى ، أما المعنى الأولي فيمكن أن يستفاد منه أن الحمد يسبق ذكر الله مطلقا ، فإنك تذكر الله تعالى ولكن بعد حمده .

وفي موضع آخر قال الإمام(ع) يصف القرآن :

(( أَيُّضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ التَّكْرِ . وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ .. وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ وَ أَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَتَمُّ الْقَصَصِ ))<sup>(٥)</sup> .

فقد جاءت أسماء القرآن العظيم وصفاته مستتلة من آيات عدة اقتبسها الإمام(ع) من مواضع مختلفة من القرآن وضمنها كلامه .

فقوله: (ذكر الله) ، مأخوذ من القرآن إذ وصف كثيرا بالذكر .

وقوله: (شفاء الصدور) اقتباس من الفهم القرآني في قوله تعالى لوصف القرآن

: ﴿ قَدْ جَاءَ تَكْمُومُ مَوْعِظَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٦٦/١

( ٢ ) ابراهيم : ٧

( ٣ ) ص : ١

( ٤ ) الفاتحة : ١

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٥٥/١

( ٦ ) يونس : ٥٧

وقد تكرر هذا المعنى عند الإمام (ع) في مواضع عدة من كلامه (ع) كقوله :  
(( لَمَنْسَفَوْهُ مِنْ أَوْلَادِكُمْ ، وَاسْتَعِينُوا بِرِهِ عَلَيَّ لِأَوَائِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ ))<sup>(١)</sup>.

وسمي القرآن بالقصص اتباعا لما ورد في القرآن من قوله تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولاستشعار الإمام (ع) بثقل تكرار ( أحسن ) عدل عنها الى ( أنفع ) .  
وفي لفظة ( تلاوة ) مثل آخر للألفاظ القرآنية التي اختص بها القرآن<sup>(٣)</sup> .

ويقول الإمام (ع) : (( اتَّقِعُوا بِرَبِّانِ اللَّهِ وَ اتَّعِظُوا بِرَمَوَاعِظِ اللَّهِ ))<sup>(٤)</sup> .

لفظة ( بيان ) مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

ولحرص الإمام (ع) على اقتباس اللفظة مع ما يحيطها من جاراتها جاء قوله :

( اتعظوا بمواعظ الله ) موافقا لما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقال الإمام (ع) : (( إِرَاللَّهِ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَ أَمْرٍ قَائِمٍ ))<sup>(٧)</sup>

وقوله : ( الكتاب الناطق ) مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وَكِدَيْتَابُ يُنطِقُ بِالْحَقِّ ﴾<sup>(٨)</sup> .

وفي وصف آخر للقرآن قال أمير المؤمنين (ع) :

(( إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَطِّأْ حَدًّا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَ سَبِيْبُهُ الْأَمِينِ ))<sup>(٩)</sup> .

فقد وصف القرآن بـ ( حبل الله ) وعبر عنه بالسبب اعتمادا على قوله تعالى

: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾<sup>(١٠)</sup> .

والذي سوغ وصف الحبل بالمتين إضافته الى لفظ الجلالة لأن لفظة ( المتين )

جاءت في مواضع القرآن الكريم مختصة بالله سبحانه .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤١٦/١

( ٢ ) يوسف : ٣

( ٣ ) ظ . ابتسام الصفار ، أثر القرآن الكريم في الأدب العربي : ١٩

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤١٦/١

( ٥ ) آل عمران : ١٣٨

( ٦ ) البقرة : ٦٦

( ٧ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٠٣/١

( ٨ ) المؤمنون : ٦٢

( ٩ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٢٠/١

( ١٠ ) آل عمران : ١٠٣

قال تعالى: ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَبِينٌ﴾<sup>(١)</sup>، وفي هذا دليل على قدرة الإمام (ع) في التصرف باقتباس النص القرآني ومن مواضع شتى منه .

وقال الإمام (ع): ﴿لَوْ عَلَيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ وَ النُّورُ الْمُبِينُ ، وَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ وَ الرِّيُّ النَّافِعُ ، وَ الْعَصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ ، وَ النَّجَاةُ لِلْمُنْتَعَلِقِ ، لَا يَعْوجُّ فَيَقَامُ وَ لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ ، وَ لَا يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَ وُلُوجُ السَّمْعِ﴾<sup>(٢)</sup> .  
فقد وصف القرآن بأوصاف شتى كلها مشتقة من آيات القرآن الكريم مثل (كتاب الله ، الحبل المتين ، النور المبين ، الشفاء النافع ) وتوسع فقال : ( الري النافع) ، وقوله: ( عصمة للمتمسك ) من قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup> .

ولفظه المتمسك أخذها من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله: ( لا يعوج ) أخذه من قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾<sup>(٥)</sup> .

أما قوله: ( لا يخلقه كثرة الرد وولوج السمع ) فهو من خصائص القرآن المجيد شرفه الله تعالى بذلك ف( كل كلام منثور أو منظوم اذا تكررت تلاوته وتردد ولوجه الأسماع مل وسمج واستهجن إلا القرآن فإنه لا يزال غضا طريا محبوبا غير مملول) (٦) .

ومن أسماء القرآن الأخرى التي اقتبسها الإمام (ع) ، لفظه ( التنزيل ) ، قال من خطبة ناصحا: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ص نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ عَوْ أَمِينًا عَلَى النَّزِيلِ﴾<sup>(٧)</sup> وقد تكررت لفظه (التنزيل ) كثيرا في القرآن ، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٨)</sup> ، وقوله سبحانه: ﴿نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾<sup>(٩)</sup> .

وذكر الإمام (ع) لفظه ( الكتاب ) أكثر من سبع وعشرين مرة في مواضع مختلفة من كلامه (ع) مثل قوله: ﴿ثُمَّ أُنزِلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ نُورًا لَأَلْفَاةً مَصَابِيحُهُ ... وَ قُرْآنًا لَا يُحْمَدُ بِرُهَانِهِ وَ تَبْيَانًا لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَ شِفَاءً لَا تُحْسَى أَسْقَامُهُ﴾<sup>(١٠)</sup> .

( ١ ) القلم : ٤٥

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٦٢/١

( ٣ ) آل عمران : ١٠٣

( ٤ ) الأعراف : ١٧٠

( ٥ ) الزمر : ٢٨

( ٦ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٠٤/٩

( ٧ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٧٣/١

( ٨ ) الشعراء : ١٩٢

( ٩ ) يس : ٥

( ١٠ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٦٤/١

وجاءت ألفاظ ( الكتاب ، الفرقان ، التبيان ) كلها من الألفاظ التي وصف بها الكتاب العزيز ، قال تعالى: ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لِارْتِبِ فِيهِ ﴾ ( ١ ) ، وقد ذكرت لفظة ( الكتاب ) كثيرا بمعنى القرآن الكريم .

وأخذ لفظة ( الفرقان ) من قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ ( ٢ ) .

وأخذ لفظة ( التبيان ) من قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ( ٣ ) .

### ألفاظ العالم الآخر :

وأكثر الإمام (ع) في مواعظه من تذكير الناس باليوم الآخر إصلاحا لأنفسهم مستقيا من المعين القرآني ومستعينا بألفاظه ، كقوله واعظا: ((وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا )) (٤) ، فلفظ الآخرة مأخوذ من قوله تعالى في أكثر من موضع: ﴿ وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ (٥) .

وقال (ع): ((لَا وَ إِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ لِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَ لَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ كُلَّ وَ لِدٍ سَيَلْحَقُ بِرَأْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) (٦) و(يوم القيامة) من ألفاظ القرآن التي اختص بها ، وقد وردت كثيرا في آيات الكتاب العزيز كقوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ( ٧ ) ، كما وردت كثيرا على لسان أمير المؤمنين (ع) .

وقال الإمام (ع): ((وَ إِنَّمَا هَلَاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَ تَغْيِبِ آجَالِهِمْ ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ ، وَ تُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ وَ تُحْلَى مَعَهُ الْقَارِعَةُ)) (٨) .

ولفظة ( الموعد ) تكنية عن الموت و( القارعة ) من ألفاظ يوم القيامة .

قال تعالى: ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾ (٩) ، وقال سبحانه: ﴿ الْقَارِعَةُ \* مَا الْقَارِعَةُ ﴾ (١٠) .

( ١ ) البقرة : ٢ ، وينظر السور : آل عمران : ١١٩ ، النساء : ١٠٥

( ٢ ) الفرقان : ١

( ٣ ) النحل : ٨٩

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٧٧/٢

( ٥ ) الضحى : ٤

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٠٥/١

( ٧ ) القيامة : ١ ، وينظر السور : المائدة : ١٤ ، يونس : ٦٠ ، هود : ٦٠ ، النحل : ٢٥ ، الكهف :

١٠٥

( ٨ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٣٤/١

( ٩ ) البروج : ٢٠

( ١٠ ) القارعة : ١-٢

وفي لفظ آخر من ألفاظ الآخرة قال (ع) محذرا: ((فَكَأْتَمَّا أَطَّلَعُوا عُيُوبَ أَهْلِ  
الْبُرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ)) (١).

و (البرزخ) لفظ قرآني محض أخذه الإمام (ع) من قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ وَّرَاهُمْ بَرْزَخًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢).

وجاء أخوه عقيل اليه (ع) يسأله ما يسد فاقته من بيت مال المسلمين فأحمى له  
الإمام (ع) حديدة ووضعها في يده ، وقال له:

(( تَنْتُنُّ مِنَ الْأَنْتَى وَ لَا أَنْتُنُّ مِنْ لَطَى )) (٣) ، ولفظة ( لظى ) مناسبة تماما للمعنى  
الذي يريد به الإمام (ع) حين اختارها من ألفاظ النار، وقد جاءت في قوله تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى \* نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى ﴾ (٤).

وقال الإمام (ع): (( إِنَّا رَجَعَتِ الرَّاجِفَةُ وَ حَقَّتْ بِرَجَائِلِهَا الْقِيَامَةُ )) (٥) ، والراجفة

من أسماء القيامة ، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ (٦).

ومن خطبة يصف أهل القبور ، قال الإمام (ع):

(( حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ ، وَ تَقَشَّتِ الدُّهُورُ وَ أَرَفَ الشُّشُورُ ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ  
ضَرَائِحِ الْقُبُورِ ... مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ . وَ أُرْعَدَتِ الْأَسْمَاعُ ، لِزُبْرَةِ الدَّاعِيِ إِلَى  
فَصْلِ الْخِطَابِ وَ مُفَايِضَةِ الْجَزَاءِ ، وَ نَكَالِ الْعِقَابِ وَ نَوَالِ الثَّوَابِ )) (٧).

فقد جاءت الألفاظ (النشور ، المعاد ، الجزاء ، العقاب ، الثواب) كلها مستقاة من  
آيات القرآن التي تصف عالم البعث والنشور والعقاب والثواب ، نحو قوله تعالى:

﴿ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ (٨).

، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ (٩).

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٢/٢

( ٢ ) المؤمنون : ١٠٠

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٨/٢

( ٤ ) المعارج : ١٥-١٦

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٥/٢

( ٦ ) النازعات : ٦

( ٧ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٥١/١

( ٨ ) فاطر : ٩

( ٩ ) القصص : ٨٥

وفي ضوء ما تقدم نجد الإمام (ع) يقدم زخما لغويا لألفاظ القرآن الكريم إقتباسا ، وكأنه يريد بذلك التذكير بهذه الألفاظ متابعة للقرآن وتأكيدا على انتقائه اللفظ المناسب في الموقع المناسب .

## ٢- اقتباس الإستعمال القرآني للألفاظ :

نزل القرآن الكريم بألفاظ لغة العرب فتشرفت باختيار القرآن لها ، ولكن الاستعمال القرآني لها في أداء المعنى الإسلامي الجديد جعلها تبدو في حلة أبهى إذ أكسبها نضارة وبعث فيها حياة جديدة ، وما يفرقها عن الألفاظ الخالصة النسبة للقرآن هو أن الأولى أصبحت بعد نقل مدلولها الجاهلي وتطويره اصطلاحية إسلامية كما مر . أما الثانية فهي قرآنية الاستعمال ونسبتها الى القرآن نسبة استعمال . وتخير القرآن لها هو الذي لفت النظر اليها فوهبها زخما كبيرا من الحياة بل حفظها غضة طرية.

وقد اقتبس الإمام (ع) هذا الاستعمال القرآني للألفاظ -دون غيره- بنفس الدلالة القرآنية التي جاءت في سياق النص . وهي كثيرة جدا في كلام الإمام علي (ع) .

### قال الإمام (ع) في التوحيد:

(( فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ مَوْطِدَاتٍ بِرِلا عَمَدٍ ، قَائِمَاتٍ بِرِلا سَنَدٍ دَعَاهُنَّ فَأَجْبِنَ طَائِعَاتٍ مُهْنَاتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكِّاتٍ وَ لَا مُبْطِنَاتٍ ، وَ لَوْ لَا إِقْرَارُهُنَّ لَأَهَّ بِالرُّبُوبِيَّةِ ، وَ إِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ وَ لَا مَسْكَنًا لِمَلَائِكَتِهِ ، وَ لَا مَصْعَدًا لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ )) (١) ،

ففي هذه الفقرات ثمة اقتباسات لألفاظ القرآن مثل ( عمد ، القائمات ، السناد ، العمل الصالح ، موطدات ) وكلها من القرآن ، قال تعالى:

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ (٢) ، وقال تعالى:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (٣) .

وحتى قوله: ( فأجبن طائعات ) من ألفاظ القرآن والإمام (ع) أعاد صياغتها كما سيمر في مبحث الجمل ، فهي من قوله تعالى:

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٢٩/١

( ٢ ) الرعد : ٢

( ٣ ) فاطر : ١٠

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (١).

وأخذ الإمام (ع) لفظة ( التناوش ) فقال يصف أهل القبور:  
((لَقَدْ اسْتَحَلُّوْا مِنْهُمْ أَيِّ مُدَكِّرٍ وَ تَنَآوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)) (٢)، أي ذكروا من  
مضى من آبائهم .

والتناوش من قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (٣).

واقتبس لفظة ( طوبى ) فقال (ع): (( فَطُوبَىٰ لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ )) (٤).

وكلها من ألفاظ القرآن فر ( طوبى ) من قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ (٥).

ولفظة ( قلب سليم ) من قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٦).

وقال الإمام (ع) في صفة الملائكة:

(( وَشَلَاءٌ هُمْ عَلَىٰ صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَأَقْدَارٍ مُتَقَاوِنَاتٍ ، أُولِي أَجْنِحَةٍ تَسْبِيحُ جَلَالَ  
عِزَّتِهِ )) (٧)، فلفظة ( أولي أجنحة ) من قوله تعالى:

﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ (٨).

وقال في التوحيد: (( وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ )) (٩).

ودائبان تثنية دائب وهو الجاد المجتهد وسمي الشمس والقمر دائبين لتعاقبهما  
على حال واحدة دائما لا يفتران ولا يسكنان وهي من قوله تعالى :

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ﴾ (١).

( ١ ) فصلت : ١١

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٤/٢

( ٣ ) سبأ : ٥٢

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٩/٢

( ٥ ) الرعد : ٢٩

( ٦ ) الشعراء : ٨٩

( ٧ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٩٢/١

( ٨ ) فاطر : ١

( ٩ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٨٢/١

وأخذ لفظة ( تزلف وتبرز ) من قوله تعالى:  
﴿ وَأَرْزَلْنَا الْجِنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ \* وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، واستعملها بمدلولها القرآني نفسه  
فقال (ع) ناصحاً:  
( ( وَ بِالْفِيَامَةِ تَزَلْفُ الْجِنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَ تَبْرُزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ))<sup>(٣)</sup> .

وقال (ع) في عهده الى مالك الأشتر :  
( ( ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّقْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ ، مِنَ الْمَسَاكِينِ وَ الْمُحْتَاجِينَ وَ  
أَهْلِ الْبُؤْسَى وَ الرِّمَى ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَ مُعْتَرًّا ))<sup>(٤)</sup> .

والقانع السائل ، والمعتر الذي يعرض لك ولا يسألك<sup>(٥)</sup> .

واللفظان استعملهما الإمام (ع) بالدلالة نفسها التي جاءت في قوله تعالى :  
﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وأخذ لفظة ( ناكس ) فقال: ﴿ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمْرًا نَاكِسًا ﴾<sup>(٧)</sup> .  
والعمر الناكس يعني به الهرم لفظ مأخوذ من الآية الكريمة في قوله تعالى:  
﴿ وَمَنْ نَعْمَرَهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾<sup>(٨)</sup> .

بدا من ذلك أن الاقتباس طريق من طرق تأثر الإمام بألفاظ القرآن وهو إما  
اقتباس ألفاظ طور القرآن دلالتها فاختص بها أو اقتباس ألفاظ نسبت للقرآن من جهة  
استعمالها ولكن بالدلالة القرآنية ذاتها .

( ١ ) ابراهيم : ٣٣

( ٢ ) الشعراء : ٩٠

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٥٧/٢

( ٤ ) المصدر نفسه : ٢٥٧/٢

( ٥ ) ظ. ابن منظور ، لسان العرب : قنع ، عرر

( ٦ ) الحج : ٣٦

( ٧ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٥٦/٢

( ٨ ) يس : ٦٨

### ثالثاً: النقل

والمقصود بالنقل هنا نقل اللفظة من محيطها القراني التي هي فيه الى موقف فني آخر وتوظيفها وفق علاقات جديدة .

ومناقلة الألفاظ بين النصوص بهذا النحو تستبطن مدى القدرة على فهم المفردة داخل النص واستكشاف المساحة التي تتحرك في طياتها المعاني قبل التقاطها مع ما يحيط بها من معنى مركز في الذهن أصلاً بسبب الاستعمال القراني لها .

بمعنى آخر إن الإمام علياً(ع) حين يعمد الى نقل اللفظة القرانية من محيطها الدلالي القراني وتوظيفها في موقفه الفني الذي هو فيه يستغل ما لهذه اللفظة من معانٍ أضافها عليها محيط النص السابق نفسه، ويستغل انطباعها واستقرارها في الأذهان .

لذا فإن الإمام(ع) حين يستقي ألفاظ القرآن سيبدو وكأنه يستقي النص كله ولكن بلفظة واحدة . قال الإمام(ع) مهدداً في كتاب الى معاوية:

((وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِالْإِحْسَانِ ، شَدِيدٍ زَحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَنَامُهُمْ ، مُتَسَرِّبِلِينَ سِرْبَالَ الْمَوْتِ ))<sup>(١)</sup> .  
فقد نقل لفظه (سرابيل) من دلالة الى أخرى ، قال تعالى يصف أهل النار: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ﴾<sup>(٢)</sup> .

وفي لفظ آخر قوله (ع) يصف المؤمن: ((قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ ))<sup>(٣)</sup> .  
مشيراً الى طرف الزهد فيه .

وقال الإمام(ع) ناصحاً:  
(( وَ لَا تُتَّخَذَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِرِكَ عَنِ الْفَضْلِ ، وَ يَعِدُكَ الْفَقْرَ ))<sup>(٤)</sup> .

فقد نقل اللفظ الأخير من موقف الى موقف ، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ﴾<sup>(٥)</sup> .

وهو مثل قوله (ع) :

((إِنَّمَا النَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ وَ كِلَابَةً حَدِّهِ ، وَ نَضِيضٌ وَقْرِهِ ، وَ مِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ وَ الْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ ، وَ الْمُجْلِبُ بِحَيْلِهِ وَ رَجُلُهُ .. ))<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٧٦/٢

( ٢ ) ابراهيم : ٥٠

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٧٣/١

( ٤ ) المصدر نفسه : ٢٤٤/٢

( ٥ ) البقرة : ٢٦٨

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٨٧/١

فالقسم الثاني من تعداده لأصناف الناس وهو ( المجلب بخيله ورجله ) منقول من قوله تعالى مخاطبا الشيطان : ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بَخِيلِكَ وَرَجْلِكَ ﴾<sup>(١)</sup>.

والإجلاب بالخيل إشارة الى جمع أسباب الظلم .  
وقال الإمام(ع) في ذكر النبي (ص) :  
( فَأَعْرَضَ عَنَّا بِرِيشِهِ وَ أَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ تَفْسِهِ ، وَ أَحَبَّ أَنْ تُغَيَّبَ زِينَتَهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا )<sup>(٢)</sup>،

والرياش والریش بمعنى وهو اللباس الفاخر ، وهو لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته<sup>(٣)</sup> .

وهذه اللفظة جاءت في القرآن في موقف تعداد النعم في قوله تعالى:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقال الإمام(ع) يصف الناس من بعده:  
( ( يُدْعِزُهُمُ اللَّهُفِي بَطُونِ أَوْ دِيْتِهِ ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ) )<sup>(٥)</sup> ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

ولكن الإمام(ع) أخذه بعيدا ووظفه في موقف آخر رغم نقله العبارة بالألفاظ ذاتها ، ومراده (ع) (( كما أن الله ينزل من السماء ماء فيسكنه في أعماق الأرض ثم يظهر منها ينابيع الى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرقهم الله في بطون الأودية وغوامض الأرض ثم يظهرهم بعد الإختفاء ))<sup>(٧)</sup> .  
وأخذ لفظة ( الوليجة ) من القرآن الكريم فقال في الزبير بن العوام:

(( يَزْعُمُ أَنَّهُ فَحَّ يَأْيِدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِرِيشِهِ ، فَقَدْ أَقْرَبَ بِرِيشِ الْعَبْدِ وَ ادَّعَى الْوَلِيجَةَ ))<sup>(٨)</sup> ،  
والوليجة استعملها القرآن فيما اختبر بها المسلمين في قوله تعالى :

( ١ ) الإسراء : ٦٤

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٧٦/١

( ٣ ) ظ. الطبرسي ، جوامع الجامع : ٦٤٩/١ ، ابن منظور ، لسان العرب : ريش

( ٤ ) الأعراف : ٢٦

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٩٧/١

( ٦ ) الزمر : ٢١

( ٧ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٣١٧/٣

( ٨ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٣/١ ، وينظر : حبيب الخوئي ، منهاج البراعة : ١٥٤/٣

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

ومثل ذلك لفظة ( تجأرون ) ، قال الإمام (ع) : (( هُوَ اللَّهُ لَا تُؤَخِّرُهُ حَنِينُ أَوْلِيَاءِهِ الْعَجَالِ ... وَجَاءَ رُتْمُ جُؤَارِ مُتَبَلِّغِي الرُّهْبَانِ ... لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَلَأَ رُجُؤَ لَكُمْ مِنْ تَوَابِهِ )) (٢)، ولفظة ( جأرتم ) من ألفاظ القرآن وهي الصوت المرتفع ، قال تعالى :  
﴿ لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مَنَّا لَا تَنْصُرُونَ ﴾ (٣).

ومن كلام له (ع) في ذم أصحابه : (( وَ قَدْ دَارَسْتُمْ الْكِتَابَ ، وَ فَاتَحْتُمْ الْحَجَاجَ )) (٤)، ودارسكم أي درسته عليكم ، وهي من قوله تعالى :  
﴿ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتِينِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٥).

وقوله ( فاتحتكم الحجاج ) بمعنى حاكمتمكم بالمحاجة والمجادلة وهي من قوله تعالى :  
﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا ﴾ (٦) أي احكم .

ولانصهار الإمام (ع) في النص القرآني وقدرته على التصرف بألفاظه ونقلها ما أعانه على توليد كثير من الإشتقاقات المبتناة على الأصل القرآني بعد نقلها الى دلالة اخرى وبتوظيف جديد . مثل قوله في التوحيد :

(( عَالِمِ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ ، وَ نَجْوَى الْمُتَخَافَتِينَ وَ حَوَاطِرِ رَجْمِ الطُّنُونِ . وَ مَا ضَمِنْتَهُ أَكْثَرُ الْقُلُوبِ ... وَ نَاشِئَةَ الْغَيُومِ وَ مُتَلَحِّمَهَا )) (٧).

فقوله : ( ناشئة الغيوم ) يعني أول ما ينشأ منها وهذا توليد وتوسع على الأصل القرآني في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ (٨) ، وناشئة الليل أول ساعاته .

( ١ ) التوبة : ١٦

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١١٦/١

( ٣ ) المؤمنون : ٦٥

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٢٦/١

( ٥ ) آل عمران : ٧٩

( ٦ ) الأعراف : ٨٩

( ٧ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٥٣/١

( ٨ ) المزمل : ٦

وقال تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى :

﴿ لَا يَخْزِيهِمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال سبحانه :

﴿ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وأخذ الإمام (ع) بصيغة ( الأکبر ) وولد عليها صيغا أخرى مقتفيا بذلك الأثر القرآني فقال: (( لَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِرِثْقِ الْأَكْبَرِ ، وَ أَتْرُكُ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ ))<sup>(٤)</sup> . وقال في موضع آخر: (( إِنَّمَا هِيَ تَقْسِي أَرُوضَهَا بِرِثْقَى ، لِنَأْتِي أَمَنَةَ يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ ))<sup>(٥)</sup> .

ومن حكمه (ع) قوله: (( الْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ ))<sup>(٦)</sup> . وفي موضع آخر قال: (( الْغِنَى الْأَكْبَرُ يَلْبَسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ))<sup>(٧)</sup> .

ويبدو للبحث أن الامام عليا (ع) قد صدر عن ذائقة فنية في انتقاء ألفاظ القرآن وسلك أسلوبا مطردا في امتياحه لألفاظه إذ يلتقط منها مرة ويقتبس مرة ثانية وينقل بدلالاتها سواهما .

---

( ١ ) التوبة : ٣

( ٢ ) الأنبياء : ١٠٣

( ٣ ) السجدة : ٢٥

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٧٤/١

( ٥ ) المصدر نفسه : ٢٢٢/٢

( ٦ ) المصدر نفسه : ٣٤٨/٢

( ٧ ) المصدر نفسه : ٣٨٣/٢

## التركيب الجملي

### توطئة :

إن تأثير الجملة القرآنية في جملة الإمام علي (ع) تأثير أسلوبى يأخذ منحى البناء الذي أقامه الإمام(ع) في صناعة جملة ، ولاشك في (( أن القرآن تحدى العرب ببلاغة نظمه، وإن عجزهم عن الإتيان بمثله حملهم على أن يقرؤا أن هناك كلاما أبلغ من كلامهم وإن كان من جنس هذا الكلام ))<sup>(١)</sup>. فالجملة القرآنية بنيت بالأساليب نفسها التي بني عليها الكلام العربي الرفيع الذي تجسد في الشعر والخطابة ، إذن بم كان التمايز في الجملة القرآنية ؟

لعل الجواب على هذا التساؤل الكبير هو السر في هذه المسيرة التاريخية الحافلة بكثرة ماوضع من مصنفات في إعجاز القرآن البياني بدءا من الجاحظ(ت٢٥٥هـ) والرماني(ت٣٨٦هـ) والباقلاني(ت٤٠٣هـ) والشريف الرضي(ت٤٠٦هـ) والسيد المرتضى(ت٤٣٦هـ) حتى عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) . وقد أضاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني بعض طريق الباحثين في دراسة نظم القرآن وحدد مجال الإعجاز البياني في بناء الجمل وطرائق نظمها من خلال أنظمة العلاقات التي تنتظم عناصر التركيب الواحد ، أي طريقة في إقامة العلاقات بين عناصر الجملة بالاستغلال الأمثل لمعاني النحو<sup>(٢)</sup>.

إن للقران أسلوبه في تفجير كل مستويات اللغة التركيبية واستغلال طاقتها في إقامة علاقات غير متوقعة بين العناصر التي تتشكل منها الجمل . ولعل أظهر إعجاز يمكن وضع اليد عليه لهذا الأسلوب هو دقته وخلوه من أي خلل تركيبى قد يضعف بناءه<sup>(٣)</sup>.

وإذا كنا حددنا بأن سر إعجاز القرآن البياني يقع في طريقة نظمه ، وبشكل أدق يقع في طريقة إقامة العلاقات بين عناصر الجملة، فإننا سنقع في سؤال أكبر، هو في كيفية تحديد هذه العلاقات بحيث يتم منها تشكيل صيغ تنهض الى مستوى الإعجاز . ولا يمكن تحديد العلاقات بين عناصر البناء الواحد في الجملة لأنها راجعة الى مستعمل اللغة نفسه ، ولو أمكن تحديدها لأمكن الإتيان بجمل إعجازية

( ١ ) طه أحمد ابراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ٢٧

( ٢ ) ظ. الجرجاني، دلائل الإعجاز : ٥٥ . محمد حسين الصغير، نظرات معاصرة في القرآن الكريم: ١٧.

( ٣ ) ظ . الباقلاني ، اعجاز القرآن : ٣٥ - ٣٨

تشبه جمل القران . ومن هنا يمكن القول إن الكشف للوقوف على نهاية أسرار الجملة القرانية أمر كمن يحتقر في طبقات الأرض يبتغي لها نهاية .

لذلك فإن تأثير التعبير القراني في مجال الجملة عند الإمام علي(ع) هو تأثير بنائي أسلوبي رغم أن الأساليب القرانية في جزء منها موجودة في الكلام العربي على وجه الإجمال ، ولكن القران عمق منها واستعملها بدقة في الكشف عن المعنى بحيث تأثرها الإمام (ع) واستقاها منه .  
ويبدو تأثير الأسلوب القراني في بناء الجملة في نهج البلاغة واضحا في شكلين :

١- إعادة صياغة الجمل القرانية .

٢- بناء الجمل القصيرة والطويلة

وستكون الوقفة عند الثاني طويلة لما فيه من استقاء فني قائم على أساليب علم المعاني في بناء الجمل ، وإنما تقدم الأول للبرهنة عمليا بأن ثمة تأثيرا مباشرا فعليا للجملة القرانية في كلام الإمام علي(ع) وليكون مدخلا للثاني .

**أولاً : إعادة صياغة الجملة القرانية :**

إن أكثر ما يطالع الدارس في بناء الجمل في نهج البلاغة هو ملكات الإمام(ع) في قوة إحضار النص القراني وقدرته على التصرف بالجملة القرانية وإعادة صياغتها طبقا لموقفه الفني ف(( لا يكفي أن تكون للمرء مواهب عظيمة وإنما ينبغي أن يعرف كيف يديرها ))<sup>(١)</sup> .

يقول الإمام(ع): ((وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ أَمَنَّ عَلَيَّ جَمَاعَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ ، الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِيهَا وَ يَأْوُونَ إِلَيَّ كَنَفَهَا ))<sup>(٢)</sup> .

فقوله: ( فيما عقد .. ) تعديل لصياغات قرانية من قوله تعالى :

﴿لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا لَفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾<sup>(٤)</sup> .

وقال الإمام(ع) من خطبة يصف فيها المتقين:

(( يُمْسِي وَ هَمُّهُ الشُّكْرُ وَ يُصْبِحُ وَ هَمُّهُ التَّنْكَرُ ))<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) ويلبريس . سكوت ، خمسة مداخل في النقد الأدبي : ٤٣

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١١٠/٢

( ٣ ) الأنفال : ٦٣

( ٤ ) آل عمران : ١٠٣

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٦/١ . ظ. حبيب الخوئي ، منهاج البراعة : ١٤٢/١١

فقد تضمن قوله معرفة واسعة بآيات القرآن التي تتضمن معنى الشكر لأن الله تعالى قد أثنى على الشكر والشاكرين في مواضع كثيرة من كتابه العزيز .

نحو قوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾ (١) .

وقوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ﴾ (٢) .

ولعلو مرتبة الشكر طعن إبليس في بني آدم فقال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (٣) ،

وقد صدقه الله تعالى في هذا القول فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (٤) .

ووعده الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٥) . وكذلك

قوله (ع): (( ويصبح وهمه الذكر )) ، فهي إعادة صياغة لمجموعة من الآيات التي جاء فيها معنى الذكر ، نحو قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٦) ، وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (٧) .

وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (٨) .

ويبدو أن كل تلك الآيات انصهرت على لسان الإمام (ع) فأعاد صياغتها بقوله: ((وهمه الشكر)) .

وفي مثال آخر ، قال الإمام (ع) يصف بيت الله الحرام :

(( ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ ((ع)) وَوَلَدَهُ أَنْ يَتَّبِعُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ ، تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَقْدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ ، وَ مَهَاوِي فَجَاجٍ عَمِيقَةٍ )) (٩) .

فهذه التراكيب الجمالية معدلة من علاقات قرآنية سابقة ، فقوله: (مثابة لمنتجع أسفارهم)

إعادة بناء منقولة من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (١٠) .

ومثابة أي يثاب إليه ويرجع مرة بعد أخرى. وقوله: ( تهوي إليه ثمار الأقدنة )

( ١ ) البقرة : ١٥٢

( ٢ ) النساء : ١٤٧ ، وينظر : آل عمران : ١٤٤

( ٣ ) الأعراف : ١٧

( ٤ ) سبأ : ١٣

( ٥ ) إبراهيم : ٧

( ٦ ) الأحزاب : ٤١

( ٧ ) البقرة : ١٥٢

( ٨ ) البقرة : ٢٠٠ ، وينظر : النساء : ١٤٢

( ٩ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٩٩/٢

( ١٠ ) البقرة : ١٢٥

تحرير وتأکید من قوله تعالى: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ (١) وحتى قوله (ثمار) تداع لقوله تعالى ( ثمرات ) ، ولكن نقلها الى علاقة جديدة تختلف عن علاقتها السابقة في البناء القراني .

((وهوي الأفئدة ميولها ومحبتها)) (٢) .  
أما جملة ( من مفاوز قفار سحيقة ومهاوي فجاج عميقة ) ، فهو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٣) .

والإمام(ع) لم يتخل عن اللفظة القرانية ( فج عميق ) لأنها هي التي أوحى اليه أن يضيف ( مفاوز قفار سحيقة ) وهي بعد أصرة ربطه بالبناء القراني .  
وقال الإمام(ع): (( وَ لَا تَكْمُنُ الْمَوْتُ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ )) (٤) .  
فقد أخذه من قوله تعالى:

﴿ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٥) .

واستشف الإمام(ع) الأسلوب الشرطي في بناء الآية الكريمة في قوله تعالى: (إن زعتم...فتمنوا الموت) فقال مستثنياً: (إلا بشرط وثيق) .

ومثل ذلك قوله (ع) ﴿ (إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ عَلِيمٌ) ﴾ (٦) .

فقد صاغها من قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (٧) .

وحرر الجملة القرانية فأعاد صياغتها مع الإبقاء على الأسلوب الأصلي ( الأمر ) ، لأنها محوره فجاء قوله: ( ولير ) صورة لقوله تعالى: (( فحدث )) ، ونقل المصدر القراني ( نعمة ) واشتق منه الفعل ( أنعم ) بسبب من قوة حضور النص القراني في ذهن الإمام(ع) وإيحاء للسامع بالآية الكريمة السابقة .

وأخذ قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾ (٨) .

ووعى مضمونه فعبّر عنه ناصحاً:

(( أَلَا فَالْحَرَّ الْحَرَّ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ )) (٩) .

وأحيانا ينقل الإمام(ع) التركيب القراني الى وجهة أخرى بعد إعادة صياغته كقوله يصف المنافقين: ﴿ (إِنَّ سَاءَ لَوْا أَلْحَفُوا) ﴾ (١) .

( ١ ) ابراهيم : ٣٧

( ٢ ) حبيب الخوئي ، منهاج البراعة : ٣٤١/١١

( ٣ ) الحج : ٢٧

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٩١/٢

( ٥ ) الجمعة : ٦

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٩١/٢

( ٧ ) الضحى : ١١

( ٨ ) الأحزاب : ٦٧

( ٩ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٩٤/٢

فهذا التركيب مقلوب الصياغة القرآنية في وصف المؤمنين الفقراء :  
﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا﴾<sup>(٢)</sup>، والإلحاف الإلحاح بالسؤال .

وفي أحيان أخرى يتعمد الإمام(ع) الإبقاء على عناصر الجملة القرآنية الرئيسية، ولكن يعيد بناءها بعلاقات اقتضاها السياق الجديد، كقوله (ع) في خطبة في التوحيد: ((إِنَّ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ))<sup>(٣)</sup>.

فهذا من قوله تعالى: ﴿أَنْ لَّيْلَهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.  
وغير ذلك كثير لايسع المقام لذكرها<sup>(٥)</sup>.

بدا من ذلك أن للنص القرآني قوة حضور واضحة في كلام الإمام (ع) بحيث تمكنه من تأدية مايرمي اليه من معنى بظلال الصياغات القرآنية التي حرص الإمام فيها على أن يطبع كلامه بطابع القرآن في الشكل والمضمون.

### ثانياً: بناء الجمل القصيرة والطويلة :

بان مما سبق مدى تأثر الإمام(ع) بالأسلوب القرآني إذ يعيد مرة صياغة الجملة القرآنية ويبني جملة وفق الطريقة القرآنية مرة ثانية . فبناء الجملة في نهج البلاغة قائم على أساس فهم الأسلوب القرآني في صناعة الجملة ، لذا سيكون الأثر الذي نحاول تتبعه في نهج البلاغة متجسداً في شكل الطريقة التي انتهجها الإمام(ع) في بناء جملة . ومن هنا ينبغي أولاً تحديد الطريقة القرآنية في بناء الجملة ثم تتبع أثرها في نهج البلاغة .

ولا بد من تحديد معنى الجملة كي نتبين معالم الجمل القصيرة والطويلة ، وقد ذكر النحاة أن الجملة أصغر وحدة لغوية قائمة على المسند والمسند اليه وتفيد معنى يحسن السكوت عليه ، قال سيبويه(ت١٨٩هـ) : (( هذا باب المسند والمسند اليه وهما مالا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا ))<sup>(٦)</sup>.

وتبعه ابن جني(ت٣٩٢هـ) فحدد عناصر الجملة بقوله: (( الجمل تتركب من جزئين جزئين : إما اسم واسم نحو المبتدأ وخبره وإما فعل واسم نحو الفعل والفاعل وما أقيم من المفعولين مقام الفاعل ولا بد في كل واحدة من هاتين الجملتين إذا عقدت من اسم يسند اليه غيره ))<sup>(٧)</sup>.

( ١ ) المصدر نفسه : ٤٤٩/١

( ٢ ) البقرة : ٢٧٣

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٣٨/١

( ٤ ) النحل : ٢٣

( ٥ ) ظ. الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٥/١ ، ٤٣٨/١ ، ٢١/١

( ٦ ) سيبويه ، الكتاب : ٢٣/١

( ٧ ) ابن جني ، سر صناعة الاعراب : ٢٨٨/١

ويبدو أن اجتزاء الجملة بصورة المسند والمسند اليه جاء لأجل تيسير القاعدة النحوية<sup>(١)</sup>، أما الجملة التي ندرسها فهي أعقد من ذلك بكثير، إنها مسافة المعنى التي تقطعها الألفاظ لاستيفائه من الإبتداء إلى تمام موافاة المعنى وانتهائه .

بمعنى أن ما سماه النحاة بالفضلة أو القيد أو التكملة أو متعلقات الجملة ولواحقها ركائز أساسية في بناء الجملة شأنه في ذلك شأن المسند والمسند اليه فقد (( تتحول الفضلة إلى عُمدة في الكلام لأمر بلاغي، وتصبح مسنداً إليه كما هو عليه بعد بناء الفعل للمجهول كقولنا قُرئَ الكتابُ.. فالكتاب صار مسنداً إليه حين بني الفعل للمجهول بعد أن كان فضلة قبل بنائه للمجهول: قرأ زيد الكتابَ ... فمتعلقات المسند أو المسند إليه من الكلام الزائد لا يكون لمجرد زيادته وإنما لغاية معنوية وبلاغية، ولعل الأدباء يتمايزون بمدى قدرتهم على توظيف الفضلة في صورهم الجمالية))<sup>(٢)</sup> .

وبشكل عام تنتظم الجملة القرآنية في شكلين :

- ١- الجمل القصيرة وهي الأكثر شيوعاً في الأسلوب القرآني وفي نهج البلاغة
- ٢- الجمل الطويلة . ولكل منهما ركائزه في البناء الجملي .

#### أ : ركائز بناء الجملة القصيرة

يبدو التأثير القرآني في بحث الجملة عند الإمام (ع) في شكل الطريقة التي انتهجها كلما توخى التعبير الفني ، فهو يعمد الى تفجير طاقات اللغة بكل مستوياتها البنائية في مجال نظم الجملة للإحاطة بالمعنى . وقوة العلاقات القائمة بين عناصر الجملة وبين مستويات اللغة ، هي في اكتشاف مصادر القوة لتكوين الجمل وتركيبها الفني .

إن اتخاذ القرآن اللغة معجزة له لفت النظر الى ما فيها من طاقة ابداعية كامنة فيها ، يتفاوت مقدار تفجير هذه الطاقة بحسب إمكانات مستعمل اللغة نفسه ، الأمر الذي تنبه اليه الإمام علي(ع)، ولا غرابة ، لأنه ابن القران وربيبه وعدله ، فكان أن سلك سبيل القران في تتبع أسلوب نظم الجملة واستشفاف التنوع الدلالي لأنواعها كأساليب الخبر والإنشاء والفروقات الخفية بين الجمل الإسمية والفعلية .  
فما أسلوبه مثلاً في خطبة وصف المنافقين إلا وعي لأسلوب القران الكريم وتأثير عميق لنظمه ، قال الإمام(ع) يصف المنافقين :

(3) ظ. المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه : ٣١ . وينظر: علي ناصر ، الجملة الطويلة في القرآن الكريم : ٤-٥

(٢) حسين جمعة ، في جمالية الكلمة : ٧٣

((وَأُحْزِنُكُمْ أَهْلَ التَّفَاقِ ، فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ وَالْمُضِلُّونَ وَالرَّالُّونَ الْمُرْلُونَ ، يَلْتَوُونَ أَلْوَانًا وَيَقْتَنُونَ اقْتِنَانًا ، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِرُكُلٍ عِمَادٍ وَيَرْصُدُونَكُمْ بِرُكُلٍ مِرْصَادٍ..)) (١)

فثمة تنوع مقصود اليه في الأداء بين الجمل الفعلية والإسمية ، فحين أراد تبيان الحالة الحقيقية التي عليها المنافقون وما انطوت عليه نفوسهم من عناد ثابت راکز عمد الى استعمال الجملة الإسمية فقال: ( فإنهم الضالون المضلون ) وأردفها بجمل قصيرة بالأسلوب نفسه .

وحين أراد إبراز الطبيعة الظاهرة في القدرة على التغيير والظهور في أكثر من شكل عمد الى استعمال الجمل الفعلية لما فيها من صفة التجدد والحدوث فقال: (يتلونون ألوانا) وأردفها بجملة قصيرة فقال: ( ويفتنون افتنانا ) .  
ولأن إصرارهم على العناد سيحملهم على الاستمرار في تتبع عثرات المسلمين حذرهم الإمام(ع) بقوله واصفا إياهم: (( يعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم بكل مرصاد)) .

وهكذا يمضي في وصف المنافقين فيستعمل الجمل الاسمية ليشير بها الى حقيقتهم الثابتة : (( قَلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وَصِفَاحُهُمْ تَقِيَّةٌ ، يَمْشُونَ الْخَفَاءَ وَيَدْبُونَ الضَّرَاءَ ، وَصَفُّهُمْ دَوَاءٌ وَ قَوْلُهُمْ شِفَاءٌ وَ فَعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعِيَاءُ ، حَسَدُهُ الرِّخَاءُ وَ مُؤَكِّدُو الْبَلَاءِ وَ مُقِطُو الرِّجَاءِ ، لَهُمْ بِرُكُلٍ طَرِيقٌ صَرِيحٌ ، وَ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ وَ لِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ )) (٢)

وتبدو واضحة مناسبة الإبتداء بالفعل ( يمشون ) مع لفظة ( الخفاء ) ويدبون مع ( الضراء ) لما تحمل من معاني تجدد التلون والاستمرار على المراءاة . وقوله : ( يمشون الخفاء ) أي في الخفاء ونصب على نزع الخافض وكذلك (يدبون الضراء )، والضراء شجر الوادي الملتف وهو مثل يضرب لمن يختل صاحبه (٣) .

وهذا الأسلوب أصله القران من قبل واستعمله بدقة في تبيان خبيئات المعاني والإمام(ع) وعاه وتوسع فيه ، قال تعالى في المنافقين :

﴿وَإِذَا قَالُوا الَّذِيْنَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُنَ﴾ (٤) .

فقد جاء خطابهم للمؤمنين بالجملة الفعلية (آمننا)، ولشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة ب(إن) ، لأن حديثهم للمؤمنين جاء عن مداجاة ورياء وادعاء ، ولم يصدر عن أريحية وصدق رغبة في الإيمان والاعتقاد فجاء بأسلوب الجملة الفعلية . أما

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٩/١

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٩/١

( ٣ ) ظ . الميداني ، مجمع الأمثال : ٣٥٠ . وينظر : ابن منظور ، لسان العرب : ضراً

( ٤ ) البقرة : ١٤ ، وينظر مثل ذلك : الأنبياء : ٥٥ وتفسيرها في : مجمع البيان : ٥٢/٢

خطابهم لإخوانهم فهو حقيقة ما انطوت عليه نفوسهم من الثبات على اليهودية والقرار على الإعتقاد<sup>(١)</sup> .  
١- التقديم والتأخير

وقد كثر في بناء الجمل في نهج البلاغة أسلوب التقديم والتأخير ، ويمكن تحديده بشكلين :

### الأول : التقديم بين جزئي الجملة

وهو من قبيل تقديم الخبر على المبتدأ سواء كان مفردا أم جارا ومجرورا أم ظرفا ، وهو في القران كثير غرضه في الغالب الاختصاص ، نحو قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فتقديم الظرف ( علينا ) يدل على الاختصاص أي (( لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن ))<sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> .

فقد كان تقديم الجار والمجرور ( إلينا ، علينا ) معناه (( التشديد في الوعيد وأن إيابهم ليس إلا الى الجبار المقتدر على الانتقام وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه وهو الذي يحاسب على النقيير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة ))<sup>(٥)</sup> .  
وابتنتيت في نهج البلاغة كثير من الجمل على هذا الاسلوب ، كقول الإمام علي (ع) لأصحابه : ﴿ إِنْ مَعِيَ لَبْصِيرَتِي ﴾<sup>(٦)</sup> .

فهو إنما قدم الخبر الجار والمجرور (معي) تأكيدا منه على يقينه بأمر الله لأنها جاءت في معرض كلامه عن خصومه الذين كنى عنهم بالشيطان في قوله أول كلامه : ﴿ أَلَا وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حَزْبَهُ ﴾<sup>(٧)</sup> .  
ويريد الإمام(ع) بالبصيرة البصيرة التي كانت معه في زمن رسول الله انها لم تتغير.

وقال الإمام(ع) لما خوف الغيلة : ﴿ وَ إِنَّ عَلَيَّ مِنْ اللَّهِ جَنَّةَ حَصِيَّةٍ ﴾<sup>(٨)</sup> .

( ١ ) ظ. الزمخشري ، الكشاف : ١٨٦/١ . ابن الأثير ، المثل السائر : ٢٤٣/٢ . درويش الجندي ، النظم القراني في كشاف الزمخشري : ٥٩ . حسين جمعة ، جمالية الكلمة : ٦٠

( ٢ ) ق : ٤٤

( ٣ ) الزمخشري ، الكشاف : ٣١٧/٤

( ٤ ) الغاشية : ٢٥-٢٦

( ٥ ) الزمخشري ، الكشاف : ٥٩٥/٤

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣١٥/١

( ٧ ) المصدر نفسه : ٤٥/١

( ٨ ) المصدر نفسه : ١٢٦/١

فإنما قدم الخبر (علي) تأكيدا بيقينه بالله تعالى . ومن أمثلة تقديم الجار والمجرور قوله (ع): ((إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا))<sup>(١)</sup>، وتقديمه أفاد معنى التوبيخ فهو صاحب حق مضيع .

وهو مثل التقديم في قوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> .

وصيغ تقديم الخبر (الجار والمجرور) في الجمل القصيرة كثيرة في نهج البلاغة مثل : ((وَإِنَّ لِلتَّكْرِ لِأَهْلًا))<sup>(٣)</sup> وقوله : ((إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحْمًا))<sup>(٤)</sup> . وقوله : ((وَ فِي الْقُرْآنِ نَبَأٌ مَّا قَبْلَكُمْ))<sup>(٥)</sup> . وكلها صياغات أكدت لفت الإنتباه الى إظهار المعنى الأهم بأسلوب تقديم الخبر على المبتدأ .

وقد يجيء الظرف متقدما كقول الإمام (ع) موصيا: ((إِغْلَامٌ يَا بَنِيَّ، إِنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَوْودًا))<sup>(٦)</sup> ، فقدم الظرف (أمامك) للتحذير . وتقديم الخبر في نهج البلاغة من أكثر أساليب الإمام (ع) استعمالا في كلامه .

## الثاني : التقديم في المتعلقات

تضمن القرآن الكريم في مواطن كثيرة من آياته الشريفة تقديم المتعلقات التي أفادت معنى الاختصاص ، فقد يقدم المتعلق في آية ويؤخر في أخرى بحسب اقتضاء المقام .

قال تعالى: ﴿تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٧)</sup> .

فالغرض من تقديم الأول (شهداء) إثبات شهادتهم على الأمم وفي الآخر (شهيذا) اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم .

وفي مثال آخر ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾<sup>(٨)</sup> .

فقد تأخرت الصلة ( عليه ) بينما تقدمت في قوله تعالى:

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup> .

( ١ ) المصدر نفسه : ٩٢/١

( ٢ ) الحجرات : ٧٠ . وينظر: الزمخشري ، الكشاف : ٢٧٨/٤ . محمد حسنين ، البلاغة القرآنية في

تفسير الزمخشري : ٢٧٢

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٢/٢

( ٤ ) المصدر نفسه : ٣٦٢/٢

( ٥ ) المصدر نفسه : ٣٧٩/٢

( ٦ ) المصدر نفسه : ١٨٩/٢

( ٧ ) البقرة : ١٤٣ . وينظر : الزمخشري ، الكشاف : ١٤٩/١

( ٨ ) الروم : ٢٧

لأن في الثانية (( قصد الاختصاص وهو محزه فقيل : ( هو علي هين ) ، وإن كان مستصعبا عندكم أن يولد بين هرم وعافر ))<sup>(٢)</sup> .  
وأما في الأولى (( فلا معنى للاختصاص كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى ))<sup>(٣)</sup> .  
وقال تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾<sup>(٤)</sup> ، فقد تقدم الظرف ( له ) وحقه التأخير (( وإنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباريء سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شيء وأحقه بالتقديم وأحراه ))<sup>(٥)</sup> .  
ومثل هذه الصيغ على سبيل الأمثلة لا الإحصاء ، الآيات الكريمة من قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقوله : ﴿ فَبُهْدَاهُمْ مَقَدْرَهُ ﴾<sup>(٧)</sup> ، وقوله تعالى :  
﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾<sup>(٨)</sup> ، وفي كلها أفاد التقديم الدلالة على الإختصاص .

وأكثر الإمام (ع) من هذا الأسلوب في بناء جملة القصيرة ، فقد تقدم المتعلق لإفادة الاختصاص . نحو قوله في ذكر قريش :  
(( وَ لِي لَصَاحِبُهُمْ بِ الْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ ))<sup>(٩)</sup> .  
فقد تأخرت الصلة ( بالأمس ) بينما تقدمت في قوله ليلة استشهاده (ع) :  
(( أَنَا بِ الْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ وَ أَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَ عَدَا مَفَارِقُكُمْ ))<sup>(١٠)</sup> .  
لأنه في مقام الوعظ والاعتبار من صروف الأيام وتقلباتها ، أما في الاول فهو في مقام التهديد والوعيد ولفظة ( صاحب ) التي ذكرت في الاولى غيرها في الثانية ، الاولى كناية عن الشجاع الذي عرفته قريش في الماضي والحاضر ، والثانية إشارة الى صاحب والرفيق المجاور الذي سرعان ما يفارق بالموت .  
وقال الإمام (ع) في رسالة الى معاوية بعد قضية التحكيم :  
(( وَ قَدْ دَعَوْتَنَا إِلَيْهِمُ الْكُرْآنَ وَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَ لَسْنَا إِلَيْكَ أَجْبَانًا وَ لَكِنَّا أَجْبَانَا الْفُرْآنَ فِي حُكْمِهِ ))<sup>(١١)</sup> .  
فقد فصل بين العامل ومعموله وقدم ضمير النصب ( إياك ) على سبيل التخصيص الذي أفاد الإهانة في كون المخاطب ليس أهلا للإجابة ، بينما كانت سرعة الاستجابة تلمح بصلة الضمير (نا) بالفعل ( أجبنا ) كونها متعلقة بالقرآن .

( ١ ) مريم : ٩

( ٢ ) الزمخشري ، الكشاف : ٣٧٥/٣ ، وينظر : الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٠٢/٢

( ٣ ) الزمخشري ، الكشاف : ٣٧٥/٣

( ٤ ) الإخلاص : ٤

( ٥ ) الزمخشري ، الكشاف : ٤٨٤/٤

( ٦ ) الطارق : ٨ ، وينظر : الزمخشري ، الكشاف : ٥٨٧/٤

( ٧ ) الأنعام : ٩٠ ، وينظر : الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٣٢/٢

( ٨ ) البقرة : ٣ ، وينظر : الزمخشري ، الكشاف : ٣٢/١

( ٩ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٩٠/١

( ١٠ ) المصدر نفسه : ٣٣٩/١

( ١١ ) المصدر نفسه : ٢٣٣/٢

وقال الإمام(ع) في صفة أهل البيت عليهم السلام:

((إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي وَ بِهِمْ يُلْحَقُ النَّالِي)) (١).

فقد تقدم الظرف ( اليهم ) على عامله ( يفيء ) وكذا ( بهم ) على ( يلحق )، لأنه في معرض الثناء على آل بيت النبوة فهم وحدهم بهذا الاقتصار جعلهم كمقرب يسير في فلاة ، فالغالي منه أي الفارط المتقدم الذي قد غلا في سيره يرجع الى ذلك المقرب إذا خاف عدوا ، ومن قد تخلف عن ذلك المقرب فصار تاليا له يلتحق به إذا أشفق من أن يتخطف .

إذن ثمة قصد من تقديم المتعلق أو تأخيرها ، فقد تقدم الظرف ( أمام ) وتأخر في بناء الجملة بالاسلوب نفسه في قوله (ع): (( شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ )) (٢) .

فقد تأخرت الصلة لأنه يريد أن من كانت هاتان الداران أمامه لفي شغل عن أمور الدنيا ، وأشار بلفظة ( أمام ) باعتبار أن الجنة والنار غايتان ينتهي اليهما ، وانبنى الفعل ( شغل ) للمفعول لغرض ذكر الشغل دون المشغل .

بينما تقدم الظرف ( أمام ) في قول الإمام(ع) من رسالة الى عمرو بن العاص محذرا: ((فَإِنَّ يَمِيكَ اللَّهُ مِنْكَ وَ مِنْ ابْنِ أَبِي بَرِي سُقْيَانَ ، أَجْزَمًا بِمَا قَدَّمْتَمَا ، وَ إِنَّ تُعْجِزًا وَ تَبْقِيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرُّ لَكُمْ)) (٣) ، باعتبار عدم انقطاع عذاب الآخرة .

وتبع الإمام(ع) القرآن الكريم في تقديم المتعلقات اسلوبا ودلالة ، فقدم الأفضل في قوله من خطبة في التوحيد: (( اسْتَنْصَرَكُمْ وَ لَهُ جُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، وَ اسْتَفْرَضَكُمْ وَ لَهُ حَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ، وَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ )) (٤) ، فقدم السماء على الارض اتباعا للأثر القرآني .

وذلك اسلوب مطرد في نهج البلاغة و قدماها في موضع واحد لان الحديث كان عن الارض و اهلها في قوله مستتهضا أصحابه:

((اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ ، سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةَ ... فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا التُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ . فَإِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً ، وَ نَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا لَسَكُنْتَهُ أَرْضَكَ وَ سَمَاوَاتِكَ )) (٥) .  
فقدم شهادة البشر بلحاظ القرب والمشاهدة .

وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعْزَبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٦) .

( ١ ) المصدر نفسة ٢٨/١ . ظ. ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٨٨/١

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٥٤/١

( ٣ ) المصدر نفسة : ٢١٣/٢

( ٤ ) المصدر نفسه : ٤٤٠/١

( ٥ ) المصدر نفسه : ١٦/٢

( ٦ ) يونس : ٦١

فقد تقدمت الارض على السماء في هذا الموضع لأنه (( لما ذكر شهادته على شؤون أهل الارض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك (لا يعزب عنه) لاعم ذلك أن قدم الارض على السماء))<sup>(١)</sup> .

ومثله قوله تعالى في موضع آخر: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(٢)</sup> .  
فقدم الأرض (( ترقيا من الأدنى الى الأعلى ولأن المقصود بالذكر ما اقترب فيها وهو كالدليل على كونه حيا ))<sup>(٣)</sup> ، فالخطاب موجه لأهل الأرض<sup>(٤)</sup> ، وهو النبي صلى الله عليه وآله ومن حاجبه من أهل نجران ، وليتسنى التدرج في العطف الى الابدع في الحكم ، لان اشياء الارض يعلم كثيرا منها كثير من الناس ، اما اشياء السماء فلا يعلم احد بعضها فضلا عن علم جميعها<sup>(٥)</sup> .  
وتكرار حرف الجر ( في ) لأن السياق سياق محاجة يقتضي البسط والزيادة في القول<sup>(٦)</sup> .

وتبع القران في تقديم الجنة على النار كقوله (ع):  
( ( مَنْ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ ))<sup>(٧)</sup> .  
وجدير بالذكر أن لفظ ( الجنة والنار ) لم ترد في القران مجتمعة متعاطفة على الاطلاق ، وإنما قدمها الإمام (ع) على أساس من فهم الآيات الشريفة التي تدعو الى الجنة وتحذر من النار وهي كثيرة جدا<sup>(٨)</sup> .

ومن تقديم الافضل تقديم الشمس على القمر كقوله (ع): (( فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ))<sup>(٩)</sup> ، وقوله : (( وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرَضَاتِهِ ))<sup>(١٠)</sup> .  
كل ذلك اتباعا للأثر القراني في تقديم الشمس على القمر<sup>(١١)</sup> .  
وتبع الإمام (ع) القران الكريم في تقديم الأغرب في الصفة في قوله يصف النبي سليمان (ع): (( نَفْلًا حَدًّا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَامًا أَوْ إِلَى دَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا لَكَانَ تِلْكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ )) (ع) الَّذِي سَحَّرَ لَهُ مَلَكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ))<sup>(١٢)</sup> .

( ١ ) الزمخشري ، الكشاف : ٢٧٨/٢

( ٢ ) آل عمران : ٥

( ٣ ) البيضاوي ، تفسير البيضاوي : ٧/٢

( ٤ ) ظ. الزركشي ، البرهان : ٢٥٧/٣

( ٥ ) ظ. ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٥١/٣

( ٦ ) ظ. فاضل السامرائي ، التعبير القرآني : ١٠٣ . أحمد النجماوي ، السماء والأرض في القرآن (رسالة ماجستير) ، جامعة الموصل : ٣٦

( ٧ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٧٦/١

( ٨ ) مثل : البقرة : ٢٤ . آل عمران : ٩٢ . الشعراء : ٨٥

( ٩ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٦٥/٢

( ١٠ ) المصدر نفسه : ١٨٢/١

( ١١ ) ينظر السور : ابراهيم : ٣٣ . الزمر : ٥ ، فصلت : ٣٧ . القيامة : ٩

( ١٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٣٣/١

فقدم تسخير الجن على الإنس تأسيا بقوله تعالى في تقديم الصفة الأعراب:  
﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾<sup>(١)</sup> .

فقدم الجبال لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز  
لأنها جماد والطير حيوان الا انه غير ناطق .  
٢- الحذف

وللحذف دوره في بناء الجمل القصيرة . وهو في اللغة يعني الإسقاط<sup>(٢)</sup>، وفي  
الاصطلاح إسقاط الكلام لدليل<sup>(٣)</sup> .

والحذف طريقة في الاتساع والاختصار في القول ، درسه النحاة<sup>(٤)</sup>، ووقف  
عليه البلاغيون<sup>(٥)</sup> طويلا ، قال عنه عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) مشيرا الى  
قيمه البلاغية: (( هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الامر شبيه بالسحر  
فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجذك  
أنطق ما تكون إذا لم تتطرق وأتم ما تكون بيانا اذا لم تبني ))<sup>(٦)</sup> .

وقد كثر أسلوب الحذف في القران الكريم ، يقول الشريف المرتضى(ت٤٣٦هـ)  
في أماليه: (( وفي القران من الحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد  
في شيء من الكلام ))<sup>(٧)</sup>، كقوله تعالى في قصة يوسف(ع) وصاحبه في السجن  
ورؤيا الملك البقر السمان والعجاف:

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا ﴾<sup>(٨)</sup> .

فلو بسط الكلام فأورد محذوفه لقال: (( أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ففعلوا فأتى  
يوسف فقال يا يوسف أيها الصديق ))<sup>(٩)</sup> .  
وكثيرا ما يرد الحذف في القصص القراني كقصة سليمان (ع) في سورة سبأ .

( ١ ) الأنبياء : ٧٩ . ظ. الزمخشري،الكشاف:١٠١/٣ . الطبرسي،مجمع البيان: ٣٠٢/٢

( ٢ ) ظ. ابن منظور ، لسان العرب : حذف

( ٣ ) ظ . الزركشي ، البرهان : ١٠٢/٣

( ٤ ) ظ.سيبويه ، الكتاب : ١٠٨/٤-١٠٩ . المبرد ، الكامل : ١٨٠/١ . ابن جني ، الخصائص :  
٣٦٠/٢

( ٥ ) ظ. الباقلائي، إعجاز القرآن: ١٦١ . العسكري، كتاب الصناعتين : ١٧٥-١٧٧ . الأمدي ،  
الموازنة:١٦٩-١٧٠

( ٦ ) الجرجاني،دلائل الإعجاز : ٩٥ . ظ. الزمخشري، الكشاف : ٢٦٦-١٧٢/٢ ، ١١٤/٣

( ٧ ) الشريف المرتضى، الأمالي : ١٥٧/٣

( ٨ ) يوسف : ٤٥

( ٩ ) الشريف المرتضى ، الأمالي : ١٥٧/٣

وفي نهج البلاغة كثرة واضحة من أساليب الحذف التي اقتفى فيه الأسلوب القراني في بناء الجمل القصيرة ، مثل قول الإمام (ع) من خطبة ملحمية يصف فتنة يهلك فيها الناس : (( تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا ))<sup>(١)</sup> ، والتقدير ( تكيل لكم ) فحذف تأسيا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ، أي كالوا لهم او وزنوا لهم .

وفي كلام الإمام (ع) إشارة الى أخذ الفتنة الناس وإهلاكهم زمرة زمرة كما يفعل الكيال فيما يكيل جملة جملة.

وقال الإمام (ع) في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن (ع) يتسرع الى الحرب : (( اَمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغَلَامَ لَا يَهْدِنِي ))<sup>(٣)</sup> ، أي احجروا عليه كما يحجر المالك على مملوكه (ف عن ) متعلقة بمحذوف تقديره : استولوا عليه وأبعده عني . ولما كان الملك سبب الحجر على المملوك عبر بالسبب عن المسبب . وفي قوله : ( املكوا ) معنى البعد ولكنه أعقبه بـ ( عن ) لانهم لا يملكونه دون أمير المؤمنين إلا وقد أبعده عنه فلذلك قال : (( املكوا عني هذا الغلام )) . أما قوله ( لا يهديني ) أي : ( لئلا يهديني ) فحذف اللام ونصب الفعل بـ ( أن ) الناصبة المضمرة ، ومعنى ( يهديني ) يكسرني على تقدير (( هلاكه عن اضعافه لركنه وانكسار نفسه بذلك ))<sup>(٤)</sup> .

ولعل بسبب هذه الحذوف علق الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) على كلام الإمام (ع) بانه : (( من أعلى الكلام وأفصحه ))<sup>(٥)</sup> .

وقد يحذف الموصوف بقصد الإبهام ، كقوله (ع) : (( أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ الْمَذَاهِبُ ، وَ تَتِيهُ بِكُمْ الْغِيَاهِبُ ، وَ تَحْدَعُكُمْ الْكَوَاذِبُ ))<sup>(٦)</sup> . فقد حذف الموصوف في قوله : ( تحدعكم الكواذب ) ليدع النفس تذهب كل مذهب في تسمية هذه الكواذب من أمان وأباطيل وأوهام . وجاء الاستفهام على سبيل التهكم والتفريع لهم (( ببقائهم على غوايتهم ))<sup>(٧)</sup> .

وعلى هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(٨)</sup> .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٤٤/١

( ٢ ) المطففين : ٣

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٨/٢

( ٤ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١٥/٤

( ٥ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٥/١١

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٤٤/١

( ٧ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٤٥/٣

( ٨ ) الإسراء : ٩

أي للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها أو للملة أو للطريقة (( وأيما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه ))<sup>(١)</sup>.

ومن اسلوب حذف الفاعل جاء قول الإمام(ع) في خطبة الإستسقاء :  
 (( نَدْعُوكَ حِينَ قَطَّ الْأَنَامُ ، وَ مُنِعَ الْعَمَامُ وَ هَلَكَ السَّوَامُ ))<sup>(٢)</sup>.

فهو إنما قال: ( منع الغمام ) بحذف الفاعل لانه كره أن يضيف المنع الى الله تعالى وهو منبع النعم ، كما إنه ليس مناسباً نسبة المنع الى الله تعالى في مقام السؤال والاسترحام، (( ولأن الجود الالهي لا يخل فيه ولا منع من قبله وإنما يكون بحسب عدم الاستعداد وقتله وكثرته ))<sup>(٣)</sup>، لذلك (( اقتضى حسن الأدب أنه لم يسم فاعله ))<sup>(٤)</sup>.

وقد يتوخى الإمام(ع) الحذف لغاية الإبهام ، كقوله يخبر عن أمر مقتل عثمان من كتاب الى أهل الكوفة: (( فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَهَلَّأُوهُ ))<sup>(٥)</sup>.  
 فقد أضمر الفاعل ولم يقل: ( فأتاح الله له قوما ) ولا : ( أتاح له الشيطان ) وجعل الامر مبهما تألفاً لقلوب الناس المنقسمة في هذا الشأن .

وجاء اسلوب حذف الفاعل في القران كثيرا كقوله تعالى:

﴿ وَخَلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾<sup>(٦)</sup>. لما كان الفاعل معلوما اقتضى المقام عدم ذكره .

وقد يحذف المفعول في بناء الجملة، نحو قول الإمام(ع):

(( أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ، وَ لَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي ))<sup>(٧)</sup>.  
 فتقدير الكلام: لا يجرمنكم شقائي على أن تكذبوني.

وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ ﴾<sup>(٨)</sup>.

وعلى دأب الإمام(ع) في قدرته على استحضار النص القراني ونقله والتصريف في اقتباسه فقد وظفه في موقفه الفني دون أدنى تكلف .

وحذف المفعول كثير إذا أمن اللبس ، نحو قوله تعالى :

﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾<sup>(٩)</sup>. والتقدير ( من رحمه ) .

( ١ ) الزمخشري ، الكشاف : ٨٠٥/٢ . ظ. الطبرسي ، مجمع البيان : ٤٠١/٣

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٦٨/١

( ٣ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١٠٦/٣

( ٤ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٦٦/٧

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٢٧/٢ . وينظر رسالة ماجستير : فراس عبد الكاظم ، المبني

للمجهول في نهج البلاغة (رسالة ماجستير) جامعة بابل: ١١٧

( ٦ ) النساء : ٢٨

( ٧ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٢٥/١

( ٨ ) الانشقاق : ٨٩

وقد كثر أسلوب حذف المفعول في نهج البلاغة مثل قول الإمام (ع):  
 (( هَلَاكَ مَنْ ادَّعَى وَ خَابَ مَنْ اقْتَرَى ))<sup>(٢)</sup> ، فهو (ع) يريد هلك من ادعى الكذب  
 لأنه لا بد من تقدير ذلك لان الدعوى تعم الصدق والكذب .  
 ويبدو أن المحذوف الإمامة ، لأن سياق الكلام كله كنايةات عن الإمامة وكأنه  
 يقول : (( وردي من اقتحمها وولجها من غير استحقاق ))<sup>(٣)</sup> .  
 وفي كلام الإمام (ع) تعريض بمعاوية بسبب ادعائه ما ليس له من إمامة .

وقد يحذف الخبر اختصاراً ، نحو قول الإمام (ع) :  
 (( لَا حُرٌّ يَدْعُ هَذِهِ الْأُمَاظَةَ لِأَهْلِهَا ))<sup>(٤)</sup> .  
 فقوله : ( ألا حر ) مبتدأ وخبره محذوف تقديره ( في الوجود ) . واللمظة كناية عن  
 الزهادة بالدنيا .

ومثله قوله في التوحيد:  
 (( الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا إِذْ لَا سَمَاءَ دَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَ لَا حُجُبٌ دَاتُ إِرْتَاجٍ ))<sup>(٥)</sup> ،  
 فارتفعت ( سماء ) لأنه مبتدأ محذوف الخبر وتقديره ( في الوجود ) .  
 وكلام الإمام (ع) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقال الإمام (ع): (( إِنْ تَوَمَّلْ فَخَيْرٌ مَّا مَوْلٍ وَ إِنْ تُرْجَعْ فَأَكْرَمُ مَرْجُوعٍ ))<sup>(٧)</sup> .  
 (فخير) خبر مبتدأ محذوف تقديره : ( فأنت خير مامول) .  
 وهذا البناء يشبه الصياغة في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾<sup>(٨)</sup> ،  
 وتقديره: ( فإساءته على نفسه) ، والحذف بعد فاء الجزاء جائز وهو كثير<sup>(٩)</sup> .  
 وقد يحذف عامل الفاعل ، مثل قوله تعالى:  
 ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾<sup>(١٠)</sup> ، والتقدير: ( إن استجارك أحد من  
 المشركين استجارك ) .

ومثل هذا البناء قوله (ع) في الدنيا:  
 (( إِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْتَوْتَبَ وَ احْلَوْلَى ، أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى ))<sup>(١)</sup> .

( ١ ) هود : ٤٣  
 ( ٢ ) الإمام علي(ع)، نهج البلاغة: ٥٤/١ . ظ: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٧٧/١  
 ( ٣ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٧٧/١  
 ( ٤ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٠٩/٢  
 ( ٥ ) المصدر نفسه : ١٨٢/١  
 ( ٦ ) البروج : ١  
 ( ٧ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢٠٦/١  
 ( ٨ ) فصلت : ٤٦  
 ( ٩ ) ظ . ابن هشام ، مغني اللبيب : ١٢٢/١  
 ( ١٠ ) التوبة : ٦

فقد ارتفع ( جانب ) بعد ( إن ) لانه فاعل فعل مقدر يفسره ظاهره أي : ( وإن )  
اعذوب جانب اعذوب) لان ( أن ) تقتضي الفعل وتطلبه .

### ٣- الاستفهام

وهو في أصل اللغة طلب الفهم ف( استفهمه سأله أن يفهمه )<sup>(٢)</sup> ، وكذلك هو في اصطلاح النحاة .

والاستفهام في القرآن الكريم غير حقيقي لانه واقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام ( ( وإنما يخرج مخرج التوبيخ والتقرير ) )<sup>(٣)</sup> ، فالله تعالى إنما يستفهم عباده ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء ، فاذا استفهموا أنفسهم عنه يجدونه عندها يخبرهم به<sup>(٤)</sup> .

وأورد الزمخشري (ت٥٣٨هـ) قوله تعالى:

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، فقال: ( ( معناه فلنسالن المرسل اليهم

وهو الأمم يسألهم عما أجابوا عنه رسلهم ، .... فإن قلت فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم ، قلت معناه التوبيخ والتقرير إذا فاهوا بألسنتهم وشهد عليهم أنبيأؤهم ) )<sup>(٦)</sup> .

لذلك فأكثر استفهامات القرآن الكريم لا تحتاج الى جواب ، والاستفهام الحقيقي هو الذي يوافق لفظ الظاهر معناه الباطن<sup>(٧)</sup> .

ويبدو أن الجملة الإستفهامية تثير مزيدا من التيقظ والتنبه لدى السامع ، لأنها تثير فيه الفضول فتحمله على البحث عن جواب لهذا الطلب سواءً أكان حقيقيا أم مجازيا .

ومتلما كان الاستفهام ركيزة من ركائز بناء الجمل القصيرة في القرآن كان كذلك في نهج البلاغة .

وتأثر الإمام (ع) في بناء جملة على الاستفهام الاسلوب القراني ، فقد كثر في الافعال وبخاصة مع أداتي التصديق ( الهمزة وهل ) ، والسبب في كثرة الافعال في أساليب التصديق ( ( أنها متغيرة متجددة وهذا التغيير المستمر يجعلها محل التعرف

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٥٨/١

( ٢ ) ابن منظور ، لسان العرب : سأل . ظ.الزمخشري ، أساس البلاغة : سأل

( ٣ ) الأوسي ، أساليب الطلب : ٣٠٨ . عبد العليم فودة ، أسلوب الإستفهام في القرآن : ٣٥٤

( ٤ ) ظ.المبرد،المقتضب: ٢٩٢/٣. الزركشي، البرهان: ٢٢٧/ ٢ . السيوطي، الإتقان: ٧٩/٢

( ٥ ) الأعراف : ٦

( ٦ ) الزمخشري، الكشاف : ٦٧/٢ . وينظر: الطبرسي، مجمع البيان : ٢٦٠/٢

( ٧ ) ظ. ابن فارس، الصحابي : ١٨١

وموطن الاستفهام ، ولان الإنكار والتعجب والتوبيخ وهي الأغراض الغالبة في الاستفهام القراني مردها في الغالب إن لم يكن دائما الى الافعال لا الى الذوات))<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى ما يذهب اليه النحاة في حقيقة أن الاستفهام حقه أن يكون مع الفعل لذا كثر تعلقه به ، قال سيبويه(ت١٨٩هـ): (( حروف الاستفهام بنيت للفعل إلا أنهم قد توسعوا فيها فابتدعوا بعدها الأسماء والأصل غير ذلك))<sup>(٢)</sup> ، من ذلك أساليب فعل الرؤية التي جاءت في أكثر من ثلاثين موضعا في القرآن الكريم ، كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾<sup>(٥)</sup> .

والاستفهام في كل ذلك إما للتقرير بمعنى إثبات الرؤية للمتحدث عنه مع التوبيخ كما يفهم من السياق ، وإما لإنكار الواقع بمعنى أنهم (( لم يروا فهم ملومون على ترك الرؤية موبخون عليها))<sup>(٦)</sup> .

والاصل في اسلوب أفعال الرؤية ( ألم تر ، ألا ترون ) أن تتعدى بنفسها وعديت ب(أل) في بعض مواضعها لان الاسلوب بمعنى ( ألم ينته الى علمك الى كذا ) ، كما ذكر ذلك الزمخشري(ت٥٣٨هـ)<sup>(٧)</sup> .

وقد استقى الإمام(ع) هذا الاسلوب من القرآن فكثر في بناء جملة،نحو قوله واعظا:

((أَ وَ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُرَدَجْرٌ وَ فِي آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ تَبْصِرَةٌ وَ مُعَبَّرٌ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ، وَ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، وَ إِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِينَ لَا قَوْلِيْنَ ، أَوْ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا ، يُصْبِحُونَ وَ يُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى ))<sup>(٨)</sup> .

ومثلما أخذ الإمام(ع) صيغة الاستفهام المنفي ( ألم يروا ) فقد أخذ كذلك أسلوبه في الاستفهام المنفي بصيغة ( أليس ) .

وكلا الاسلوبين مما جاء في القرآن ، نحو قوله تعالى:

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، فهذا استفهام اريد به التقرير والوعيد .

( ١ ) عبد العليم فودة ، أسلوب الإستفهام في القرآن : ٣٥٣

( ٢ ) سيبويه ، الكتاب : ٥١/١

( ٣ ) الرعد : ٤١ . وينظر : النسفي ، تفسير النسفي : ١٧٤/٣

( ٤ ) التوبة : ١٢٦

( ٥ ) الفيل : ١

( ٦ ) الطبرسي ، مجمع البيان : ٢٦٠/٢

( ٧ ) ظ. الزمخشري ، الكشاف : ٢٧١/١

( ٨ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٢١/١

( ١ ) الزمر : ٣٢

وقد تفيد مع التقرير التوبيخ والتهكم كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ﴾<sup>(١)</sup> ، أو يفيد مع التقرير التعظيم نحو قوله تعالى :

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقد أكد الإمام (ع) المعنى في الاستفهام الذي أفاد التقرير والوعيد بتكرار أداة الاستفهام ( الهمزة ) .

ومن الأساليب الاستفهامية التي استقاهها الإمام (ع) من القرآن الكريم أسلوب (أرأيت ) ، كقوله محاججا :  
﴿ (رَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الدِّينَ وَرَاءَكَ بَعُوثُكَ رَائِدًا .. فَخَالَفُوا إِلَيَّ الْمَعَاطِشَ وَالْمَجَادِبَ مَا كُنْتُمْ صَانِعًا ؟ ) ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومثله قوله (ع) : ﴿ (أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وَ الْعَثْرَةَ تُثْمِيهِ وَ الرَّمْضَاءَ تُحْرِقُهُ ) ﴾<sup>(٤)</sup> ، فهذا البناء مأخوذ من قوله تعالى :  
﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾<sup>(٥)</sup> .  
وقدر القرطبي (ت) الكلام (( أو تأمروني بالعصيان ))<sup>(٦)</sup> .

ومن أساليب القرآن الاستفهامية ، أسلوب ( ما منع ) كقوله تعالى :  
﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾<sup>(٧)</sup> ، فقد تأثره الإمام (ع) فقال :  
﴿ (مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبَلَ أَخَاهُ بِرِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ ) ﴾<sup>(٨)</sup> .

وتأثر الإمام (ع) أسلوب الاستفهام القرآني المسوق مساق التمهيد لما بعده لمعان بلاغية ، كقوله تعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ \* خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ \* يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾<sup>(١)</sup> .  
فقد أفاد معنى التحقير .

( ١ ) الأحقاف : ٣٤

( ٢ ) التين : ٨

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٠٥/١

( ٤ ) المصدر نفسه : ٤٣٨/١

( ٥ ) هود : ٨٨

( ٦ ) القرطبي ، جامع الأحكام : ٨٩/٩

( ٧ ) الأعراف : ١٢

( ٨ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٦٣/١

( ١ ) الطارق : ٥ - ٧

وقد يفيد معنى التعظيم كقوله تعالى:

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (١).

وانتهج الإمام (ع) الأسلوب نفسه ، فقال ناصحا:

((أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ ، وَتَكُونُوا أَعْرَأَ وَلِيَّائِهِ عِنْدَهُ ، هَيْهَاتَ لَا يُحَدِّثُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ ، وَ لَا تَأْتُلُ مَرْضَانَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ )) (٢).

ومثل هذا قوله لمروان بن الحكم وقد تشفع له الحسن والحسين عليهما السلام

لإطلاق سراحه بعد أسره في الجمل :

((أَ وَ لَمْ يُبْلِي عَنِّي بَعْدَ قَتْلِ عَثْمَانَ ، لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنْهَا كَفُّ يَهُودِيَّةٍ ، لَوْ بَايَعَنِي بِرِغْفِهِ لَعَدَرَ بِرِسْبَتِهِ )) (٣).

وشبهها بالكف اليهودية لان اليهود شأنهم الغدر والحنث .

وقال الإمام (ع) :

((أَ تَمْتَلِي السَّلْمَةَ مِنْ رَعِيهَا فَبُرُكٌ ، وَ تَسْبَعُ الرَّبِيضَةَ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرِبُضٌ ، وَ يَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ رَأْدِهِ فَيَهْجَعُ ، فَرَثَ إِذَا عَيْنُهُ إِذَا أَقْدَى بَعْدَ السَّنِينِ الْمُتَطَوَّلَةِ ، بِرَالْبِهِمَةِ الْهَامِلَةِ وَ السَّائِمَةِ الْمَرْعِيَةِ )) (٤).

وهذا الأسلوب في الاستفهام الذي يساق مقدمة لغرض ما يكثر في كلام الإمام

(ع) .

وأخذ الإمام (ع) من أسلوب القرآن صيغة ( هل ينتظر ) فقال مزهدا :

(( فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بِيضَاظَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِي الْهَرَمِ ، وَ أَهْلُ غَضَارَةِ الصِّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ ؟ )) (٥).

فهذا من قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (٦).

وقد تنبني جمل الإمام (ع) كلها بصيغ الاستفهام في التوطئة الى الغرض الذي

ساق الكلام لأجله ، وهو من أصعب الأساليب ، كقوله (ع) :

(( هَلْ تَحْسُبُ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَثْرَلًا ، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَقَّى أَحَدًا ، بَلْ كَيْفَ يَتَوَقَّى الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ يَلْبِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا ، أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِنْزَنِ رَبِّهَا ، أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْسَانِهَا ، كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ ، مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ ؟ )) (١).

( ١ ) الأنعام : ١٩ . وينظر في تفسيرها : الطبرسي ، مجمع البيان : ٨١/٤

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٠١/١

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٤١/١ . وينظر : ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١٨١/١

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٢٦/٢

( ٥ ) المصدر نفسه : ١٥٦/١

( ٦ ) يونس : ١٠٢ . وينظر في تفسيرها : الطبرسي ، مجمع البيان : ١٣٨/٥

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٦١/١

فاستفهاماته على سبيل الإنكار عن الإحساس بالموت . والتساؤلات الأخيرة من قبيل تجاهل العارف بالنسبة إليه<sup>(١)</sup> .

وصيغة (هل تحس) جاءت في قوله تعالى : ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

والإمام(ع) ترامي الى الغرض الأخير من كلامه ، وإنما جعل حديثه عن الملك والجنين توطئة مهد بها لمعناه الدقيق في وصف الذات المقدسة .

وجملة الأمر إن الاستفهام واحد من أساليب التعبير عند الإمام(ع) في بناء الجمل القصيرة التي اقتفى في بنائها الأسلوب القرآني .

#### ٤- الأمر

الأمر في أصل اللغة معروف وهونقيض النهي<sup>(٣)</sup> ، لأن الأمر طلب إيقاع الفعل والنهي طلب لترك إيقاعه<sup>(٤)</sup> ، وفي اصطلاح البلاغيين هو (( طلب إيجاد الفعل ))<sup>(٥)</sup> ، أو (( قول القائل لمن دونه افعل ))<sup>(٦)</sup> .

ويعرفه العلوي(ت٣٨٩هـ) بقوله: (( صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبيء عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء ))<sup>(٧)</sup> .

وقد انبنت كثير من الجمل القرآنية القصيرة على الأمر بصيغته المختلفة التي غالبا ما يقتبسها الإمام (ع) في مبناها ومعناها أو يتأثر أسلوبها في إقامة الجملة على صيغها .

فمن اقتباسات الإمام(ع) لصيغ الأمر القرآنية، قوله (ع) من كتاب لأحد عماله : ﴿ أَطِيعَ اللَّهَ فِي جُمَلِ أُمُورِكَ ﴾<sup>(٨)</sup> ، أي في جملتها وفيها كلها ، وليس يعني في جملتها دون تفاصيلها .

وصيغة ( أطع الله ) جملة طلب مقتبسة من الأسلوب القرآني الوارد كثيرا في كتاب الله العزيز . مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾<sup>(٩)</sup> ، وقوله تعالى :

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾<sup>(١٠)</sup> .

( ١ ) ظ . ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة : ٩٠/٣

( ٢ ) مريم : ٩٨

( ٣ ) ظ . ابن منظور ، لسان العرب : أمر

( ٤ ) ظ . ابن الخشاب ، المرتجل : ٢٠٥

( ٥ ) ابو حيان الأندلسي ، البحر المحيط : ١٨١/١

( ٦ ) الشريف الجرجاني ، التعريفات : ٣٨

( ٧ ) العلوي ، الطراز : ٢٨٢-٢٨١/٣

( ٨ ) الإمام علي(ع)،نهج البلاغة: ٢٩٢/٢ . ظ.ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٥٠/١٨

( ٩ ) النور : ٥٤

( ١٠ ) آل عمران : ٣٢

وقال الإمام موسى ولده الحسن عليهما السلام: ﴿إِنْتَعِنُ بِرِ اللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ﴾<sup>(١)</sup>،  
فصيغة ( استعن ) من صيغ الامر القرانية التي بنيت عليها كثير من الجمل في  
الكتاب العزيز ، كقوله تعالى : ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾<sup>(٢)</sup> .

كما أخذ صيغة ( انفروا ) من قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾<sup>(٣)</sup> ، ووظفها  
لموقفه فقال: ﴿انْفِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ لِي قِتَالِ عَدُوِّكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ، ومعنى انفروا اخرجوا الى  
الغزو .

ومن صيغ الامر القرانية التي أخذها الإمام (ع) وبنى بها جملة صيغة ( اتق الله )  
التي ترددت كثيرا في كلامه (ع) نحو قوله: ﴿فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ﴾<sup>(٥)</sup> ،  
وقوله: ﴿فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ﴾<sup>(٦)</sup> ، وكلها من صيغ القرآن التي جاءت كثيرا في آياته  
الشريفة كقوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾<sup>(٧)</sup> ، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾<sup>(٨)</sup> .  
وقوله تعالى: ﴿أُمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾<sup>(٩)</sup> .

وقد يأخذ الإمام (ع) الصيغة القرانية وينقلها بتوظيف جديد ، كقوله:  
﴿اعْتَصِمُوا بِرِ النَّعْمِ فِي أَوْثَادِهَا﴾<sup>(١٠)</sup> ، فقد أخذ صيغة ( اعتصم ) من قوله تعالى:  
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>(١١)</sup> ، ونقلها الى معنى آخر ، بينما في قوله: ﴿  
بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾<sup>(١٢)</sup> حرص على ايجاد علاقات مشابهة لمحيط النص القراني لصيغة  
( اعتصم ) في قوله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾<sup>(١٣)</sup> .

وقال (ع) موسى في إحدى رسائله: ﴿وَ خَادِعُ نَفْسِكَ وَ ارْفُوقُ بِرِهَا وَ لَا تَقْهَرَهَا ،  
وَ خُذْ عَقْوَهَا﴾<sup>(١٤)</sup> .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٢٩/٢

( ٢ ) الأعراف : ١٢٨ ، وينظر مثلها : البقرة : ١٥٣

( ٣ ) التوبة : ٤١

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢١٢/٢

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٦٨/٢

( ٦ ) المصدر نفسه : ١٧٨/٢

( ٧ ) البقرة : ٢٠٦

( ٨ ) الأحزاب : ١

( ٩ ) الأحزاب : ٣٧

( ١٠ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٤٥/٢

( ١١ ) آل عمران : ١٠٣

( ١٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٨٥/٢

( ١٣ ) الحج : ٧٨

( ١٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٩٢/٢

وبنيت الفقرات من جمل قصيرة بصيغة الامر والمعنى الذي اراده الإمام(ع) هو:  
((التلطف بالنفس في النوافل ومخادعتها في ذلك وعدم قهرها حتى لا تمل وتضجر  
وتترك ، بل أمره أن يأخذ عفوها ويتوخى أوقات النشاط وانسراح الصدر  
للعبادَة))<sup>(١)</sup> ، ومحل الشاهد قوله: ( خذ عفوها ) ، فهو منقول من قوله تعالى:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأخذ الإمام بناء الفعل ( أقم ) من القرآن الكريم وتوسع فيه فقال من كتاب له  
لعامله على مكة: (( أَمَّا بَعْدُ فَأَقِمِ لِلنَّاسِ الْحَجَّ ))<sup>(٣)</sup>.

لأن صيغة ( أقم ) لم تستعمل في القرآن مع الحج بل غالبا ما تأتي مع الصلاة ،  
كقوله تعالى: ﴿ اَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد يتصرف الإمام(ع) ببناء النص القراني فينقله بعد إعادة صياغته من صيغة  
الى أخرى ، كأن ينتقل بالاسلوب الخبري الوارد في النص القراني الى اسلوب  
الإنشاء الطلبي بصيغة الامر بحسب موقفه الفني .

كقوله (ع): (( وَ تَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْفُرْآنِ ))<sup>(٥)</sup> ، فهذا منقول من الصيغة الخبرية  
الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقد ينتقل بالنص القراني من صيغة الاستفهام الى الامر ، كقوله (ع) موصيا  
﴿ (وَقَرِ اللَّهُ وَ أَحْبِبْ أَحِبَّاهُ) ﴾<sup>(٧)</sup> ، فهذا البناء الطلبي منقول من قوله تعالى  
: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾<sup>(٨)</sup> ، وكقوله (ع): (( وَ اكْظِمِ الْغَيْظَ ))<sup>(٩)</sup>، فهو منقول من

قوله تعالى: ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ﴾<sup>(١٠)</sup>.

وقد ينقل الإمام(ع) صيغة الامر القراني ذاته ، كقوله(ع): (( فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَّا  
فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ... وَ لِيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ ))<sup>(١١)</sup> ، فصيغة ( فليصبر ) من  
صيغ الامر المباشر في قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾<sup>(١)</sup>.

( ١ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٤٨/١٨

( ٢ ) الأعراف : ١٩٩ ، وينظر في تفسيرها: الطبرسي ، مجمع البيان : ٥١/٤

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٨٩/٢

( ٤ ) الإسراء : ٧٨

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٩١/٢

( ٦ ) الأعراف : ١٧٠

( ٧ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٩٢/٢

( ٨ ) نوح : ١٣

( ٩ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٩٢/٢

( ١٠ ) آل عمران : ١٣٤

( ١١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٢٤/١

( ١ ) الكهف : ٢٨

ويسلك الإمام (ع) في بناء بعض جملة الطلبية سبيل القران الكريم في ابتنائها على أفعال الامر التي تفيد التكثرير في المعنى ، كقوله (ع):  
 (( فَلَجْتَيْبَ مَا تُكْرُ أَمْثَالُهُ ، وَ ابْتَدَلَ تَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ )) (١) ، فقد جاءت  
 الاوامر كلها بصيغ الافتعال التي تفيد الزيادة والكثرة في طلب الامر ، لذلك جاء  
 بالفعل الماضي (افترض) مزيدا للتكثرير ، وصيغة (اجتنب) من أوامر القران  
 الكريم التي جاءت في خمسة مواضع فيه كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ  
 الظَّنِّ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى: ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ (٣) .

ومن المعاني المستفادة من القران الكريم التي خرجت فيها الأوامر عن حقيقتها  
 الاستعلانية الدعاء ، في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ (٤) .  
 فهو من باب التعبد والضراعة الى الله (٥) .

وقد ورد مثله كثيرا في نهج البلاغة ، كقول الإمام (ع) ذاكرا الرسول (ص) :  
 ((اللَّهُمَّ أَهْبِمْ لَهُ مَقَسِمًا مِنْ عَدْلِكَ ، وَ اجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اللَّهُمَّ أَعْلِ  
 عَلَىٰ بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَ أَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنَزَلَتَهُ وَ شَرِّفْ عِنْدَكَ مَنَزَلَهُ ، وَ آتِهِ الْوَسِيلَةَ وَ  
 أَعْطِهِ السَّنَاءَ وَ الْفَضِيلَةَ ، وَ احْشُرْنَا فِي رُؤْمَرْتِهِ غَيْرَ خَزَائِيَا)) (٦) .

وقد يخرج الامر الى معنى التهديد ، كقوله (ع) من رسالة الى معاوية :  
 (( وَ قَدْ دَعَوْتُ إِلَيَّ الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِبًا وَ اُخْرُجْ إِلَيَّ وَ أَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ  
 الْقِتَالِ )) (٧) ، فخرجت افعال الامر ( اخرج ، اعف ) عن معانيها الحقيقية في الأمر  
 الى معنى مجازي أفاد التهديد .

ومثل هذا الاسلوب جاء في قوله تعالى: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ بِهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرَةً ﴾ (٨) .

فالامر ( اعملوا ) أفاد التهديد .

وفي موضع آخر جاء الفعل ( اخرج ) في كلام الإمام (ع) يفيد معنى آخر ، فقد  
 بلغه عن أبي موسى الأشعري وكان عامله على الكوفة تثبيطه الناس عن اللحاق به،  
 فقال من رسالة بعثها اليه:

((بِأَبَا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَ عَلَيْكَ ، فَإِنَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ ... وَ اُخْرُجْ  
 مِنْ جُحْرِكَ )) (٩) ، فقوله الاخير أمر اراد به الإهانة حين كنى عن مقره بالجحر .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٧٣/٢

( ٢ ) الحجرات : ١٢

( ٣ ) الحج : ٣٠

( ٤ ) آل عمران : ١٩٤

( ٥ ) ظ. الطبرسي ، مجمع البيان : ٤٧٥/٢

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٣٨/١

( ٧ ) المصدر نفسه : ١٤١/٢

( ٨ ) فصلت : ٤٠

( ٩ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٨٠/٢

وقد يخرج الامر الى معنى التخيير مثل قوله لَمَّا غلب أصحاب معاوية أصحابه(ع) على شريعة الفرات بصيِّين و منعوهم من الماء: (( قَدْ اسْتَظَعْمُوكُمْ الْقِتَالَ ، فَأَقْرُوا عِلْمًا مَلَّةً وَ تَأْخِيرَ مَحَلَّةً ، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَزَوُّوا مِنَ الْمَاءِ )) (١).

فوقعت أفعال الأمر ( أقرأوا ، رروا ) في معنى التخيير والغرض منه بث الهمة في نفوس أصحابه (ع) .

وهكذا نجد الإمام (ع) متنقلا بصيغة الأمر من الحقيقة الى المجاز وبقية الإستعمالات في التحذير والتهديد والتوهين اتساعا في اللغة .

**ب: ركائز بناء الجملة الطويلة :**

وهي الجمل التي تكتنف أكثر من أسلوب نحوي في بنائها ، بمعنى آخر هي الجمل التي تستطيل بجمل قصيرة تتخذها عناصر لها فتمتد الى مسافة قولية طويلة(٢) .

والجمل الطويلة شكل آخر من أشكال الجمل القرانية ، وقد أخذت بعض وسائل اللغة وآلياتها دورها في امتداد الجملة مثل :

#### ١- جملة الشرط

أقيمت الجملة الطويلة في بنائها على أسلوب الشرط الذي يستدعي أداة شرط وفعل شرط وجوابه ، مثل قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٣) .

ففي الآية ضرب من البناء الجملي الطويل الذي تتأزر فيه جملة الشرط المؤلفة من أداة الشرط وفعله وجوابه المتأخر وجملة (كان) الناقصة واسمها الذي تنوع بوسيلة التعاطف فجاء خبر ( كان ) المتأخر ( أحب ) اسم تفضيل تطلب إطالة في الكلام وبعد إتمام جملة (كان) التي شكلت جملة فعل الشرط جاءت جملة جوابه المتأخرة وهي ( فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ) .

ولا شك في أن بناء الجملة بهذا الامتداد الطويل يتطلب مهارة فائقة في القدرة على الربط بين الجمل القصيرة بحيث يضيف مزيدا من الثراء اللغوي ، كما أنه أقدر على بسط المزيد من المعاني من خلال الإكثار من أساليب البناء الجملي .

( ١ ) المصدر نفسه : ١١٥/١

( ٢ ) ظ . علي ناصر ، الجملة الطويلة في القرآن ، كلية التربية ، جامعة بابل : ٤

( ٣ ) التوبة : ٢٤

وفي القرآن أمثلة كثيرة على ذلك<sup>(١)</sup>، كقوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم:  
﴿ إِذَا الشَّمْسُ كَوَّرَتْ \* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ \* وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ \* وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ \* وَإِذَا  
الْوَحُوشُ حُوِّشَتْ \* وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ \* وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ \* وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ \* بِأَيِّ ذَنْبٍ  
قُتِلَتْ \* وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ \* وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ \* وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ \* وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ \*  
عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ (٢).

ويبدو أن اسلوب الجملة الطويلة لم يأت الا للحدث العظيم الذي تحملها معانيها ،  
كما رأينا في سورة التكوير .

وفي نهج البلاغة أثر بين لهذا الاسلوب في بناء الجمل الطويلة القائمة على  
أسلوب الشرط . يقول الإمام (ع):

(( إِذَا رَجَفَتْ رَالِجَةٌ وَحَقَّتْ بِرَجَائِلِهَا الْقِيَامَةُ ، وَ لَحِقَ بِرُكُلٍ مَسَّكَ أَهْلُهُ وَ بِرُكُلٍ  
مَعْبُودٍ عَبْدَتُهُ ، وَ بِرُكُلٍ مُطَاعٍ أَهْلٌ طَاعَتِهِ ، فَلَمْ يُجَزْ فِي عَدْلِهِ وَ قِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقٌ  
بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ ، وَ لَا هَمْسٌ قَدِيمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِرُحْمِهِ ، فَكَمْ حُجَّةٌ يَوْمَ ذَلِكَ  
دَاحِضَةٌ )) (٣).

وامتدت جملة الشرط المكونة من فعل الشرط ( رجفت الراجفة ) وجوابه ( فكم  
حجة يوم ذلك داحضة ) الى مسافة قولية ضمت ما بين الفعل وجوابه جملا معطوفة  
واسلوبا للنفي والاستثناء في قوله: ( فلم يجز ... الا برحمه ) بعدها جاء جواب الشرط  
المتأخر ( فكم حجة .. ) .

ولاريب ، إن في ذلك تشويقا وانشادا للسامعين يحملهم على الترقب والتطلع  
لمعرفة جواب الشرط خاصة وأن اسلوب الشرط يحمل معه عنصر المفاجأة للسامع.  
ومثلها قوله (ع) في التوحيد : (( حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَ الْأُمْرُ مَقَادِيرَهُ ،  
وَ الْأُحْقَ أَخْرَجَ الْخَلْقَ أَوْلَاهُ ، وَ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ ، مِنْ تَجْدِيدِ الْخَلْقِ ، أَمَادَ  
السَّمَاءِ وَ فَطَرَهَا )) (٤).

فجاء جواب الشرط ( أماد السماء ) متأخرا بعد ثلاث جمل متعاطفة .

ومثل ذلك جملة ( لو ) المتضمنة معنى الشرط ، كقوله (ع) يصف منازل  
الموت : (( فَلَوْ مَنَّ تَهُمْ لِعَعْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ ، وَ مَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ ، وَ قَدْ  
نَشَرُوا دَوَابِلَ عَمَالِهِمْ ، وَ فَرَعُوا لِمَحَاسِنِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَ كَبِيرَةٍ أَمْرُوا  
بِرِهَا فَفَصَّرُوا عَنْهَا أَوْ نُهَوُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَ حَمَلُوا ثِقَلًا أَوْ زَارَهُمْ طُهُورَهُمْ ،  
فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِرِهَا ، فَسَجَّوْا تَشِيحًا وَ تَجَاوَبُوا تَحِيحًا ، يَعْجُونَ إِلَيَّ رَبِّهِمْ مِنْ  
مَقَامٍ نَدِيمٍ وَ اعْتَوَلِي ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى )) (٥).

( ١ ) ظ . مثلا : سورة الفلق ، الناس

( ٢ ) التكوير : ١-١٤

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٥/٢

( ٤ ) المصدر نفسه : ٢٥٢/١

( ٥ ) المصدر نفسه : ٤٢/٢

فالمسافة ممتدة متطاوله بين ( لو ) وجوابها، أتاحت خلالها بسط مزيد من المعاني في تفاصيل الحساب ، ويبدو للتعاطف بين الجمل القصيرة دورا بينا في إمتداد الجملة الطويلة حتى انتهت بالجواب بعد حين : ( لرأيت أعلام هدى ) .

وقد تكررت الجملة الطويلة بـ ( لو ) المتضمنة معني الشرط في كلام الإمام (ع) كثيرا .

## ٢- جملة ( إن )

وجملة ( إن ) واسمها وتأخر خبرها وردت في بعض آيات القران جملة طويلة ممتدة الى مساحة قولية كقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا \* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (١) .

فقد فصل بين اسم ( إن ) وهو ( الذين يكفرون بآيات الله ورسله ) وخبرها ( أولئك هم الكافرون حقا ) بجمل كثيرة معطوفة أتاحت مساحة أكبر لبسط المعنى المراد في الآية الكريمة فقد ترك تنويع صلة الموصول بذكر صفات الكافرين تشويقا لمعرفة خبر ( إن ) .

وجاء قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ على وجه التأكيد ، ((لئلا يتوهم متوهم أن قولهم ( نؤمن ببعض ) يخرجهم من جنس الكفار ويلحقهم بالمؤمنين )) (٢) .

وتقفي الإمام (ع) مثل هذا الاسلوب ، فجاءت بعض جملة طويلة مبنية على هذا البناء ، مثل قوله من كتاب له (ع) إلى كميل بن زياد النخعي و هو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة: (( .. وَ إِنَّ تَعَلَّظِيَا الْغَارَةَ عَلَيَّ أَهْلَ قَرْقِيسِيَا ، وَ تُعْطِيَاكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ - لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا وَ لَا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا - لَرَأَيْتُ شَعَاعًا )) (٣) .

ويبدو ان لإعمال المصادر أثره البين في مساحة القول ومدته مثل ( تعاطيك ، تعطيلك ) فضلا عن الجملة المعترضة ( ليس بها من يمنعها ) معطوفة بقوله: (ولا يرد الجيش عنها) .

( ١ ) النساء : ١٥٠-١٥١

( ٢ ) الطبرسي ، مجمع البيان : ١٣٢/٣

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٧٥/٢

وقول الإمام(ع) هذا تفصيل لإجمال ورد قبل كلامه في صدر كتابه على سبيل التوبيخ وهو قوله:  
 ((لَمَّا بَعْدَ فَايَنْ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وُلِّيَ وَ تَكْلُفُهُ مَا كُفِّيَ ، لَعَجَزُ حَاضِرٌ وَ رَأْيٌ مُتَبَرِّرٌ)) (١) .

وفي مقال آخر من وصية لولده الإمام الحسن (ع) ، يقول:  
 (( غَيْرَ أَ تِي حَيْثُ تَقَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هُمْ تَقْسِي ، فَصَدَّقْتَنِي رَأْيِي وَ صَرَفتَنِي عَهْوَايَ ، وَ صَرَخَ لِي مَحْضُ أَمْرِي ، فَأَقْضَى بِي إِلَيَّ جِدًّا لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ ، وَ صِدْقٌ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ وَ جِدَّتْكَ بَعْضِي ، بَلْ وَ جِدَّتْكَ كُلِّي )) (٢) .

والإمام(ع) يريد القول : أن همي بنفسي يقتضي اهتمامي بك لأنك بعضي بل كلي فإن كان اهتمامي بنفسي يصرفني عن غيري لم تكن انت داخلا في جملة من يصرفني همي بنفسي عنهم لأنك لست غيري . وقد كان للتعاطف والجملة المعترضة ( فصدقني رأيي... ) سبب مباشر في مد الجملة وتأخر خبر ( إن ) الجملة الفعلية ( وجدتك ) .

ويجدر ذكره ان الجملة الطويلة بـ( إن ) واسمها وخبرها تقصر في الخطب دون الرسائل . قال (ع) من خطبة له : ((لَا وَ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَكْتُمُونَهَا ، وَ تَرْغَبُونَ فِيهَا وَ أَصْبَحْتُمْ تُعْضِبُكُمْ وَ تُرْضِيكُمْ ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ )) (٣) .

وفي شكل أقصر قوله (ع) : ((وَ إِنَّ غَايَةَ تَقْضُصِهَا اللَّحْظَةُ وَ تَهْدِيمِهَا السَّاعَةُ ، لَجَدِيرَةٌ بِقِصْرِ الْمُدَّةِ . وَ إِنَّ غَايِبًا يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ ، اللَّائِلُ وَ النَّهَارُ لِحَرِيٍّ بِسُرْعَةٍ الْأَوْبَةِ )) (٤) .

وقوله(ع) : ((إِنَّ مَنْ صَرَخَتْ لَهُ الْعَبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمُثَلَّاتِ ، حَجَزَتْهُ النَّفْوَى عَنِ تَقْحُمِ السُّبُهَاتِ )) (٥) .

وكان هذا الإقفاء في هذا المجال إمتدادا لثقافة قرآنية متأصلة ، جعلت الإمام(ع) ينحو منحاه ، ويتبع خطاه .

### ٣- جملة النداء

( ١ ) المصدر نفسه والصحيفة .

( ٢ ) المصدر نفسه : ١٨٠/٢

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤١١/١

( ٤ ) المصدر نفسه : ١٣٨/١

( ٥ ) المصدر نفسه : ٥٢/١

وللنداء أثره في مد الجملة في الاسلوب القراني الذي تأثره الإمام فنتقاه . قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ \* رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ \* رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ \* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١﴾ . وجاء النداء متكررا ليمتد به القول حتى يكون جوابه جملا من الدعاء المباشر . وهذه الطريقة في البناء تستدعي التنوع في جواب النداء .

ومثل هذا الاسلوب جاء على لسان أمير المؤمنين (ع) في الدعاء لما عزم على القتال بصفين: (( اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ الْمَرْفُوعِ وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَ مَجْرَى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَ مُخْتَلَفًا لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ ، وَ جَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطًا مِنْ لَدُنْكَ ، لَا يَسْأَلُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ ، وَ رَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلْأَنْبِيَاءِ ، وَ مَدْرَجًا لِلهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ ، وَ مَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَ مِمَّا لَا يُرَى ، وَ رَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أُوتَادًا ، وَ لِلخَلْقِ اعْتِمَادًا . إِنَّ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا ، فَجَبَّنَا الْبُعْيَ وَ سَدَّدْنَا لِلْحَقِّ ، وَ إِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ )) (٢) .

فالتنوع في النداء مد في الكلام الى مساحة قولية مهدت لان يكون الشرط جوابا للنداء ، بعد استدراج كثير من الحقائق ، واستقراء جملة من الوقائع ، ومن ثم يأتي الجواب مطبقا للمفصل . فواضحة المسافة الممتدة بين النداء ( اللهم رب ) وبين جوابه بأسلوب الشرط ( إن أظهرتنا .. فجبنا ) .

وقال الإمام (ع) لانما أصحابه: (( أَيَّتْهَا النَّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمُنْتَسِنَةُ ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانَهُمُ الْعَائِبَةَ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ، أَطَارِكُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَ أَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ )) (٣) .

فأطال الإمام (ع) في ندائه بجمل معطوفة تنبئها لأصحابه بذكر معانيهم لينفر عقولهم عنها لذلك وصفهم بشهادة الابدان مع غيبة العقول (٤) .

وقوله: (القلوب المشتتة ) مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ (٥) .

#### ٤- جملة القسم

يؤتى بالقسم في العربية لغرض توكيد الكلام وتقويته ، وهو في الموروث الشعري الجاهلي يكاد يكون نادرا (١) بينما هو في التعبير القراني سمة أسلوبية

( ١ ) آل عمران : ١٩١-١٩٤

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٠٦/١

( ٣ ) المصدر نفسه : ٣٠٤/١

( ٤ ) ظ . ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٥٦/٢

( ٥ ) الحشر : ١٤

ظاهرة وفريدة لم تعرفها العربية من قبل فقد أقسم القرآن بالحيوان والظواهر الطبيعية المختلفة .

والقسم أحد وسائل مد الجمل القصيرة الى جمل طويلة ، فما بين المقسم به وجوابه ثمة جمل قصيرة ، نحو قوله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ :  
﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا \* وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا \* وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا \* وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا \* وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا \* وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا \* وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٢) .

تأخر جواب القسم في قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ بعد سبع آيات مما يعطي قدرة كبيرة على التأثير في المتلقي .

ويتضح جمال الاسلوب القرآني في كونه يوحي بزيادة في الشوق والانتظار ، ويدفع بطبيعته إلى تطلع النفس لمعرفة المقسم عليه (( فان القرآن لا يلجأ إلى القسم إلا في الامور المهمة التي تحتاج إلى تأكيد واثبات فقد يطيل القسم ويطيل معه الشوق )) (٣) .

لذلك يكثر هذا الاسلوب في خطب الإمام (ع) أكثر من رسائله لان لحظات القسم تستدعي المزيد من انشداد المسامع اليه فتستغل لبسط مزيد من المعاني عبر أساليب متنوعة من الجمل القصيرة .

قال الإمام (ع) في خطبته الشفقية : ((مَا وَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحَجَّةِ بِرُجُودِ النَّاصِرِ ، وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ ، إِلَّا يُقَارُوا عَلَى كَيْفِ ظَالِمٍ وَ لَا سَعْبٍ مَطْلُومٍ ، لِأَقْبِثُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا ، وَ لَسَقَيْتُ أُخْرَهَا بِرِكَائِمْ أَوْلِيهَا ، وَ لَأَقْبِثُ نُبْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَقْطَةِ عَنَزٍ)) (٤) .

فقد جعل جواب القسم بكامل جملة ( لولا ) ، وعلق الحبة أخذه من قوله تعالى :  
﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ (٥) .

والمقارة المودعة والمسالمة . وكظة الظالم إشارة الى ظلم الظالم (٦) .

( ١ ) ظ. حاكم حبيب الكريطي ، القسم في الشعر الجاهلي ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية العدد الثاني ٢٠٠٦ م : ٥٣-٥٤

( ٢ ) الشمس : ١-١٠

( ٣ ) بدوي طبانة ، بلاغة القرآن : ٢٤٠

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٤/١

( ٥ ) الأنعام : ٩٥

( ٦ ) ظ. ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٩٦/١

ويقول (ع) في مثل آخر: ((وَبِاللّٰهِ لَوْ اَنْمَآثَتْ قُلُوْبُكُمْ اَنْمِيَآثًا ، وَ سَالَتْ عُيُوْنُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ اِلَيْهِ اَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا ، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا ، مَا الدُّنْيَا بِاَقِيَّةٍ مَا جَزَتْ اَعْمَالُكُمْ ، وَ لَوْ لَمْ تُبْفُؤْا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ ، اَنْعَمَهُ عَلَیْكُمْ الْعِظَامُ )) (١).

فقد تنوعت الاساليب في هذا البناء في جملة (لو) التي اکتفت جملا اعتراضية ألفت مزيدا من بسط المعاني. وجواب القسم هو تمام المعنى في جواب ( لو ) . أما قوله ( من رغبة اليه او رهبة منه ) وقوله ( ما الدنيا باقية) فهي جمل اعتراضية.

ونستخلص مما سبق أن الإمام عليا (ع) تأثر بالتعبير القرآني فاستقى من ألفاظه وأجرى عليه أسلوبه .

## الفصل الثاني

### الأداء البياني

#### أولا : الاستعمال المجازي

توطئة : التعريف بالمجاز والمجاز القرآني

أنواع المجاز القرآني في نهج البلاغة :

١- المجاز في الأفراد ( المرسل )

٢- المجاز في التركيب ( العقلي )

#### ثانيا : البعد التشبيهي

التعريف بالتشبيه عند البلاغيين :

ظواهر من التأثير القرآني في نهج البلاغة

١. صيغ المثل القرآني وتأثر نهج البلاغة بصورها

٢. اللوحات التشبيهية بين القرآن ونهج البلاغة

٣. التشبيهات المفردة في ضوء القرآن ونهج البلاغة

#### ثالثا : التركيب الاستعاري

التعريف بالاستعارة

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١١٦/١

ظواهر من التأثير القرآني في استعارات نهج البلاغة:

١- التوليد :

استعارات الليل والنهار

استعارات الحق والباطل

٢- ظاهرة التشخيص

٣- الإستعارة التمثيلية

رابعاً : الملحظ الكنائي

تعريف الكناية

من آثار الكناية القرآنية في نهج البلاغة :

١ . جدة الكناية القرآنية

٢ . تصوير الحالات الإنسانية

أولاً : الاستعمال المجازي

توطئة : التعريف بالمجاز والمجاز القرآني

يعد المجاز مظهراً من مظاهر الرقي في اللغات الحية ، وهو يؤشر مديات التطور فيها ، لأن تطور الفكر عند الإنسان هو الذي ألجأه الى البحث عن وسيلة يؤدي بها عن هذه المعاني الجديدة التي اعتملت في نفسه .

ولما كانت المفردات ثابتة في موروثات اللغة ولا يمكن استحداث ألفاظ لتأدية معان استجدت في ذهن الإنسان<sup>(١)</sup> ، كان لابد من نقل ألفاظه القديمة الموروثة والتجوز بها وفق نظام من العلاقات بين المعنى الأصلي الحقيقي للفظة والمعنى الجديد ، والمسافة التي تقطعها اللفظة في هذا النقل يسمى مجازاً .

لذا فالمجاز في اللغة هو اسم للمكان الذي يجاز فيه يقول ابن منظور(ت٩١١هـ): (( جزت الطريق وجاز الموضع جوازا ومجازا وأجازه وأجاز غيره وجاهه : سار فيه وسلكه وجاوزت الموضع جوازا بمعنى جزته والمجاز والمجازة: الموضع ))<sup>(٢)</sup> .

وأخذ هذا المعنى للإشارة الى الحركة الانتقالية لدلالات الألفاظ ، يقول عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ): (( وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز ))<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ظ.محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية : ٧٦-٧٨

( ٢ ) ابن منظور ، لسان العرب : جوز

( ٣ ) الجرجاني ، أسرار البلاغة : ٢٨١

و( الملاحظة ) التي يشير اليها عبد القاهر الجرجاني هي التي تنظم العلاقات الدلالية بين الألفاظ المنتقل بها الى المجاز.

وكثر الاستعمال المجازي في التعبير القرآني نظرا للأفكار الجديدة التي جاء بها الدين الإسلامي الجديد كمبدأ التوحيد الالهي والذات المقدسة ومعاني المعاد والثواب والعقاب وما يترتب عليها من جنة أو نار ، ولأن صنوف المجاز تكثر في تلقين الحقائق الخالصة<sup>(١)</sup>.  
ويعد المجاز في القرآن شطر الحسن منه كما يقول الزركشي(ت٧٤٩هـ) (٢) .

### أنواع المجاز القرآني في نهج البلاغة :

في نهج البلاغة استعمال واسع لأساليب المجاز نجده في شطر واسع منه صدى للمجاز القرآني وقد حرص الإمام(ع) في بعض منه على اقتباسه وتوظيفه وفي بعضه الآخر على التوسع في نقله واستعماله .  
والمجاز نوعان : لغوي وعقلي وكلاهما جاء في التعبير القرآني وتقواه الإمام (ع) في استعماله .

### ١-المجاز في المفرد ( المرسل ) :

حدد البلاغيون طبيعة العلاقة بين دلالات الألفاظ المنقولة عن معانيها الأصلية فإذا كانت قائمة على أساس المشابهة فهي مجاز لغوي استعاري وإن لم تكن تفيد المشابهة فهي مجاز لغوي في المفرد<sup>(١)</sup>. ويسميه الزركشي(ت٧٩٤هـ) المجاز الإفرادي ووصف كثرة استعمالاته في القرآن الكريم بقوله ((يعجز العد عن إحصائها))<sup>(٤)</sup> ، ولم يكن مبالغاً .  
والسكاكي(ت٦٢٦هـ) أطلق عليه اسم المجاز المرسل<sup>(٥)</sup> لإرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة بل ردد بين علاقات بخلاف المجاز الإستعاري فإنه بعلاقة واحدة وهي المشابهة<sup>(١)</sup>.

( ١ ) ظ . محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث : ٢٣٦

( ٢ ) الزركشي ، البرهان : ٢٥٦/٢

( ٣ ) ظ . محمد حسين الصغير ، أصول البيان العربي : ٥٠-٥١

( ٤ ) الزركشي ، البرهان : ٢٦٥/٢

( ٥ ) ظ . السكاكي ، مفتاح العلوم : ١٩٥

( ١ ) ظ.عبدالقاهر الجرجاني،أسرار البلاغة: ٣٧٦. محمد حسين الصغير، أصول البيان العربي: ٥٠

ويبدو أن الانتقال في المجاز المرسل من المعاني الاصلية للفظة الى المعاني الجديدة يتم على وفق نظام منطقي يحدد المسارات الدلالية للألفاظ إذ بعثته الفطرة السليمة الأولى لمستعمل اللغة .

وفي هذا النظام لا بد من وجود دالة اصطلح على تسميتها البلاغيون (قرينة) توجه الذهن الى المعنى الجديد للفظة في اللحظة التي تصرفه عن المعنى القديم . لذا فالانتقال من المعنى الاول للفظة الى المعنى الثاني يسير وفق علاقات حصرها البلاغيون بوجوه محددة (١) .

والذي يهمننا من ذلك ليس تعداد هذه العلاقات وإنما تبيان الأثر المجازي القرآني منها في كلام الإمام علي(ع) . ومن آثار ما جاء من المجاز المرسل القرآني في نهج البلاغة ما يأتي :

### السببية :

وهي اطلاق لفظ السبب وإرادة المسبب ، كإطلاق لفظ اليد في معاني النعمة أو القدرة والقوة ، مثل قوله تعالى : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (٢) .  
والمراد قدرته لأن اليد سبب فيها فذكرت الآية الكريمة السبب وعدلت عن الاثر المسبب عنها .

ومثلها قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٣) .  
واليد هنا تعني القوة والقدرة لأنها سبب فيها (٤) .

وقد أخذ الإمام(ع) بهذه الاستعمالات لكلمة اليد فقال :  
( ( وَ الزُّمُومَا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ ) ) (٥) .  
فتجاوز بلفظ اليد في قدرة الله وحراسته للجماعة ورغب في لزوم طريقة أكثر المسلمين المتفقيين على رأي واحد بأن يد الله على الجماعة (٦) .  
وفي موضع آخر قال الإمام(ع):

( ١ ) ظ.الزرركشي ، البرهان : ٢٥٦/٢ وما بعدها . أحمد مطلوب، البلاغة العربية : ٢٠٣

( ٢ ) الفتح : ١٠

( ٣ ) الذاريات : ٤٧

( ٤ ) ظ . الزمخشري ، الكشاف : ٢٠/٤

( ٥ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٢٣/٨

( ٦ ) ظ.ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١٣٤/٥

(( لَهَيْدُوقُ إِيمَانُ عَبْدٍ ، حَتَّى يَكُونَ بِرِمَا فِي يَدِ اللَّهِ ، أَوْ تَقَّ مِنْهُ بِرِمَا فِي يَدِهِ )) (١) ،  
واليد تعني هنا التملك والتصرف لأنها سبب فيه كونها القابضة.

ومن إطلاق اسم السبب على المسبب قول الإمام(ع) :  
((إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ التَّكْرَرَ جَلَاءً لِلْفُلُوبِ ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتُبْصِرُ  
بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ ، وَتَقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ )) (٢) .  
فهذا تجوز بلفظ السمع في إقبال القلوب على ما ينبغي أن يسمع من أوامر الله  
ونواهيه (( لأن قبول الشيء مرتب على سماعه ومسبب عنه )) (٣) .  
وهو من أثر قوله تعالى: { مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ } (٤) .  
أي ما كانوا يستطيعون قبول ذلك والعمل به ونسبة إسناد كل ذلك الى القلوب من  
باب المجاز العقلي ، وتجوز بلفظ البصر في إدراك القلوب للحقائق ولفظ العشوة  
لعدم ذلك الإدراك (٥) .  
**المسببية :**

أي ذكر المسبب وإرادة السبب ، مثل قوله تعالى :  
﴿ يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ (٦) ، فهم لم يدعوه الى النار ، إنما دعوه  
الى الكفر بدليل قوله تعالى: ﴿ تدعونني لأكفر بالله ﴾ (٧) ، لكن لما كانت النار مسببة عنه  
أطلقها عليه (٨) .

وجعل الايمان بما جاء من عند الله سببا للنجاة وجعل إعراضهم عنه ودعوتهم  
إياه للشرك سببا الى النار وعدل عن ذكر الاسباب وأطلق المسببات عنهما عليهما .  
ومثل هذا جاء في قول الإمام(ع) يصف الدين الاسلامي:  
(( . . . بِجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ ... وَ نَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ )) (٩) ، لأن الدخول في الإسلام  
سبب للنجاة في الدنيا والآخرة .

وفي موضع آخر قال الإمام(ع) يحض أصحابه على القتال :  
(( قَدْ خُطِيبُومَ وَ الطَّرِيقَ ، فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَ الْهَلَاكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ )) (١٠) ، فأطلق لفظ النجاة  
على الداخل في الجهاد والمقدم عليه لأنه ينجيه من العار في الدنيا ومن النار في  
الآخرة وأطلق لفظ الهلاك على المتوقف عن القتال المتثبط فيه لأنها نتيجة عنه (١١) .

( ١ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة: ٢١٦/١٩ . ظ. ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٢٩٨/٥

( ٢ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٧٧/١١

( ٣ ) البرهان : ٢٥٦/٢

( ٤ ) هود : ٢٠

( ٥ ) ظ . ابن ميثم ، شرح نهج البلاغة : ٧٥/٤

( ٦ ) غافر : ٤١

( ٧ ) السورة نفسها والآية .

( ٨ ) الزركشي ، البرهان : ٢٥٩/٢ . ظ. الطبرسي ، مجمع البيان : ٤٤٤/٨

( ٩ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٧١/٧

وقد يريد أن النجاة من سيف الأعداء للمطرق المقدم لأنه مع إقدامه وتجلده يرتاع له خصمه ، والهلاك بسيف الأعداء للمتنبط المتلوم .

وفي مثل آخر، قال (ع) في صفة خلق الخفاش :  
(فُسْبَحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَ مَعَاشًا ، وَ النَّهَارَ سَكْنًا وَ قَرَارًا )<sup>(٣)</sup>، وهذا من قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكْنًا ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾<sup>(٥)</sup> .

ويبدو أن هذا التبادل الدلالي بين السبب والمسبب يؤشر مدى تماسك السبب والنتيجة يقول الزمخشري (( وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما والتصاقهما ))<sup>(٦)</sup> .  
وقد ينوب أحدهما عن الآخر في الاستعمال ، فيكون مجازا .

### المحلية :

أي إطلاق لفظ المحل وإرادة الحال ، نحو قوله تعالى :  
﴿ يَا قَوْمِ إِنْ كَانِ كَبْرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾<sup>(٧)</sup> ، فمقامي يريد به مكاني ((كما تقول فعلت كذا وكذا لمكان فلان ))<sup>(٨)</sup> .

ومثله قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ﴾<sup>(٩)</sup> . بمعنى خاف ربه .

وأخذ الإمام(ع) بهذا الاستعمال فقال يصف علاقة المؤمنين بالله:  
( ( وَ يُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ ) )<sup>(١٠)</sup> ، ومقام الله ((كناية عن عظمته وجلالته المستلزمة للهيبية والخوف))<sup>(١١)</sup> .

ونحو هذا قول الإمام(ع) في رضا الله عن المتقين: (( فَرَضِي سَعِيَهُمْ وَ حَمْدَ مَقَامِهِمْ ))<sup>(١٢)</sup> .

### الآلية :

- 
- ( ١ ) المصدر نفسه : ٣٥٤/٧
  - ( ٢ ) ظ. حبيب الخوئي، منهاج البراعة : ١٥٥/٨
  - ( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٨٣/٩
  - ( ٤ ) الأنعام : ٩٦
  - ( ٥ ) النبا : ١١
  - ( ٦ ) الزمخشري ، الكشاف : ٢٤٩/١
  - ( ٧ ) يونس : ٧١
  - ( ٨ ) الزمخشري ، الكشاف : ٨١/٢
  - ( ٩ ) ابراهيم : ١٤
  - ( ١٠ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٢/٢
  - ( ١١ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٧٥/٤
  - ( ١٢ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٢/٢

وذلك بأن يطلق اسم الآلة ويراد به الأثر الذي ينتج عنها، نحو قوله تعالى :  
﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> ، أي ذكرنا حسنا ، أطلق اللسان ((وعبر به عن  
الذكر لأن اللسان آلة الذكر))<sup>(٢)</sup> .

واستعمل الإمام(ع) هذا المجاز فقال محبذا في البذل والإنفاق:  
(( وَ لِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورَثُهُ غَيْرَهُ ))<sup>(٣)</sup>

ولسان الصدق هو الذكر الحسن بين الناس وهو من غايات البذل بينما غاية جمع  
المال توريثه للغير(( وتوقع الذكر الجميل من الناس أدعى الى البذل وذلك من  
الاستدراجات الحسنة ))<sup>(٤)</sup> .

ومعلوم أن الإمام(ع) لا يريد باللسان الجارحة كما لا تريد الآية ذلك بل المراد  
الكلام الذي آتته اللسان .

وتوسع الإمام(ع) في استعمالات اللسان المجازية فقال في وصف النبي9: ((  
كَلَامُهُ بَيِّنٌ وَ صَمْتُهُ لِسَانٌ ))<sup>(٥)</sup> .

ويعني به الكلام الصادر عن هذه الجارحة . وكلام الرسول(ص) بيان لأنه يخرج  
الشيء من حيز الخفاء الى حيز الوضوح فصمته 9 ينبيء عن كلمة كامنة كأنها  
لسان ناطق .

وقال (ع): (( لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ وَ قَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ ))<sup>(٦)</sup> .  
وفي موضع آخر قال: (( قَلْبُ الْأَحْمَقِ فِي فِيهِ ، وَ لِسَانُ الْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ ))<sup>(٧)</sup> ،  
وقد علق عليها جامع النهج الشريف الرضي(ت ٤٠٦ هـ) بقوله:

(( وهذا من المعاني العجيبة الشريفة والمراد أن العاقل لا يطلق لسانه الا بعد  
مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة والأحمق تسبق حذفات لسانه كلامه مراجعة فكره  
ومماخضة رايه فكان لسان العاقل تابع لقلبه وكان قلب الأحمق تابع للسانه ))<sup>(٨)</sup> .  
ومن هذا المجاز قوله تعالى في سفينة نوح : {تَجْرِي بِرَأْسِ عَيْنِنَا}<sup>(٩)</sup> ، أي ((بحفظنا  
وحراستنا وبمرأى منا))<sup>(١٠)</sup> ، لأن العين آلة الرؤية وبالنسبة الى الله كلها مجاز  
توحي بشدة العناية .

وفي هذا الاستعمال جاء قول الإمام (ع) موصيا:

- 
- ( ١ ) الشعراء : ٨٤  
( ٢ ) الزركشي ، البرهان : ٢٨٣/٢  
( ٣ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٢٦/١  
( ٤ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١٥/٢  
( ٥ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢١٥/١  
( ٦ ) المصدر نفسه : ٣١٦/٢  
( ٧ ) المصدر نفسه والصحيفة .  
( ٨ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٥٩/١٨  
( ٩ ) القمر : ١٤  
( ١٠ ) الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٠٧/٩ . ظ. الزركشي ، البرهان : ٢٨٣/٢

﴿قُلُوا لِلَّهِ الَّذِي أَنْتُمْ بِرِعَائِهِ﴾ (١)، فلفظ العين مجاز في العلم بعد الرؤية ويجوز أن تأتي مجازاً من باب إطلاق السبب على المسبب (٢).

### الجزئية :

أي أن يطلق لفظ الجزء ويراد به الكل ، كقوله تعالى : ﴿كَلَّا لَنْ لَمُ يُنْتَهَ لَسُنْفَعُنُ  
بِالنَّاصِيَةِ﴾ (٣) ، ونحو قوله تعالى : ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهَا﴾ (٤) .

أي هي في قبضته وتناولها قدرته ، والمعنى أن (( مامن حيوان يدب على وجه  
الارض الا وهو مالك له يصرفها كيف يشاء وجعل الأخذ بالناصية كناية عن القهر  
والقدرة لأن من أخذ ناصية غيره فقد قهره وأذله )) (٥).

وقد أخذ الإمام (ع) بهذا المعنى فقال من دعاء له: (( بِرَيْدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ )) (٦) .  
أي في ملكك وتحت تصريف قدرتك (( وإنما خصت الناصية لحكم الوهم بأنه  
تعالى في جهة فوق فيكون أخذه بالناصية ولأنها أشرف ما في الدابة فسلطانه تعالى  
على الأشرف يستلزم القهر والغلبة وتمام القدرة )) (٧) .  
واليد مجاز من القدرة بعلاقة السببية وهي منقولة من قوله تعالى:

﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ (٨) .

ومن وصية له (ع) بما يعمل في أمواله، كتبها بعد منصرفه من صقين: (( هَذَا  
مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فِي مَالِهِ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ... )) (٩)

، فقوله: (وجه الله) تجوز والمراد به ذاته .  
وهو من قوله تعالى : ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ﴾ (١٠) ، وقوله تعالى:

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (١١) ، أي ذاته.

ولما كان الوجه هو أشرف أجزاء البدن للدلالة عليه ، فقد أطلق مجازاً على  
الذات القدسية جرياً على عادة العرب في الاستعمال .

( ١ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٣٨/١

( ٢ ) ظ. ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٤٥٢/٢

( ٣ ) العلق : ١٥

( ٤ ) هود : ٥٦

( ٥ ) الطبرسي ، مجمع البيان : ٢٥٠/٥ . وينظر : النحاس ، معاني القرآن : ٣٩٥/٣

( ٦ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٤٧/١

( ٧ ) ابن ميثم البحراني ، شرح البحراني : ٥٦/٢

( ٨ ) الملك : ١

( ٩ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٦٥/٢

( ١٠ ) البقرة : ٢٧٢

( ١١ ) الرحمن : ٢٧ ، وينظر في تفسيرها : الزركشي ، البرهان : ٢٥٩/٢

## الملزومية :

وهي إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللزوم ، نحو قوله تعالى:

﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (١) .

فأطلق اسم الفطرة على الدين مجازاً لأن الفطرة لو خليت وذاتها ، فإنها تأخذ بالدين وتلازمه ، لأن ذلك من طبيعة الأشياء التلقائية .

وقد أخذ الإمام (ع) هذا فقال:

((رَأَى أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ لِوَلِيِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَهِي مَا يُمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ... وَكَلِمَةُ الْإِحْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ )) (٢) .

فجاء إطلاق لفظ الفطرة على كلمة التوحيد مجازاً لاسم الملزوم على لازمه (٣) ، وهو أمر شائع الاستعمال في لغة العرب .  
الحالية :

وهي إطلاق لفظ الحال وإرادة المحل، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ (٤) .

فالنعيم ليس مكاناً يحل فيه لأنه معنى ذهني وإنما أريد به المكان الذي يحل فيه النعيم وهو الجنة (٥) .

وعلى هذا المجاز جاء قول الإمام علي (ع) في رسالة الى عامله يحذره :  
﴿ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ ، وَ أَتَتْ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ ، وَ تَطْمَعُ وَ أَتَتْ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْتَعُهُ الضَّعِيفَ وَ الْأَرْمَلَةَ ، أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ ؟ ﴾ (٦) .

والتمرغ هو التمعك والتقلب في النعيم (٧) ، واستفهام الإمام (ع) على سبيل الإنكار لهذا العمل (٨) .

وقوله : ( في النعيم ) منقول من الأثر القرآني كما هو بين والمرء لا يتمرغ في النعيم وإنما في مكان فيه النعيم فأطلق الحال وأريد المحل .

( ١ ) الروم : ٣٠

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٥٥/١

( ٣ ) ظ. ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٧٤/٢

( ٤ ) المطففين : ٢٢

( ٥ ) ظ. الطبري ، جامع البيان : ١٣٠/٣٠

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٥٧/٢

( ٧ ) ظ. ابن منظور ، لسان العرب : مرغ . الزمخشري ، أساس البلاغة : مرغ

( ٨ ) ظ. ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٤٥١/٤

وخلص الأمر إن المجاز الإفرادي المرسل من أكثر أنواع المجازات القرآنية ورودا في تعبيراته ، وقد وقعت صياغات الإمام (ع) بنفس أساليب التعبير القرآني مقتبسا المضمون ومقتفيا الصياغة ، ولا يعني ذكر أنواع المجاز المرسل أن الإمام(ع) قصد لها لذاتها ، فهي لم تكن موجودة أصلا زمن الإمام (ع) ، وإنما استوجب ذكرها تفصيلا في دراستها وتبيننا لأثر المجاز القرآني في كلامه (ع) .

## ٢-المجاز في التركيب :

وهو الذي يستفاد تجوزه من طريق التركيب أو الاسناد . ويعد الشيخ عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) المجلي والمبتكر لهذا النوع من المجاز، وهو عنده ((كنز من كنوز البلاغة ، ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان ، والإتساع في طرق البيان ))<sup>(١)</sup> ، ويسميه المجاز الحكمي لأنه توصف به الجمل في التأليف والاسناد ، وقد يسميه المجاز العقلي لأنه يتوصل الى فهمه بطريق العقل وقد يطلق عليه المجاز الاسنادي او الاسناد المجازي ، لأنه إنما يفهم في التركيب لا في الكلمة<sup>(٢)</sup> .

جاء هذا التفصيل من عبد القاهر الجرجاني في هذا الضرب من المجاز الفرعي في وقت لم يستقر مصطلح المجاز الرئيسي ذاته على رؤية محددة عند البلاغيين أنفسهم<sup>(٣)</sup> .

وعرفه الزركشي(ت٧٩٤هـ) بقوله : (( وهو أن تستند الكلمة الى غير ما هي له أصالة بضرب من التأويل ))<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) الجرجاني ، دلائل الإعجاز : ٢٩٥ . وينظر: أسرار البلاغة : ٣٣٨ ، ٢٢٧

( ٢ ) ظ . محمد حسين الصغير ، أصول البيان العربي : ٤٤

( ٣ ) ظ. البلاغة العربية ، أحمد مطلوب : ١٩٨-١٩٩

( ٤ ) الزركشي ، البرهان : ٢٣١/٢

وفي المجاز العقلي تفخيم للمعنى وتأثير أكبر مما هي عليه في الحقيقة<sup>(١)</sup> . فالانتقال الدلالي حاصل بالفعل ولكنه هذه المرة يتأتى من طريق أشمل يكتنف المعنى الكلي للجملة بحيث يتجاوز به وكأن الجملة بذلك تعامل كمفرد ، (( فالألفاظ لم تنقل عن أصلها اللغوي فدلالته على ذاتها بذاتها والكلمات لم تجتز وضعها في الاصل الى مقارب له او مشابه ، وإنما يستشعر بهذا المجاز عن طريق التركيب في العبارة والاسناد في الجملة فهو مستنبط من هيئة الجملة العامة ومستخرج من تركيب الكلام التفصيلي دون النظر في لفظ معين او صيغة مفردة ))<sup>(٢)</sup> .

ويبدو أن الذي أتاح لعبد القاهر الجرجاني امكانية ابتكار المجاز الحكمي العقلي هو كثرة ما اشتملت عليه الآيات القرآنية فضلا عن الاعتقاد الاعتزالي الذي يراه الجرجاني والذي يعلي من شان العقل كثيرا .

ولا مبالغة في القول إن كثيرا من هذه التعبيرات القرآنية القائمة على أسلوب المجاز العقلي قد انسربت الى كلام الإمام علي (ع) وهو الناظر المتدبر لآيات القران الكريم فكان أن استعملها كثيرا في خطبه ورسائله وحكمه لاندماجه في التعبير القرآني جملة وتفصيلا .

ومثلما كان للمجاز الافرادي المرسل علاقات تسير بمقتضاها الانتقالات الدلالية بين المعنى الاول والمعنى الثاني للفظة المتجاوز بها فإن للمجاز العقلي مسارات معينة قائمة على أساس العقل والمنطق توجه الانتقال الدلالي في الجملة وتصرف الذهن الى المعنى الجديد بالقرينة التي يكتنفها التركيب لفظا او حالا<sup>(٣)</sup> .

ويمكن تلمس أثر التعبير القرآني في نهج البلاغة من خلال بعض وجوه المجاز العقلي التي حددها البلاغيون بالأمثلة التي تبين الأثر الفعلي للمجاز القرآني في نهج البلاغة وليس الغرض تعداد وجوه المجاز العقلي وحصرها :  
الزمانية :

أي بناء الكلام للفاعل واسناده الى الزمان ، كقول الإمام علي (ع) من خطبة في التوحيد : (( وَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُحُوصٌ لَحَظَةٌ ... فِي لَيْلٍ دَاجٍ ، وَ لَا غَسَقٌ سَاجٍ ))<sup>(٤)</sup> .

وفي تعبير آخر قال الإمام (ع) : (( فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادٌ غَسَقٌ دَاجٍ ، وَ لَا لَيْلٌ سَاجٍ ))<sup>(٥)</sup> .

ولاريب إن ذلك أخذه من قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ﴾<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) ظ.عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز : ٢٩٤-٢٩٥ ، ٣٠٠-٣٠٣ . الزمخشري ، الكشاف : ١٥١/٤-١٥٢

( ٢ ) محمد حسين الصغير ، أصول البيان العربي : ٤٤

( ٣ ) الجرجاني ، أسرار البلاغة : ٣٦٠

( ٤ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٨٥/١

( ٥ ) المصدر نفسه : ٤٢٩/١

( ٦ ) الضحى : ٢

فمعنى (سجى) السكون ، والليل لايسكن (( لأنه غير قابل للحركات المباشرة التي قد توصف بالهدوء حيناً وبالفاعلية حيناً آخر وانما المراد به سكون الناس فيه عن الحركات ))<sup>(١)</sup> .

والتعبير يوحي بشدة الهدوء والسكينة بحيث تطلق على الليل نفسه لأنه زمنه .

وفي موضع آخر قال الإمام (ع) :

(( وَ أَيُّ اللَّهِ لَوْ فَرَّقُواكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ ، لَجَمَعَكُمْ اللَّهُ لِيَوْمٍ لَّهُمْ ))<sup>(٢)</sup> .

كنى بذلك (عن ظهور المسودة وانتقامها من اهل الشام وبني امية وكانت المسودة المنتقمة منهم عراقية وخراسانية )<sup>(٣)</sup> ، وإسناد الشر لليوم مجاز علاقته الزمانية .

وفي قول الامام(ع) تحذير لهم وانذار بما سيكون من بني امية من جمع الناس في بلادهم ، ونسب التفريق اليهم والجمع الى الله تقريراً لما سينزل به قدره من ابتلاء الخلق بهم(( فانهم لو فرقوهم في اطراف البلاد لم يغنهم ذلك التفريق عن لحوق قدر الله لهم ))<sup>(٤)</sup> .

المكانية :

أي بناء الكلام للفاعل وإسناده الى المكان ، نحو قول الإمام(ع):

(( أَمَا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ ، فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ ))<sup>(٥)</sup> .

والدار لا ينطبق عليها صفة الشر لأن الشر من صفات الأحياء وانما المراد من يسكن الدار وفي ذلك شدة مبالغة في تصور شر النزول في تلك الدار وهي جهنم والعياذ بالله .

وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا﴾<sup>(٦)</sup> فإثبات الشر للمكان مجاز

عقلي لأن الشر معنى لا مكان له سوى في العقول ، ومثل ذلك قوله (ع) :

((إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ص نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ ، وَ أَمِينًا عَلَى النَّزِيلِ وَ أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَ فِي شَرِّ دَارٍ ))<sup>(٧)</sup> .

واراد بشر الدار نجد والحجاز واليامة وشرها في فساد احوال الناس فيها فهم ((في بلاد لا نبات فيها ولا فاكهة ولا طعام ولا لباس ))<sup>(٨)</sup> .

وفي موضع اخر قال الإمام(ع) متحدثاً عن الفتنة :

(( فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِرَأْسِ حُفَافِهَا وَ وَطِئَتْهُمْ بِرَأْسِ ظِلَافِهَا ... فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَقْتُونُونَ ، فِي حَيْرٍ دَارٍ وَ شَرِّ جِيرَانٍ ))<sup>(٩)</sup> .

( ١ ) محمد حسين الصغير ، أصول البيان العربي : ٤٩

( ٢ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢٣٩/١

( ٣ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٧٨/٧

( ٤ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٢٦/٢

( ٥ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢٥٢/١

( ٦ ) المائدة : ٦٠

( ٧ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٧٣/١

( ٨ ) حبيب الخوئي ، منهاج البراعة : ١١٥/١

( ٩ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٦/١

وخير الدار يعني بها مكة وشر الجيران يقصد قريشا . و اشار بتيهم الى ضلالهم عن القصد في ظلمات الفتن<sup>(١)</sup> .

وقال (ع) في وصف الانبياء: ((فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ ، وَ أَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ))<sup>(٢)</sup> ، وخير مستقر يعني به الجنة ، (( محل كرامته في مقعد صدق عند مليك مقتدر))<sup>(٣)</sup> .

ومن المجاز المكاني قول الإمام(ع) في صفة المتقين: ((إِذَا تُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ ، حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ))<sup>(٤)</sup> ، والحقيقة أن الذي يهمل هو الدمع لا العيون ، لأن الأخيرة مكان الدموع ، وهي من قوله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾<sup>(٥)</sup> فأسند الفيض للدمع وهو أبلغ من يفيض دمعها، لأن العين جعلت كأن كلها دمع فائض<sup>(٦)</sup> .

السببية :

فيما بني فيه الكلام للفاعل وأسند للسبب ،مثل قول الإمام(ع) يصف المتقين : ((جَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً ، تِجَارَةٌ مَرْبِحَةٌ يَسْرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ))<sup>(٧)</sup> ، والتجارة معنى ذهني وليس من شأنها الربح وإنما الذي يربح هو التاجر فقد أسند الربح للتجارة لأنها سبب فيه .

ولفظ التجارة استعير لاكتسابهم الراحة في مقابل الصبر وشرح بلفظ الربح وكونها مربحة باعتبار قصر المدة على المكاره وطول مدة الراحة<sup>(٨)</sup> .  
وقد جاء طرفا الجملة المسند والمسند اليه مجازيين .

ولا ريب في أن هذا من قوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾<sup>(٩)</sup> .

فالربح هنا معنى مجازي لا يراد به الزيادة على راس المال في بيع البضاعة والتجارة هنا مجازية فلا يراد بها المعاملات السوقية وإنما المراد بالربح تحقيق المعنى المجازي منه بالفائدة وعدم خسران الاعمار والمراد بالتجارة المعنى المجازي منها بالاثابة وصالح الاعمال<sup>(١٠)</sup> .

( ١ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٢٤٤/١

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢١٢/١

( ٣ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٢٩٦/٢

( ٤ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢١٨/١

( ٥ ) التوبة : ٩٣

( ٦ ) ظ. الزمخشري ، الكشاف : ٢٣٦/٢

( ٧ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٣/١

( ٨ ) ظ . حبيب الخوئي، منهاج البراعة : ١٢ / ١٢٢

( ٩ ) البقرة : ١٦

( ١٠ ) ظ. محمد حسين الصغير، مجاز القرآن: ١٢٤

ويبدو من الأمثلة السابقة أن للتعبير القرآني المجازي أثره المباشر في كلام الإمام علي (ع) ، وأقول مباشر لأنه اقتبس المضمون من صياغات الصورة القرآنية ، لذا انحصر ذكر الشواهد على الدليل العملي في انسراب الأثر المجازي القرآني الى كلام أمير المؤمنين (ع) دون إحصاء وجوه وعلاقات المجاز العقلي.

ولا يعني ذلك خلو كلام الإمام(ع) من باقي الوجوه المجازية ، بل المراد توخي القناعة في التلمس الفعلي لظاهرة المجاز القرآني في نهج البلاغة ، وكيف يستقيم ذلك ونحن قررنا من أول البحث أن الإمام(ع) تفقى الأسلوب القرآني في قدرته على استغلال كل ما تهبه اللغة من طاقات بشرط معرفة التأتي إليها؟! .  
فقد جاء قوله(ع) من المجاز العقلي يصف المؤمن : (( بَعِيدٌ هُمُّهُ ))<sup>(١)</sup> ،  
وقوله(ع) فيه : ((بَعِيدًا فُحْشُهُ ))<sup>(٢)</sup> ، وقوله(ع) يذكر إبليس :  
(وَأَعْوَبْتُهُمْ أَجْمَعِينَ قَنَفًا بِرَعِيْبٍ بَعِيدٍ )<sup>(٣)</sup> .

وكل هذه المعاني (الهم ، الفحش ، الغيب) لا تنطبق عليها صفة البعد لأنها معان موهومة يعني بها الإمام(ع) المبالغة بحكم استفادة المباينة من لفظة البعد . وكل ذلك الاستعمال مستقى من الأسلوب القرآني في استعمال مفردة ( بعيد ) بخاصة في إيقاعها وصفا ( للضلالة ) ، نحو قوله تعالى:

﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾<sup>(٧)</sup> .

ففي كل ذلك إسناد ما في معنى الفعل الى ما يتصل به بواسطة فالبعد في حقيقة الأمر للضال وليس للضلال<sup>(٨)</sup> ، لأن البعد اصلا للضال فهو الذي يتباعد عن الطريق وعن الحق فوصف به فعله<sup>(٩)</sup> .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٨٣/٢

( ٢ ) المصدر نفسه : ٤٤٦/١

( ٣ ) المصدر نفسه : ٩١/٢ . وينظر : حبيب الخوئي ، منهاج البراعة : ٢٨٦/١١

( ٤ ) النساء : ٦٠

( ٥ ) النساء : ١١٦

( ٦ ) إبراهيم : ٣

( ٧ ) الحج : ١٢

( ٨ ) ظ.الزمخشري ، الكشاف : ٢٥٢/١

( ٩ ) البروسي ، روح البيان : ٣٠٣/٨

وهذا هو المجاز العقلي بعينه .

### ثانيا : البعد التشبيهي

التعريف بالتشبيه :

اتفق البلاغيون على حد التشبيه في انه التقاء طرفين في صفة يشتركان بها على أساس من المقارنة<sup>(١)</sup> .  
ويختصر حده القزويني(ت٧٣٩هـ) فيقول: (( مشاركة أمر لآخر في معنى ))<sup>(٢)</sup> .

أما طبيعة هذه المشاركة فقد احترز منها من قبل ابن رشيق(ت٤٥٦هـ) في قوله يعرف التشبيه: (( وصف الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة لامن جميع جهاته ))<sup>(٣)</sup> ، وكان ابن رشيق يحرص على عدم المطابقة بين الشيين في عقد الصورة التشبيهية لأن الفن في الاحساس بالاشياء يتم بالتشكيل والتركيب والتفاعل

---

( ١ ) ظ. الجاحظ، الحيوان : ٣٧٣/٤ . الرمانى ، النكت في اعجاز القران : ٧٤ . ابو هلال العسكري ، الصناعتين : ٢٤٥ . السكاكي، مفتاح العلوم : ٣٣٢ .  
( ٢ ) الخطيب القزويني ، الايضاح : ٢١  
( ٣ ) ابن رشيق ، العمدة : ٢٩٤/٢

لا بالمطابقة وهو (( لا يتحقق على مدى تحقق الصفات المشتركة بينها على نحو الحقيقة والواقع ))<sup>(١)</sup>.

وقال قدامة (ت ٣٣٧هـ): (( ويغلب أن يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد كل منهما بصفتها ))<sup>(٢)</sup>، فلا يراد من التشبيه نقل الواقع بأمانة لأنه سيبدو حينئذ (( مجرد رسم الأشكال والألوان محسوسة كما نراها ))<sup>(٣)</sup>، بل إن روعة التشبيه تكمن في انزياحاته عن لغة الحقيقة إلى لغة المجاز ولو بنسبة أدنى من اللغة الاستعارية التي تذوب فيها الصورة التشبيهية كما سيمر .

والتشبيه ركن أساسي من أركان البيان العربي (( فقد فتن العرب بالتشبيه منذ القدم وغالى نقادهم في الإعجاب بمكانته ))<sup>(٤)</sup> .  
إذن ما الجديد الذي جاء به التشبيه القرآني ؟

لاشك إن أكثر ما يلفت الانتباه في التشبيهات هي القدرة على إيجاد اتصالات بين طرفين يبدو أن جد متباعدين أما لأنهما متنافران بالفعل ، والإبداع يكون في إيجاد نقاط التقاء بين المتنافرات ، أو لأننا اعتدنا صور الأشياء وألفناها بهذا الثبات فيأتي من يحرك هذا الثابت في أنظارنا فيؤلف بين المتباعدات من خلال ما يزيد وينقص منها (( فحسن التشبيه أن يقرب البعيدين حتى تصير بينهما مناسبة واشتراك ))<sup>(٥)</sup>، حتى لو كان بينهما ما يبدو للرأي أنه تنافر .

قال عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ): (( إن لتصوير الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله والنقاط ذلك له من غير محلته واجتلابه إليه من النيق البعيد بابا آخر من الظرف واللفظ ومذهبا من مذاهب الاحسان لا يخفى موضعه من العقل ))<sup>(٦)</sup> .  
وبهذا النحو ستبدو الصورة التشبيهية في غاية الإثارة والاستغراب والتعجب المؤثر في النفس (( تغير الأحوال وتجدها لذيذ لما يستحدث معه من الاحساس بها ))<sup>(٧)</sup> ، لذلك فالمشبه الذي يأتي بربط غير متوقع بين طرفي التشبيه تكون تشبيهه (( دائما شيئا جديدا يحمل الإثارة ))<sup>(٨)</sup> .  
وتلك هي مهمة الإبداع معرفة غير المعروف لا المزيد من معرفة المعروف .

( ١ ) مجيد ناجي ، الاسس النفسية لأساليب البلاغة العربية : ١٩٦

( ٢ ) قدامة بن جعفر ، نقد الشعر : ٦٥

( ٣ ) العقاد ، الديوان في النقد والأدب : ١٦/١

( ٤ ) مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية : ٤٠

( ٥ ) ابن رشيق ، العمدة : ٢٥٩/١

( ٦ ) الجرجاني ، اسرار البلاغة : ١١٦ . وينظر: الرازي ، نهاية الإيجاز : ٧٦ . القرطاجني ، منهاج البلغاء : ٤٦

( ٧ ) ابن سينا ، الشفاء ، الخطابة : ١٠٣

( ٨ ) عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب : ٦٦

وعندها سيكون التشبيه نقلا حقيقيا للشعور وليس مجرد حلية شكلية طارئة وستغدو الصورة التشبيهية ممتزجة في سياق النص ولا يمكن الاستغناء عنها لانها ستتمس جوهر الفكرة ذاتها<sup>(١)</sup> ، وعندها يمكن ان نعيد ما قرره ابن الاثير (ت ٦٣٧ هـ) في أن التشبيه (( يجمع صفات ثلاثة هي المبالغة والبيان والايجاز ))<sup>(٢)</sup> ، فهو قادر على أن (( ينقل اللفظ من صورة الى صورة اخرى على النحو الذي يريده المصور فان اراد صورة متناهية في الجمال والأناقة شبه الشيء بما هو ارجح منه حسنا وان اراد صورة متداعية في القبح والتفاهة شبه الشيء بما هو أردأ منه صفة ))<sup>(٣)</sup> .

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول بدءا ان اسلوب التشبيه القراني جاء في غاية الفرادة في طريقة حسده لعناصر تتسابق غرابة ائتلافها مع جدة عرضها .

وسنحاول دراسة هذا الاسلوب في التشبيهات التي جاءت على لسان الامام علي(ع) في نهج البلاغة من خلال مظاهر تأثير التشبيه القراني فيها ، وقد أوجزها البحث بثلاثة مظاهر أساسية ، يعرض لها تباعا على النحو الآتي :

### ظواهر من التأثير القراني في نهج البلاغة

#### ١- صيغ المثل القراني وتأثير نهج البلاغة بصورها :

تشيع في تشبيهات الإمام ظاهرة التشبيه التمثيلي بصيغ معينة تتخذ شكلا محددنا نحو : ( مثلكم ..... كمثل ) و ( مثل .... كمثل ) و ( على مثل ، في مثل ) . وما بين طرف المشبه (مثل) وطرف المشبه به ( كمثل) تحتشد كثير من عناصر الصورة التي تحيل المستمع الى مشاهد ليحقق بذلك غرضا اساسيا من الاستعمال التشبيهي وهو تجسيد المعنى الموهوم وإخراج الخفي الى جلي وإدناء البعيد الى القريب<sup>(٤)</sup> . ويبدو أن كثيرا من صيغ المثل القراني قد ضمت الى جانب التشبيه كل أصول البيان العربي ((ولم يكن ورودها اعتباطيا بل كان مقصودا اليه بذاته لما يثيره ورود ذلك من انفعالات داخلية في النفس الانسانية فالمثل يهدف الى الغوص في أعماق النفس والدخول في شغاف القلب ليحقق غايته في الهداية والاصلاح ))<sup>(٥)</sup> . ويبدو أن أغلب استعمالات التشبيه التمثيلي في نهج البلاغة بهذه الصيغ جاء في معاني التحذير من الركون الى الدنيا ونسيان الهدف الأسمى من خلق الإنسان وهو الخلود في الظفر برضا الله . يقول الإمام(ع):

( ١ ) ظ. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث: ٤٤٥

( ٢ ) ابن الأثير ، المثل السائر : ٣٩٤/١

( ٣ ) محمد حسين الصغير ، الصورة الفنية في المثل القراني: ١٦٧

( ٤ ) ظ . الزركشي ، البرهان : ٤١٥/٣

( ٥ ) محمد حسين الصغير ، الصورة الفنية في المثل القراني : ١٤٩

((عِبَادَ اللَّهِ أُوْصِيكُمْ بِالرَّقِصِ ، لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ ، وَ إِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا ... فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَلِهَذَا كَسَفَرٌ ، سَلَكَوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ ، وَ أُمُوا عِلْمًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ ))<sup>(١)</sup> .

فقد شبه الإمام (ع) حال أهل الدنيا بحال الذين يقطعون سفرا قاصدا سرعان ما يبلغونه . ووظف عناصر الانتهاء وسرعة الانقضاء فثمة سبيل مسلوكة ايجاد بقصد الهدف وثمة قوم مسافرون ايجاد بسرعة الانتقال وأقام المضاف اليه (سفر) مقام المضاف المحذوف للمبالغة (قوم) .

وأنزل أهل الدنيا في حال كونهم غير قاطعين للسفر منزلة حال البالغين القاطعين له (( لأنه لما قرب زمان إحدى الحالتين من زمان الأخرى شبهوا وهم في الحال الأولى ))<sup>(٢)</sup> ، فكان هذا التشبيه تمثيلا ، إذ انتزع من صور متعددة ، فهم سفر سلكوا سبيلا ، من وجه ، وهم قد قطعوا السبيل وقصدوا علما قد بلغوه من وجه آخر .

وأكثر صور المشبه به في تشبيهات أهل الدنيا في كلام الإمام (ع) هي صورة (السفر) وهذه الصورة نفسها مستوحاة من المشهد القرآني المنطوي على التشبيه في قوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾<sup>(٣)</sup> ، فالمزادة والزيادة متاع المسافرين القاصدين جهة معلومة وهو ما تريد رسمه الآية الكريمة وهو تحصيل الأعمال الصالحة للمؤمن (( التي تكون له كالزاد الى سفر الآخرة ))<sup>(٤)</sup> .

لذا فالإمام (ع) كثيرا ما يعبر عن ذلك المعنى بقوله : ((وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَقَدْ أُودِئْتُمْ مِنْهَا بِالْإِرْتِحَالِ وَ أُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ ))<sup>(٥)</sup> .

وهذا كالأول ، فهم أبناء سبيل قد غادروا دارا أمروا فيها بالتزود ، فهي ليست دارهم ، وهم مرتحلون عنها . وهو مقارب لقوله (ع) : ((قَدْ دُلِّمْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَ أُمِرْتُمْ بِالظَّنِّ ، وَ حُبِّمْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكِبٍ وَفُوفٍ لَا تَدْرُونَ مَتَى تُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ ))<sup>(٦)</sup> .

ويبلغ التمثيل بهذا المعنى ذروته الفنية حينما ندرس قوله (ع) محذرا : (( إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا ، نَبَا بِهِمْ مَنَزَلٌ جَدِيبٌ ، فَأَمُّوا مَنَزَلًا حَصِيْبًا وَ جَنَابًا مَرِيْعًا ، فَاحْتَمَلُوا وَ عَتَاءَ الطَّرِيقِ وَ فِرَاقَ الصَّدِيقِ ، وَ حُسْبُونَ السَّفَرِ وَ جُسُوبَةَ المَطْعَمِ ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَ مَنَزَلَ قَرَارِهِمْ ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِنَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ أَلَمًا ، وَ لَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَعْرَمًا ، وَ لَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنَزَلِهِمْ ، وَ

( ١ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢٢١/١  
( ٢ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٨٢/٧  
( ٣ ) البقرة : ١٩٧  
( ٤ ) أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط : ٩٩/٢  
( ٥ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٣٨/١  
( ٦ ) المصدر نفسه : ٣٦٧/١

أَتَنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتْهُمْ ، وَ مَثَلٌ مَنْ أَعْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ ، قَبَّأَ بِهِمْ  
إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ )) (١).

فحال من عرف الدنيا وخبر صروفها فعمل للأخرة كحال من يسافر من منزل  
جذب الى منزل خصيب لا يهمله ما يلقي من مشقة الطريق فعبر بالمنزل الجديد  
عن الدنيا وبالمنزل الخصيب عن الآخرة مجازا باعتبار الملازمة لأن من شأن  
الدنيا الجذب والانقضاء ومن شأن الآخرة الخصب والنماء .

وجاء تعبيره (ع) ( منزل قرار هم ) ايحاء بدوام البقاء بعد الانتقال وهو مأخوذ  
من قوله تعالى في وصف الآخرة بـ ( دار القرار ، دار المقام ) نحو قوله تعالى:  
﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ  
الْقَرَارِ ﴾ (٣).

بينما جاءت أوصاف الدنيا بما يوحي بما يتداعى في ذهن الإمام (ع) من معاني  
الجذب والانتقال كقوله تعالى في صفة نزل العاصيين :  
﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَنُسُ الْقَرَارِ ﴾ (٤).

وقال الإمام (ع) في صفة أخرى للدنيا :  
(( فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ ، لَدَيْنَ مَسْهَاتِلِ سَمُهَا )) (٥).  
باعتبار الإغرار منها والاخترار فيها ، واستعمال المس للجسم مجاز يراد به أن  
الإنسان اذا مسها أحس بلين ونعومة، والدنيا ظاهرها لين لذيد وباطنها خشن موجب  
لهلاك الانسان اذا تناول من ملذاتها المحرمة (٦).

وأخذ الإمام بالصياغة القرآنية نفسها في ايراد المثل ، ولم تفارق الصنعة التي  
جاءت عفو خاطر كلامه (ع) في التجنيس بين ( مسها ) و ( سمها ) .  
وكل تلك الصياغات مما تشكلت منه كثير من أمثال القرآن في صفة قصر الدنيا  
وانتهائها نحو قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ  
الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ  
بِالْأُمْسِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ (٧).

( ١ ) المصدر نفسه : ١٨٧/٢

( ٢ ) فاطر : ٣٥

( ٣ ) غافر : ٣٩

( ٤ ) ابراهيم : ٢٨ - ٢٩ . وينظر في تفسيرها: ابو حيان الأندلسي، البحر المحيط : ٤٢٢/٥

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٩٥/٢

( ٦ ) ط. حسين الشيرازي، توضيح نهج البلاغة : ٢٣٦/٤

( ٧ ) يونس : ٢٤

والتزخرف (( عبارة عن كمال حسن الشيء ، فجعلت الأرض آخذة زخرفها على التشبيه بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون وتزينت بجميع الألوان))<sup>(١)</sup>.

وكذلك من صرف همه الى الدنيا، تعظم حسرته اذا فاتته لذائذها ، فقد شبهت(( حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض بعد جفافه وذهابه حطاما بعد أن التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه ))<sup>(٢)</sup>.

وفي مثل آخر ، قال تعالى :

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَبَائِهِمْ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُمْ صَفْرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وتريد الآية الكريمة تحقير الدنيا وتعظيم الآخرة ، والمقصود بالحياة الدنيا تلك التي صرفها أهلها الى طاعة الشيطان ومتابعة الهوى لذلك حشدت كل العناصر التي تشير الى التحقير فهي (( أولها لعب وهو فعل الصبيان الذين يتعبون أنفسهم جدا ثم إن تلك المتاعب تنقضي من غير فائدة وثانيها لهو وهو فعل الشبان والغالب ان بعد انقضائه لا يبقى الا الحسرة .... وثالثها انها زينة وهذا دأب النساء لأن المطلوب من الزينة تحسين القبيح وابعها تفاخر بينكم بالصفات الفانية ..... وخامسها تكاثر في الأموال والأولاد))<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام(ع) يصف نفسه بين قومه :

(( إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ ، يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلاَ جَهَا ))<sup>(٥)</sup>. وتقدير الكلام: (( ان الطالبين للهداية منه (ع) والمتبعين له يستضيئون بنور علومه وهدايته ال الطريق الأرشد كما يهتدي السالكون في الظلمة بالسراج ))<sup>(٦)</sup>.

وهو تمثيل يصور انغمار قوم الإمام(ع) في الظلمة لولا وجود الإمام فيهم، فهو كالسراج الماحي لظلمة الكون والحياة فضلا عن البشر .

وقد يعمد الإمام(ع) في بعض تشبيهاته التمثيلية الى اجتزاء المثل القرآني واختزاله بعد توظيف صورته في موقف فني آخر .

قال الإمام(ع) في رأي من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل :

( ١ ) الرازي ، التفسير الكبير ، ٧٢/١٧ ،

( ٢ ) النسفي ، تفسير النسفي : ١٢٨/٢ ،

( ٣ ) الحديد : ٢٠ ،

( ٤ ) الرازي ، التفسير الكبير : ٢٣٢/٢٩ ،

( ٥ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٧٥/٢ ،

( ٦ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١٨٨/٤ ،

(( فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَبْدِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ ))<sup>(١)</sup>،  
 ووجه هذا التمثيل ((ان الشبهات التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف اذا قصد حل  
 قضية مبهمه تكثر فيلبس على ذهنه وجه الحق منها فلا يهتدي له لضعف ذهنه))<sup>(٢)</sup>.  
 فكأن تلك الشبهات في الوها نسج العنكبوت وكأن ذهنه الذباب الواقع فيه ومثلما  
 لا يستطيع الذباب استنقاذ نفسه من شباك العنكبوت كذلك ذهن هذا الرجل اذا وقع  
 في الشبهات لا يهتدي الى وجه الحق ليخلص نفسه مما التبس عليه<sup>(٣)</sup>.  
 وهذا المثل مأخوذ من قوله تعالى في عبادة الأصنام:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فموئل من يلتجىء الى عبادة غير الله مثل موئل العنكبوت والتجائه الى  
 بيته ((لا يجير آويا ولا يريح ثاويا))<sup>(٥)</sup>.

وفي الخطبة نفسها يذكر الإمام (ع) صفة هذا الرجل المتعالم فيقول :

(( يُتْرَى الرَّوَائِيَاتِ إِزْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ ))<sup>(٦)</sup>.  
 ووجه التشبيه التمثيلي هو عدم الانتفاع لأن الريح عندما تذري الهشيم وهو  
 النبات المتكسر المتفتت<sup>(٧)</sup>، تخرجه عن حد الانتفاع به كذلك (( المتصفح  
 للروايات لما لم يهتد الى وجه العمل بها ولم يقف على الفائدة منها فهو يقف على  
 رواية أخرى و يمشي عليها من غير فائدة ))<sup>(٨)</sup>.  
 وحينما ينظر البحث الى المثل القرآني بقوله تعالى:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ  
 وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾<sup>(٩)</sup>، وهو مثل ((يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها))<sup>(١٠)</sup>،

نجد أن الإمام (ع) قد صاغه مجتزئاً به في تمثيل قصر الحياة الدنيا .

ولا شك ان الموقف التمثيلي هنا في الآية يختلف عما وظفه الإمام (ع) فالمثل  
 في تقريب صورة المتكالبين في الحياة الدنيا وتفاخرهم بما لا يبقى ، فالآية تمثيل

( ١ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٥٥/١

( ٢ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٣١٦/١

( ٣ ) ظ . المصدر نفسه والصحيفة .

( ٤ ) العنكبوت : ٤١

( ٥ ) الرازي ، التفسير الكبير : ٦٧/٢٥ . ظ . محمد حسين الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني : ٢٧٥

( ٦ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٥٥/١

( ٧ ) ظ . ابن منظور ، لسان العرب : هشم . ظ . الرازي ، التفسير الكبير : ١٢٩/٢١

( ٨ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٣١٧/١

( ٩ ) الكهف : ٤٥

( ١٠ ) الرازي ، التفسير الكبير : ١٢٩/٢١

مختصر للحياة في الدنيا فبينما هو نبات يعجب الزارعين اذا به هباء يتطاير من هنا وهناك<sup>(١)</sup>.

وقد ينقل الصورة من القران فيجعلها مثلا يعظ به الناس في السبق الى العمل الصالح ، ويحذرهم من التهاون فيه فيقول :

((فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ))<sup>(٢)</sup>.  
أي اصبحتم في حال الحياة والصحة والأمن وسائر الأسباب التي يتمنى من كان قبلكم الرجعة اليها ويمكنكم معها العمل<sup>(٣)</sup>.

وهذا التشبيه الذي صيره الإمام(ع) مثلا مأخوذ من قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾<sup>(٤)</sup> ، وهو يدل

على قوة حضور النص القرآني في ذهن الإمام علي (ع) ، إذ لا يجد صعوبة في التعبير الفني عن أي معنى يشاء ، لأن ما عنده من خزين الصياغات القرآنية يمكنه من تشكيل المعاني الصعبة الجديدة كمعاني التوحيد والعالم الآخر في صور تقريبية لأذهان الناس . وتلك ميزة انفرد بها الإمام (ع) ، لأنه يحيا حياة القرآن في أدق معاني هذه الكلمة .

## ٢- اللوحات التشبيهية بين القرآن ونهج البلاغة :

بدا مما سبق ان للتشبيه التمثيلي في القران الكريم الحظ الاوفى من الاستعمال في تجسيد المعنى وتصويره بالصورة المرئية المحسنة وهو ما يكون الشبه فيه محصلا بضرب من التأول<sup>(٥)</sup>.

لذا فأبين خصيصة ينماز بها التشبيه القرآني عن غيره هي القدرة على رسم اللوحات بأسلوب التمثيل الفني على نمط جديد من العرض والمعالجة حتى قال عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) : ((وانه لياتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة ويشتق من الأصل الواحد أغصانا في كل غصن ثمر على حدة))<sup>(١)</sup>.

(١) ظ. الطبرسي، مجمع البيان: ٣٥١/٦. الزمخشري، الكشاف: ٤٨٦/٢ . الرازي، التفسير الكبير: ١٣٠/٢١

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١١٨/١٠

(٣) ظ. ابن ميثم الجرجاني، شرح نهج البلاغة : ٤٥٦/٣

(٤) المؤمنون : ٩٩-١٠٠

(٥) ظ. عبد القاهر الجرجاني ، اسرار البلاغة : ٩٠-٩١ ، الزركشي ، البرهان : ٤٢٣/٣

(١) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة : ١٠٦ ، ظ. القاضي الجرجاني، الوساطة : ٤٧٤

واللوحة تعني (( الصورة التي لاتقف عند الجزء ، وإنما تستقصى الأطراف وتلتفت الى دقائق التفاصيل ))<sup>(١)</sup>، أي تحصيل المعنى من مجموع ترابط الصور الجزئية دون الوقوف عند مفرداتها ، ولا يتأتى ذلك إلا في الغوص في أعماق دلالة التشبيه التي أرادها القرآن ، وذلك أن في القرآن الكريم لوحات رسمها التشبيه بإطار خاص تتراءى عناصرها في صور جزئية تتوزع اجزاء اللوحة وزواياها ، وفيها تلحظ إضاءة هنا وظلالا متلونة هناك بحسب ما تريد اللوحة تقريره من التركيز على معنى ما او الإغضاء عنه .

واللوحة في القرآن تنبعث من معنى محوري تتشكل على أساسه كل الفاظ المشاهد وترتبط بموجبه كل اجزائه .

ومن هنا قد تبدو لأول وهلة كثير من اللوحات في الاطار العام مكرورة وحين نحقق النظر نكتشف انها لم تتكرر وانما قصدت الى تركيز الضوء على جانب معين من مشاهد أجزائها ، وذلك ما يفسر تكرار قصة موسى وعيسى في سور كثيرة ، والحق انها لم تكرر وانما اقتضى السياق التعبيري إظهار جانب معين من اللوحة احتاجه المعنى العام للسورة<sup>(٢)</sup> .

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ كَمَلٍ الَّذِي اسْتُودِعَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ، صُمُّ بكم عمي فهم لا يرجعون ، أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابهم في أذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير ﴾<sup>(٣)</sup> .

ففي هذه الايات الكريمة تشبيهان تمثليان كل تشبيه يعد لوحة تتضمن اجزاء لصور مترابطة يجمعها مشهد واحد يقول الزمخشري(ت٥٣٨هـ) في هذه اللوحة انها من (( جملة التمثيلات المركبة دون المفارقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به ... بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم تاخذ هذا بحجرة ذلك فتشبهها بنظائرها .... وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها ))<sup>(١)</sup> . والتشبيه في

( ١ ) علي جواد الطاهر ، مقالات : ٦٤

( ٢ ) ظ. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، فاضل السامرائي، ٨٠-٨١

( ٣ ) البقرة : ١٧-١٨-١٩-٢٠

( ١ ) الزمخشري ، الكشف : ٢٠٩/١

الصورة الأولى محوره ( الحيرة والدهشة والتخبط ) التي عليها المنافقون كل تلك المعاني شبهت (( بما يكابد من طفنت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل ))<sup>(١)</sup> .  
فماذا كانت عناصر تلك المعاني في اللوحة ؟

كان العنصر الرئيسي في رسم معاني الحيرة والتخبط هو الليل ومحاولة المنافق إضاءته بأسلوب الطالب للشيء (استوقد) وهي توحى بعدم قدرته على امتلاك اسباب الإضاءة لذا هو باق في حيرته يراوح مكانه في اندهاش عبر عنه اسلوب الشرط ( فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ) فهو (( حينما يخفق في استغلال هذا اللهب الهادي فانه لا بد ان ينكص على عقبيه في ظلمات وشبه ))<sup>(٢)</sup> .

اما التمثيل الثاني فسيكون التركيز فيه على جوانب معينة من اللوحة وهي الحيرة الممتزجة بالهلع لذلك ستبدو الصورة اشد لان فيها عناصر اكثر قلقا وخوفا ، ففيها صيب على جهة التنكير لأنه اريد به نوع من المطر شديد هائل وفيها ذكر للفظه ( السماء ) برغم ان الصيب لا يكون الا من السماء ايحاء بنفي ان يكون هذا التصوب من أفق واحد بل هو من سائر الأفاق لأن كل افق من آفاقها سماء فهو (( غمام مطبق أخذ بأفاق السماء ))<sup>(٣)</sup> .

وفيها ظلمات من إطباق السحاب مضمومة اليها ظلمة الليل وجاءت منكرات لأنه اريد بها نوع كل منها ، فهي ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف ، وفيها اجزاء من صور تزيد من وصف حالة الهلع فصورتهم وهم (( يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق )) كأنه جواب من سال عن حالهم على ذلك الرعد وصورتهم وهم (( يكاد البرق يخطف أبصارهم )) كأنه قيل ((كيف حالهم مع مثل ذلك البرق ))<sup>(٤)</sup> .

وفيها تردد بين الإحجام والإقدام صورته قوله تعالى: (( كلما أضاء لهم مشوا فيه )) ، وفيها وقوف قاتل ومخيف عبر عنه بلفظة ( قاموا ) أي ثبتوا في مكانهم . وفيها مقابلات توحى بحالة القلق وعدم الاhtداء الى سبيل القصد أو قصد السبيل مثل التضاد بين (أضاء) و(أظلم) و(قاموا) و(مشوا) و(( كلها حركات خاطفة تنتقل بظواهر الطبيعة ونوازع النفس من عالم التجريد والعقل الى عالم الحس والمادة ))<sup>(٥)</sup> .

ومن الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام في هذه اللوحة يبدو التمثيل اشد لانه يدل على فرط الحيرة التي عليها المنافق وشدة الامر وفضاعته في تدرج من الكلام مقصود اليه من الأهون الى الأغلظ<sup>(١)</sup> .

( ١ ) المصدر نفسه : ١٩٨/١

( ٢ ) محمد حسين الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني : ١٨٨

( ٣ ) الزمخشري ، الكشاف : ٢١٦/١

( ٤ ) المصدر نفسه والصحيفة .

( ٥ ) محمد حسين الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني : ١٨٩

( ١ ) ظ . الزمخشري ، الكشاف : ١٩٨-٢١٦

ومن اللوحات التشبيهية قوله تعالى يصف أعمال أهل الكفر به:  
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَاهُ  
حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ \* أَوْ كظلماتٍ في بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ  
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (١).

وتضمن هذا التشبيه صورتين : الاولى : شبه ما يعمله الكافر من الأعمال التي يحسبها نافعة عند الله بسراب يراه من غلبه العطش فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما يرتجيه (٢) ، والصورة الثانية تضمنت تشبيها ثانيا لأعمال الكافرين في خلوها عن نور الحق وتخبطها في الظلمات (( لأن الكافر حاله ظلمة واعتقاده ظلمة ومصيره الى ظلمة )) (٣).

وقد يراد بالتشبيه الاول تصوير أعمال الكافرين في الآخرة الدالة على خيبتهم. وفي التشبيه الثاني في ذكر عقائدهم في الدنيا التي تشبه الظلمات (٤) ، ففي الآية مشهذان محور الاول تحصيل الخيبة ومحور الثاني ظلام الاعتقاد ، ويتشكل من مجموع اجزاء الصور المضمومة بعضها لبعض لوحة كلية فكانت عناصر التشبيه: سراب وهو ما يتراءى للعين وقت اشتداد الحر في الفلوات التي عبر عنها بـ(قبة) وهي ما انبسط من الأرض واتسع (٥) وفيه يكون السراب ، وظمان يحسب السراب ماء والمعنى (( حتى اذا جاء الظمان السراب ملتصقا ماء يستغيث به من عطشه لم يجده شيئا فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور يحسبون انها منجيتهم عند الله من عذابه كما حسب الظمان الذي رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه )) (٦).

ومما زاد من عناصر الخيبة الصورة المفاجئة للكافر فهو (( لم يكفه خيبة وكما ان لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا يقتل ظمأه بالماء )) (١). وجاء تكرار التعبير بـ (وجد) ليضفي مشهدا من السخرية بخيبة الكافرين يوم القيامة .

اما الثانية : فهي في فساد اعتقاداتهم الباطلة فشبهت أعمالهم بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب . ومبالغة في تشبيه ظلمة هذه الأعمال لكونها

( ١ ) النور : ٣٩-٤٠  
( ٢ ) ظ . الطبرسي ، جوامع الجامع : ٢/٦٢٥  
( ٣ ) الطوسي ، التبيان : ٧/٤٤٢  
( ٤ ) ظ . الرازي ، التفسير الكبير : ٢٤/٦  
( ٥ ) ظ . ابن منظور ، لسان العرب : قيع  
( ٦ ) الطبري ، جامع البيان : ١٨/١٩٨  
( ١ ) الزمخشري ، الكشاف : ٣/٦٩

باطلة وخالية من نور الحق بالظلمات فقد جعل سوادها مركبا من طبقات متصلة من الظلمات (لج البحر ، ظلمة الأمواج ، ظلمة السحاب ) واللجة معظم ماء البحر<sup>(١)</sup>، ونسبة البحر الى اللجة وصف له بأنه عميق كثير الماء إمعانا في إظلامه<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى (( لم يكدرها ))، (( مبالغة في لم يرها أي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ))<sup>(٣)</sup>.

وفي كل تلك التشبيهات التي استوعبت مظاهر الكون والحياة كانت الطبيعة مادة صورها لذا فهي (( صور دائبة بالحركة والاستثارة والتلوين هذه الصور قد استهدفت بضم بعضها الى البعض الآخر تقريبا الأشياء وإبراز الحقائق واستخلاص العظام والبيئات فيما تنبته الأرض وما يهبط عليها من السماء وفيما تتقاذفه الرياح ))<sup>(٤)</sup>.

وهذا الاستيفاء في رسم اللوحة التشبيهية اقتفى أثره الإمام(ع) وأكثر منه، بل يمكن القول انه ظاهرة مطردة في الاسلوب التشبيهي بطريقة الاستقصاء والاستيفاء في التمثيل، وهو بلا شك من الأثر القرآني لأنه كثير في القرآن كما اتضح .  
ومثلما كانت الطبيعة مادة التشبيه التمثيلي في رسم اللوحات التشبيهية في القرآن الكريم، كانت كذلك مادة في اللوحات التشبيهية في نهج البلاغة بخاصة الابل التي جاءت كثيرا في التشبيه القرآني في صفة الكافرين بالانعام كقوله تعالى : ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>(٥)</sup>.

والإبل مادة الإمام الأثيرية في التشبيهات التمثيلية في موضوع بيعة الإمام بالخلافة ثم نكثها ، وفي تفرق أصحابه وتشتت آرائهم.

يقول الإمام(ع) في تقاعس اصحابه عن القتال :

((دَعَوْتُمْ إِلَيَّ نَصْرَ إِخْوَانِكُمْ ، فَجَزَجَرْتُمْ جَزَجْرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِ ، وَتَنَاقَلْتُمْ تَنَاقُلَ النَّضْوِ الْأَدْبَرِ ، ثُمَّ حَرَجَ إِلَيَّ مِنْ جَبْنَيْدٍ مُنْذَابٍ ضَعِيفٍ ، كَأَنَّ مَا يُسَافِرُونَ إِلَيَّ الْمَوْتَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ))<sup>(١)</sup>.

( ١ ) ظ. ابن منظور ، لسان العرب : لجج

( ٢ ) ظ . الطبري ، جامع البيان : ١٩٨/١٨

( ٣ ) الزمخشري ، الكشاف : ٧٠/٣

( ٤ ) محمد حسين الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني : ١٨٧

( ٥ ) الفرقان : ٤٤

( ١ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٠١/١

فقد تضمن كلام الامام(ع) ثلاث صور تشبيهية والكثير من الألفاظ الموحية التي ألفت بظلالها من المعاني الجانبية على هذه اللوحة ، إذ (( شبه حالهم حينما استنفرهم فتقاعسوا متذرعين بكلام غامض ، ومعتذرين بأعذار واهية تكشف عن جنبهم وضعفهم بحال الجمل المصاب بقرحة في زوره ، وهو يردد صوتا قبيحا ، وبحال البعير المهزول المعقور، وهو ينهض متثاقلا ، ثم صور حال القلة التي خرجت للحرب في ضعف وتثاقل وتردد بحال جماعة من الناس يساقون الى الموت سوقا وهم يرونه أمامهم رؤية العين ))<sup>(١)</sup>.

ف(الجرجرة) صوت يردده البعير حين يتعب ويعبى وفيها فضل معنى من ترداد الصوت وغمغمته بتكرير مقطعه الصوتي ، و(السرر) داء يأخذ البعير في سرته و(النضو) البعير المهزول و(الأدبر) الذي به دبر وهي القروح في ظهره<sup>(٢)</sup> ، ولفظة(جنيد) صغرت للتحقير<sup>(٣)</sup> ، وجيء بها منكرة على سبيل الإهانة والنعارة. ولفظة (متذائب) توحى بالتمايل والتطوح من الهزال والضعف .

وفي لفظة (إخوانكم) استدعاء من الامام(ع) لهم ، لأنه بدعوته اياهم إنما ينصرون اخوانهم ، ترغيبا لهم على القتال وبث الحمية في نفوسهم .  
وقوله الأخير مقتبس من قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ولقوة تمكن النص القراني المقتبس في كلام الإمام(ع) يبدو وكأنه من بعض جملة لا من التعبير القراني خاصة وانه جيء بالآية الكريمة على سبيل صورة المشبه به ممهدا لها بقوله في صورة المشبه (ثم خرج الي منكم جنيد متذائب) .

ومن فاعلية هذا الإقتباس خفاء النص القراني ، بسبب ايراده مضمنا بدون أن يشير الى اقتباسه ، كأن يبدأ ببسمة لقوله تعالى وتلك سمة أسلوبية لكلام الإمام(ع) سندرسها في بحث الشاهد القراني .

وقال(ع) يصف بيعته: ((قَدَّأَكُوا عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلُ الْهَيْمَ يَوْمَ وُرُودِهَا ، قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيَهَا وَحُلِعَتْ مَتَانِيهَا ))<sup>(١)</sup> ، فقد شبه حالهم وهم يتراكمون متلهفين على بيعته بحال إبل عطشى مطلقة العنان ليس ثمة ما يكدر عليها شربها مبالغة في وصف زحامهم عليه<sup>(٢)</sup> ، والدك هو الدق<sup>(٣)</sup> ، فكأنها لشدة زحامها يدك بعضها بعضا ،

( ١ ) الحوفي ، بلاغة الإمام علي : ١٠٨-١٠٩

( ٢ ) ظ.ابن منظور ، لسان العرب : جرر ، نضا ، سرر ، دبر

( ٣ ) ظ . حبيب الخوئي ، منهاج البراعة : ١٧٥/٤

( ٤ ) الأنفال : ٦

( ١ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٥٥/٢

( ٢ ) ظ . ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٩٩/٤

( ٣ ) ظ.ابن منظور ، لسان العرب : دك

وإنما خص بالذكر (يوم وردها) ، ((لأن الإبل ربما بعدت في المرعى عن الماء حتى تجاوز ظمأ العشرة والعشرين وبيعثها حرارة اكبادها وتصلصل احشائها على تذكر الاوطان ....حتى اذا أنست مواردنا وشارفت مشاربها صرد شرب بعضها وحليء عن الورد بعضها وغادر الزحام صواديها تحوم ولوابيها تلوب ولات حين ورود))<sup>(١)</sup>.

ولاشك ان صورة الإبل الهيم من صور القران الكريم في قوله تعالى يصف أهل النار: ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾<sup>(٢)</sup>، والهيم هي ((الإبل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى))<sup>(٣)</sup>.

وقيل في الهيم انها الرمال والمعنى: ((انه يسלט عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم فاذا ملؤوا منها البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم))<sup>(٤)</sup>.

ويلاحظ ان في تشبيهات الإمام(ع) هذي قوة من صدق العاطفة من خلال اسلوب التشبيه البليغ بالمصدر ((فالأديب لا يكون أديبا الا اذا تفرد بطريقة التعبير ثم لا تكون العبارات ذات أسلوب معبر الا اذا جاءت صورة لصاحبها سالت على الصفحات مدادا في جمل وحركات))<sup>(٥)</sup>.

والإمام(ع) في خطبه وأمثاله وتشبيهاته أسمى قدرا من مواصفات الأديب ، فهو الذي سن الطريق واضحة بين يدي الأدباء ، وهو الذي سلك نهجه البلغاء في تتبع كلامه فكان نهج البلاغة .

والتشبيه البليغ المعتد بالمصدر خاصة يهدف الى تفخيم المشهد عن طريق نقل المشبه الى مستوى المشبه به والفعل والمصدر يدلان على الحدث والزمن وقد أسهما بخلق الحركة الواضحة خلال المشهد ، وهو يرد كثيرا في تشبيهات الإمام(ع) كثرة ملحوظة كقوله(ع):

((أَطَّأ رُكْمَ عَلَى الْحَقِّ ، وَ أَنْتُمْ تَنْفَرُونَ عَنْهُ تُفَوِّرَ الْمَعْرَى مِنْ وَغَوَعَةِ الْأَسَدِ))<sup>(١)</sup>.  
وهذا وجه لقوله تعالى: ﴿كَانَهُمْ حَمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

( ١ ) ابن نايقيا البغدادي ،الجمان في تشبهات القران: ١٢٥

( ٢ ) الواقعة : ٥٤-٥٥

( ٣ ) الزمخشري ،الكشاف : ٥٦/٤

( ٤ ) الطبرسي ،جوامع الجامع : ٤٩٥/٣

( ٥ ) زكي نجيب محمود ، في فلسفة النقد: ٩١

( ١ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٠٤/١

( ٢ ) المدثر : ٥٠-٥١

ومثله قوله (ع) : ((أَبَا بَيْنُم عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْفَابِرِينَ))<sup>(١)</sup> .  
تبكيئا لهم ، وتأنيبا على مخالفتهم .

وكذلك قوله (ع) ((عَلُمُوا أَنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَ قَلَعُوا بِرَهَا ، وَ جَاشَتْ جَيْشَ الْمَرْجَلِ))<sup>(٢)</sup> ، فشبه اضطراب المدينة بمن فيها باضطراب الماء في الرجل .

ونحو قوله (ع) يصف بيعته : ((قَبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُودِ الْمَطَايِلِ عَلَيَّ أَوْلَادَهَا ، تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ))<sup>(٣)</sup> ، والعود المطايل النوق المسنة الحديثة العهد بالولادة وإنما خصها بالإمام بالذكر لأنها أشد شوقا وتحنا وسرعة على فصيلها<sup>(٤)</sup> .

وقوله (ع) من كتاب مهتدا معاوية : ((فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُ مِنَ الْحَرْبِ ، إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِجَ الْجَمَالِ بِرِ الْأَثْقَالِ))<sup>(٥)</sup> .

والتشبيه البليغ بالمصدر يطرد في وصف بيعة الإمام (ع) وتعبئة أصحابه للقتال ويبدو أن باعته قوة عاطفة الإمام (ع) وحماسته . بينا في التشبيهات الوعظية في التحذير من الركون الى الدنيا وملذاتها تأتي في الغالب مفصولة بين طرفي التشبيه فيها بأداة تشبيهية رابطة قصد فيها إعطاء مزيد من التأمل والتمعن ، وفي كل منهما ذائقة فنية خاصة . ففي قوله (ع) محذرا من الدنيا : ((أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكِبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَ هُمْ نِيَامٌ))<sup>(٦)</sup> ، توكيد على الغفلة التي أصيب بها الراكن الى الدنيا ، فهو يسار به كركب سفره نيام .

وتارة يقول (ع) : ((إِنَّمَا أَنتُمْ كَرَكِبٍ وَفُؤُوفٍ لَا تَدْرُونَ مَتَى تُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ))<sup>(٧)</sup> ، تعبيراً عن عدم امتلاك الأمر في المسير ، فهو موكول لغيرهم ، في إشارة رقيقة دقيقة الى هجوم الموت فجأة .

وخلاصة القول إن التشبيه التمثيلي أداة الإمام (ع) في رسم الصور المركبة التي يمكن أن تكون لوحة من أجزاء مضمومة الى بعض ، الغرض منه استيفاء

( ١ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٩٧/١

( ٢ ) المصدر نفسه : ١٢٧/٢

( ٣ ) المصدر نفسه : ٣١٦/١

( ٤ ) ظ. ابن منظور ، لسان العرب : عود . ظ . ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١٦٧/٣

( ٥ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٤٢/٢

( ٦ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٢٥/٢

( ٧ ) المصدر نفسه : ٣٦٧/١

المعنى واستقصائه . وهو أسلوب قرآني في عرض المعاني باللوحات التشبيهية  
اقتفاه الإمام (ع) وآثره في كثير من تشبيهاته .

### ٣- التشبيهات المفردة في ضوء القرآن ونهج البلاغة :

وهي الصورة البسيطة المفهومة من مقارنة طرف لآخر بصفة ما من غير  
تركيب بين أجزاء طرفي التشبيه<sup>(١)</sup> . وفي القرآن الكريم الكثير من التشبيهات  
المفردة مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾<sup>(٢)</sup> .

فهذا تشبيه صورة بصورة ، تشبيه السماء بالفضة المذابة في تلونها وتشبيه  
الجبال بالصوف الملون المتطاير لأن الجبال جدد بيض وحممر مختلف ألوانها<sup>(٣)</sup> .  
وقد أشار الزمخشري الى التشبيه المفرد في مواطن كثيرة من آيات القرآن الكريم  
مثل قوله تعالى: ﴿طُلُعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾<sup>(١)</sup> .

( ١ ) ظ . الزركشي ، البرهان : ٤٢٢/٣ . محمد حسين الصغير ، أصول البيان العربي : ٧٢

( ٢ ) المعارج : ٨-٩

( ٣ ) ظ . الزمخشري ، الكشاف : ١٥٧/٤

( ١ ) الصافات : ٦٥

فذكر في هذه الصورة تشبيه الطلع برؤوس الشياطين ((دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير))<sup>(١)</sup> .

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ، كَأَنَّهُ جَمَالَةٌ صُفْرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فقوله عز وجل: (( ترمي بشرر كالقصر )) فيه تصوير للهول والفرع لأن الشرر هو المتطاير من النار على الكافرين من كل جهة بضخامة القصر وهو الإبل<sup>(٣)</sup> .

والعرب تشبه الإبل بالقصور قال عنتره في معلقته<sup>(٤)</sup>:

(الكامل)  
فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لأقضي حاجة المتلوم

والفدن هو القصر<sup>(٥)</sup> . والتشبيه بالجمالة وهي القلوص تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة<sup>(٦)</sup> . وقيل القصر هي أصول الشجر العظام<sup>(٧)</sup> . وشبهه بالجمالات الصفراء أي كأنها أبنق سود لما يعتري سوادها من الصفرة إذ لا اسود من الإبل الا وهو مشرب الصفرة ((لذلك سمت العرب سود الإبل صفراء))<sup>(٨)</sup> .

وقد أخذ الإمام(ع) بعضاً من التشبيهات المفردة من القرآن، مثل: ((أَطَأَ رُكْمَ عَلَى الْحَقِّ، وَ أَتْنَمُ تَنْفُرُونَ عَنْهُ نَفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَغَوَةِ الْأَسَدِ))<sup>(٩)</sup> . فالمشبه نفورهم الدال على الجبن والمشبه به نفور المعزى من زئير الأسد فزعا<sup>(١٠)</sup> .

ومثل قوله(ع): (( وَ احْتَطَّتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، الْمَصُونَةَ لِأَرْأَمِلِهِمْ وَ أَيْتَامِهِمْ ، احْتِطَّافَ الثَّنْبِ الْأَزَلِّ دَامِيَةِ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةِ ))<sup>(١)</sup> .

( ١ ) الزمخشري ، الكشاف : ٤٧/٣

( ٢ ) المرسلات : ٣٢ - ٣٣

( ٣ ) ظ. الطبرسي ، جوامع الجامع : ٧٠٥/٣ . الزمخشري ، الكشاف : ٥٤٥/٣

( ٤ ) فوزي عطوي ، المعلقات العشر : ١٣٧

( ٥ ) ظ.ابن منظور ، لسان العرب : فدن

( ٦ ) ظ. الزمخشري ، الكشاف : ٥٤٥/٣

( ٧ ) ظ . الراغب ، المفردات : ٤٠٥

( ٨ ) الطبرسي ، مجمع البيان : ٢٣٤/١٠

( ٩ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٥٤/١

( ١٠ ) ظ . الحوفي ، بلاغة الإمام علي : ١٠٧

( ١ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢١٥/٢

فهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ \* كَانَهُمْ حَمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ \* فَارْتَمَوْا مِنَ النَّارِ﴾ (١) ، فشبهه شدة إعراض الكافرين عن القرآن بالحمرة المحمولة على النار الهاربة من الأسد .

وأخذ الإمام (ع) صورة التشبيه في قوله تعالى: ﴿كَانَمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمًا﴾ (٢) ، فكان الليل المظلم قسم الى قطع فأغشيت وجوههم تلك القطع فاسودت بالتمام بحيث يغشى وجه كل من المشركين بقطعة من قطع الليل تلك (٣) ، فقال من خطبة ملحمية يصف الفتن بأنها: (( فِتْنٌ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ )) (٤) ، ووجه الشبه ظاهر بين الفتن وظلام الليل فكلاهما مظنة التخبط وعدم الإهداء .

وقد تأتي في التشبيه المفرد صورة المشبه به بكثير من المقيدات وهو من قبيل تشبيه المفرد بالمركب كما يقول عنه الزركشي (ت٧٩٤هـ) (٥) .

نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (٦) ، فقد جوز الزمخشري (ت٥٣٨هـ) انطباق التشبيه المركب والمفرد عليه فقال: (( فإن كان تشبيهها مركبا فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله لصورة من خر من السماء فاخطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وإن كان مفردا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهوي المتلفة )) (١) .

وعلى هذا الأسلوب جاء قول الإمام (ع): (( أَلَا وَ إِنَّ الْخَطَايَا حَيْلٌ تُمَسُّ حُمْلَ عَلَيَّهَا أَهْلُهَا ، وَ لِحْتِ لُجْمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ ، أَلَا وَ إِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا تُلْجَأُ

( ١ ) المدثر : ٥٠-٥١ ، وينظر في تفسيرها : الطبرسي ، جوامع الجامع : ٦٧٧/٣

( ٢ ) يونس : ٢٧

( ٣ ) ظ . الطباطبائي ، الميزان : ٤٤/١٠

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٢٧/١

( ٥ ) ظ . الزركشي ، البرهان : ٤٢٣/٣

( ٦ ) الحج : ٣١

( ١ ) الزمخشري ، الكشاف : ١٢٧/٣

حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَ أُعْطُوا أَرْزَمَتَهَا فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ))<sup>(١)</sup> ، والخطايا من ألفاظ القرآن وهي فيه توصف بالثقل دائما كما توصف المعاصي بالأوزار والوزر هو الثقل<sup>(٢)</sup> ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وكذلك لفظ التقوى فهي مما اختص بها القرآن وقد جاءت في آياته الشريفة مرارا.

والإمام (ع) شبه المعاصي بالخييل الشمس الصعبة الإمتطاء لأنها مظنة الهلكة بينا شبه التقوى بمطايا ذلل طبيعة واستعمل الإقحام للشمس والإيراد للذلل فقرن بكل لفظ ما يناسبه لأن في الأولى معنى الإكراه وفي الثانية معنى القصد الى الخير<sup>(٤)</sup> .

وخلاصة القول إن الإمام عليا(ع) أخذ من التشبيه القرآني فجسد به المعنى الموهوم وسلك به سبيل القرآن في تركيب الأجزاء واستيفائها طلبا لتكامل المعنى لا النقل الحرفي للصورة ، وإنما هو المران على استكناه بلاغة القرآن التشبيهية في مجالات متحركة بالعرض والأسلوب والصورة .

### ثالثا : التركيب الإستعاري

#### التعريف بالاستعارة :

تعرف الإستعارة بأنها مجاز لغوي إفرادي قائم على أساس العلاقة التشبيهية بين المعنى الحقيقي للفظة المنقولة والمعنى الجديد المجازي<sup>(٥)</sup> ، ويلخصها السيوطي(ت ٩١١ هـ) بقوله: (( زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة ))<sup>(٦)</sup> .

والفرق بينها وبين التشبيه هو طي أحد طرفي الصورة التشبيهية وإسقاطه دون الآخر<sup>(١)</sup> ، ولذا يبدو الانتقال بين دلالات الالفاظ المستعارة أكثر تعقيدا من التشبيه ،

( ١ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٥٢/١

( ٢ ) ظ.ابن منظور ، لسان العرب : وزر

( ٣ ) العنكبوت : ١٢

( ٤ ) ظ . محمد عبدة ، نهج البلاغة : ١ / ٥٤ . الزيانت ، دفاع عن البلاغة : ٧٨

( ٥ ) ظ. الجاحظ ، البيان والتبيين : ١ / ١٥٣ . ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن : ١٠٢ . ثعلب ، قواعد الشعر : ٤٧

( ٦ ) السيوطي ، معترك الأقران : ١ / ١٨٦

( ١ ) ظ. الزمخشري ، الكشاف : ١ / ٥٨-٥٩

الأمر الذي يجعل صورها أسمى فنيا من صور التشبيهات لأنها حينئذ تكون صادرة عن خيال خصب<sup>(١)</sup>.

كما أن الصورة التشبيهية واضحة الأطراف مفروزة مفصولة عن بعضها في فن التشبيه ، أما الصورة في الاستعارة ففي طرفيها امتزاج كما يقول القاضي الجرجاني(ت٣٦٦هـ): (( وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر ))<sup>(٢)</sup>.

والاستعارة في رأي عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به فهي (( ادعاء الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء ))<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا تبدو صعوبة التعامل بفن الاستعارة لأنها بهذا الامتزاج والادعاء تعيد صياغة الواقع بشكل جديد بحسب تفاعل الأديب معه فتوفق بين المتباعدات بين الأشياء وتولف بين الناطق وغير الناطق بعلاقات لا يقع في الحسبان إمكان الإقامة بينها ، ولعل سر إبداعها مخبوء في هذه القدرة على التأليف بين المتناقضات وجعلها شيئاً واحداً لأنها تدير ظهرها للمعنى الوضعي و((توحد بين شئيين يحتفظ كل منهما بشكله ))<sup>(٤)</sup>، وتبعث غير المؤلف من المؤلف في الظواهر والأشياء .

وفي هذا يتنافس الأدباء ويتفاضل المبدعون من خلال كسر طوق اللغة الاعتيادية المألوفة وإعادة تشكيل جديد للواقع والحياة فهي ليست مجرد (( انحراف عن الممارسة اللغوية المألوفة ))<sup>(٥)</sup> ، بل هي (( الأداة الرئيسية التي ترتبط بواسطتها الأشياء المتغايرة وغير المرتبطة والتي بإمكانها إنشاء علاقات بين أشياء لا علاقة بينها ))<sup>(٦)</sup>.

وبهذا النحو تحقق الاستعارة غرضين رئيسيين : الاول : تصوير المعنى الذهني بمشاهد محسنة ليبلغ التأثير حده .

والثاني : انصهار هذا الواقع المحسوس في نفسية الأديب من خلال إعادة تشكيله بعلاقات جديدة بينه وبين ما يحيط به من أشياء . وعندها لن تكون الاستعارة حلية طارئة على المعنى بل صورة حقيقية لرهاقة الأديب نفسه وتفاعله مع الكون وظواهره .

( ١ ) ظ.عاطف جودت ، الخيال مفهوماته ووظائفه : ٢٨٢

( ٢ ) الجرجاني ، الوساطة بين المتبني وخصومه : ٤١

( ٣ ) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة : ٢٠

( ٤ ) نورثرث فراي ، تشريح النقد محاولات اربع : ١٥٥

( ٥ ) رينيه ويليك ، نظرية الأدب : ٢٥٣

( ٦ ) أرشيبالد مكلكش ، الشعر والتجربة : ٨١

بهذا المفهوم وقعت الإستعارة في التعبير القرآني فهي (( لون من ألوان التصوير في القرآن وهي من الأدوات المفضلة لديه ))<sup>(١)</sup> ، كشفت عن أسرار جمالية متناهية (( تحددت المفهوم الحقيقي للكلمات في أصل اللغة ، وبذلك بلغت الاستعارة في القرآن الكريم مرتبة الإعجاز ، وفاقت المستوى الحضاري للكلمات في ذروة تطورها وعطائها عند العرب ))<sup>(٢)</sup> .

كما إنها إحدى أظهر تشكيلاته اللغوية الجديدة التي لم يألّف مثلها العربي الذي اعتاد في لغته الوضوح والثبات في دلالات ألفاظه فقد كانت غاية انزياحاته هي في ميله الى الأساليب التشبيهية وهو الأمر الظاهر في الشعر العربي القديم<sup>(٣)</sup> .

وسنحاول تبيان مزيد مما اخصت به الصورة الاستعارية القرآنية من مزايا من خلال أثرها في نهج البلاغة ، إذ ثمة تقف لاسلوب التعبير القرآني سواء كان ذلك بالإكثار من اللغة الاستعارية بشكل عام أو بتلمس كثير من الصور الاستعارية القرآنية في كلام الإمام(ع) .

ولكن ينبغي أولاً تحديد أسلوب الإمام(ع) في تتبع الظاهرة الاستعارية في القرآن الكريم .

وبشكل عام يبدو أن الإمام(ع) في استعاراته المتأثرة بتعبير الكتاب العزيز يضع فيها الاصل القرآني نصب عينيه ثم يعمل على توليد فروع كثيرة من الصور عليه .

## ظواهر من التأثير القرآني في استعارات نهج البلاغة :

### ١- التوليد :

وهو اشتقاق الصياغات المختلفة على الاصل الماخوذ<sup>(٤)</sup> .  
إن أظهر أثر للقرآن في كلام الإمام علي (ع) هو كثرة اشتقاقات الصور الاستعارية المبنية على الأصل القرآني وتوليد مزيد من الإضافات بحسب موقفه الفني .

---

( ١ ) بكرى شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن : ٢٠٢  
( ٢ ) محمد حسين الصغير ، أصول البيان العربي : ٩٦  
( ٣ ) ظ. جابر عصفور، الصورة الفنية : ٢٧٠-٢٧٣ .  
(٤) ظ. ابن رشيق ، العمدة : ٢٦٣/١ . الحموي، خزائن الأدب : ٢٦٠/٢ .  
محمد مصطفى هدارة ، مشكلة السرقات في النقد الأدبي : ٢٧١ .

ويلحظ أن كل التوليدات الاستعارية يحرص فيها الإمام (ع) على إبقاء عنصر الأصل القرآني إحياء بقوة ثباتها في ذهن الإمام (ع) وإشراكا للرباط المقدس المتمثل بالنص القرآني بينه وبين مستمعيه ، والامثلة توضح ذلك :

### استعارات ( الليل والنهار ) :

يعرض التعبير القرآني لـ ( الليل والنهار ) صورا في غاية الجدة والحياة . قال تعالى: ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾<sup>(١)</sup> .

والليل والنهار ظواهر طبيعية تتحصل من مطالع الشمس ومغاربها ولفظة (نولج) تستعمل للأشياء المادية غير ان التعبير القرآني نقل اللفظة الى معنى مجازي فصور الليل والنهار كأنهما أشياء مادية تتلبس ببعضها فيدخل هذا في هذا يقول السيد الرضي (( ولفظ الإيلاج ههنا ابلغ لأنه يفيد إدخال كل واحد منهما في الآخر بلطيف الممازجة وشديد الملاسة ))<sup>(٢)</sup> .

والايلاج هنا هو ((دخول مانقص من ساعات الليل في ساعات النهار فتزيد من نقصان هذا في زيادة هذا ودخول ما نقص من ساعات النهار في ساعات الليل فتزيد في ساعات الليل مانقصت من ساعات النهار))<sup>(٣)</sup> .

والزيادة والنقصان تكون بحسب مطالع الشمس ومغاربها<sup>(٤)</sup> . وفسرها الطبرسي بقوله: ((أي تنقص من الليل وتجعل ذلك النقصان زيادة في النهار وتنقص من النهار وتجعل ذلك النقصان زيادة في الليل))<sup>(٥)</sup> . وقيل في معنى آخر لتفسيرها ((انه يدخل أحدهما في الآخر بإتيانه بدلا منه في مكانه))<sup>(٦)</sup> .

ونظير هذا المعنى قوله تعالى في استعارة أخرى:

﴿ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾<sup>(٧)</sup> ، والتكوير هو اللف واللي ومعناه في الآية الكريمة (( يعلو هذا على هذا ))<sup>(٨)</sup> ، فجعل (( النهار خلفه يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشى مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ))

( ١ ) آل عمران : ٢٧

( ٢ ) الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ١٢٣

( ٣ ) الطبرسي ، جامع البيان : ٣٠٣/٣ . ظ . الرازي ، التفسير الكبير : ١٠/٨

( ٤ ) ظ . الراغب ، مفردات غريب القرآن : ٥٣٢

( ٥ ) الطبرسي ، جوامع الجامع : ٢٧٥/١

( ٦ ) الطبرسي ، مجمع البيان : ٢٧١/٢

( ٧ ) الزمر : ٥

( ٨ ) الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٢٨٣ . ظ . ابن منظور ، لسان العرب : كور

(١) . أو اراد ((ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ فشبّه في تغييبه اياه بشيء لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار )) (٢) .

وقد يكون التكوير من كرور هذا على هذا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على اثر بعض (٣) . وقد يقع التكوير اسما للكثرة من الكور فيكون معناه ((يكثر أجزاء الليل على أجزاء النهار حتى يخفى ضوء النهار وتغلب ظلمة الليل ويكور النهار على الليل أي يكثر أجزاء النهار حتى تظهر وتنتشر وتتلاشى فيها أجزاء الليل وتضمحل)) (٤) .

والصور الاستعارية في الليل والنهار كلها تنبض بالحركة وتشع بالحياة كقوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلَمُونَ﴾ (٥) .

وقوله سبحانه: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٦) .

وقد كانت هذه الصور القرآنية وغيرها لليل والنهار معينا استقى منه الإمام (ع) استعاراته وكان استمداد الإمام (ع) منه اما مباشرا يقتبس منها الصورة الاستعارية ذاتها او غير مباشر من خلال البناء على الاصل القرآني وتوليد الفروع منه . فمن الاول قول الإمام (ع) من خطبة في التوحيد :

(( فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالتَّنْبَاتِ وَالشَّجَرِ - وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ وَ اِخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .. )) (٧) ، واختلاف الليل والنهار يعني تعاقبهما في الذهاب والمجيء (( وكل شيء يجيء بعد شيء آخر فهو خليفة )) (٨) . وهذا يفسر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (٩) .

ومعنى خليفة: ((جعل الليل والنهار يتخالفان فاذا اتى هذا ذهب هذا واذا أدبر هذا أقبل هذا )) (١٠) .

ولاشك ان قول الإمام (ع) أخذه من قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١) .

( ١ ) الزمخشري ، الكشاف : ١٨٧/٣

( ٢ ) المصدر نفسه والصفحة .

( ٣ ) ظ . المصدر نفسه والصفحة .

( ٤ ) الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٢٨٤

( ٥ ) يس : ٣٧

( ٦ ) يس : ٤٠

( ٧ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٦٥/٢

( ٨ ) الرازي ، التفسير الكبير : ٢١٥/٤

( ٩ ) الفرقان : ٦٢

( ١٠ ) الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٢٥٤

( ١ ) يونس : ٦ . وينظر في تفسير أمثالها: الطبري ، جامع البيان : ٨٧/٢

وقال الإمام(ع) : (( وَ جَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا ، وَ قَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوءَةً مِنْ لَيْلِهَا ))<sup>(١)</sup> ، ولقطة مبصرة مستعارة ، فقد شبهت آية الشمس بكائن مبصر ، ثم حذف المستعار منه واشير اليه بشيء مما يخصه وهو البصر بجامع الرؤية في كل. وهذا من الاستعارات بالكناية ، أي : ((مكشوفة القناع مبينة الإبصار))<sup>(٢)</sup> . وهي من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾<sup>(٣)</sup> .

ويمكن ان تكون (مبصرة) يراد بها المجاز للنهار على سبيل المبالغة لان فيه يبصر الناس كما قيل في ( ليل اعمى ) لأن الناس لا يبصرون فيه لشدة اظلامه<sup>(٤)</sup> . وحينئذ يخرج هذا اللفظ عن المجاز الاستعاري الى المجاز المرسل بعلاقة السببية. والمحو هو طمس الشيء وإزالة أثره<sup>(٥)</sup> ، استعيرت للقطة (آية) وأريد بها القمر<sup>(٦)</sup> . والمعنى (( فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء ))<sup>(٧)</sup> .

ومن الاستعارات التي أخذها الإمام(ع) بشكل مباشر من التعبير القراني قوله من رسالة يوصي جيشه: ((وَ إِذَا عَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً ))<sup>(٨)</sup> . فاستعار الغشاء لظلمة الليل ثم حذف الظلمة مكتفيا بالاشارة اليها بلفظة الليل على سبيل الاستعارة بالكناية . وقد اعطى لليل بهذه الاستعارة صفة الاحياء العقلاء فالليل يتصرف كما يتصرف الاحياء فيغطي ويغشي . وكفة بمعنى مستديرة أي اجعلوا رماحكم كالدائرة حولكم<sup>(٩)</sup> .

وصورة الليل مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾<sup>(١٠)</sup> ، فجعل الليل كأن له لباسا يغطي به النهار<sup>(١١)</sup> ، فر((يلبس ظلمة الليل ضياء النهار فيصير مظلمًا بعد ان كان مضيئًا))<sup>(١٢)</sup> .

أما استعارات الامام(ع) المبنية على الاصل القراني في هذه المعاني فهي تبدو اكثر فنية بسبب اضافاته وتوليدياته من دون الاعتماد كلية على الصورة الاستعارية القرانية التي يبدو فيها مقتبسا ، فكثيرا ما يوظف الإمام(ع) الحركة التعاقبية لليل

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٩١/١

( ٢ ) الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ١٩٩

( ٣ ) الإسراء : ١٢

( ٤ ) ظ. الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ١٥٦

( ٥ ) ظ. الراغب ، مفردات غريب القرآن : ٤٦٤ . ابن منظور ، لسان العرب : محو

( ٦ ) ظ. الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ١٩٩

( ٧ ) الطبرسي ، جوامع الجامع : ٣٦٣/٢

( ٨ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٤٤/٢

( ٩ ) ظ. ابن منظور ، لسان العرب : كفف

( ١٠ ) الأعراف : ٥٤

( ١١ ) ظ. الراغب ، مفردات غريب القرآن : ٣٦١

( ١٢ ) الطبرسي ، جوامع الجامع : ٢٤٩/٢

والنهار التي ترسمها الاستعارات القرآنية في الوعظ والتحذير من الركون الى الدنيا.

يقول الإمام (ع) : (( إِنَّ غَائِبًا يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ ، اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأُوبَةِ ))<sup>(١)</sup> ، فذهب بهما بعيدا في الخيال وهما يشبهان حادي الأبل الذي يسوقها فتطيعه سالكا بها سبيلا يقصده.

واستعارة (الحدو) للفظ (الجديدان) ((لما يستلزمانه من إعداد الإنسان لقرب أجله المشبه لصوت الحادي الذي يحدو الإبل لسرعة سيرها وقربها من المنزل المقصود لها))<sup>(٢)</sup> ، لذلك قال الإمام (ع) بثقة ((لحري بسرعة الأوبة)) أي سرعة العود فقد شبه الانسان في الحياة الدنيا بابل والليل والنهار من ورائه يحدوانه وأطلق عليه صفة الغائب على اساس عودته الى مستقره التي هي داره الحقيقية وهي دار الآخرة.

ويرجح شارح النهج ابن ابي الحديد (ت ٦٥٦هـ) ان المقصود بالغائب هو الموت يسوقه الجديدان<sup>(٣)</sup> ، وهذا وإن كان محتملا الا انه (( لا يطابقه لفظ الأوبة لان الموت لم يكن جائيا أو ذاهبا حتى يرجع ))<sup>(٤)</sup>.

هذه الصورة الحركية لليل والنهار باعثها الاستعارات القرآنية لهذين اللفظين مثل قوله تعالى مضافا لما سبق:

﴿ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ ﴾<sup>(٥)</sup> ، فاستعارة ( يطلبه حيثما ) بمعنى الادراك السريع اضافة فنية في غاية الروعة لصورة التلاحق بين الليل والنهار وذلك (( بأن يأتي في أثره كما يأتي الشيء في أثر الشيء طالبا له ))<sup>(٦)</sup> .  
والحديث السير السريع السوق فجعل ((ظلمة الليل بمنزلة العشاوة للنهار))<sup>(٧)</sup> ، ولم يقل (يعشي النهار الليل) لدلالة الكلام عليه.

ومما أخذ الإمام (ع) من الحركة القرآنية التي يرسمها الليل والنهار قوله موصيا

ولده الحسن (ع) :

((وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ ، أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَ هَلْكَتْ ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَ إِنْ كَانَ وَاقِفًا))<sup>(٨)</sup> ، فاستعار لليل والنهار ( مطية ) بجامع الانتقال في كل منهما (( باعتبار انها اجزاء اعتبارية يعقب بعضها بعضا وينقضي بانقضائها الزمان فينتقل

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٣٨/١

( ٢ ) ابن ميثم ، شرح نهج البلاغة : ١٦٥/٢

( ٣ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٤٦/٥

( ٤ ) ظ. ابن ميثم ، شرح نهج البلاغة : ١٦٥/٢

( ٥ ) الأعراف : ٥٤

( ٦ ) الطبرسي ، جوامع الجامع : ٦٦٢/١ . وينظر : الطبري ، جامع البيان : ٢٦٨/٨

( ٧ ) الطبرسي ، مجمع البيان : ٢٦٩/٤

( ٨ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٩٣/٢

الشخص بحسبها في منازل مدته المضروبة المقدره له منه الى ان تفنى مدته ويتم سفره الى الآخرة ((<sup>(١)</sup>).  
لذا كان سير الزمان سيرا اعتباريا وان كان واقفا .

أليست هذه الحركة التي يسبغها الإمام (ع) على الليل والنهار مجتمعين توليدات  
للاصل القراني ، نحو قوله تعالى مضافا لما سبق:

﴿ يُقَبِّلُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

والمراد بالتقليب ((طرد النهار بالليل وطرد الليل بالنهار فكنى عن ذلك سبحانه باسم  
التقليب))<sup>(٣)</sup> ، والمراد بالتكنية التكنية بالاستعارة لانها مستبطنة معنى التشبيه فكأن  
الليل والنهار مشبه لما هو للتصرف والتغير فالتقليب هو قلب الشيء وتصريفه  
وصرفه عن وجه الى وجه كقلب الثوب أو تغييره من حال الى حال<sup>(٤)</sup>.

وتوسع الامام(ع) في استعارات الليل والنهار فخلع عليها صفات الأحياء لترفع  
وتسرع وتهدم وتبني وتفرق وتجمع في قوله (ع) :

((فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ ، وَ هَذَا اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرْفًا ، إِلَّا أَسْرَعَا  
الْكَرَّةَ فِي هَذِمَ مَا بَنِيَا وَ تَفَرَّقَ مَا جَمَعَا ))<sup>(٥)</sup> .

فصور الليل والنهار يرفعان ويهدمان ما بينيان ويفرقان ما يجمعان ، وكلها  
استعارات مكنية للدلالة على الفناء والموت في الحياة ، وإنما نسب اليهما كل ذلك  
لأنهما الظرف الزمني الذي تقع فيه الأحداث كلها.

### استعارات ( الحق والباطل ) :

وجاءت استعارات الحق والباطل مجتمعين بكثرة في القرآن الكريم موحية  
بالكثير من الصور الاستعارية لهذين اللفظين في دلالتهما الإيحائية المتقابلة .

ففي قوله تعالى: ﴿ بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾<sup>(٦)</sup> ، استعار القذف  
للحق والدمغ للباطل فصور الحق كأنه حجر مصكوك لأن حقيقة القذف من صفات  
الأشياء الثقيلة<sup>(٧)</sup> ، وصور الباطل كأنه كائن حي يدمغ أي يكسر دماغه<sup>(٨)</sup> بحجر

( ١ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٤٤/٥

( ٢ ) النور : ٤٤

( ٣ ) الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٢٤٧

( ٤ ) ظ. الراغب ، مفردات غريب القرآن : ٤١١

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٥٠/٢

( ٦ ) الأنبياء : ١٨

( ٧ ) ظ. الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٢٢٨

( ٨ ) ظ. الراغب ، مفردات غريب القرآن : ١٧٢

الحق فتزهق روحه ويهلك . وفي ذلك دلالة تشخيصية ، إذ جسد سبحانه وتعالى من الحق كأننا يقذف به صماخ الباطل . يقول الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في تفسيره لدحض الباطل بالحق: (( واستعار لذلك القذف والدمغ تصويراً لإبطاله وإهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ))<sup>(١)</sup> ، أي أصاب دماغه .

وفي استعارة أخرى يرسمها التعبير القراني في قوله تعالى:

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

فخلع على الحق والباطل صفة الاحياء حين استعار لهما المجيء والزهوق على التوالي ، ومعنى ( زهق الباطل ) (( ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت ))<sup>(٣)</sup> ، على التشبيه بمن فاضت نفسه وانتقضت بنيته ، كما قال تعالى: ((وَتَزْهَقُ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ))<sup>(٤)</sup> .

ويبدو أن كثرة التعبيرات الاستعارية للفظي الحق والباطل نحو قوله تعالى :

﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقوله سبحانه : ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ ﴾<sup>(٦)</sup> ، قد أوحى للإمام (ع) بالكثير من الاستعارات في معاني هذين اللفظين الذين أقيم على أساسهما العدل الإلهي ، ومبدأ الثواب والعقاب ، ومعركة الانسان ونضاله في الحياة ضد الشيطان لذلك جاءت استعارات الإمام (ع) في هذين اللفظين بكثرة لافتة للانتباه ، وكلها من احياء التعبير القراني الذي جمع في استعاراته بين اللفظين وسار تعبير الإمام (ع) على أثره.

يقول الإمام (ع) : (( وَ أَيْمُ اللَّهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ ، حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ ))<sup>(٧)</sup> ، استعار الخاصرة للباطل ورشحها بالبقر على سبيل الاستعارة بالكناية (( ملاحظة لشبهه بالحيوان المبتلع ما هو أعز قيمة منه وكنى به عن تميز الحق منه ))<sup>(٨)</sup> . وذكر الخاصرة يشير الى شدة الاشتغال على الحق.

ومثل هذه الاستعارة قوله (ع) عند خروجه لقتال الناكثين:

( ١ ) الزمخشري ، الكشاف : ٥٦٥/٢ . ظ. ابو حيان الأندلسي ، البحر المحيط : ٢٨٠/٦

( ٢ ) الإسراء : ٨١

( ٣ ) الزمخشري ، الكشاف : ٤٦٣/٢ . ظ. الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٢٠٤

( ٤ ) التوبة : ٥٥

( ٥ ) سبأ : ٤٩ . وينظر في بيانها : الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٢٦٧

( ٦ ) الشورى : ٢٤

( ٧ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٣٢/١

( ٨ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٢٢/٣

(( فَلَا تَقْبَلَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ ))<sup>(١)</sup>، والنقب إحداث فجوة تتسع لإخراج شيء ما ، والتوكيد عليه بالنون في تعبير الإمام (ع) يتحدث عن الجزم والحتمية ، فهو يحدث الفجوة الكافية لاستخراج الحق بكل إصرار .  
وأخذ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْمُؤُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وتوسع في صورته فقال(ع) :

((قَلُّوا أِنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ ، لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَدِّينَ ، وَ لَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنَ الْبَاطِلِ ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ ، وَ لَكِنْ يُؤَخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْتٌ وَ مِنْ هَذَا ضِغْتٌ فَيُمَزَجَانِ ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ))<sup>(٣)</sup> ،

والضغث هو القبضة من الحشيش أو الريحان ، قال تعالى : ﴿ وَخَذُ يَدِكَ ضِغْتًا ﴾<sup>(٤)</sup> ،

لذا(( شبه به الأحلام المختلطة التي لا تتبين حقائقها))<sup>(٥)</sup> ، ف قيل على الجمع(أضغاث أحلام) ، واستعيرت للحق والباطل(( ومقصوده بذلك التصريح بلزوم الآراء الباطلة والأهواء المبتدعة لمزج الحق بالباطل ))<sup>(٦)</sup> .

ويشرح ابن ابي الحديد(ت٦٥٦هـ) كلام الإمام(ع) فيقول: (( إن المذاهب الباطلة والآراء الفاسدة التي يفتتن الناس بها أصلها اتباع الأهواء...ومستند وقوع التشبهات امتزاج الحق بالباطل ))<sup>(٧)</sup> .

وقال(ع) من كتاب موصياعامله: (( فَلَا يَكُنْ أَقْضَلَ مَا ثَلَّتَ فِي تَفْسِكَ ، مِنْ دُنْيَاكَ بَدُوْعٌ لَنْةٍ ، أَوْ شِفَاءٌ هَيْيٍ ، وَ لَكِنْ إِطْفَاءُ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ ))<sup>(٨)</sup> .

فشبه الباطل بنار مضرمة واستعار لها مما يشير إليها وهو الإطفاء بطريق الاستعارة المكنية ، واستعار لفظ الإحياء للحق على أساس تشبيهه بشيء مدروس أو مندثر .

والإطفاء والإحياء من الاستعارات الواردة في التعبير القراني ، قال تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَهًُا أَنْ يَسْمُنُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾<sup>(٩)</sup> ، وقال

تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾<sup>(١٠)</sup> .

وفي استعارة أخرى قال(ع) في صفة المؤمن:

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٩٠/١

( ٢ ) البقرة : ٤٢

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١١٤/١

( ٤ ) ص : ٤٤

( ٥ ) الراغب ، مفردات غريب القرآن : ٢٩٧

( ٦ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١٣٤/٢

( ٧ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٤٥/٣

( ٨ ) الإمام (ع) ، نهج البلاغة : ٢٨٨/٢

( ٩ ) التوبة : ٣٢

( ١٠ ) الجاثية : ٥

(( وَ لَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ ، وَ لَا يَخْرُجُ مِنْ الْحَقِّ ))<sup>(١)</sup> .  
فكأن الباطل شيء يدخل فيه والحق قصر يخرج منه . والمعنى إن المؤمن (( لا يدخل  
فيما يبعد عن الله تعالى من باطل الدنيا ولا يخرج عما يقرب اليه من مطالبه  
الحقة ))<sup>(٢)</sup> .

ونحو هذا قوله لأصحابه : (( وَ أَنْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلًا هُمْ ))<sup>(٣)</sup> .  
وفي نهج البلاغة كثير من الاستعارات التي جمعت بين الحق والباطل على  
طريقة التعبير القرآني مثل : قوله (ع) :

((فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ ، وَ إِنَّهُمْ لَعَلَى مَرَلَّةِ الْبَاطِلِ ))<sup>(٤)</sup> ،  
وقوله (ع) : (( حَقٌّ بَاطِلٌ وَ لِكُلِّ أَهْلٍ ، فَلَيْسَ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلَ ، وَ لَيْسَ قَلَّ  
الْحَقُّ لِرُبَّمَا وَ لَعَلَّ وَ قَلَّمَا أُدْبِرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ ))<sup>(٥)</sup> .

وقوله (ع) في الفتنة : (( فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ، يَمْوَجُونَ فِيهَا ))<sup>(٦)</sup> ،  
وقوله (ع) في الحفظة الكاتبين : ((نَ أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ وَ إِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبْتُمْ ، قَدْ وَكَّلَ  
بِذَلِكَ حَفْظَةَ كِرَامًا لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا وَ لَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا ))<sup>(٧)</sup> .  
وقوله (ع) : ((مَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ ))<sup>(٨)</sup> .

ولاريب في أن كل تلك المجازات الاستعارية التي جمعت بين الليل والنهار وبين  
الحق والباطل في صورة واحدة منبعها القرآن الكريم والإمام (ع) اقتفى أثرها  
مقتبسا تارة ومضيفا تارة ثانية ، وموضحا سواهما .

## ٢- ظاهرة التشخيص :

التشخيص هو خلع الصفات الانسانية على المعنويات والجمادات<sup>(٩)</sup> ، فهو  
بتعريف أدق (( (إسباغ الحياة الإنسانية على ما لا حياة له ، كالأشياء الجامدة  
والكائنات المادية غير الحية))<sup>(١٠)</sup> .

وهو وإن كان مصطلحا حديثا إلا أنه غير منبت الجذور عن التراث النقدي  
العربي ، قال عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) وهو يتحدث عن الاستعارة : ((  
وترى بها الجماد حيا ناطقا والأعجم فصيحاً والأجسام الخرس مبينة ))<sup>(١١)</sup> .

( ١ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٦/١

( ٢ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٤٢٤/٣

( ٣ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٩٤/٢

( ٤ ) المصدر نفسه : ٤٥٨/١

( ٥ ) المصدر نفسه : ٥٢/١

( ٦ ) المصدر نفسه : ٣٨٨/١

( ٧ ) المصدر نفسه : ٤٣٨/١

( ٨ ) المصدر نفسه : ٣٢٣/١

( ٩ ) ظ. سيد قطب، النقد الأدبي: ٦١ . سعيد علوش ، معجم المصطلحات الادبية المعاصرة: ١٢٦

( ١٠ ) جبور عبد النور ، المعجم الأدبي : ٦٧

( ١ ) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة : ٤٠-٤٢

وتبدو قيمة التشخيص في قدرته على الإيهام بالخلق<sup>(١)</sup> ، فهو يتجاوز الاستعارة في أنه ((يعطي الأنفاس للأشياء المجردة ))<sup>(٢)</sup> . ولأنه يعيد صياغة الواقع فيستنتق من لا ينطق ويعقل مالا يعقل فهو (( وسيلة الى تنشيط الحواس وإلهابها ))<sup>(٣)</sup> .

ويبدو أن هذه الملكة التي ترى غير الحي حيا ، قوامها رهافة الحس وسعة الشعور التي تتفاعل مع كل موجود وتنصهر ذاته فيه فاذا به يعيد صياغة تشكيله خالعا عليه من صفاته الانسانية من رضا وغضب وحزن وتفاؤل<sup>(٤)</sup> .

وتختص الاستعارة المكنية بالتشخيص من بين أنواع الاستعارات لأن في صورة المستعار منه المحذوف ايماء تعطي هذا العنصر التشخيصي . ويكثر في استعارات التعبير القرآني تشخيص المعاني وتعقيل الجمادات كثرة تتيح لأن تكون ظاهرة فنية في هذا الكتاب المعجز . وهو يشيع روح الحركة في تصوير المعاني التي يراد لها أن تكون في غاية التأثير مثل تصوير الدنيا والموت والنار والعذاب والقسم وتقلب الليل والنهار وصراع الحق والباطل كما مر .

وفي نهج البلاغة ميل الى فن التشخيص الاستعاري يعد من أروع تجليات التأثير القرآني في أدب الإمام علي (ع).

من ذلك قول الإمام(ع) في صفة المتقين: ((و إِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ ، أَصْعَوْا أَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي أُصُولِ آدَانِهِمْ))<sup>(٥)</sup> .

فجعل لجهنم زفيرا وشهيقا كناية عن غضبها وهو من قوله تعالى :

﴿ إِذَا الْقَوُافِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴾<sup>(٦)</sup> ، والشهيق الصوت المنبعث من القلب عند ضيقه وحزنه ((فكأنه سبحانه وصف النار بأن لها اصواتا مقطعة تهول من سمعها ويصعق من قرب منها))<sup>(١)</sup> والزفير جاء في قوله تعالى:

﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، وهو كناية عن شدة الغضب لأن من شأن الغاضب أن يشتد نفسه .

( ١ ) محمد مندور ، في الميزان الجديد : ١٠٠

( ٢ ) دي لويس ، الصورة الشعرية : ١٢٣

( ٣ ) عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب : ٧٠

( ٤ ) ظ . العقاد ، ابن الرومي ، حياته من شعره : ٣٠٥

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٣/١

( ٦ ) الملك : ٧

( ١ ) الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٣٣٩

( ٢ ) الفرقان : ١٢

وقد أسبغت الآية على النار صفة الرؤية إشارة لقربها منهم . وصفة التغیظ من صفات الانسان وهو أعلى مراتب الغضب ((والغضب لا یوصف به الا الناس))<sup>(١)</sup>، ومراد المعنى الاhtیاج والاضطرام ، قال تعالى : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وفي صورة أخرى لغضب نار جهنم ، قال (ع) واعظا أصحابه : (( عَلِمْتُمْ أَنَّهَا إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ ، حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِعُضْبِهِ ، وَ إِذَا زَجَرَهَا تَوَتَّبَ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجْرَتِهِ ))<sup>(٣)</sup> ، فكأنها كائن حي ينزجر ويجزع .

وقال (ع) من خطبة في التوحيد: (( وَ لَوْ وَهَبَ مَا نَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ ، وَ ضَحِكْتُ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ الْأَجِينِ وَ الْعِيقَانِ ، وَ تَنَارَةُ الدُّرِّ وَ حَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَرَتْ تِلْكَ فِي جُودِهِ ))<sup>(٤)</sup> .

ولفظة ( تنفس ) استعارة نقلت الجامد الى الاحياء وهي من قوله تعالى: ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، والتنفس هنا ((خروج ضوء الصبح من عموم غسق الليل))<sup>(٦)</sup> . واستعار الضحك للاصداف بوصف انفتاح الصدفتين وإسفارهما عن اللؤلؤ الشبيه في بدوه باسنان الإنسان حال ضحكه ((ومن صادف الصدفة عند فتحها وجدها كالانسان يضحك))<sup>(٧)</sup> .

ولفظة (ضحكت) استعارة وردت في قوله تعالى:

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾<sup>(٨)</sup> ، واستعار لفظة ( حصيد ) لصغار اللؤلؤ لشبهه بما يحصد من الحنطة وغيرها وهذه اللفظة من الاستعارات القرآنية فقد جاءت في قوله تعالى: ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾<sup>(٩)</sup> ، اي يختلون بالسيف كما تختلى الزروع بالمنجل<sup>(١٠)</sup> .

( ١ ) الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٢٤٩

( ٢ ) الملك : ٨

( ٣ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٣٨/١

( ٤ ) المصدر نفسه : ١٨٥/١

( ٥ ) التكوير : ١٨

( ٦ ) الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٣٦٠

( ٧ ) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة : ٣٢٧/٢

( ٨ ) عبس : ٣٨ - ٣٩

( ٩ ) الأنبياء : ١٥

( ١٠ ) ظ . الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٢٢٨

وقال الإمام(ع): ((إِنَّ الرَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا))<sup>(١)</sup>،  
فاستعارة (تبكي) جاءت في التعبير القرآني في قوله تعالى:  
﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والبكاء من صفات الانسان فأنزل جارحة القلب منزلة الانسان اشارة الى دوام  
حزنهم ((لملاحظتهم الخوف من الله وان ضحكوا مع ذلك فمعاملة مع الخلق))<sup>(٣)</sup>.

اما استعارات الإمام (ع) الكثيرة في تصوير الدنيا والموت والنار فهي امتداد  
طبيعي لأصل الاستعارة القرآنية وتشخيصها ، لأن الإمام (ع) يدور مع القرآن  
حيثما دار .

وتكاد تكون كل الاستعارات التي تصور اغراءات الدنيا نابعة من قوله تعالى في  
أكثر من موضع: ﴿فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله تعالى: ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾<sup>(٥)</sup>،  
وقوله تعالى: ﴿وَعَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾<sup>(٦)</sup>.

ولاريب أن نسبة الإغراء الى الدنيا من باب المبالغة في الوصف . والإغراء من  
صفات الانسان خلعت على معنى ذهني خالص لأن الحياة الدنيا هي أحوال البشر  
بشكل عام هم الذين يصنعون دنياهم بوجودهم ولا وجود على المعنى الحقيقي للدنيا  
حتى تغر ولكنهم (( لما اغتروا بالحياة الدنيا حسن إن يقال انها غرتهم ولما كان فيها  
ما تميل اليه شهواتهم جاز إن يقال انها استمالت شهواتهم))<sup>(٧)</sup>.

ولهذا المعنى يشير الإمام(ع) بقوله حين سمع رجلا يذم الدنيا :  
((أَيُّهَا الدَّامُ لِلنُّبْيَا الْمُعْتَرُّ بِعُرُورِهَا ، الْمُنْخَدِعُ بِأَبَاطِيلِهَا أَوْ تَعْتَرُّ بِالدُّنْيَا تَمُّ نَمِّهَا))<sup>(١)</sup>.

ويتوسع الامام(ع) في تشخيصاته للدنيا فيخلع عليها صفة من تستميل اليها  
الرجال فتغريهم بزینتها ودلها فيقول :

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٦٣/١

( ٢ ) الدخان : ٢٩

( ٣ ) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٩٥/٣

( ٤ ) لقمان : ٣٣

( ٥ ) الأنعام : ٧٠

( ٦ ) الجاثية : ٣٥

( ٧ ) الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ١٤٠

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٣٦/٢

(( أَلَا وَ هِيَ الْمُتَصَدِّ يَةُ الْعُنُونُ .. وَ الْمَائِنَةُ الْخُنُونُ وَ الْجَحُودُ الْكُنُودُ ، وَ الْعُنُودُ الصَّدُودُ وَ الْحَيُودُ الْهَيُودُ ))<sup>(١)</sup> .

وهي في قول آخر: (( فَاحْتَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا عَدَارَةٌ عَرَّارَةٌ خَدُوعٌ ، مُعْطِيَةٌ مُنُوعٌ مَلْبَسَةٌ نُرُوعٌ ))<sup>(٢)</sup> .

ويلحظ كثرة استعمال مشتقات صيغ المبالغة في شدة وصف اغترارها .  
وأخذ استعارة (الادراك) للموت التي جاءت في قوله تعالى:

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فقال :

(( وَ أَنتُمْ طُرُودًا لِمَوْتٍ ، إِنَّ أَقْمَتُمْ لَهُ أَخَنُكُمْ وَ إِنَّ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكُكُمْ ))<sup>(٤)</sup> .

نستخلص مما سبق أن الإمام عليا (ع) يضع الاصل القرآني ويعمل على اشتقاق مزيد من الصور عليه في دلالة واضحة على قوة حضور النص القرآني وأثره في كلامه (ع) .

### ٣- الاستعارة التمثيلية :

الاستعارة التمثيلية قائمة على تشبيه التمثيل بمعنى أن الجامع الذي يقابله وجه الشبه كيفية منتزعة من متعدد صفات من الكلام<sup>(١)</sup> ، مثل قوله تعالى:

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾<sup>(٢)</sup> .

فاستعارة (انسلخ) تمثيل لمدى تخلي هؤلاء عن آيات الله تعالى وهي تصور حالة النزاع الشديد في مفارقتها المتدرج المشبه لحالة الشاة التي انسلخ إهابها<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) المصدر نفسه : ٨٤/٢

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٥٦/٢

( ٣ ) النساء : ٧٨

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٦٨/٢

( ١ ) ظ . عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز : ٧٣

( ٢ ) الأعراف : ١٧٥

( ٣ ) ظ . محمد حسين الصغير ، أصول البيان العربي : ٩٨

وفي بعض الاستعارات التمثيلية نجد الإمام(ع) يستمد من القرآن صوراً يجمعها ويضيف إليها ، بحيث تبدو كل صورة فيه تأخذ بحجزة أختها كما يقول الزمخشري(ت٥٣٨هـ) (١).

يقول (ع) في معرض التحذير من الشيطان:  
( ( فَاحْتَرُوا عِبَادَ اللَّهِ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ، وَ أَنْ يَسْتَفْزِمَكُمْ بِرِندَائِهِ وَ أَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِرَخِيلِهِ وَ رَجُلِهِ ، فَلَا عَمْرِي لَأَقْدُ فَوْقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ ، وَ أَعْرَقَ لَكُمْ بِالنُّرْعِ الشَّدِيدِ ، وَ رَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ )) (٢).

ويعرض الإمام(ع) تمكن الشيطان من العباد فيأتي بصور هذا المعنى من القرآن الكريم أو ينقلها بتوظيف جديد أو يضيف إليها صوراً أخرى من استعاراته هو (ع) في أسلوب اختص به (( والأسلوب يطلق على ما ندر ودق من خصائص الخطاب التي تبرز عبقرية الإنسان وبراعته فيما يكتب ويلفظ )) (٣).

فقوله: (عدو الله ) من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (٥).

وقوله: ( يعديكم بدائه ) مأخوذ من وصف الله تعالى لإبليس بالكبر والحمية وشبه تعلم الناس ذلك منه بالعدوى (( لا شتراك الأمرين في الانتقال من أحد الشخصين الى الآخر )) (٦).

وقوله(ع): ( يستفزكم بندائه... ) مستقى من قوله تعالى:

﴿ وَاسْتَفْزِمَنَّ مِنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ (٧).

وقوله(ع): (رماكم من مكان قريب) منقول بتوظيف جديد من قوله تعالى :

﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ وَكَوْتَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (٢).

( ١ ) ظ . الزمخشري ، الكشاف : ٦٦/١

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٩١/٢

( ٣ ) المسدي ، الأسلوب والأسلوبية : ٦٥

( ٤ ) فاطر : ٦

( ٥ ) الممتحنة : ١

( ٦ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٣٨/١٣

( ٧ ) الإسراء : ٦٤

( ١ ) ق : ٤١

( ٢ ) سبأ : ٥١

و ( سهم الوعيد ) لفظ مستعار يعني به الإمام (ع) قوله تعالى حكاية عن إبليس :  
﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

والإمام (ع) جمع من هذه الصور القرآنية بأسلوب نادر مضياف إليها علاقات جديدة لتغدو مستوفية المعنى الذي يريد توضيحه ، فصورة لإبليس وهو يعدي بدائه من التكبر وعلل النفس المختلفة . وصورة أخرى وهو يزعج الناس ويستخفهم بدعائه القبيح ، وصورة له وهو يجلب بخيله ورجله تشبيها لحاله في تسلطه على بني آدم بمن يغير على قوم بخيله فيستأصلهم ، وصورة له وهو يفوق سهمه في وتره ، وصورة له وهو يستوفي مد القوس ويبالغ في نزعها ليكون مرماه أبعد ووقع سهامه أشد ، وصورة له وهو يرمي على تلك الحالة من مكان قريب ضمانا لإصابة الهدف .

هذه الاجزاء وهي مفردة ليست لها قيمة فنية متميزة ولكنها حين تجتمع وتضم الى بعضها البعض يتشكل منها هذا المشهد التمثيلي لإبليس وتمكنه من العباد حملا لهم على الاستعداد لمحاربتة لذا صدر الإمام (ع) كلامه بالتحذير منه .

ومن الاستعارات التمثيلية قول الإمام (ع) قبل وفاته :  
((إِنَّ تَبَّتِ الوُطَاةُ فِي هَذِهِ المَرَلَةِ فَذَاكَ ، وَ إِنْ نَدَحَضَ القَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَقْيَاءِ أَغْصَانٍ ، وَ مَهَبَّ رِيَّاحٍ وَ تَحْتِ ظِلِّ غَمَامٍ ، اضمحلَّ فِي الجَوِّ مُتَلَفِّفَهَا وَ عَفَا فِي الأَرْضِ مَخْطُهَا ))<sup>(٢)</sup>.  
فاستعار ثبات الوطأة للسلامة والبقاء حيا ولفظة (الدحض) للموت ، فمثل سلامته وعودته بعد معافاته من جراحه بثبوت القدم في مكان زلق وكنى عن الموت بانزلاق القدم الذي هو الدحض .  
اماقوله (فإننا..). فمراده : (( انه كان في حال شأنها الزوال فزالت وما هو بعجيب ))<sup>(٣)</sup> .

ولا أحسب إن دحض القدم له علاقة بأفياء الاغصان او مهب الرياح او ظل الغمام فهي كلها كنايات عن الزوال ولا توصف بشدة الظلمة التي يكون الزلق من أثارها كما فسرها الحوفي بقوله : (( وصور موته بانزلاق القدم في مكان مظلم غطته الأشجار وهبت فيه الريح وغطاه السحاب ونزل فيه المطر ))<sup>(١)</sup> .

( ١ ) ص : ٨٢

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٣٩/١

( ٣ ) محمد عبده ، نهج البلاغة : ٢٨٨/١

( ١ ) الحوفي ، بلاغة الامام علي : ١١٣

والدحض من الاستعارات التي وردت كثيرا في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

استعيرت لتشبيه الحجة بعدم الاستقرار (( كالواطيء الذي تضعف قدمه فيزلق عن مستوى الأرض ولا يستمر على الوطاء))<sup>(٢)</sup>.

وداحضة مجاز عقلي اراد به مدحوضة للمبالغة في بطلانها ، وذلك من باب إطلاق اسم الفاعل وإرادة المفعول ، وعليه قوله تعالى:

﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وجملة الأمر إن الاستعارة القرآنية من أبين مظاهر الأثر البياني في نهج البلاغة وهي جزء فاعل في سياق التعبير لا غنى للمعنى عنها لأن فيها اكتماله وتمامه .

## رابعا : الملحظ الكنائي

### التعريف بالكناية :

تعرف الكناية بأنها (( لفظ أريد به لازم معناه ))<sup>(١)</sup> ، ولازم معناه أي النتيجة المباشرة لهذا المعنى ، وهو الذي يوضحه عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في تعريفه للكناية بقوله : (( أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ

( ١ ) الشورى : ١٦

( ٢ ) الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٢٩٧

( ٣ ) الصافات : ١٤١

( ١ ) السيوطي ، معترك الأقران : ١٩٢

الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود، فيوميء به اليه ، ويجعله دليلا عليه ))<sup>(١)</sup>.

إذن الكناية إثبات المعنى الأخير يتوصل اليه من المعنى الحقيقي . وهي مأخوذة من كنييت الشيء اذا سترته أو من الكنية التي تقال للرجل بدلا من ذكر اسمه الحقيقي<sup>(٢)</sup>.

وهي على كلا القولين تناسب تعريفها في الدلالة على استتار المعنى المراد والمستتبط من المعنى الأصلي ، قال الزركشي(ت٧٩٤هـ): ((إن العرب تعد الكناية من البراعة والبلاغة وهي عندهم أبلغ من التصريح ))<sup>(٣)</sup>.

ولابد في الكناية من المناسبة التي تجمع بين المعنى الأصلي والمعنى المكني فضلا عن وضوحها وثباتها<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن في خفاء المعنى الثاني الذي يفيد الكناية فضلا من المبالغة والتفخيم له لا يستبين في حال التصريح (( وكما أن الصفة اذا لم تأتكم مصرحا بذكرها مكشوفاً عن وجهها ولكن مدلولاً عليها بغيرها كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لمكانها))<sup>(٥)</sup>.

## من آثار الكناية القرآنية في نهج البلاغة :

وللكناية القرآنية أثر واضح في تعبيرات الإمام علي (ع) ، سنحاول تبيانه من خلال المظاهر البيانية الآتية :

### ١- جدة الكناية القرآنية :

( ١ ) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز : ٦٦ . ظ . الرازي ، نهاية الإيجاز : ١٥٣ . الزركشي ، البرهان : ٣٠١ / ٢

( ٢ ) ظ . ابن منظور ، لسان العرب : كني

( ٣ ) الزركشي ، البرهان : ٣٠٠ / ٢

( ٤ ) ظ . عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز : ٣٠٨-٣٠٩

( ٥ ) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز : ٣٠٦ . ظ . العسكري ، الصناعتين : ٣٦٠ . ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة : ١٩٢

في القرآن الكريم كنايات كثيرة تدل على أسلوب مميز اختص به التعبير القرآني ، قال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : (( ولاترى أحسن ولا أطف ولا أحز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه ))<sup>(١)</sup> .

فما الجديد في الكنايات القرآنية ؟

يلحظ على كنايات القرآن الكريم خلود العلاقة فيها بمعنى إن الكناية التي ترتبط كثيرا بأعراف المجتمع - إذ تعد أصدق صورة له - كثيرا ما يندثر استعمالها لأنها تشع من الأصل الحقيقي لها وهو العرف الخاص المرتبط بدلالات مكانية وزمانية للمجتمع ، فكثير من الكنايات التراثية يكاد يندثر استعمالها لأن علاقتها ليست خالدة مثل قول الشاعر يكني عن الكرم<sup>(٢)</sup> :

لا أمتع العوذ بالفصال ولا (المضارع)  
أبتاع إلا قريبة الأجل

والعوذ أمهات الإبل والفصال هي الجمال الصغيرة والشاعر يفتخر بكرمه بقوله انه لا يدع العوذ الأم تهناً بصغيرها الذي تلده حتى تطفمه بل هو يسارع الى ذبحه للضيوف<sup>(٣)</sup> .

أما قوله: ( لا ابتاع الا قريبة الأجل ) فهو كناية عن أن ما يشتريه من الماشية عمره قصير لأنه يسارع به الى ذبحه إكراما للضيوف .

فهذه الكنايات وغيرها مثل (كثير الرماد ، جبان الكلب ، مهزول الفصال )<sup>(٤)</sup> ، تكاد تفقد طاقتها التعبيرية اليوم لانحصارها في زمانها ومكانها البعيدين عن ذائقة العصر الحديث .

بينما كنايات القرآن تعبير عن اشتراك انساني عام لأن دلالتها على معانيها باقية لا تختلف باختلاف البيئات ولا تختص بعصر دون آخر .

قال تعالى : ﴿ وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا ﴾<sup>(٥)</sup> .

فتقليب الأيدي كناية عن الندم يتفق عليها العرف الإنساني في كل عصر وليست من قبيل العلاقة الآنية الزائلة .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُورُهُمْ وَوَسَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾<sup>(١)</sup> .

( ١ ) الزمخشري ، الكشاف : ٤٦/٣

( ٢ ) ظ. القزويني ، الإيضاح : ٣٣٤ . والبيت لابن هرمة ينظر في الأغاني للأصفهاني : ٢٥٩/٥

( ٣ ) ظ . الجرجاني ، دلائل الإعجاز : ٤٣١

( ٤ ) المصدر نفسه : ٦٦-٧٠-٣٠٧ . ظ. العسكري ، كتاب الصناعتين : ٣٤١-٣٤٢

( ٥ ) الكهف : ٤٢

( ١ ) السجدة : ١٢

فناكسو الرؤوس أي مطرقوها حزنا وغما عند ربهم أي (( عند مجازاته وهو مكان شدة خجلهم))<sup>(١)</sup> .

وقد تعارف أبناء البشر على أن انكسار الطرف وطأطأة الرأس من أبرز المظاهر الدالة على الذل والهوان .

ومما امتاز به الاستعمال الكنائي في التعبيرات القرآنية هو قوة وضوح الدلالة الكنائية ، ولعل قيمة الكناية فنيا فيما تصنع من صورة هو في تفاوتها في مراتب الوضوح وابتعادها عن التعقيد فكلما كان المكنى عنه قريب الفهم لا يحتاج الى كد وجهد كانت الكناية في الدرجات العلى من المستوى الفني وكلما كانت غامضة كانت غثة مشوهة<sup>(٢)</sup> .

والكناية في القرآن مثلت أعلى مراتب الوضوح للمعنى المكنى عنه نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup> .

ففي الآية الكريمة ثلاث كنايات تنقل السامع مباشرة الى تخيل حجم هذا الفرع الذي نكاد نراه متجسدا في كل كناية منها ، فنراه في الأم الذاهلة عن رضاعة وليدها بعد أن أفقدها هول الفرع حنانها الغريزي ، ونحسه في هذا الحمل الساقط قبل تمامه من كل ذات حمل ، ثم يتجسد هذا الفرع في هيئة الناس الذين اصفرت وجوههم واتسعت أحداقهم وتمايلت أجسادهم وهي تشبه مشاهد السكر وما هو بسكر<sup>(٤)</sup> . وعلى هذا الوضوح جاءت الكناية في قوله تعالى :

﴿أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مَبِينٍ﴾<sup>(٥)</sup> .

وهي كناية واضحة الدلالة على النساء ، لأن النساء وحدهن في كل زمان ومكان تهتم بالحلية وتنشأ فيها وكذلك معلوم أن حياء المرأة يمنعها من الخصام والمجادلة<sup>(٦)</sup> .

والمراد نفي الأنوثة عن الملائكة وكونهم بنات الله تعالى سبحانه عن ذلك فكفى عن النساء بأنهن ينشأن في الحلية والترف والتزين<sup>(٧)</sup> .

والكناية القرآنية ترتبط ارتباطا وثيقا بسياقها في ملاءمة دقيقة بين المعنى المكنى عنه في الصورة الجديدة وبين السياق الذي وردت فيه ، قال تعالى :

( ١ ) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط : ١٩٦/٧

( ٢ ) ظ .قدمة بن جعفر ، نقد الشعر : ١٨١-١٨٢

( ٣ ) الحج : ٢

( ٤ ) ظ . البيضاوي ، تفسير البيضاوي : ١١٣/٤

( ٥ ) الزخرف : ١٨

( ٦ ) ظ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٧١/١٦-٧٢

( ٧ ) ظ . الزركشي ، البرهان : ٣٠٨/٢

﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْحِ وَدُسِّرُ ﴾<sup>(١)</sup>، فالكناية بالألواح والدرس وهي المسامير<sup>(٢)</sup> عن السفينة (( إشارة الى أن أنها كانت من ألواح مركبة موثقة بدرس وكان انفكاكها في غاية السهولة ولم يقع بفضل الله))<sup>(٣)</sup>.

لذا عدل التعبير القرآني عن لفظ السفينة الى الكناية بـ(الألواح والدرس) حتى لا يظن الناس إن نجاة نوح وسط تلك الأمواج المتلاطمة بسبب متانة السفينة وعظمتها لا بسبب عناية الله تعالى وحفظه. إذن هناك مواعمة دقيقة بين الصورة والمعنى بين الكناية وسياقها.

وفي نهج البلاغة كثير من كنايات القرآن الكريم يقتبس بعضها وينقل بعضها الآخر الى توظيف جديد كدأب الإمام (ع) دائما في تأثره بأسلوب التعبير القرآني فمن كنايات القرآن الجديدة تعبيره عن الأرحام بالقرار المكين، نحو قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾<sup>(٤)</sup>، ومكين أي مكن لذلك وهيء له ليستقر فيه الجنين.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

ومعنى الغلف الأوعية<sup>(٦)</sup>، وهو كناية عن الاستعفاء من كلام الرسول (ص) والاحتجاز عن دعائه، والمعنى ان قلوبهم في اوعية لا تفهم شيئا مما يقال لها<sup>(٧)</sup>.

وأخذ الإمام (ع) بهذه الكنايات فقال من خطبة يصف خلق الإنسان:

(( وَ وُضِعَتْ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ وَ أَجَلٍ مَقْسُومٍ ))<sup>(٨)</sup>.

وقال (ع) من كتاب الى معاوية: (( فَإِنَّكَ وَ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ الْأَعْلَافُ الْقَلْبُ ))<sup>(٩)</sup>.

واستعمل الامام (ع) الكناية القرآنية فعبر بها عما يستقبح به التصريح مثل قوله

ناصحا: ((..فَإِذَا نَظَرْتُكُمْ لِي امْرَأَةً تُعْجِبُهُ قَلِيلًا مِمَّنْ أَهْلُهُ ، فَإِنَّهَا هِيَ امْرَأَةٌ كَأَمْرَأَتِهِ))<sup>(١٠)</sup>.

ولاريب في أن هذا من قوله تعالى: ﴿ أُولَآئِ السُّوءِ النَّسَاءِ ﴾<sup>(١)</sup>، كناية عن الوطء.

(١) القمر : ١٣

(٢) ظ. الراغب ، المفردات : ١٦٩

(٣) الرازي ، التفسير الكبير : ٣٨/٢٩

(٤) المؤمنون : ١٣ . وينظر في تفسيرها : الطبري ، جامع البيان : ١٣/١٨

(٥) البقرة : ٨٨

(٦) ظ . الراغب ، المفردات : ٣٦٤

(٧) ظ . الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ١١٧ . السمعاني ، تفسير السمعاني : ١٠٧/١

(٨) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٨٧/١

(٩) المصدر نفسه : ٢٨٢/٢

(١٠) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٠١/٢

(١) النساء : ٤٣ . ظ . الراغب ، المفردات : ٤٥٤

وكثيرا ما يعدل التعبير القرآني عن التصريح بمعاني مباشرة النساء إلى الكناية عنه<sup>(١)</sup> بكنايات مختلفة يقتضيها السياق كالملازمة والمباشرة وكلها تنسم بالإشارة والتلميح اللائق بسمو القرآن ، وعفة أسلوبه عند تعبيره عن التلاقي الجنسي .

وفي مثال آخر ، قال (ع) :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِمِيتًا وَلَا سَقِيمًا ، وَلَا مَضْرُوبًا عَلَى عُرُوقِي بِرِسْوَةٍ﴾<sup>(٢)</sup> ، فقوله الأخير كناية عن البرص الذي يستقبح العرب ذكره .

وجاءت هذه الكناية من قبل في قوله تعالى:

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾<sup>(٣)</sup> ، والسوء الرداءة والقبح في

كل شيء<sup>(٤)</sup> ، كني به عن البرص (( والبرص أبغض شيء إلى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة وأسماعهم لاسمه مجاعة فكان جديرا بأن يكنى عنه ))<sup>(٥)</sup> .

ووقعت كنايات اليد في القرآن الكريم كثيرا بمعنى البخل كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ

الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾<sup>(٦)</sup> ، فالغل كناية عن البخل ومبسوطتان كناية عن الكرم وجاء بلفظة اليد مثناة رغم إفرادها في أول الآية ليكون أبلغ في السخاء والجود<sup>(٧)</sup> .

وأخذ الإمام(ع) بهذه الكناية فقال من خطبة في التوحيد :

(( وَ الْبَاسِطُ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ ))<sup>(٨)</sup> .

وتوسع الإمام(ع) في استعمال هذه الكنايات بمعنى آخر ، مثل قوله في بيعته

بالخلافة: (( وَ بَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَّيْهَا وَ مَدَدْتُمْوَهَا فَفَبَضَّتْهَا ))<sup>(٩)</sup> .

لأن البيعة تتم بالمصافحة ببسط اليد وكفها يعني إعراض الإمام(ع) عنها وزهده فيها .

ومثل قوله في موضع آخر:

(( فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ ، وَ أَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ ، وَ أَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ ))<sup>(١)</sup>

وبسط الأيدي هنا كناية عن القدرة والسيطرة ، وكفها كناية عن القصور والمنع .

## ٢- تصوير حالات النفس الإنسانية:

( ١ ) ظ. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ: ١٤٢ . محمد حسين الصغير، أصول البيان العربي: ١١٥

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢١/٢

( ٣ ) طه : ٢٢

( ٤ ) ظ . الراغب، المفردات: ٢٥٣

( ٥ ) الزمخشري ، الكشاف : ٤٦/٣

( ٦ ) المائدة: ٦٤

( ٧ ) ظ. الزركشي، البرهان : ٣٠٨/٢ . ظ . الشريف الرضي، تلخيص البيان: ١٣٣- ٢٠٠

( ٨ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٢٣/١

( ٩ ) المصدر نفسه : ٥٥/٢

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٣٤/١

من الكنايات التي أخذها الإمام (ع) من القرآن الكريم تلك التي تصور حالات النفس المختلفة من خوف أو أمن ورضا أو غضب وجبن أو إقدام وندم أو حسرة . قال الإمام (ع) مصورا لحظات من حضره الموت:

(إِنَّهُ لَبَيِّنٌ أَهْلِيْنُظُرُ بِرَبِّصَرِهِ ، وَ يَسْمَعُ بِرَأْتْنِهِ عَلَي صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ ، وَ بَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ ، يُكْذِبِيْمَ أَقْتَى عُمُرِهِ ، وَ فِيْمَ أَذْهَبَ دَهْرُهُ ، وَ يَنْتَكِرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا أَعْْمَضَ فِي مَطَالِيْبِهَا ، وَ أَخَذَهَا مِنْ مُصْرَحَاتِيْهَا وَ مُسْتَبْهَاتِيْهَا ... فَهُوَ يَعِضُّ يَدَهُ نَدَامَةً ، عَلَي مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ ، وَ يَرْهَدُ فِيْمَا كَانَ يَرْعَبُ فِيْهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ ، وَ يَتَمَنَّى أَنَّ الْأَنْبِيَّ كَانَ يَعْبِطُهُ بِهَا ، وَ يَحْسُدُهُ عَلَيْهَا فَذَ حَارَهَا دُونَهُ ، فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ ، حَتَّى حَلَّاسَمَعَهُ ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِرِلسَانِهِ ، وَ لَا يَسْمَعُ بِرِسْمَعِهِ ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِرَأْتِظَرِ فِي وُجُوْهِهِمْ)) (١) .

وفي كلام الإمام (ع) هذا كنايات كثيرة لأن ايماءات الإيحاء التي توفرها الكناية أبلغ من لغة التصريح (٢) .

فقوله: (أغمض) توحى بتساهل هذا الإنسان أيام عافيته في اكتساب الأموال (( بتأويلات ضعيفة في استحلالها )) (٣) ، وهي من قوله تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيْهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيْهِ﴾ (٤) .

والغمض هو النوم العارض لذا كني به عن التساهل والتغافل (٥) . والإغماض يوحى بتجاهل الموضوع الذي يقدم عليه الإنسان ، فهو مع عرفانه به ، يغمض عنه ، كما يغمض الباصر عما لا يريد رؤيته ، فهو يرتكبه جزافا ، ويحاوله غير مبال ولا متورع .

وقوله: (يردد طرفه) كناية عن كثرة النظر وتكراره لوجوه أهله . ومثل هذا قوله (ع): (( وَ لَا تَنْتَرَامُوا بِرِأْتِأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُوْنَهُ مِّنِّي )) (٦) ، والترامي هو لحظ بعضهم بعضا .

أما قوله (ع): (( يعض يده )) فهي من الكنايات التي جاءت في القرآن الكريم وهي تصور حالة الندم عند أبناء البشر فقد وردت في موضعين نحو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَي يَدِيْهِ﴾ (١) .

(١) المصدر نفسه : ٢٥٠/١

(٢) ظ . جابر عصفور ، الصورة الفنية : ٧٨

(٣) محمد عبدة ، نهج البلاغة : ٢١٢/٢

(٤) البقرة : ٢٦٧

(٥) ظ . الراغب ، المفردات : ٣٦٥

(٦) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٢٥/١

ويذكر الزمخشري(ت٥٣٨هـ) ان((عض اليدين بالأنامل ، والسقوط في اليد ، وأكل البنان ، وحرق الأسنان والأرم وقرعها كنيات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف ))<sup>(٢)</sup> .

وتكررت هذه الكناية في موضع آخر من قوله تعالى:

﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَاْمِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾<sup>(٣)</sup> .

وفي كناية أخرى قال الإمام(ع) :

((إِذَا دَعَوْتُمْ إِلَيَّ جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي عَمْرَةٍ))<sup>(٤)</sup> .  
ودوران الأعين وصف حقيقي أراد ما يلزم عنه وهو الحيرة والتردد والخوف<sup>(٥)</sup> .

وقد وقعت هذه الكناية في التعبير القرآني في قوله تعالى:

﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾<sup>(٦)</sup> .

فحال من ينزل به الموت الذهول والحيرة وشخوص البصر وعدم اطرافها من الخوف والفرع ، وهذه حالة المناقنين عندما يدعون الى الجهاد كناية عن جبنهم<sup>(٧)</sup> .

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾<sup>(٨)</sup> .

والترائي كناية عن التقارب والتداني فهو تقارب الأشخاص<sup>(٩)</sup> .

ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾<sup>(١٠)</sup> .

فالترائي هو التقارب الى درجة رؤية بعضهم بعضا والنكوص كناية عن رجوع الفار القهقري على قفاه هاربا<sup>(١١)</sup> .

وأخذ الإمام(ع) كناية النكوص للدلالة على الهرب فقال(ع) من كتاب الى

معاوية:

( ١ ) الفرقان : ٢٧

( ٢ ) الزمخشري ، الكشاف : ٢١٨/٣

( ٣ ) آل عمران : ١١٩

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٩٢/١

( ٥ ) ظ . ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٧٩ /٢

( ٦ ) الأحزاب : ١٩

( ٧ ) ظ . الطبرسي ، مجمع البيان : ١٤٢/٨

( ٨ ) الشعراء : ٦١

( ٩ ) ظ . الشريف الرضي ، تلخيص البيان : ٢٥٦

( ١٠ ) الأنفال : ٤٨

( ١١ ) ظ . الطبري ، جامع البيان : ٢٨/١٠

(( وَ أَرَدَيْتَ جَيْلًا مِّنَ النَّاسِ كَثِيرًا ، خَدَعْتَهُمْ بِرِعْيِكَ وَ أَفْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ ، نَعَسَاهُمْ الظُّلُمَاتُ وَ تَنَلَّظُمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ فَجَارُوا عَنْ وَجْهَتِهِمْ وَ نَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَ تَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ ))<sup>(١)</sup> .

والتولي على الادبار كناية عن الفرار وقد جاءت في القران كثيرا مثل قوله تعالى : ﴿ وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِليًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

واستعملها يصف نصرته (ع) للنبي:9:

(( وَ لَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِرَيْسِي فِي الْمَوَاطِنِ ، الَّتِي تَنكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ ، وَ تَتَأَخَّرُ الْأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِهَا ))<sup>(٣)</sup> .

وتأخر الأقدام كناية عن التردد والنكوص كناية عن الفرار.

من كل ما سبق بدا أن للكناية القرانية أثرا واضحا في الكشف عن خبيئات النفس ورصد حالاتها فكان معنا آخر استقى منه الإمام(ع) كلما توخى التعبير بلغة الإيحاء .

## الفصل الثالث

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٠٣/٢

( ٢ ) الفتح : ٢٢

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٥٨/١

# جرس الألفاظ

توطئة :

آليات الجرس :

الأول : السجع : تعريفه :  
قيمته الموسيقية

الثاني : التكرار

أنماط التكرار

١. تكرار الكلمة

٢. تكرار الحرف

الثالث : الجناس :

أنواع الجناس في القرآن:

١. الجناس التام

٢. الجناس الناقص

٣. جناس التصحيف

٤. الجناس المضارع

٥. الجناس المعكوس

٦. جناس الإشتقاق

الرابع : التوازن : تعريفه :

١. اثره في إحداث النغم القرآني

٢. وسائل الإمام (ع) في طلب التوازن

## توطئة :

الجرس في اللغة هو النغم وجرس الحرف نغمته<sup>(١)</sup> ، (( وجرس الكلام : نغم به ))<sup>(٢)</sup> ، وفي الاصطلاح يرتبط الجرس بفصاحة اللفظة ومدى استحسانها أو استقباحتها ف(( الذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن ، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح ))<sup>(٣)</sup> ذلك لأن المفاضلة بينهما (( تكون في جرسهما أو صوتهما لا في دلالتهما على المعنى ))<sup>(٤)</sup> .

وبالتكريب النغمي لجرس الألفاظ يتشكل الإيقاع بحركات منتظمة تتآلف في مجموعات متساوية ومتشابهة<sup>(٥)</sup> ، بمعنى أن هناك بعدين أساسيين يحددان طبيعة الإيقاع ومكوناته هما الحركة والتنظيم ، فهو (( تردد ظاهرة صوتية على مسافات زمنية محددة النسب ))<sup>(٦)</sup> .

وفي الحركة يتحدد الجانب المادي للإيقاع أي حركة الوحدات الصوتية في بعد زمني معين ، وفي التنظيم يتحدد الجانب الذهني الذي يحكم العملية الإيقاعية من حيث التماثل والتوقع<sup>(٧)</sup> ، (( فهو التناغم الذي يقيمه الفنان بينه وبين المخاطب عن طريق الموضوع ، هو الموسيقى المنبعثة من داخل الصياغة ، وهو ليس مجرد نغمات مكررة فقط ، بل هي تصوير لجو المعنى طلبا للتواصل المستمر بين المتكلم والمخاطب والموضوع ))<sup>(٨)</sup> .

ولعل أظهر خصيصة في شكل التعبير القرآني هي في توافر التشكيلات الصوتية فيه على إيقاعات نغمية تتساقط بطريقة منتظمة مع دلالاتها<sup>(٩)</sup> ، فهي (( وسيلة سخرها القرآن العظيم بغية تأدية الغرض الديني ... فكان أن جعل منه أداة للتمكين والتأثير قصد الاستجابة والإذعان وهو بهذا، آل إيقاعاً قرآنياً مميزاً في رصف حروفه، وترتيب كلماته وبديع نظامه، دون كل ترتيب وكل نظام تعاطاه الناس في كلامهم المنظوم أو المنثور. إنها الميزة التي جعلت منه خطاباً يتعالى على التبديل والتغيير ))<sup>(١٠)</sup> .

( ١ ) ظ . ابن سيده ، المخصص : ١٤٢/٢

( ٢ ) الزمخشري ، أساس البلاغة : ١١٨

( ٣ ) ابن الأثير ، المثل السائر : ١١٥/١

( ٤ ) جميل سعيد ، دروس في البلاغة : ١٠٧

( ٥ ) ظ . شكري عياد ، موسيقى الشعر العربي : ٥٣

( ٦ ) مصطفى جمال الدين ، الإيقاع في الشعر العربي : ٤٥ . وينظر: كمال أبو ديب، البنية الإيقاعية للشعر العربي : ٣٠٦ .

( ٧ ) ظ . فؤاد زكريا ، مع الموسيقى : ٦١

( ٨ ) منير سلطان ، البديع تأصيل وتجديد : ٢٣

( ٩ ) ظ . محمد حسين الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن : ١٦٤

( ١٠ ) محمد حريز ، البنية الإيقاعية وجماليتها في القرآن ، مجلة التراث العربي ، العددان : ٩٩ و١٠٠ ، ٢٠٠٥ م .

وهذه المسحة النغمية قد حار في توصيفها العرب حين سمعوها أول مرة من النبي محمد (ص) ، لذا كانت دائرة الشعر مما حصروا فيه التعبير القرآني باعتبار توافر الشعر على الإيقاع وقيامه عليه ، ولأنه الشكل الأقرب الى أذهانهم وهم بعد يعنون (( بموسيقية الكلام لأنهم لم يكونوا أهل كتابة وقراءة بل أهل سماع وإنشاد ))<sup>(١)</sup> .

ولكنّ الذي سمعوه ليس من جنس ما عهدوه من نظام الشعر الذي ألفوه ، القائم على تنظيم صوتي موحد يلتزم به الشاعر من أول القصيدة الى آخرها ، فليس الحال كذلك في القرآن الكريم ، فأدبية الشعر مذابة في القرآن الكريم وليس هو بشعر قطعاً ، والإيقاع من صميم أدبيات الشعر .

ولأستاذنا الدكتور الصغير رأي في هذا الاتجاه فهو يرى : (( أن القرآن ليس شعراً ، وإن اشتمل على جميع بحور الشعر وأوزانه من الرجز الى المتدارك الذي تداركه الأخفش على الخليل بن أحمد الفراهيدي ، فالرجز المتمثل في نماذج كثيرة من القرآن أبرزها قوله تعالى : ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾<sup>(٢)</sup> . حتى المتدارك الذي

يمثله قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وكلاهما بحران من بحور الشعر إلا أننا لانستطيع أن نسميهما شعراً ، ولا اتفق أن قال ذلك أحد ، كما يقولون في الرجز لمنظومة ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) التي يبدوها بقوله :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم      واسم وفعل ثم حرف الكلم  
(الرجز)

وكذلك لا يسمون الآية الأولى من سورة الكوثر شعراً كما يسمون بذلك قصيدة السيد رضا الهندي - مثلاً- في أمير المؤمنين (ع) ومطلعها<sup>(٤)</sup> :

أمفلج ثغرك أم جوهر      ورحيق رضابك أم سكر  
(المتدارك)

فهذا شعر وذلك قرآن ، وكذلك لا نسمي قصص القرآن وعبره وأمثاله وتواريخه وتشريعاته وحديثه عن الكون والخلق والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار نثراً ، وإن اشتمل على أغلب فنون النثر والأنواع الأدبية ، كالقصة الطويلة والقصة القصيرة ، والحكمة والأمثال والخطبة والجدل والحوار والمناظرة والحديث ، والفن الأدبي والسجع والمقالة وسوى ذلك ، وهذا كله يسمى قرآناً ، ولا يقال بأنه نثر ، ولهذين الملحظين المهمين كان الكلام العربي هو النثر والشعر وتوابعهما ، وأما كلامه تعالى فهو القرآن وحده وكفى<sup>(١)</sup> .

( ١ ) ابراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ : ١٩٩

( ٢ ) طه : ٢٤

( ٣ ) الكوثر : ١

( ٤ ) السيد رضا الهندي ، ديوانه : ٢٠

( ١ ) مقابلة شخصية مع الدكتور الصغير في ٢٣/رمضان ١٤٢٨هـ

إذن في التعبير القرآني توافقات نغمية ليست مقصودة بحد ذاتها بل اقتضاها السياق الدلالي الذي جاءت فيه هذه الألفاظ .

ومن هنا تتبدى في التعبير القرآني صيغة من التناسق الفريد بين التشكيل الصوتي للفظة وبين المضمون الدلالي لها بحيث يغدو الفصل بينهما ضرباً من التعسف والتكلف .

بمعنى أن استبدال اللفظة المنتقاة التي وفرت إيقاعاً ما بلفظة أخرى سيخل بأداء المعنى إخلالاً واضحاً كما سيمر في البحث . ولكن ما الغرض من هذه الإيقاعات ؟

يمكن للإيقاعات الصوتية أن تكون نمطاً من أنماط التعبير الفني (( فللموسيقى دور هام في بنية الخطاب ولها علاقة مباشرة بالدلالات المتنوعة التي تتولد عنها))<sup>(١)</sup> .

إنّ موسيقى الألفاظ تشكل جانبا كبيرا من التأثير في قضية التلقي ، فلها الفضل في تهيئة الأذهان واستقطابها، وتفاعلها بعد ذلك مع ما يطرح إليها من موضوعات ، فالنفس الإنسانية بفطرتها تميل إلى الإيقاع الصوتي المنتظم ، وتأنس إليه ، وتقبل عليه ، وهذا عين ما تريده التعبيرات الفنية من المتلقي : الإقبال ثم التأثير ، (( ولاشك أن كلا من الشعر والخطابة ، كلام قصد به أولاً وقبل كل شيء التأثير في العاطفة ، وسر هذا التأثير يمكن أن يكون عن طريق الجمال في المعنى ، أو عن طريق الإيقاع والنغم في اللفظ ))<sup>(٢)</sup> .

وفي النصوص الإبداعية تبدو موسيقى الألفاظ شيئاً لافتاً للنظر ولذلك فإنّ (( معنى القصيدة إنما يثيره بناء الكلمات كأصوات أكثر مما يثيره بناء الكلمات كمعان ، وذلك التكتيف للمعنى الذي نشعر به في أية قصيدة أصيلة إنما هو حصيلة لبناء الأصوات ))<sup>(٣)</sup> .

كان العربي يؤمن بقيمة الأثر الصوتي ، وما اهتمامه بتكامل الوحدات الموسيقية في الشطر الواحد من نظام الوزن العروضي إلا دليل على رهافة أذنه إزاء الموسيقى وشدة تأثره فيها .

وفي وسط هذه البيئة المعنية بالتشكيل الصوتي نزل القرآن الكريم بإيقاعات استشعرت معها الأذن العربية قيمة البناء الصوتي فيها ، وتفاعلت معها ، وتأثرت فيها فأمنت به بعد ذلك وأيقنت بإعجازه ، وكان إيمانه دليلاً على تذوقه لهذا الفن المعجز<sup>(١)</sup> .

( ١ ) نور الدين السد ، الأسلوبية وتحليل الخطاب : ١٣٧/٢

( ٢ ) إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ : ١٩٧ . وينظر : جابر عصفور ، مفهوم الشعر : ٣٧٥

( ٣ ) أرشيبالد مكليش ، الشعر والتجربة : ٢٣

( ١ ) ظ . أحمد مطلوب ، البلاغة العربية : ١٥

وقد أشار الباحث الأمريكي جب (Gibb) في كتابه (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) إلى أن الموسيقى الظاهرة في النظم الصوتي للغة القرآن الكريم ، قد أدت دورا لا حد له في تكييف عقل السامع وتهيئته لتلقي الدعوة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

وتأسيسا على ذلك نقول إن في التعبير القرآني بناء صوتيا دقيقا<sup>(٢)</sup> أريد له أن يكون عاملا مهما في النفاذ إلى القلوب والكشف عن المعاني في ذات الوقت ، لأن الترددات الصوتية فيه ممتزجة أيما امتزاج بدلالاتها بحيث لا يمكن القول إن الإيقاع فيه يخص الشكل وحده وإن بدا خارجا عن الدلالة (( فليس للنص وجود خارج صياغته بكل مستوياتها المختلفة ))<sup>(٣)</sup> .

هذه النظرة الشمولية للتنعيم الصوتي القرآني يمكن تلمس صداها في نهج البلاغة ، فنهج البلاغة يبدو التنعيم فيه مشكلا على أساس من إتباع الطريقة القرآنية في تشكيلات أصوات الألفاظ .

بمعنى إن الآليات المعتمدة في البناء الموسيقي في نهج البلاغة هي نفسها في القرآن الكريم دون النظر إلى تلمس عين اللفظة القرآنية المستعملة في هذا البناء. وهنا سيبدو التأثير القرآني في شكله النغمي الكلي .

إنه تمثل أسلوب واقتفاء طريقة .

أي أنّ الشكل العام للبناء الإيقاعي وكثرة توافره في كلام الإمام علي (ع) تأثر واضح في إتباع البناء النغمي القرآني واعتماد آلياته في إقامته .

ومما يجدر ذكره في هذا المجال ، أنّ إتباع الطريقة القرآنية في البنية الإيقاعية على هذا النحو الكثيف ليس أمرا سهلا متاحا لكل أحد خاصة إذا تذكرنا أننا بصدد صياغة فكر جديد بعظمة الفكر الإسلامي لم تعهده الذهنية العربية من قبل من قبيل التوحيد وذكر الذات المقدسة وقضايا المعاد والعالم الآخر وغيرها .

إنّ جودة الفكر الإسلامي لا بد أنّ تشغل القائل بها عن الأداء الفني الرفيع المقتفي للأسلوب القرآني ، فلطالما سجل النقاد العرب القدماء الحصر والعبي الذي يلحق بالخطباء وهم يحاولون الإبانة عن فكرة ما في خطب الجمعة أو غيرها<sup>(١)</sup>.

(١) ظ . Modern trends in islam.H.A.R.Gibb the

uni.chicago.1975.P.4. ، نقلا عن السجع القرآني ، هدى عطية : ١٣٩

(٢) ظ.بكري شيخ أمين ، التعبير الفني في القرآن : ١٨٥

(٣) محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية : ٣١١

(١) ظ.الجاحظ .البيان والتبيين: ٢٥٠/٢

ولا ريب في أن هذه الأفكار الجديدة التي اشتمل عليها الدين الإسلامي ليست بجديدة على علي بن أبي طالب (ع) حتى نقول أنها يمكن أن تشغله عن الأداء البياني الرفيع أو يلتمس لها البناء الصوتي القائم على إثارة ذهن المتلقي وتبنيه بكل أنماط التعبير الإيقاعي .

وذلك بـين في كل خطب الإمام (ع) في التوحيد ، وفي ساحات الحرب ، فكل كلامه (ع) محمول على الارتجال (( فقد كان الإمام علي (ع) يرتجل كلماته ، يلقيها ، في مجالس القوم خلاصات تأمل ، وفي محافلهم خطبا تجيش في داخل الذات ، فينطق بها اللسان عفو خاطر ، فتأتي محكمة ( دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق ) ((<sup>(١)</sup>).

ولعل في تسمية خطبته بالشقشقية<sup>(٢)</sup> فضلا عن ارتجالاته الكثيرة في نهج البلاغة مثلا يدل على تمكن الإمام (ع) من الإبانة مع توخي الصنعة الفنية في التعبير للوصول بكلامه الى أقصى درجات التأثير في السامعين وهو بعد (( أول من عالج فن الخطابة معالجة الأديب ، وأول من أضفى عليها صبغة الإنشاء الذي يقتدى به في الأساليب ))<sup>(٣)</sup>.

ولعل ذلك من أسرار تمايز كلام الإمام (ع) المجموع في نهج البلاغة عن غيره من قادة البيان وسادة الخطابة ، إذ لم نطلع على كلام آخر غيره - مستثنين النبي صلى الله عليه وآله طبعاً - اعتمد البنية الإيقاعية القرآنية في أداء المضامين على هذا النحو الذي استكثر نسبته بعض الدارسين<sup>(٤)</sup> إلى الإمام (ع) بحجة توافره على هذه الصنعة ، متناسين كثرتها في القرآن الكريم .

( ١ ) جورج جرداق ، روائع نهج البلاغة : ٥

( ٢ ) ظ. الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣١/١

( ٣ ) العقاد ، عبقرية الإمام علي : ١٨١

( ٤ ) ظ . أحمد محمد الحوفي ، بلاغة الإمام علي : ٦٩-٧١ . محمد حسين الجاللي، دراسة حول

نهج البلاغة : ٧٣

## آليات الجرس

لآليات الجرس ظواهر فنية عدة تتمثل بمفردات فنية تشمل الإيقاع الموسيقي للسمع ، والتأكيد على أنماط التكرار في الحروف والكلمات ، وتقف وقفة طويلة متراسة عند الجناس في أنواعه المختلفة كلها ، وتتمشى مع التوازن في أثره نغما صوتيا يستقطب القرآن أصلا ، ونهج البلاغة تطبيقا في شتى مدارك الإمام علي (ع) لحقيقة التماس التوازن الفعلي في مسالك القرآن الدقيقة ، وفي هذا الضوء سيكون الحديث التفصيلي لهذه الظواهر الكبرى :

### الأول : السجع

#### تعريفه وقيمه الموسيقية :

يعرف ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) السجع بأنه (( توافق الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد ))<sup>(١)</sup>. وينطوي السجع على زخم كبير من الإيقاع لأن فيه ترديدا صوتيا يفجأ ذهن السامع فيلنذ له ويستطيه خاصة اذا وقع عفوا رهوا . وقد التفت ابن جني (ت ٣٩٢هـ) الى ذلك من قبل وهو يتحدث عن الأمثال المسجوعة التي تكون لذة استماعها مدعاة لحفظها وسيرورتها<sup>(٢)</sup> .

بعبارة أخرى ان السجع يحقق لونا من التواصل بين المبدع والمتلقي فيتمكن من اىصال ما يبتغي من مضامين وإحداث التأثير فيه والتفاعل معه ((بمعنى أن المبدع استطاع أن يؤدي دور المرسل الفاعل ، ويكون المتلقي المستقبل المتأثر والمنفعل بالرسالة ))<sup>(٣)</sup> .

وقد ذهب بعض الباحثين إلى ان السجع من مميزات البلاغة الفطرية ، فهو في أكثر اللغات يجري باطراد في الحكم والأمثال<sup>(٤)</sup> .

ووقع السجع كثيرا في التعبير القرآني فكان أحد أدواته الرئيسية في الإيقاع الصوتي الموحى والمؤثر<sup>(٥)</sup> ، وهو يسمى أحيانا بالفواصل القرآنية . ولا أدري الفرق بين السجع والفاصلة فكلاهما يؤدي الغرض الإيقاعي ذاته .

( ١ ) ابن الأثير ، المثل السائر : ٢٧٥/١

( ٢ ) ظ.ابن جني ، الخصائص : ٢١٦/١

( ٣ ) كريم الوائلي ، الخطاب النقدي عند المعتزلة : ٢٣٣

( ٤ ) ظ.زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع : ٧٥/١

( ٥ ) ظ.هدى عطية ، السجع القرآني: ١٤٧ (رسالة ماجستير، جامعة عين شمس) .

وكل الأمر أن النظرة الى السجع كانت فيها كثير من الريب ، تارة بالنظر اليه على أنه منهي عنه مستشهادين بذلك بقول الرسول الكريم (ص):  
 (( أسجعا كسجع الكهان ))<sup>(١)</sup> ، وتارة أخرى بالنظر اليه حلية عارضة لاشأن لها بالدلالة ، فالرمانى يراه صناعة لفظية غايتها العناية بالزينة الخارجية التي قد تخضع فيها الدلالة للإيقاع ومن هنا يفرق بين الفاصلة والسجع على أساس تبع المعاني للألفاظ ، ففي الفاصلة تتبع الألفاظ المعاني وفي السجع تنساق المعاني للألفاظ<sup>(٢)</sup> ، وتخلصا من ذلك الإشكال سموا السجع في القرآن فاصلة ، ولم يكن العيب في السجع بل في الذي لم يفهم هذا الفن .

وكيف ينهى النبي 9 عن السجع على إطلاقه وقد التمسه في بعض كلامه صلى الله عليه وآله ، كقوله معوذا الحسن والحسين عليهما السلام:  
 (( أعيذهما من السامة والهامة وكل عين لامة ))<sup>(٣)</sup> .  
 فهي ملمة ، ولكنه لأجل إتباع الكلمة أخواتها قال ( لامة ) . كما إن عبارة النبي 9 نفسها مفسرة لنفسها فهو ينهى عن سجع بعينه معروف عند الجاهليين فيه أكاذيب ولي للألفاظ يسمى بسجع الكهان .

ومهما يكن من أمر فإن هذا التردد الصوتي في القرآن الكريم حقق إيقاعا صوتيا يتفاعل فيه الشكل مع المضمون ويمتزج فيه الصوت بالدلالة . وهو أسلوبه الأثير خاصة في قصار سوره التي يصفها المقدسي (( كأنها حملات نارية يجري الكلام فيها بفقرات قصيرة رنانة يكثر فيها التسجيع ))<sup>(٤)</sup> .

وذلك بين في سورة مريم والطارق والبلد والمدثر والرحمن وغيرها . قال تعالى  
 : بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا \* فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا \* فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا ، فَوسَطْنَ بِهِ جَمْعًا \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ \* وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ \* أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمًا فِي الْقُبُورِ \* وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ \* إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾<sup>(٥)</sup> .

فقد وقعت الترددات الصوتية مسجوعة في ( الحاء والعين والذال والراء ) في دلالة واضحة على أن السياق هو الذي جاء بهذه السجعات وأن المعنى هو الذي اقتضاها فكان إيراد السجع في الآيات الشريفة لم يكن على نحو الإلزام بحيث ينهك المعنى ويربكه .

( ١ ) ظ . الجاحظ ، البيان والتبيين : ٢٨٧/١ . وينظر المصدر نفسه : ٢٤١/١  
 ( ٢ ) ظ . الرمانى ، النكت في إعجاز القرآن : ٨٩-٩٠ . منير سلطان، البديع : ٤٢  
 ( ٣ ) قدامة بن جعفر ، نقد الشعر : ٤٢ . وينظر : العسكري : كتاب الصناعتين : ٢٦١  
 ( ٤ ) انيس المقدسي ، تطور الأساليب النثرية : ٤٨ . وينظر : البصير ، عصر القرآن : ١٠  
 ( ٥ ) العاديات : ٣-١١ . وينظر تعليق العسكري عليها في : كتاب الصناعتين : ٢٦٠

فآيات القرآن لاتتقيد بالسجع اذا استنقله المعنى وكثيرا ما تنتهي بفواصل متقاربة غير مقيدة بالقوافي .

ولفظة (ضبحا ) لا تؤدي معناها لفظة أخرى بهذه الكيفية ، لأن الضبح وهو صوت أنفاس خيول الغزاة مرتبط بالعدو فلا يكون الا معه وكذلك القول في (قدحا) المجتلبة معمولا لصيغة الفاعل (الموريات )،و( صبحا ) فكلها جاء به المعنى. (١)

وكي يكون السجع عالي النغمة بارزا لابد من إقامته على أساس من التوازن بين الفقرات القصيرة محافظة على تكثيف الصوت المكرور وعدم تشتيته ، لذلك في السور القصار نجد التنعيم الإيقاعي شديدا عالي النغمة بسبب إقامة السجع على أسلوب الفقرات القصيرة المتوازنة ((والأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام )) (٢).

ووقع السجع كثيرا في كلام الإمام علي(ع) إذ (( تحفل خطب الإمام بسجع كثير يضيف الى روعة التعبير وجودة الإلقاء وجلال الشخصية وسمو الفكرة نوعا مستطابا من الموسيقى .وفي رسائله وحكمه سجع أيضا)) (٣). وهو العلامة الأبرز في كلام الإمام (ع)، قال فيه العلوي (ت٧٤٩هـ)) (فأما الأمثلة من كلام أمير المؤمنين فهي كثيرة ، وله فيه اليد البيضاء والقدم السابقة )) (٤).

ولاشك في أن الخطب المسجوعة- سجعا غير متنافر- لها رنين في قرارة النفس يهزّ الأفتدة و يأخذ بمجامع الأبواب، و أنّ لها نصف تأثير الشعر- إذ توافر فيها أحد شرطيه- وعلي (ع) في خطبه يبغى أن يلين القناة الجامدة و يجمع الأهواء الشاردة و يستهوي الأفتدة المستعصية (٥).

ولامجانبة للصواب اذا قلنا أن سبب علوق كلام الإمام(ع) في الأذهان وحفظه من الضياع هو في كثرة اشتماله على موسيقى سجعية كثيفة أخاذة سلك بها سبيل القرآن في سهولته وعدم قهر المعاني عليه ، ذكر الجاحظ(ت٢٥٥هـ) انه (( قيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي ، لم تؤثر السجع على المنثور ، وتلازم نفسك القوافي وإقامة الوزن ؟ قال : إن كلامي لو كنت أمل فيه إلا إسماع الشاهد لقلّ خلافي عليك ، ولكن أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر ، فالحفظ اليه أسرع ، والأسماع لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتنبّه وبقلة التلفت ، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولاضاع من الموزون عشره )) (٦).

( ١ ) ظ . الزمخشري ، الكشف : ٢٧٧/٤

( ٢ ) ابن الأثير ، المثل السائر : ٢٧٥/١-٢٧٦

( ٣ ) الحوفي ، بلاغة الإمام علي : ١٥٠

( ٤ ) العلوي ، الطراز : ٣٠/٣

( ٥ ) ظ.الجلالي ، دراسة حول نهج البلاغة : ٦٥

( ٦ ) الجاحظ ، البيان والتبيين : ١٥٨/١ . وينظر : زكي مبارك ، النثر الفني : ٩٥/١

ودافع ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) عن كثرة السجع في نهج البلاغة فقال :  
( ( واعلم أن قوما من أرباب علم البيان عابوا السجع ، وأدخلوا خطب أمير  
المؤمنين (ع) في جملة ما عابوه ، لأنه يقصد فيها للسجع )) (١) . ويعلل الشارح هذا  
القصـد بأنه (( تكلف مستحسن كما أن الشعر متكلف في وزنه وقافيته )) (٢) .

وبذلك فقد ارتفع ابن أبي الحديد بمستوى السجع الى مستوى الكلام الموزون الذي  
يتكلف عادة بايراده مع العناية بالوزن والقافية كالشعر ، ولا يعد الشعر في حقيقته  
تكلفا ، بل هي طبيعته في التركيب وكذلك السجع ، وهو حسن لا عيب .

قال الإمام (ع) :

(( الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَ لَا مَخْلُوطٌ مِنْ نِعْمَتِهِ ، وَ لَا مَا يُوسِ مِنْ  
مَغْفِرَتِهِ ، وَ لَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ ، الَّذِي لَا تَبْرُحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ ، وَ لَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ وَ  
الدُّنْيَا دَارٌ مَنِي لَهَا الْفَنَاءُ ، وَ لَا هُلْهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ )) (٣) .

جاءت السجعات متنوعة الحروف في ( التاء والميم والهمزة ) ومقامة على  
فقرات قصيرة وعلى أساس من التوازن تكثيفا للموسيقى وإعلاءً لنغمها . ولأجل  
هذا التوازن بين الفقرات جاءت الفاظه بزنة واحدة من المفعولية ( مقنوط ، مخلو ،  
مأيوس ، مستنكف ) . ويبدو السجع في كلام الامام (ع) منسوبا خاليا من التكلف ((  
وإذا سلم من التكلف وبريء من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن  
منه)) (٤) .

ولم يكن السجع عصيا في الأداء الفني بتعبيرات الإمام (ع) عن مختلف المعاني  
حتى تلك التي توصف بالحدة والدقيقة مثل ذكر الذات المقدسة وقضايا التوحيد ،  
فكان النبر بالقرائن السجعية عاليا . نحو قوله من خطبة في التوحيد:

(( لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِرِوَالِحٍ وَ لَا عَنْهَا بِهَرْجٍ ، يُجْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَ لِهَوَاتٍ ، وَ يَسْمَعُ لَا  
بِحُرُوقٍ وَ أَدْوَاتٍ يَقُولُ وَ لَا يَلْفُظُ ، وَ يَحْفَظُ وَ لَا يَتَحَفَّظُ )) (٥) .  
ومثل قوله في التوحيد: (( جِدُّ لَا بَرَعْدٍ دَائِمٌ لَا بِرَأْمٍ وَ قَائِمٌ لَا بِرَعْمَدٍ )) (٦) .

ويكثر السجع في كلام الإمام (ع) في لحظات اشتداد عاطفته وانفعاله وحماسته

فنتنظم بايقاعات سجعية متناسقة ، قال الإمام بعد انصرافه من صفين :  
(( أَحْمَدُهُ اسْتِثْمَالِ نِعْمَتِهِ وَ اسْتِسْلَامَ لِعِزَّتِهِ ، وَ اسْتِعْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَ اسْتَعْيْنُهُ  
فَاقَةَ إِلَهِي كِفَائِيَتِهِ ، إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ وَ لَا يَيْلُ مَنْ عَادَاهُ ، وَ لَا يَفْقِرُ مَنْ كَفَاهُ ،

( ١ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٣٠/١

( ٢ ) المصدر نفسه والصحيفة .

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٠٩/١

( ٤ ) العسكري ، كتاب الصناعتين : ٢٥

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٧١/٢

( ٦ ) المصدر نفسه : ٦٤/٢

فَاتَهُ أَرْجَحُوزَنَ وَ أَفْضَلُ مَا خُزَنَ ، وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،  
 شَهَادَةٌ مُمْتَحَنًا إِخْلَاصَهُ مُعْتَقِدًا مُصَاصُهَا تَنْمَسُّكَ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا ، وَ نَدَّخَرُهَا  
 لِأَهْلَوَيْلٍ مَا يَلْقَانَا ، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيْمَانِ وَ فَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ ، وَ مَرَضَاةُ الرَّحْمَنِ وَ  
 مَذْخَرَةُ الشَّيْطَانِ وَيَهْدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَ رَسُولَهُ ، أَرْسَلَهُ بِالذِّينِ الْمَشْهُورِ وَ الْعَلَامِ  
 الْمَأْثُورِ ، وَ الْكِتَابِ الْمَسْطُورِ وَ الثُّورِ السَّاطِعِ ، وَ الضِّيَاءِ اللَّامِعِ وَ الْأَمْرِ الصَّادِعِ ،  
 إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ وَ احْتِجَاجًا لِلْبَيِّنَاتِ ، وَ تَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ وَ تَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ ، وَ  
 النَّاسُ فِي فِتْنٍ أَنْجَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ وَ تَرَعَزَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ ))<sup>(١)</sup> .

ولاشك أن هذا الكلام زاخر بالموسيقى تنوعت فيه آلات التنغيم فلم يكن السجع وحده محتكرا لايقاعاته ، إذ كان للتوازن بين الفقرات أثر بين في إثراء النص بالموسيقى .

كما كان للترديدات الصوتية داخل الجملة الواحدة دورها في إضافة مزيد من التنغيم مثل لفظة (هداه وعاداه ، وزن وخزن ) الذي يسمى لزوم ما لايلزم وهو: (( أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحدا ))<sup>(٢)</sup> .

وهو يرد كثيرا في نهج البلاغة فكلام الإمام(ع) مملوء منه<sup>(٣)</sup> .

أما قوله: ( استتماما واستسلاما واستعصاما ، لا يضل ولا يئل ) فيطلق على هذا الضرب البديعي الترصيع وهو: (( أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية ))<sup>(٤)</sup> .

ويبدو أن الإمام (ع) يميل الى أسلوب السجع القصير الذي رصده العلوي(ت٧٤٩هـ) في كلام الإمام(ع) فقال عنه (( وهو أضيق مسالك السجع .. ولكنه غير ضيق عليه لما خزن من كنوز البلاغة ما إن مغالقه ليصعب على أكثر الخلق فتحها ))<sup>(٥)</sup> .

ووعورة مذهب السجع القصير(( لأن المعنى اذا صيغ بألفاظ قصيرة عز مواتاة السجع فيه لقصر تلك الألفاظ وضيق المجال في استجلابه ))<sup>(٦)</sup> .

وليس هناك ما يعيب هذه التنغيمات الإيقاعية رغم القصد الى توخيها إذ لم يخف زخرف الكلام عيبا يمكن وضع اليد عليه ، يقول الدكتور زكي نجيب محمود

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٦/١

( ٢ ) ابن الأثير ، المثل السائر : ٣٦٥/١

( ٣ ) ينظر أمثلة في: العلوي ، الطراز : ٢١٠/٢

( ٤ ) ابن الأثير ، المثل السائر : ٣٦١/١ . وينظر: السكاكي، مفتاح العلوم : ٤٣١

( ٥ ) العلوي ، الطراز : ٣١/٣

( ٦ ) ابن الأثير ، المثل السائر : ٣٣٦/١

عن التكتيف الموسيقي في كلام الإمام (ع): (( أما محصول المعنى لا أدري كيف انكمش أحيانا وراء زخرفه الكثيف ، كلا ، لست أعني بزخرف الكلام هنا طلاء يزين به ليخفى على الناس هزاله ، بل أعني طريقة في اختيار اللفظ الصلب العنيد الذي لا يقوى على تشكيله إلا إزميل تحركه يد صناع )) (١).

ولهذا الثراء الايقاعي جذوره في القرآن الكريم ، فالسجع القصير أمثله كثيرة في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى :

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ، وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ، فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ، وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ، وَلَا تَمْنُنْ تَسْكَرُ ، وَرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ (٣).

إن السجع القائم على التوازن من آلات التنغيم الرئيسية في التعبيرات القرآنية، وقد يرد لزوم ما لا يلزم في بعض آيات القرآن ليضيف مزيدا من الرنين الصوتي ، قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ \* وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾ (٥).

وهذا مما أخذه الإمام (ع) فقال في صفة الدنيا :

(( قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ ، وَ حَلَالُهَا بَعِيدًا غَيْرَ مَوْجُودٍ ، وَ صَادِقُهَا وَ اللَّهِ ظِلًّا مَمْدُودًا ، إِلَى أَجْلِ مَعْدُودِ )) (٦).

ولاريب في أن الإمام (ع) يؤثر السجع والإزدواج ويتوخى إدخاله في كلامه

ويتكلفه تكلف الشعراء في القصد الى نظم القصيد ، يقول الإمام (ع) :

﴿ لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ وَ إِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ ، كَأَنَّكُمْ نَعَمُ أَحَبُّ إِلَيْهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعَى وَبِيٍّ وَ مَشْرَبٍ نَوِيٍّ ﴾ (٧).

فقد خفف الهمز في لفظة (وبي) إذ أصلها (وبيء) التماسا للقرينة السجعية ل(دوي) ، وشدد الياء في لفظة (دوي) والأصل فيها التخفيف (دو) للسبب ذاته .

( ١ ) زكي نجيب محمود ، المعقول واللامعقول : ٣١

( ٢ ) المرسلات : ٤-١

( ٣ ) المدثر : ٧-١

( ٤ ) العلق : ٢-١ . وينظر: العلوي ، الطراز : ٢٠٩/٢-٢١٠ . ابن الأثير ، المثل السائر : ٢٧٢/١

( ٥ ) الواقعة : ٢٨-٢٩

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٣٤/١

( ٧ ) المصدر نفسه : ٤١٤/١

بينما أورد الإمام(ع) لفظة ( وبيء ) مهموزة في موضع آخر ايثارا للإيقاع السجعي فقال(ع): (( إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيٌّ وَ إِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِئْسَ ))<sup>(١)</sup>.

وإذا لم يلتصق لها قرينة سجعية يأتي بها على أصلها المهموز مثل قوله ناصحا (( يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ ))<sup>(٢)</sup>.

وقوله يذكر حقه المضيع: (( وَ جَدَّحُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ شَرِبَاءً وَبَرِيئاً ))<sup>(٣)</sup>.

ومن التماس الإزدواج في الجمل المسجوعة قوله يذكر الله تعالى : (( فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْفٍ وَ شِفَاءٌ لِمُسْتَفٍ ))<sup>(٤)</sup>.

فهو أثر (كفاء) والوجه فيه كفاية والهمز لاوجه له هنا سوى الاتباع لها بـ(شفاء) كما قالوا الغدايا والعشايا .

وقوله في رسالة الى ولده الإمام الحسن (ع) : (( مِنْ أَوْلَادِ الْفَانِ الْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ ))<sup>(٥)</sup>.

فقال: ( الفان ) بحذف الياء مستغلا الوقف طلبا لسجعها بـ( الزمان ) .

ولاعيب في ايثار السجع مادام المعنى غير مقهور عليه ، ومتى استشعر الإمام(ع) ثقله في الكلام أعرض عنه وأثر الترسل مثل قوله :

(( أَلَا إِيَّايَ قَدْ دَعَوْتُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، لَيْلًا وَ نَهَارًا وَ سِرًّا وَ إِعْلَانًا ))<sup>(٦)</sup>.

وكان يمكن للإمام(ع) أن يسجع (نهارا) بـ(جهارا) بدل (إعلانا) ، ولكنه أثر أن يجري على طبعه ، برغم أنه يتبع (جهرًا) بـ(سرا) دائما في كلامه<sup>(٧)</sup>.

مما سبق بدا أن السجع أحد أهم أدوات الإمام (ع) في التنعيم الإيقاعي ، يطلبه ويتوخاه مقتفيا فيه أثر الأسلوب القرآني ، وهو عنده قائم على التوازن والازدواج ويعمل على ربط الأداء بالمضمون .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٩٢/٢

( ٢ ) المصدر نفسه : ٣٨٩/٢

( ٣ ) المصدر نفسه : ٣٨٢/١

( ٤ ) المصدر نفسه : ١٨/٢

( ٥ ) المصدر نفسه : ١٧٩/٢

( ٦ ) المصدر نفسه : ٧٦/١

( ٧ ) ظ . المصدر نفسه : ٢١٦/١ ، ٢٥٨/٢

## الثاني : التكرار

أصل التكرار في اللّغة من الكرّ بمعنى الرجوع، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف.  
فـ"كرّر" الشيء وكرّره أي: أعاده مرة بعد أخرى (١).

وقد يأتي له تصريف آخر هو التكرير، يقول الجوهري: الكرّ: الرجوع، يقال:  
كرّرت الشيء تكريراً وتكراراً (٢).

وأما في الإصطلاح، فالمقصود به: تكرار كلمة أو لفظ أكثر من مرة في سياق  
واحد لنكتة ما، وذلك إما للتوكيد، أو لزيادة التنبيه أو للتحويل، أو للتعظيم (٣).

والتكرار فنّ قولي من الأساليب المعروفة عند العرب، بل هو من محاسن  
الفصاحة (٤)، قال الجاحظ(ت ٢٥٥هـ) مبيّناً الفائدة منه: (( إن الناس لو استغنوا عن  
التكرير - التكرار - وكفوا مؤونة البحث والتنقير لقلّ اعتبارهم. ومن قلّ اعتباره قلّ  
علمه، ومن قلّ علمه قلّ فضله (...)) (٥).

والتكرار في القرآن كثير قسمه الدارسون الى نوعين موصول ومفصول  
فالموصول تتكرّر فيه الكلمات، كما جاء في قوله تعالى :

﴿ هِيَآتَ هِيَآتٍ لَمَّا تُوْعَدُونَ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ

قَوَارِيرًا \* قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ (٧).

أو المقاطع، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا \* وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا  
صَفًّا ﴾ (٨).

أو الآيات، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَقَتِلْ كَيْفَ قَدَرَّ \* ثُمَّ قَتِلْ كَيْفَ قَدَرَّ ﴾ (٩).

وأما التكرار المفصول، فهو ما وقع فيه الفصل بين المكررين (١٠).

وهو يقع إما في سورة بعينها، كما جاء في قوله تعالى في سورة الشعراء:

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (١). والذي تكرر فيها ثماني مرات.

(١) ظ.ابن منظور ، لسان العرب : كرر

(٢) ظ. الجوهري ، تاج اللغة وصحاح العربية : كرر . الفيروز آبادي، القاموس المحيط : كرر

(٣) ظ. ابن معصوم ، أنوار الربيع في أنواع البديع : ٣٥-٣٤/٥

(٤) ظ. السيوطي ، الإتيقان : ١٧٩/٣

(٥) الجاحظ ، رسائل الجاحظ : ١٨١/٣

(٦) المؤمنون : ٣٦

(٧) الإنسان : ١٥-١٦

(٨) الفجر : ٢١-٢٢

(٩) المدثر : ١٩-٢٠ . ظ.القيامة: ٣٤-٣٥ . النبأ: ٤-٥ . الإنفطار: ١٧-١٨ . الانشراح: ٥-٦ . التكاثر:

٤-٣

(١٠) الزركشي، البرهان : ١٥/٣-١٦ . وينظر: السيوطي، الإتيقان : ١٨٠/٣ .

(١) سورة الشعراء: ٩ .

أو قوله تعالى في سورة النمل: ﴿إِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> ، والذي تكرر فيها خمس مرات . أو قوله تعالى في سورة القمر:

﴿وَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾<sup>(٢)</sup> ، والذي تكرر أربع مرات في السورة.

أو قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِنَا تُكذَّبَانِ﴾<sup>(٣)</sup> ، والذي تكرر فيها إحدى وثلاثين مرة.

أو قوله تعالى في سورة المرسلات: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ، والذي تكرر فيها عشر مرات .

ولما كان التكرار ظاهرة بينة في التعبير القرآني فقد بحثت فوائده إيراده وغايات مطالبه، كما ذكر ذلك الزركشي(٤٧٩هـ) والسيوطي(٩١١هـ)<sup>(٥)</sup>. فمن فوائده: التكرير ، وفي التكرير التقرير ، وقد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأقسايس والإنذار في القرآن بقوله:

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾<sup>(٦)</sup>.

ومنها : التأكيد ، كقوله تعالى ، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٧)</sup>. فقد قيل إنه للتأكيد في قطع أطماعهم .

وقال القرطبي: ((قال أكثر أهل المعاني : نزل القرآن بلسان العرب ، ومن مذاهبهم في التكرار إرادة التأكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم في الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز ؛ لأن خروج الخطيب والمتكلم من شيء إلى شيء أولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد))<sup>(٨)</sup> ، ومثله في القرآن كثير .

ومنها: التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ، نحو قوله تعالى :

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ \* يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارٌ

الْقَرَارِ﴾<sup>(١)</sup> . فإنه كرر فيه النداء زيادة في تبيهم.

(١) سورة النمل: ٦٠ .

(٢) سورة القمر: ١٧ .

(٣) سورة الرحمن: ١٣ .

(٤) سورة المرسلات: ١٥ .

(٥) ظ . الزركشي، البرهان : ١٥/٣-١٦ . السيوطي ، الإتيان : ٢٨٢-٢٨١/٣ .

(٦) طه : ١١٣ .

(٧) الكافرون : ١ .

(٨) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٠ / ٢٢٦ .

(١) غافر : ٣٨-٣٩ .

ومن فوائد التكرار ومسوغات الإتيان به الإحتراز من إطالة الكلام ، فيعاد الأول تطرية له وتجديداً لعهد ، كقوله تعالى:

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

ومنها : التعظيم والتهويل ، نحو قوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ ، مَا الْحَاقَّةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (٢) وقوله : ﴿ الْقَارِعَةُ ، مَا الْقَارِعَةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ (٣) .

إذن التكرار لم يرتبط لدى مفسري القرآن بالطبيعة الصوتية لآيات القرآن الكريم ولم يبحث على أساس أثره في إحداث الايقاع الصوتي بل انصب وكذا الدارسين القدماء لتفسير القرآن على البحث عن الفائدة المعنوية للتكرير والدفاع عنه ونفي وجوده على أساس إعادة المعنى ذاته .

وليت مفسري القرآن ربطوا بين التكرار اداة تنعيم وبين أثره الدلالي لكان ذلك أوقع في الدفاع عن فائدته ، فللقرآن سحره الخاص به، حتى إنه يؤثر في الذين لا يعرفون معانيه من خلال نغمه وهيئة أدائه، وقد التفت إلى هذه الناحية الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) الذي قال: (وقد بكى ما سرجويه من قراءة أبي الخوخ، فقيل له: كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به) ؟قال: (( إنما أبكاني الشجا )) (٤).

ويبدو أن القدامى أشاروا إلى بعض آثار التنعيم، ولم يعرفوا كنهه، غير أننا لا نعدم عند بعضهم الإشارة إلى بعض آثاره في الكلام للدلالة على المعاني المختلفة (٥).

وقد أدرك الفلاسفة الدور الذي يؤديه التنعيم في الكلام. وجاء حديثهم عن ذلك في سياقات متعدّدة ، فالفارابي (ت ٣٣٩ هـ) مثلاً قسّم الألحان الإنسانية على ثلاثة أصناف صنف يكسب النفس لذادة، وصنف يفيد النفس في التخيل والتصور للأشياء، وصنف يكون عن انفعالات، وعن أحوال ملّنة مؤذية (١).

ويعدّ ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) نغم الجملة ذا وظيفة تمييزية من حيث الدلالة الإبداعية، فيتحدد بما نسميه (النبرة) نوع الجملة إن كان نداءً وتعجباً، أو سؤالاً، فقد وضع تصوّراً شبه كامل للتنعيم، تنظيراً وتطبيقاً، ودرس هذه الظاهرة دراسة جدية

(١) آل عمران : ١٨٨ . وينظر : النحل : ١١٩ . يوسف : ٤

(٢) الحاقة : ٢-١

(٣) القارعة : ٢-١

(٤) الجاحظ ، الحيوان : ١٩١/٤

(٥) ظ. العلوي ، الطراز : ١٧٧/٢-١٧٨ . ابن الأثير، المثل السائر : ١٩/٣ . الزمخشري ، الكشاف :

٣٤٩/٤ . وينظر : رمضان عبد التواب، المداخل إلى علم اللغة : ١٠٦ . تمام حسان ، مناهج

البحث في اللغة : ١٦٤

(١) ظ. الفارابي، الموسيقى الكبير، تحقيق غطاس خشبة : ٦٢-٦٣ .

علمية، فوصف الأصوات، وكيفية حدوثها، وأسباب اختلافها، وكيفية إدراكها في وصف العوالم النفسية التي تقتضي الإبانة عما في النفس والانفعالات وأثرها في التنعيم، والأغراض التي يصدر الكلام عنها<sup>(١)</sup>.

ولاشك ان لاستعادة الوحدات الصوتية دورا لا يخفى من التنعيم يضيف على النص مزيدا من التنبه من خلال الاثراء الایقاعي .

وفي القرآن الكريم كان التكرار واحدا من اكثر الوسائل وضوحا في التنغيمات الایقاعية ، إذ الحروف والألفاظ والجمل المكرورة تشيع بشكل لافت في التعبيرات القرآنية .

وقد جاء التكرار في سورة الرحمن والقمر والمرسلات وغيرها كما مر آنفا .

### أنماط التكرار

يمكن دراسة أنواع التأثير القرآني بنهج البلاغة في التكرار من خلال ما يأتي:

#### ١- تكرار الحرف

لاشك أن استعادة صوت الحرف يثري العبارة بمزيد من التنعيم<sup>(٢)</sup>. وفي التعبير القرآني نجد الحرف المكرور أسهم بشكل واضح في إضفاء الإيقاع الصوتي مثل قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ \* مَلِكِ النَّاسِ \* إِلَهِ النَّاسِ \* مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ \* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ \* مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾<sup>(٣)</sup>.

فقد تكرر حرف السين كثيرا في السورة المباركة ولتكراره معنى ما ، فلاشك (( أن في القرآن إيقاعا موسيقيا متعدد الأنواع ، يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان ))<sup>(١)</sup> ، وهو هنا أضفى على السورة مناخا من الهمس الخفي المناسب لصورة الوسوسة ومس الجن .

وأمثلة تكرار الحرف في القرآن كثيرة منها مثلا قوله تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ \* وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ \* وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ \* لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد وفر تكرار حرف القاف مزيدا من التنبه لما له من وضوح وقوة كونه حرف طبقي جهوري<sup>(٣)</sup>.

( ١ ) ظ.ابن سينا، الشفاء ، الخطابة، تحقيق محمد سليم سالم: ١٩٨ .

( ٢ ) عبد الله الطيب ، المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها : ١٢٦/١

( ٣ ) الناس : ١-٦

( ١ ) سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن : ٨٦

( ٢ ) الانشقاق : ١٦-١٩. وينظر قوله تعالى: (( فاذا فرغت فانصب )) الانشراح : ٧، مريم : ٦

( ٣ ) ظ . ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة : ٣٠

وقد يمهّد لتكرار الحرف في الفاصلة القرآنية بشكل يضيف على النص إيقاعاً خفياً لا يبين إلا بعد نظر ، قال تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي \* يَفْتَهُوا قَوْلِي \* وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي \* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا \* قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى \* وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى \* إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴾ (١).

ففي كل سبعة من أسجاع الفواصل القرآنية نرى ثمة صوتاً فيها يمهّد له بصوت يسبقه فإذا استعيد تحصل معه إيقاع لذيذ يكاد لا يستبين ، في لفظة ( صدري ) مهّد لصوت الراء بحرفين ولس ( أمري ) بحرف ولصوت النون بحرف في ( لساني ) . وهكذا في كل الألفاظ التي انتهت بها الفواصل القرآنية . وقد يفصل بين هذه الضربات الصوتية المكرورة بفواصل يخفف وطأة ثقله على الأسماع فتلتذ له وتستسيغه وتقبل عليه النفس ، مثل قوله تعالى :

﴿ فَأَوْحَسْ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ (٢).

فلاشك أن توسط لفظة ( في ، خيفة ) بين هذه السينات المكرورة قد خفف من حدة صفيها فأكسبها رنة لذيذة تأنس إليها النفس فتستشعر معها همسات هذا التوجس الذي حدث به نبي الله موسى (ع) نفسه.

ومثل هذه التنغيمات الصوتية نجد لها أثراً في نهج البلاغة ، نحو قول الإمام علي (ع) : ((جُؤْ وَ بَاطِلٌ وَ لِكُلِّ أَهْلٍ ، فَلَيْنُ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلْ ، وَ لَيْنُ قَلِّ الْحَقِّ لَرُبَّمَا وَ لَعَلَّ وَ لَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ )) (٣).

تكرر حرف اللام بشكل لافت وبرغم أن اللام من الحروف السهلة النطق التي لا يسبب تكرارها ثقلاً نجد في بعض سير نطقها تخفيفاً لضرباتها كي لا تمل . ومثل سهولة نطق اللام الميم ، إذ كثيراً ما تتكرر في الفاظ متتالية في العبارة ، مثل قوله (ع) : (( بَلْ قَضَاءٌ مُتَقَنٌّ وَ عِلْمٌ مُحْكَمٌ ، وَ أَمْرٌ مُبْرَمٌ أَلْمَوْلُ مَعَ النَّيْمِ ، الْمَرْجُو مَعَ النَّيْمِ )) (١).

وفي القرآن تأتي الميم مكرورة كثيراً نحو قوله تعالى :

﴿ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ \* وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾ (٢).

( ١ ) طه : ٢٥-٣٨

( ٢ ) طه : ٦٧

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٥٢/١

( ١ ) المصدر نفسه : ١ / ١٣٥

( ٢ ) الشعراء : ٣٨-٣٩

ومن اللام المكرورة قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١) .  
وقد يجري تكرار الحرف بالتشديد على نبره وتضعيفه ، وهو كثيرا ما يأتي في  
مضامين الهول والشدة مثل قوله تعالى :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرُهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ (٢) .

فقد جاءت الألفاظ شديدة الصوت عالية النبر مثل حرف الطاء والضاد والجيم  
والياء المشددة فضلا عن تضعيف حرف النون ، وهي في كل ذلك معبرة خير  
تعبير عن مضمون الشدة والهول الذي ترسمه الآية الكريمة فجاء التشديد على  
الحرف مناسبا تماما للمضمون .

كما أن لتكرار النون قيمة تنغيمية لا تخفى فهو (( حرف رنين يلائم رنين الألم اذا  
ردد في جمل متألمة )) (٣) .

وجاء التشديد على النبر في الحرف أصدق تصوير لانفعال الإمام (ع) كقوله  
لأصحابه ساعة الحرب :

(( فَهَدِّمُوا الدَّارِعَ وَاحْرُؤُوا الحَاسِرَ ، وَ عَضُّوا عَلَى الأَضْرَاسِ )) (٤) .

فما بين تكرار حروف قوية ومفخمة كالدال والضاد والخاء فضلا عن تشديدها  
وبين ما يكتنف الحرب من جلبة وضجيج علاقة خفية يطلقها انفعال يلح على  
العاطفة التي تنتظم في أصوات متسقة .

وعلى هذا قول الإمام (ع) : (( وَ ائِمُّوا اللَّهَ لِتَحْتَلِبَنَّهَا دَمًا وَ لِتُنْبِعَنَّهَا نَدْمًا )) (١) .  
فلتكرار النون المضعفة أثر واضح في التشديد على جرس اللفظة تشديدا على الفكرة  
ذاتها .

( ١ ) النور : ٦١

( ٢ ) مريم : ٦٨

( ٣ ) محمد النويهي ، الشعر الجاهلي : ١٠٠/١

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٨٧/١

( ١ ) المصدر نفسه : ١٣٠/١

## ٢- تكرار اللفظة

ذكر في المقدمة انه لم يأت تكرار اللفظ في القرآن الكريم لغاية صوتية بقدر الاقتضاء الدلالي ، فالتكرار اللفظي كما عرفه ابن أبي الإصبع (ت٦٥٤هـ) هو: (( أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ، ثم يرددها بعينها ، ويعلقها بمعنى آخر )) (١) ، لذا وقع التكرار اللفظي عفويا بحيث لا يؤدي لفظ آخر مكان اللفظ المكرور نحو قوله تعالى:

﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ \* فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ \* فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ \* فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ (٢).

تكررت لفظة ( ألقوا ) أربع مرات وجاء تكرار الرابعة اتباعا لأخواتها وتشديدا على الفكرة من خلال مفاجأة السامع بهذه اللفظة إذ كان فعل الإلقاء محور التحدي بين سحرة فرعون والنبي موسى (ع) فكان تكرار لفظ ( ألقى ) مما يهز السامع ويفجؤه لما فيها من الاستعارة التي زادت حسنها المشاكلة كما يسميها الزمخشري (ت٥٣٨هـ) بقوله: (( إنما عبر عن الخرور بالإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاءات فسلك به طريق المشاكلة )) (٣).

ولاشك أن المشاكلة في مثل هذا الموضع يستلذ لها المتلقي لأن (( مما يميز المتلقي امتلاكه حاسة التوقع والانتظار ، وكلما قدم له المبدع ما يخالف هذا التوقع وذاك الانتظار فإنه يمتلك قمة البيان الأسلوبي )) (٤) .  
ومثل هذا التكرار قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١).

فتكرار الفعل ( وجد ) من الفعل ( لم يجده ) وفر عنصر المفاجأة والسخرية معا فضلا عن إعادة الجرس ما بين المضارع المجزوم لـ(يجده ) والماضي لـ(وجد) وهذا الأسلوب أبلغ لأن خيبة الكافر أدخل وحصوله على خلاف ما يؤمله (أعرق)) (٢).

( ١ ) ابن أبي الإصبع ، تحرير التعبير : ٢٥٣/٢

( ٢ ) الشعراء : ٤٣-٤٦

( ٣ ) الزمخشري ، الكشاف : ١١٣/٣ . وينظر: الألوسي، روح المعاني : ٧٨/١٩

( ٤ ) محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية : ٢٤٠

( ١ ) النور : ٣٩

( ٢ ) الألوسي ، روح المعاني : ١٨١/١٨

ومن تكرار المفعول المطلق جاء قوله تعالى :

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا \* وَأَكِيدُ كَيْدًا \* فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ رُويًا﴾ (١).

ونسبة الكيد الى الله تعالى على سبيل مقابلة كيدهم بنصرة نبيه 9 وإعلاء دينه ، وهو كقوله تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلَهَا﴾ (٢).

أما التكرار والمخالفة بين لفظي الفعلين (مهل ) و ( أمهل ) فهو ( لزيادة التسكين منه والتصبير ) (٣).

ومن مظاهر تكرار اللفظ التي تأسى بها الإمام (ع) سبيل التعبير القراني تكرار لفظ الجلالة ، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَا حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ أَلَمْ نُعَلِّمِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (٥) ، فقد جاء ترديد لفظ الجلالة متساوقا مع النمو الدلالي فكان الاستئناف

بالجملة الأخيرة (( الله أعلم حيث يجعل رسالته)) بمثابة تدرج في الرد والردع. (٦) والإمام (ع) يعتمد إعادة اللفظ نفسه من دون استعمال الضمائر التي يمكن ان تنوب عنه ، كقوله :

((انْتَفِعُوا بِرَبِّانِ اللَّهِ وَانْعَمُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ وَاقْبَلُوا بِنَصِيحَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ لَكُمْ بِالْجَلِيَّةِ)) (١).

ولاشك أن الاستعمال الصريح للفظ الجلالة أوقع في مواطن الإيحاء من الضمائر الغائبة ، فضلا عن التلذذ بذكر الله سبحانه .

ومثله قوله (ع) : ((فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَفِرُّوا إِلَيَّ اللَّهُ مِنْ اللَّهِ)) (٢).

فإدراك الفرق واضح بين هذا التصريح وبين القول بالمضمر مثلا : ( عباد الله اتقوه وفروا منه اليه ) ، فضلا عن الأثر التنغمي الذي جاء تبعا للمعنى في تكرار لفظ الجلالة .

ونحوه قوله (ع) : (( مَنْ يَعْمَلْ لِعَیْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ )) (٣).

( ١ ) الطارق : ١٥-١٧

( ٢ ) الشورى : ٤٠ . وينظر في تفسيرها: الرازي، التفسير الكبير : ١٢١/٣١

( ٣ ) الزمخشري ، الكشاف : ٧٣٨ / ٤

( ٤ ) المائدة : ٧

( ٥ ) الأنعام : ١٢٤

( ٦ ) ظ. محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية : ٣٠٨

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤١٦/١

( ٢ ) المصدر نفسه : ٦٨/١

( ٣ ) المصدر نفسه : ٦٥/١

ومن تكرار صيغ الجمع الذي لا مفرد له ، قوله (ع) : ((أَلَا وَ إِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ ، أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ ، وَ إِنَّكُمْ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ))<sup>(١)</sup> ، فقد تكررت لفظة (القوم) وكان الأصل ان يقول بالإضمار بدل التصريح ولكنه تعمد ذلك قاصدا بـ(القوم) في الثانية والثالثة ( الناس ) ، بينما قصد بـ(القوم ) الأولى أصحاب معاوية .  
وعنى بقوله : ( اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما يحبون ) أبا موسى الأشعري وعنى بالثاني الذي يكرهون عمرو بن العاص<sup>(٢)</sup> .

ويوفر الفعل المكرور في نص الإمام (ع) ايقاعا نغميا وتكثيفا دلاليا ، وبذلك تتحد الدلالة الصوتية مع الدلالة الفنية في إبراز النص معمقا في كلتا الدالتين ، وبهذا يتلقى السامع نصا نابضا بالحركة والحيوية ، ويتأصل الهدف المراد من ذلك في أعلى صورته كما في قوله (ع) من خطبة في أهل القبور : (( فَأَيُّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ ، لَجَزَعْتُمْ وَ وَهَلْتُمْ وَ سَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ ، وَ لَكِنَّ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا ))<sup>(٣)</sup> ، فهذا الحرص على تكرار الفعل ( عاين ) له ما يبرره إذ هو محور الفكرة التي بصدها الإمام (ع) .

ولاشك أن هذا التكرار يذكر بتكرار الفعل ( ألقى ) في قوله تعالى الذي مر بنا:

﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وكثيرا ما يجري في داخل الجملة في نهج البلاغة تبادل في صيغ الأفعال مسبغا بذلك عليها مزيدا من الثراء الموسيقي ، مثل إعادة القوالب الصرفية لصيغ البناء للمفعول وفعله المبني للمعلوم ، كقول الإمام (ع) في خطبة الجهاد :

(( يُعَارُ عَلَيْكُمْ وَ لَا تُغَيِّرُونَ ، وَ تُعَزُونَ وَ لَا تُعْزُونَ ))<sup>(١)</sup> .

وفي وصف الزاهدين قوله (ع) : (( يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى ، وَ مَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرْضٍ وَ يَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا ، وَ لَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ ))<sup>(٢)</sup> ، وبرغم ثقل تكرار حرف الظاء والضاد إلا انها حافظت على سهولة نطقها في ألفاظها بفضل الفصل فيما بينها بألفاظ خففت من جرسهما وهي ( اليهم ، يحسبهم ، مابالقوم ) . ومحل الشاهد في صيغة البناء للمفعول ( خولطوا ) وإعادة جرسها بفعالها ( خالطهم ) .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٣٠/٢

( ٢ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٣٠٩/١٣

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٦١/١

( ٤ ) الشعراء : ٤٦

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٧٨/١

( ٢ ) المصدر نفسه : ٤٤٣/١

وفي القرآن جاءت صيغ التكرار بهذا النحو من تبادل الصيغ ، فأصبغت على النص جرسا نغميا، كقوله تعالى: ﴿يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تُبَسِّمُوا فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْمُونُ وَلَا تَنْظُمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهذه التكريرات للمقاطع الصوتية للألفاظ كثفت من زخم الإيقاع ولفتت الانتباه الى دلالاتها .

ومن تكرار الأفعال تبادل الصيغ بين الأمر وفعله الحاضر ، مثل قول الإمام (ع) لأصحابه: (( وَ قَاتِلُوا كَمَا أُعْرِضْتُمْ قَبْلَ أَنْ يُعْرَضَ لَكُمْ ))<sup>(٣)</sup>.

أو بين الأمر والفعل المبني للمفعول كقوله (ع): ((اللَّهُمَّ مِثْ قَدْ وَبَهُمْ كَمَا يُمَاتُ الْمَلِيحُ فِي الْمَاءِ))<sup>(٤)</sup> . وماته يميئه ويموته بمعنى أذابه<sup>(٥)</sup> .

أو بين صيغة الفعل المبني للمفعول وبين الفعل الماضي ، كقوله: (( لَقَدْ بَصَّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَ أَسْمَعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ ، وَ هُدَيْتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ ))<sup>(٦)</sup> . وبين الفعل الماضي نفسه مع تغيير جهة الإسناد ، كقوله: (( اللَّهُمَّ إِنْ نِي قَدْ مَلَأْتَهُمْ وَ سَمِعْتَهُمْ وَ سَمِعْتُمْ ))<sup>(٧)</sup> .

ومن كل ذلك لاشك أن استرداد جرس اللفظ ذاته يضيف على العبارة إيقاعا ، يشد السامع اليه ويهيئه لتقبل ما يليق اليه من مضمون .

وتبع الإمام (ع) أسلوب القرآن في تكرار صيغ الأفعال داخل جمل الشرط التي تقع في جوابها ، وهو نمط شائع في نهج البلاغة يبدو فيه القصد واضحا الى تكثيف الدلالة بتكثيف الجرس ذاته ، كقول الإمام (ع) :

(( وَ مَنْ قَارَ بِرُحْمَةٍ قَارَ وَ اللَّهُ بِرِ السَّهْمِ الْأَخِيْبِ ، وَ مَنْ رَمَى بِرُكْمٍ فَقَدْ رَمَى بِرَأْسِ هَوْقٍ نَاصِلٍ ))<sup>(١)</sup> ، والسهم الأخيب هو القدح الذي لا نصيب له . ومثل قوله: ((كُلُّ هَذَا فِرَارٌ مِنَ الْحَرِّ وَ الْفُرِّ ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَ الْفُرِّ تَقْرُونَ فَأَنْتُمْ وَ اللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ))<sup>(٢)</sup> .

إذن ثمة تعمد في إعادة هذه الألفاظ لأنها محور ما يدير عليه الإمام (ع) معانيه، فضلا عن توافرها على النغم الصوتي . وفي القرآن يكثر هذا النمط من التكرار .

( ١ ) التوبة : ١١١

( ٢ ) البقرة : ٢٧٩

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٧٦/١

( ٤ ) المصدر نفسه : ٧١/١

( ٥ ) ظ. الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث : ٢٦٨/٣

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٤٦/٢

( ٧ ) المصدر نفسه : ٧١/١

( ١ ) المصدر نفسه : ٨٣/١ . ظ. الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث : ٢٦٨/٣

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٧٨/١

كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِّقْتُمْ بِهِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ومن أنما تكرار الألفاظ تكرار صيغ المصادر المشتقة من أفعالها وهو يسبغ على العبارة ثراء موسيقيا عاليا بسبب الإعادة المباشرة للمقاطع الصوتية للفظة فبذلك تجمع التنغيم في بؤرة محددة وتمنع تشتته فيبدو للسامع حاد النغمة عاليا ، ولذا غالبا ما يأتي هذا الضرب من التكرار في حالات الإنفعال العاطفي كما في صيغ التشبيهات البليغة التي مرت في فصل سابق وصيغ الأفعال المطلقة .

ومما لا شك فيه أن لصدق عاطفة الإمام (ع) أثرا في انفعاله وتحمسه لما انطوت عليه نفسه من يقين ثابت وعزم لا يلين ، فعاطفته ثائرة جياشة تستمد دوافعها من نفسه الغنية بالانفعالات وعقيدته الثابتة فما تكلم الا وبه حاجة الى الكلام وما خطب الا ولديه باعث على الخطابة ، وما حرصه على الإكثار من العبارات الإنشائية والتجانس بين الأسجاع وتوليد الايقاع الا صورة ظاهرة لهذا الانفعال العاطفي المشبوب<sup>(٣)</sup> ، الذي يضغط على حركة المعنى في النص فيعيد ترتيب مقاطعه على نحو ايقاعي منتظم .

نحو قول الإمام (ع) يحذر من الفتنة : (( الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لِيُتَّبَلَائِنَ بِالْبَلَاءَةِ ، وَ لِيُتَّعْرَبَلَأِنَ غَرْبَلَاءَةً وَ لِيُتَّسَاطِنَ سَوَاطِنَ الْقِدْرِ ))<sup>(٤)</sup> ، والبليلة الهم ووسواس الصدر ، والغربلة أراد بها الإمام (ع) التفرق الواسع لذا جاء جرسها ليقوي المراد من هذه المعاني (( ولم يؤت بها للحفاظ على السجع ))<sup>(٥)</sup> .  
واضاف الفعل (تساطن) مزيدا من الحركة والاضطراب بفعل جرس الحرف (السين) الذي يدل صفيده على علو النبرة، فضلا عن شدة حرف (الطاء)<sup>(٦)</sup> .

إذن قد عمل تكرار مقطع (بليلة) ولفظ (غربلة) و(سوط) على تأكيد ذلك التشتت والتفرق ، في قدرة واضحة على ربط الجرس بالمضمون واللفظ بالمحتوى .  
ويقول (ع) يصف الزاهدين : (( قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَرِّي الْقَدَاحِ ))<sup>(١)</sup> .  
فقد أعاد التشكيل الصوتي نفسه للفظة (برى) مؤكدا في ذات الوقت دلالة الفعل في شدة هزال أجساد المؤمنين من خشية الله .

( ١ ) المطففين : ٣١

( ٢ ) النحل : ١٢٦

( ٣ ) ظ . صبحي الصالح ، نهج البلاغة : ١٧

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٥٢/١

( ٥ ) ابراهيم السامرائي ، مع نهج البلاغة : ٨٦ . وينظر: لسان العرب : بلل

( ٦ ) ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية : ٦٢

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٣/١

وكل ذلك إتباع لأسلوب التعبير القرآني في مثل هذا التكرار ، كقوله تعالى :  
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا \* وَأَكِيدُ كَيْدًا \* فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ رُؤُودًا﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿وَقَتْنَا كُتُونًا﴾ (٣) .

ومثله كثير في التعبير القرآني مضافا على العبارة جرسا عاليا (٤) .  
ولا ادعي أن هذا الأسلوب لم يرد على لسان العرب بل هو كثير ولكن التعبير  
القرآني أصله وعمقه وجاء نتيجة طبيعية للمعنى ومن هنا تأثر الإمام علي (ع)  
أسلوب القرآن بسبب لا يمكن تغافله هو أن الشكل التعبيري محدد بالوظيفة التي  
يضعها له المعنى .

ومن تكرار الألفاظ تكرار صيغ الاستفهام تقريراً للفكرة وتأكيداً للجرس مما يثير  
في ذهن السامع إشارات تزيد من تنبهه وانشداه الى المتكلم ، لذا نجد كثرتة في  
الفن الخطابي كثرة لافتة لاعتماد الخطبة على الجرس النغمي للألفاظ أكثر من الفن  
المقروء وأعني به الرسائل .

يقول الإمام (ع) في احدي خطبه الوعظية : ((وَأِنْ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ  
لَعِزَّةٌ ، أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ أَوْ بِنَاءُ الْعَمَالِقَةِ ، أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ ، أَيْنَ أَصْحَابُ  
مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَلُّوا وَ التَّبَيُّينَ ، وَ أَطْفُؤُوا سُنْنَ الْمُرْسَلِينَ وَ أَحْيُوا سُنْنَ الْجَبَّارِينَ  
..)) (٥) ، وفي إعادة هذا الجرس وعظ يستبطن التهديد ، وكثيرا مايقع تكرار اسم  
الاستفهام على جهة الوعيد والتهديد (٦) ، نحو قوله تعالى : ﴿الْقَارِعَةُ \* مَا الْقَارِعَةُ \* وَمَا  
أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿الْحَاقَّةُ \* مَا الْحَاقَّةُ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٢) .

وفي نص الإمام (ع) ، أتاح تكرار (أين) تكرار ما بعدها من ألفاظ بأسلوب  
جديد يبدو فيه المعنى بحاجة الى التكرار بشكل طبيعي دون تكلف .

وقال الإمام (ع) : ((أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ ، وَ مَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُفَاتِلُونَ  
..)) (٣) .  
وفي ترديد هذا الاستفهام ما لا يخفى من التقرير والتوبيخ .

( ١ ) الأحزاب : ٥٦

( ٢ ) السورة نفسها والآية .

( ٣ ) طه : ٤٠

( ٤ ) ط . مثلا : المرسلات : ٤ . الإسراء : ١٢ - ٧٠

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٣٣/١

( ٦ ) ط . ابن رشيقي ، العمدة : ٧٣/٢

( ١ ) القارعة : ٣-١

( ٢ ) الحاقة : ٣-١

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٨٣/١

بدا مما سبق أن التكرار بكل أنواعه من أكثر آليات الجرس استعمالاً إذ توخاها الإمام (ع) في إسباغ التنغيم الصوتي على العبارة بأسلوب عمل فيه على ربط الأداء بالمضمون ، متأثراً بمجمل ذلك بالأسلوب القرآني في الميل الى تنغيم العبارة وإيثار الجرس من دون الميل على المعنى .

### الثالث: الجنس

توطئة :

لم يختلف البلاغيون في أن المراد بالتجنيس اتفاق لفظين أو أكثر في الحروف ، أو في بعضها <sup>(١)</sup> ، فقد ذكر ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) أن المجانسة هي (( ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها وما يشتق منها )) <sup>(٢)</sup> ، ويعرفه السكاكي (ت ٦٢٦هـ) بقوله : (( تشابه الكلمتين في اللفظ )) <sup>(٣)</sup> .  
إذن هو صورة من صور التكرار وله ((ما للتكرار من تأكيد النغم وتقويته)) <sup>(٤)</sup> ، لأن هذا ((الإشترك اللفظي)) <sup>(٥)</sup> ، يعني استعادة ترديدات صوتية بنسب زمانية منتظمة فيقوى جرس اللفظ ويسبغ على العبارة نغماً يثير في الذهن منبهات تشده إليه (( لأن اللفظ المشترك اذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوق اليه )) <sup>(١)</sup> .

لذلك فالجناس (( صنف بلاغي يرجع الى جرس الكلمة وتأليف حروفها وانسجام هذا التأليف في النطق )) <sup>(٢)</sup> ، ويبدو جماله فيما يلجأ اليه المجنس لاختلاب الأذهان (( فبينما هو يريك أنه سيعرض عليك معنى مكرراً ولفظاً مردداً لا تجني منه غير التطويل والانقباض والسامة ، إذا هو يروغ منك فيجلو عليك معنى مستحدثاً يغير ما سبقه كل المغايرة وإن حكاها في نفس الصورة وذات المعرض ، فتأخذك الدهشة لهذه المفاجأة السارة اللذيذة التي أجدت عليك جديداً لم يقع في حسابك ، ولا ريبه في

( ١ ) ظ . العسكري ، كتاب الصناعتين : ٢٤٩ . ابن رشيق ، العمدة : ٣٣١/١ . علي الجندي ، فن الجنس : ٣-١٢

( ٢ ) ابن المعتز ، البديع : ٢٥ . وينظر : ابن الأثير ، المثل السائر : ٢٤١/١

( ٣ ) السكاكي ، مفتاح العلوم : ٤٢٩

( ٤ ) عبد الله الطيب ، المرشد الى فهم أشعار العرب : ٢٣٣/٢

( ٥ ) ماهر مهدي ، جرس الألفاظ ودلالاتها : ٢٧٠

( ١ ) السيوطي ، الإقتان : ٢٤٤/٢ . وينظر : ابن الأثير الحلبي ، جواهر الكنز : ١١١

( ٢ ) إبراهيم سلامة ، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان : ١١٦

أن كل طريف يفجأ النفس وبيبين ما كانت تنتظره تنتزى له وتستقبله بالبشر وبالفرح))<sup>(١)</sup>.

بيد أن روعة التجنيس في إفادته المعنى ، يقول عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ) (( إن ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحق ))<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني أن توخيه في الكلام يجعل قائله على خطر حدين لا وسط بينهما : إما الوقوع في حباله التكلف وإما الإرتقاء بفن التعبير القولي وتلمس عناصر التأثير . لذا يتطلب استعماله مهارة وبراعة في استدعاء اللفظ الفني في أداء المعاني ، الأمر الذي (( قد لا يقدر عليه إلا الأديب الذي وهب حاسة مرهفة في تذوق الموسيقى اللفظية ))<sup>(٣)</sup>.

ووقع الجناس في القرآن كثيرا فكان من أدواته الرئيسة في إغناء النص بالايقاع الصوتي وتقوية جرس ألفاظه<sup>(٤)</sup>.

وهو في القرآن العظيم عامل ثراء موسيقي باعثه المعنى وعائديته على اللفظ والمعنى معا ، لذلك نجد وقعه على الأسماع لذيذا بسبب هذا الترابط الدلالي وما يبعث في الذهن من إثارة في ترديداته الصوتية ، فهو كما يذكر الزمخشري(ت ٥٣٨هـ) (( وإن كان أقرب ألوان البديع الى الحسن اللفظي لكنه في القرآن من محاسن الألفاظ والمعاني ))<sup>(٥)</sup>.

فالجناس في التعبير القرآني معنى مؤدى بجرس منتظم وليس مجرد صيغ ألفاظ مكرورة ، وهنا تبدو روعة التجنيس اللفظي فكما كان منبثقا من المعنى كان وقع جرسه أشد تأثيرا في الأسماع وأذ .

وقد يترك عند قوة المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

ولم يقل: ( بمصدق ) الذي يؤدي معناه مع رعاية التجنيس ، لأن في ( مؤمن لنا ) من المعنى مالميس في ( مصدق لنا ) فمعنى (( فلان مصدق لي ) ، قال لي صدقت، واما ( مؤمن ) فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن ومقصودهم التصديق وزيادة وهو طلب الأمن فلهذا عدل اليه ))<sup>(٢)</sup>.

وقد ترك التجنيس في قوله تعالى : ﴿ اَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

فلم يقل : ( وتدعون ) لأن الفعل ( تدع ) أخص من ( تذر ) فهو بمعنى ترك الشيء مع اعتناؤه نحو الإيداع فإنه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها ومن ذلك الدعة بمعنى الراحة<sup>(٤)</sup>.

( ١ ) علي الجندي ، فن الجناس : ٢٩-٣٠

( ٢ ) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة : ١٢

( ٣ ) ابراهيم أنيس ، موسيقى الشعر : ٤٥

( ٤ ) ظ. الزركشي ، البرهان : ٤٥٠/٣-٤٥٥ . السيوطي ، الإتقان : ٢٤٤/٢

( ٥ ) الزمخشري ، الكشاف : ٢٨٤ /٣

( ١ ) يوسف : ١٧

( ٢ ) الزركشي ، البرهان : ٤٥٤/٣

( ٣ ) الصافات : ١٢٧

وبعل هو علم لصنم كان لقوم اليباس (ع) كمناة وهبل (٢).

وأما (تذر) فمعناه الترك مطلقا أو الترك مع الإعراض والرفض الكلي وقذفه لقلة الإعتداد به (٣).

ولاشك ان السياق يناسب هذا المعنى (( فأريد هنا تبشيع حالهم في الإعراض عن ربهم وأنهم بلغوا الغاية في الإعراض)) (٤).  
وصيغ التجنيس كثيرة وكلها جاءت في القرآن كما زخر بها نهج البلاغة ، إذ كانت من جملة ما توصل به الإمام (ع) في توخي الايقاع الصوتي وتقوية جرس الألفاظ .

لذا سيبدو التأثير النغمي لنهج البلاغة بالقرآن في طبيعة التآني الى الوسائل التي من شأنها إثراء النص بالجرس الصوتي ، والى الكيفية التي انتهجها الإمام (ع) في توخي هذه التشكيلات الصوتية ، فهي تشكل بمجملها صدى للموسيقى التعبيرية للألفاظ والعبارات القرآنية ، وليس من استعمال المفردة القرآنية بذاتها .

فالتجنيس في نهج البلاغة اقتفاء طريقة وتمثل أسلوب ، ولاغرابة فالإمام (ع) متأثر في كليات التعبير القرآني وجزئياته على حد سواء . فهو قد يتتبع البناء العام لأسلوب الصياغة القرآنية وقد يأخذ من أجزاء العبارة القرآنية ما يبني به جملة .

### أنواع الجناس القرآني في نهج البلاغة :

كل ضروب الجناس القرآني جاءت في نهج البلاغة فكان مما أثريت به عباراته بالجرس والايقاع ، وهي كثيرة مثل :

#### ١- الجناس التام

وهو من أركان جرس الألفاظ في التجنيس ، و(( أعلى أنواع الجناس )) (١) .  
يسميه القاضي الجرجاني(ت ٣٦٦هـ) وعبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ) المستوفي بينا أطلق عليه ابن الأثير(ت ٦٣٧هـ) التجنيس الحقيقي (٢) ، وصورته أن يتفق اللفظان المتجانسان (( في أنواع الحروف وأعدادها وهيأتها وترتيبها)) (٣) ، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (٤) .

( ١ ) ظ . السيوطي ، معترك الأقران : ٢٥٧/١

( ٢ ) ظ . الزمخشري ، الكشاف : ٦٢/٤

( ٣ ) ظ . الراغب ، المفردات : ٥١٨

( ٤ ) السيوطي ، الإيقان : ٢٤٤/٢

( ١ ) الصفدي ، جنان الجناس : ٢٠

( ٢ ) ظ . القاضي الجرجاني ، الوساطة : ٤٢ . عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة : ٢٢-٢٣ .

ابن الأثير ، المثل السائر : ٣٤٣/١

( ٣ ) الخطيب القزويني ، التلخيص : ٣٨٨

( ٤ ) الروم : ٥٥

فقد وقعت استعادة الترددات الصوتية نفسها في لفظة ( الساعة ) إذ تعني الأولى يوم القيامة وتعني الثانية مدة محدودة من الزمن ، وقد كان (( استعمال لفظة واحدة في هذين المعنيين المختلفين ، فيه مفاجأة تثير الذهن وتنبهه ، فيزداد وضوح إدراكه للمعنى ))<sup>(١)</sup> .

بيد أن لقوة التلازم بين الأداء والمضمون أثره البين في عفوية التجنيس في الآية الكريمة وجماله ، فلفظة ساعة الثانية مرتبطة بقوة بالفعل ( لبثوا ) حتى لا يمكن أن تؤدي لفظة غيرها مؤداها فهم (( قدروا وقت لبثهم ساعة على وجه الاستقصار له ))<sup>(٢)</sup> ، لأن (( الموعد بوعيد اذا ضرب له أجل يستقل المدة ويريد تأخيرها ))<sup>(٣)</sup> ، بعكس المؤمن الذي يستكثر مدة لبثه ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَعْنَةُ الْكٰفِرِينَ ﴿٤﴾ ، ومن هنا اشترط البلاغيون في استعمال الجنس التام وجوب إيراد في معنيين مختلفين بصيغة واحدة ، فابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) مثلا اشترط في حد التجنيس (( اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ))<sup>(٥)</sup> .

وعلى تفسيره يدخل في الجنس التام قوله تعالى:

﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقَةٍ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ \* يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾<sup>(١)</sup> .

إذ (الأبصار) الأولى تعني الجارحة وفيه بيان لشدة تأثير البرق كأنه يكاد يذهب به ولو عند الإغماض أما الثانية فتعني البصيرة<sup>(٢)</sup> .

وليس في القرآن الكريم سوى هذين المثالين للتجنيس التام ، وترجع ندرته بسبب قلة الألفاظ المتجانسة التي تحمل معنيين مختلفين ، أو لأن من أدبيات كلام القدماء العرب أنهم (( لم يطلبوها لحرصهم على غيرها [ أي من غير التجنيس التام] وإنما كانت تقع عندهم اتفاقا ))<sup>(٣)</sup> .

وفي نهج البلاغة القلة ذاتها ، فلم ير في كلام الإمام (ع) إلا في موضعين ، لأن الأصل المعنى ثم الصنعة لا توخي الصنعة على حساب المعنى .

نحو قوله (ع) من خطبة واعظا :

(( فَأَلْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ ، وَ الْأَعْمَى لِإِيَّهَا شَاخِصٌ ، وَ الْبَصِيرُ مِنْهَا مُتْرَوِّدٌ ، وَ الْأَعْمَى لَهَا مُتْرَوِّدٌ ))<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) عبد الواحد حسن الشيخ ، البيدع والتوازي : ٣٤

( ٢ ) الطبرسي ، جوامع الجامع : ٢٠/٣

( ٣ ) الرازي ، التفسير الكبير : ٩٥/٢٥

( ٤ ) الروم : ٥٦

( ٥ ) المثل السائر ، ابن الأثير : ٣٤٩/١

( ١ ) النور : ٤٣ - ٤٤

( ٢ ) ظ . الألويسي ، روح المعاني : ١٩٢/١٨

( ٣ ) ماهر مهدي ، جرس الألفاظ : ٢٨٢

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٠٩/١

فقصد بلفظة (الشاخص) الأولى الراحل الذي يشخص للسفر ، كقولهم: (( نحن على سفر قد أشخصنا أي حان شخوصنا ))<sup>(١)</sup> .  
وتعني الشاخص الثانية المرتقب المتلهف الى أمر أدهشه فر (( الشاخص اذا فتح عينيه وجعل لايطرف ))<sup>(٢)</sup> .

وكذلك وقع التجنيس التام في لفظة ( متزود ) فالأولى تعني الراحل المسافر عن الدنيا والثانية تعني الراحل اليها والقاصد لها<sup>(٣)</sup> .

وقد أعانه في إخراج هذه اللفظة الى التجنيس التام تمكنه (ع) من استعمال حروف الجر (الى) و( اللام) في هذه اللفظة .

ووقع التجنيس التام في قوله في أولياء الله : (( وَ اسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ ، وَ كَاتَبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظَّوَا الْأَجَلَ ))<sup>(٤)</sup> . فقد وقع التجنيس التام في لفظة ( الأجل ) إذ تعني الأولى المدة من الوقت وتعني الثانية ( الموت )<sup>(٥)</sup> .

## ٢- الجناس الناقص

يسميه ابن الأثير(ت ٦٣٧هـ) المشبه بالتجنيس ، وهو (( أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن والتركيب بحرف واحد ))<sup>(١)</sup> .

وذكر الخطيب القزويني(ت ٧٣٩هـ) أن حروف اللفظين المتجانسين (( إن اختلفا في أعدادها سمي ناقصا ))<sup>(٢)</sup> .

وهو في القرآن واحد من آلات الجرس الواضحة في ألفاظه ، كقوله تعالى :  
﴿وَأَلْفَتِ السَّاقِ السَّاقِ بِالسَّاقِ \* إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾<sup>(٣)</sup> ، فقد وقع الجناس في لفظة ( الساق ) وتكرر تشكيلها الصوتي في لفظة ( المساق ) بزيادة حرف الميم .

ولاشك أن لتقوية الجرس في هذا التجنيس أثره في التلفت الى المعنى ، وقد وفر تقديم شبه الجملة ( الى ربك ) المحافظة على هذا الجرس وهو تقديم يدل على معنى الإختصاص ، في كون حصر مساقهم الى الله وحده<sup>(٤)</sup> . ونحو هذا قوله تعالى :

﴿كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾<sup>(٥)</sup> ، فبين الفعل (كلي) ولفظ الجمع (كل) تماثل صوتي بين .

( ١ ) ظ . الزمخشري ، أساس البلاغة : شخص

( ٢ ) ابن منظور ، لسان العرب : شخص

( ٣ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٧٦/٨

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٦٥/١

( ٥ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٥٥/٧

( ١ ) ظ . ابن الأثير ، المثل السائر : ٢٤٩/١

( ٢ ) القزويني ، التلخيص : ٣٩٠

( ٣ ) القيامة : ٢٩-٣٠

( ٤ ) ظ . الزمخشري ، الكشاف : ٦٦٣/٤

( ٥ ) النحل : ٦٩

وذكر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ﴾<sup>(١)</sup>، فقال: ((وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعاً ، أو يضعه عالم بجوهر الكلام ، يحفظ معه صحة المعنى وسداده ، ولقد جاء ههنا زائداً على الصحة فحسن ، وبدع ، لفظاً ومعنى ، ألا ترى أنه لو وضع مكان ( بنبأ ) ( بخبر ) لكان المعنى صحيحاً ، وهو كما جاء أصح لما في ( النبأ ) من الزيادة التي يطابقها وصف الحال ))<sup>(٢)</sup>.

ويعني الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) بالزيادة المعنى الدقيق للفظ ( النبأ ) وهي تعني الخبر العظيم الذي جاء به الهدى لنبي الله سليمان من عبادة غير الله<sup>(٣)</sup>.

واتخذ الإمام (ع) من هذا التجنيس وسيلة لتقوية جرس ألفاظه سالكا في إيراده بعفوية التعبير القرآني كقوله موصياً: (( وَ أَلْحِي تَقْسَكَ فِي مُلْأَرِ كَلِّهَا إِلَيَّ إِيْلَهُك ))<sup>(٤)</sup> ، فبين (الي) و (الهك) جناس ناقص بزيادة أكثر من حرف ويسميه السيوطي (ت ٩١١هـ) (المنيل)<sup>(٥)</sup> ، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ﴾<sup>(٦)</sup>.

وأخذ من التجنيس القرآني قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾<sup>(١)</sup> ، فقال من خطبة في المنافقين ﴿إِنَّكُمْ اللَّهُ فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَعَلَى اللَّهِ فَأَوْتَلُّ مَنْ آمَنَ بِهِ ، أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوْلُّ مَنْ صَدَّقَهُ﴾<sup>(٢)</sup> ، فالتجنيس الناقص وقع بين لفظي (من) و (آمن).

ومما جاء من اختلاف في الجرس في أول الكلمة قوله (ع) في وصف آل محمد: ((إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي وَ بِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي))<sup>(٣)</sup> . فقد تغاير الحرفان الأوليان في اللفظين المتجانسين (الغالي) و (التالي) . وفي ذلك فضل من التنعيم بين في العبارة .

ومن اختلاف وسط اللفظين المتجانسين قوله (ع) مستغفراً: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ ، وَ سَقَطَاتِ الْأَلْفَاطِ))<sup>(٤)</sup> . وفي آخرهما قوله: (( فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا رِدِغٌ مَشْرَعُهَا ))<sup>(٥)</sup> . ففي كل هذه التقلبات الصوتية المشتركة إغناءات نغمية للعبارة وتقوية لجرسها

( ١ ) النمل : ٢٢

( ٢ ) الزمخشري ، الكشاف : ٣٦٥/٣

( ٣ ) ظ. ابن منظور ، لسان العرب : نبأ . الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٧٦/٧

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٨١/٢

( ٥ ) ظ . السيوطي ، الإتيقان : ٢٤٤/٢

( ٦ ) طه : ٩٧

( ١ ) النساء : ٥٥

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٣٨/١

( ٣ ) المصدر نفسه : ٢٨/١

( ٤ ) المصدر نفسه : ١٤٦/١

( ٥ ) المصدر نفسه : ١٥١/١

ويبدو أن استعمالات هذا النوع من التجنيس كثيرة في نهج البلاغة ، مثل قول الإمام (ع) : (( وَ يَمْزُونَ بِالْقِسْطِ وَ يَأْتَمِرُونَ بِهِ ، وَ يَتَّهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يَتَّهَوْنَ عَنْهُ ))<sup>(١)</sup> ، ومثل قوله في وصف القرآن : (( وَ مُبَايِنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ ))<sup>(٢)</sup> ، وهو يشبه قوله تعالى : ﴿ فَرَقْتُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ويقول في وصف الدنيا : (( هَلْهَا عَلَى سَاقٍ وَ سِيَاقٍ وَ لِحَاقٍ وَ فِرَاقٍ ))<sup>(٤)</sup> . وفي موضع آخر : (( لَا حَانَ حَيْثُكَ هَيْهَاتَ عُرِّي غَيْرِي ))<sup>(٥)</sup> . فكلها تجنيسات أسبغت على العبارة ثراء نغميا امتزج امتزاجا مع دلالات ألفاظه .

### ٣- جناس التصحيف

ويسمى جناس الخط وهو أن يتفق اللفظان المتجانسان في شكل الحروف ويختلفان في تنقيطها<sup>(٦)</sup> ، كقوله تعالى :

﴿ الَّذِي خَلَقْتَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾<sup>(٧)</sup> .

فقد تماثل اللفظان ( يسقين ) و ( يشفين ) في رسم الحرف ولكن اختلفا في وضع النقط ، لذا بقي الجرس ماثلا للأسماع .

وجاءت الكلمات ( يهدين ، يسقين ، يشفين ) محذوفة الياء للتخفيف ورعاية الفواصل ، وتلك زادتها مزيدا من التنغيم اللفظي . وقد كان العدول الى ( مرضت ) بدلا من ( أمرضني ) (( لأن كثيرا من أسباب المرض يحدث بتقريب من الإنسان في مطاعمه ومشاربه ))<sup>(١)</sup> .

فنسب الهداية والخلق والإطعام والسقي إلى الله تعالى حتى إذا أورد ذكر المرض نسبه إلى نفسه فقال : ( مرضت ) ، ولم يقل : ( أمرضني )<sup>(٢)</sup> ، بينما أسند الشفاء إلى الله فقال : ( فهو يشفيني ) ، وهذا من أدب إبراهيم (ع) مع ربه . قال ابن كثير : (( اسند المرض إلى نفسه وان كان عن قدر الله وقضائه وخلقه ولكن اضافته إلى نفسه ادبا ))<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) المصدر نفسه : ٤٢/٢

( ٢ ) المصدر نفسه : ٢٣/١

( ٣ ) طه : ٩٤

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٣٧/٢

( ٥ ) المصدر نفسه : ٣٢١/٢

( ٦ ) ظ . السيوطي ، معترك الأقران : ٢٥٥-٢٥٦

( ٧ ) الشعراء : ٧٨-٧٩ - ٨٠

( ١ ) الرازي ، التفسير الكبير : ١٦٣/٢٤

( ٢ ) ظ . ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد : ١٨/٢-١٩ . ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز : ١١ / ١٢٣

( ٣ ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣٣٩/٣

وفي نهج البلاغة تأثر واضح في اتباع مثل هذه التنغيمات الصوتية ، إذ استعملت بكثرة دون أن نجد خلا دلاليا قهر فيه المعنى على اللفظ لأجل تقوية الجرس ، وذلك كما يبدو أوضح تجليات التأثير الإيقاعي القرآني في كلام الإمام علي (ع) فقد وضع الإمام (ع) كلامه في ميزان دقيق بين المضمون والتأدية الفنية القائمة على أساليب التأثير النغمي ، وذلك أمر ليس متاحا لكل أحد ، خاصة ونحن بصدد أداء فكر عظيم وجديد بعظمة وجدة الفكر الإسلامي ، إذ لا بد أن يشغل ذهن مؤديه عن استدعاء الألفاظ المناسبة من مخزونه الذهني ليبدأ بعملية أشد تعقيدا وهي صناعة التراكيب الجمالية منها ، وإضافة عناصر التأثير الفني عليها . وباختصار صعوبة اتباع أسلوب التعبير الفني القرآني لأنه الأسلوب الأمثل والمعجز في تاريخ لغات البشر ، وعلى قدر تمثل هذا الأسلوب يتفاوت الإبداع والمبدعون .

ومن مفردات عناصر التأثير هذا النوع من التجنيسات فقد وقع في كلام الإمام (ع) كثيرا ، نحو قوله في المتقاعسين عن استجابة أمره :  
 ((أَضْرَعُ اللَّهُ خُدُودَكُمْ وَآتَعَسَ جُدُودَكُمْ))<sup>(١)</sup> .  
 فما بين ( خدود ) و ( جدود ) تماثل في رسم الحرف وتباين في وضع النقط .

وجدير ذكره أن الإمام (ع) لم يقل مكررا : ( أتعس الله جدودكم ) على عادته في تكراره للفظ الجلالة لأن مقام التوبيخ لا يسمح بتكراره ، إذ يطنب الإمام (ع) في إعادة لفظ الجلالة غالبا في مقامات النصح والإيحاء لا في مجالات الغضب والتأنيب ، نحو قوله موصيا : ((أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَأَيُّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيَّكُمْ ، وَ الْمَوْجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقِّكُمْ وَنُ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ ، وَ تَسْتَعِينُوا بِرِهَا عَلَى اللَّهِ ))<sup>(١)</sup> .  
 ومثل هذا الجناس وقع قوله (ع) في دعواته لمحاربة الشيطان : ((فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ وَ لَهُ جِدَّكُمْ))<sup>(٢)</sup> .

ومن اختلاف حرفي النون والياء في اللفظين المتجانسين جاء قوله يصف الدنيا : (( فَإِنَّ الدُّنْيَا رِنِقٌ مَشْرَبُهَا رِدْعٌ مَشْرَعُهَا ، يَدُونِقٌ مَنظُورُهَا وَ يُوبِرِقُ مَخْبِرُهَا ))<sup>(٣)</sup> .

وفي الخاء والجيم قوله في ذكر الله تعالى : ((طَيْفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ))<sup>(٤)</sup> ، فقد رسم الحرف بشكل واحد بينهما في كلمتي ( الخفاء ) و ( الجفاء ) لولا نقطه .

ومن اختلاف حرفي النون والياء وقع التجنيس في قوله في موصيا بالتقوى :  
 ((أَيَّقُطُوا بِرِهَا تَوْمَكُمْ وَ أَقْطَعُوا بِرِهَا يَوْمَكُمْ))<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٣٦/١

( ١ ) المصدر نفسه : ٨٢/٢

( ٢ ) المصدر نفسه : ٩٣/٢

( ٣ ) المصدر نفسه : ١٥١/١

( ٤ ) المصدر نفسه : ٤٢٥/١

ويبدو الجرس عالياً في أمثال هذه التركيبات الجمالية في كلام الإمام (ع) بسبب توافر عناصره فيها فقد أقيمت على أسلوب التوازن ، والتوازن - كما سيأتي - من أهم مظاهر الإيقاع الصوتي وجيء بالتجنيس الناقص بين لفظتي ( نومكم ) و ( يومكم ) على أساس التشابه في رسم الخط لحروف اللفظتين .  
ولاشك أن لكل تلك العناصر أثرها الواضح في إغناء العبارة بالجرس وتقويته إمعاناً في شد المتلقي للتأثير فيه وبلوغ المراد من الهدف الأهم من الخطابة وهو الإقناع<sup>(٢)</sup> ، لأن أكثر مظاهر الجناس في كلام الإمام (ع) جاءت في فنه المسموع وهو الخطابة ، وقلت في فنه المقروء وهي الرسائل .

ومثل ما ذكرنا قوله واعظاً :

((لِيَعْظَكُمْ هُدُوءِي وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي وَ سُكُونُ أَطْرَاقِي ))<sup>(٣)</sup> .

فقد وقع التجنيس المصحف بين لفظتي ( إطراقي ) و ( أطراقي ) وتعني ما ينزل بالميت من غمض العينين وبرودة الأطراف ، وخفوت الإطراق إرخاء العينين في النظر إلى الأرض بسبب ضعفه عن رفع أجفانه ، وسكون الأطراف يريد موت اليدين والرجلين والرأس . يقول ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) متأثراً (( وصدق ! فإن خطباً أحرص ذلك اللسان ، وهد تلك القوى لخطب جليل . ويجب أن يتعظ به العقلاء ))<sup>(١)</sup> .

#### ٤- جناس التحريف

وهو تشابه اللفظين المتجانسين في رسم الحروف واختلافهما في تشكيلها<sup>(٢)</sup> ، وهو سبيل آخر في تقوية الجرس وإثراء العبارة بالإيقاعات الصوتية .

ووقع في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ

الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾<sup>(٣)</sup> .

فبين ( يقتلون ) و ( يقتلون ) تطابق تام في رسم الحرف والاختلاف وقع في شكل الحركات فيها .

ونحو هذا قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ \* فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) المصدر نفسه : ٨٤/٢

( ٢ ) ظ . أرسطو ، الخطابة : ٩

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٣٩/١

( ١ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٢٣/٩

( ٢ ) ظ . السيوطي ، معترك الأقران : ٢٥٦/١

( ٣ ) التوبة : ١١١

فالأولى (منذرين) مشتق لاسم الفاعل والثاني (منذرين) مشتق لاسم المفعول .  
 وقد اجتمع التصحيف والتحريف في قوله تعالى:  
 ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(٢)</sup> ، فبين يحسبون ويحسنون (( تجنيس التصحيف  
 وهو أن يكون النقط فرقا بين الكلمتين))<sup>(٣)</sup> .

ومما جاء من هذا الضرب من التجنيس في نهج البلاغة قول الإمام (ع)  
 (( فَإِنَّ النَّوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرُّ وَالْجَنَّةُ ، وَفِي عَدِّ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ ))<sup>(٤)</sup> فالجنة  
 وهي مايتقى به من درع ونحوه<sup>(٥)</sup> تماثل الجنة في الحروف ولكن تختلفان في  
 تشكيل حرف الجيم فيهما .

ونحو هذا قول الإمام (ع) في خلقه الطاووس :  
 ((فَإِنَّ نَهْنَهُ بِرِمَا أَتَبَّتِ الْأَرْضُ ، قَالَتْ جَنِيٌّ جُنِيٍّ مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ رَبِيعٍ))<sup>(٦)</sup> ،  
 فالجني هو الثمر الذي حان قطافه<sup>(٧)</sup> و( جني ) فعل مبني للمفعول .  
 ومن البين أن هذه التجنيسات كانت من آليات التنغيم في كلام الإمام (ع) وأسباب  
 تقوية جرس الفاظه .

## ٥- الجنس المضارع

وهو أن يختلف اللفظان المتجانسان بحرف مقارب في المخرج سواء كان في  
 الأول أم الوسط أم الآخر<sup>(١)</sup> .  
 ولاشك أن في تقارب مخارج الحروف بين الألفاظ المتجانسة يعني إضفاء مزيد  
 من النغم الصوتي لأن فيه تشابها للتجنيس التام الذي يتكرر فيه جرس اللفظ ذاته .  
 نحو قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ \* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> .

فما بين لفظي ( ناضرة ) و( ناظرة ) وقع تشابه في مخرج صوتي الضاد والظاء  
 وهذا الجنس أفاد بأن نضارة هذه الوجوه وجمالها كان بسبب النظر إلى وجهه  
 الكريم سبحانه وتعالى ، فهي نضرة وفرحة في النظر إليه ، وهذا من اثر النعمة  
 والفرح الذي يعمهم حينها ، لأن ما يحصل في النفس من الانفعالات يظهر أثره على  
 الوجه ، إذن هو وسيلة من وسائل تقوية الجرس ولا أعني بتقوية الجرس التي

( ١ ) الصافات : ٧٣

( ٢ ) الكهف : ١٠٤

( ٣ ) الشنقيطي ، أضواء البيان : ٣٥٢/٣

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٨٤/٢

( ٥ ) ظ . ابن منظور ، لسان العرب : جنن

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٩١/١

( ٧ ) ظ . ابن منظور ، لسان العرب : جني

( ١ ) ظ . ابن رشيق ، العمدة : ٣٢٦/١ . السكاكي ، مفتاح العلوم : ٤٢٩

( ٢ ) القيامة : ٢٢-٢٣

تكررت انزواء المعنى خلف هذا التشكيل الصوتي بل ناتج ثانوي للمعنى أريد به انشداد الأسماع للمضمون بصورة أكبر ، لذلك فهو في التعبير القرآني وقع على أروع ما يكون من العفوية ، فمما وقع في أول الكلمة قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (١) .

وتمرحون بمعنى تبطرون وتأثرون ، وبين الفرح والمرح تجنيس حسن (٢) . ف كلا الحرفين ( الفاء ) و ( الميم ) يشتركان في المخرج الصوتي لأنهما من حروف الشفة (٣) ، ولتقاربهما في النطق في لفظتي ( تفرحون ) و ( تمرحون ) أثره الواضح في لذة استرداد التشكيلات الصوتية لها .

ومما وقع في وسط الكلمة جاء قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ ﴾ (٤) ، فقد وقع التضارع في النطق بين ( الهاء ) و ( الهمزة ) في لفظتي ( ينهون ) و ( ينأون ) على التوالي ، إذ كلاهما من حروف أقصى الحلق (٥) .

ومما جاء في آخر الكلمة المتجانسة قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ ﴾ (١) ، فالتجنيس بين ( الأمر ) و ( الأمن ) قوي الجرس بسبب التقارب بين موضعي نطق حرفي ( النون ) و ( الراء ) ف (( من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون ، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان مخرج الراء )) (٢) ، وهما بعد مع قرب مخارجهما تشترك في نسبة وضوحها الصوتي ، (( وأنهما من أوضح الأصوات الساكنة في السمع )) (٣) .

وتتبع الإمام (ع) اقتفاء الجرس القرآني فاتخذ من هذا الضرب من التجنيس وسيلة له في إسباغ النغم وتقويته في عباراته وألفاظه سالكا به السبيل القرآني في الإتيان به عفوا رهوا برغم تقصده .

وهو في نهج البلاغة كثير ، قال الإمام (ع) من خطبة محذرا وواعظا :  
 (( وَ إِنَّمَا حَطُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ دَاتِ الطُّولِ وَ الْعَرْضِ ، قِيدُ قَدِّهِ مُنَعَفَرًا عَلَى حَدِّهِ )) (٤) ، وهذا يشبه قوله تعالى : ﴿ كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٥) .

( ١ ) غافر : ٧٥

( ٢ ) ظ . الألوسي ، روح المعاني : ٨٧/٢٤

( ٣ ) ظ.ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة : ٣٠ . مناف الموسوي ، علم الأصوات : ٥٣-٥٥

( ٤ ) الأنعام : ٢٦

( ٥ ) ظ . ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة : ٢٩ . مناف الموسوي ، علم الأصوات : ٨٦

( ١ ) النساء : ٨٣

( ٢ ) ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية : ٥٣

( ٣ ) ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة : ٢٣ .

( ٤ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٦٣/١ . وينظر المصدر نفسه : ٦٩/٢

( ٥ ) الحديد : ٢١

فكأننا أمام تجنيس تام بين لفظتي ( الأرض ) و ( العرض ) بسبب قوة تشابه نطق حرفي الهمزة والعين فهما من حروف الحلق<sup>(١)</sup>.  
ولا نستطيع الجزم بأن قوة الجرس في ألفاظ هذه العبارة جاءت من هذا التجنيس وحده بل اشترك التوازن بين الفقرتين والجناس الناقص الآخر بين ( قده ) و ( قيده ) في إثراء العبارة بهذا الجرس العالي النغمة .

ويبدو واضحا قوة انشداد هذا الجرس الى مضمونه لأن الكلمات وقعت بانسياب في حياض معانيها ولم يلهث وراءها المعنى . فهذا الإطناب في عبارة ( ذات الطول والعرض ) لم يؤت به لأجل تجنيسه بما قبله بل لبيان عاقبة الإنسان ومآله في هذه الأرض العريضة ولعل من الوضوح بمكان فساد المعنى وإخلاله لو حذفنا هذه العبارة من نص الإمام (ع) .

وكذا الحال في قوله ( قيد قده ) إذ يريد حصر ما يمكن أن يحصل عليه الإنسان من الدنيا بهذه القلة فلم تكن أبلغ في أداء هذا المعنى من لفظة ( قيد ) التي تعني المكان الضيق المجرى عليه<sup>(٢)</sup>.

ومثله قوله (ع) في ذكر الله تعالى:

((الْخَيْرُ مِنْهُ مَا مَوْلٌ وَ الشَّرُّ مِنْهُ مَا مُمْون))<sup>(١)</sup>.

وفي مثال آخر ، قال الإمام(ع) منتصفا لنفسه :

((و كُنْتُ أَحْفَظُهُمْ صَوْتًا وَ أَعْلَاهُمْ وَقْتًا ، فَطَرْتُ بِرِعَانِهَا وَ اسْتَبَدَّدْتُ بِرَهَائِهَا ، كَالْجَبَلِ لَا تُدْرِكُهُ الْفَوَاصِفُ ، وَ لَا تُرِيْلُهُ الْعَوَاصِفُ ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَ لَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَعْمَزٌ ))<sup>(٢)</sup>.

فقد جاء التضارع في الحروف بين (القاف ) و ( العين ) في لفظي ( القواصف ) و ( العواصف ) لأنهما من حروف الحلق وبين ( الهاء ) و ( الغين ) في لفظي ( مهمز ) و ( مغمز ) للسبب ذاته<sup>(٣)</sup>.

ومثل هذا التجنيس وقع في قوله تعالى : ﴿ وَيُلْكَلُّ هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ ﴾<sup>(٤)</sup> ، غير أنه في

القرآن من الجناس اللاحق كما يسميه السيوطي (ت ٩١١ هـ) لأن اللام والميم حرفان غير مقاربيين في المخرج<sup>(٥)</sup>.

ومن الجناس المضارعة بين الراء والغين قوله(ع) يصف الدنيا :

( ١ ) ظ.ابن جني، سر صناعة الإعراب : ٦٩/١ . ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة : ٢٩

( ٢ ) ظ . ابن منظور ، لسان العرب : قيد

( ١ ) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٦/١

( ٢ ) المصدر نفسه : ٩٨/١

( ٣ ) ظ . ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة : ٢٩

( ٤ ) الهمزة : ١

( ٥ ) ظ . السيوطي ، معترك الأقران : ٢٥٦/١

(( وَ صَارَ جَدِيدُهَا رَتْأً وَ سَمِيئَهَا عَثَا )) (١) .  
وقوله: (( فَاحْتَرُوا نَارًا فَعَرُّهَا بَعِيدٌ وَ حَرُّهَا شَدِيدٌ وَ عَذَابُهَا جَدِيدٌ )) .

وهو يشبه قوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يُؤْمَدُّ نَاصِرَةً \* إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ (٢) .

ومثله قول الإمام (ع) في الدنيا: ((عَبِّرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا وَ لَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا)) (٣) .

ويبدو مما سبق أن الإمام عليا (ع) قد تمثل طريقة القرآن الكريم في استعمال هذه الجناسات فاتخذها وسيلة في إثراء عباراته بالجرس وإعلاء نغمه .

## ٦- جناس الاشتقاق

هو اجتماع اللفظين المتجانسين في أصل الاشتقاق ، ويسمى المقضب (٤)  
وللاشتقاق دور بارز في تقوية رنين الألفاظ .

ويعد هذا الضرب من التجنيس من أكثر الجناسات ورودا في القرآن الكريم ، فقد وفرت التقلبيات الصرفية للألفاظ إعادة تلفظ أصوات الحروف على نحو منتظم تستطيه الأسماع .

ويمكن ملاحظة جرسه في الآيات الآتية من قوله تعالى:

﴿ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ ﴾ (١) .

وقوله سبحانه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيمِ ﴾ (٢) .

وقوله عز وجل: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى: ﴿ تَتَّقِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ ﴾ (٥) .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٨٢/٢

( ٢ ) القيامة : ٢٢ - ٢٣ . وينظر في تفسيرها : الزمخشري ، الكشاف : ٦٦٣/٤

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٨٤/٢

( ٤ ) ظ . السكاكي ، مفتاح العلوم : ٤٣٠ . السيوطي ، الإتقان : ٢٤٥/٢

( ١ ) الواقعة : ٨٩

( ٢ ) الروم : ٤٣

( ٣ ) الأنعام : ٧٩

( ٤ ) النمل : ٤٤

( ٥ ) وينظر قوله تعالى: (( قال اني لعملكم من القالين )) و(( ليريه كيف يواري )) و(( وإن يردك بخير فلا راد )) و(( اناقلتم الى الأرض أرضيتم )) و(( واذا أنعمنا على الإنسان أعرض .. فذو دعاء عريض )) .

ففي كل تلك الآيات الكريمة ثمة جرس مكرور تحصل من أثر التقليب الصرفي في بنية اللفظة ، فأسبغ على العبارة مزيدا من النغم لا يملك معه المتلقي الا أن ينشد له بإصاخة أسماعه وتدبر مضامينه .

وكان هذا الأسلوب مما توافر عليه أمير المؤمنين (ع) في كلامه كله . وهو بعد في نهج البلاغة من أكثر أنواع الجناس ورودا ، ولعل خير أمثلته ميل الإمام (ع) الى التشبيهات البليغة المشتقة مصادرها من أفعالها وقد مر الكلام في ذلك في بحث التكرار ، والجناس جزء من التكرار .

ومن أمثلة هذا التجنيس خطبة الإمام (ع) في وصف المنافقين، إذ حفلت كثيرا بالجناس الاشتقائي ، كقوله:

((أَوْصِيكُمْ أَحِبَّ اللَّهِ بِرِئَاقِ اللَّهِ وَ أُوْحَرِّكُمْ أَهْلَ التَّفَاقِ ، فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ وَ الزَّالُّونَ الْمُرْتُّونَ ، يَلْتَوُونَ أَلْوَانًا وَ يَفْتَنُونَ اقْتِنَانًا ، وَ يَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ وَ يَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ)) (١) .

فقد جاءت الاشتقاقات بشكل مباشر، مشتق إثر مشتق فكثف من الجرس ومنعه من التشتت ، إذ وقع مشتقان من أصل واحد في كل فقرة فالضلال أصل ( الضالون المضلون ) . والزلل أصل ( الزالون المزلون ) . واللون أصل ( يتلونون ألوانا ) . والفتنة أصل ( يفتنون اقتنانا ) . وكذلك القول في : ( يعمدونكم بكل عماد ) فأصلهما العمد . و(يرصدونكم بكل مرصاد ) وأصلهما من الرصد .

وقال في صفة المتقين :  
(( بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَ نَزَاهَةٌ ، وَ دُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِيْنٌ وَ رَحْمَةٌ )) (١) ،  
فقد اشتق من البعد الفعل ( تباعد ) ومن لفظة الدنو الفعل ( دنا ) وهو في كل ذلك أقام فقراته على التوازن ، أسلوبه الأثير .

ومن كتاب الى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة قال (ع): ((أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي خَرَجْتُ حَيِّي هَذَا ، إِذَا ظَالِمًا وَ إِذَا مَظْلُومًا وَ إِذَا بَاطِلًا وَ إِذَا مَبْغِيًا عَلَيْهِ ، وَيَا أَكْبَرَ اللَّهِ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِنًا أَعَانِي ، وَ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا اسْتَعْبَنِي )) (٢) .

فقد جاءت الاشتقاقات ( ظالما ، مظلوما ) و ( باغيا ، مبغيا ) ، وفي ذلك تكرير لمقاطع الصوت وتقوية لجرسها ، والإمام (ع) بدأ بلفظ الظالم والباغي إبطالا لحجة خصمه في الادعاء على الإمام (ع) بالظلم والبغي .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٩/١

( ١ ) المصدر نفسه : ٤٤٩/١

( ٢ ) المصدر نفسه : ٢٧١/١

ويقع جناس الاشتقاق كثيرا في حكم الإمام (ع) وقصار كلمه نحو قوله : (( لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ))<sup>(١)</sup> .  
وقوله : (( من صارع الحق صارعه ))<sup>(٢)</sup> .

وهو قاصد في كل ذلك إلى إدخال هذه الموسيقى اللفظية لما لها من أثر في علوقها في الأذهان الأمر الذي يفسر بقاء حكمه (ع) إلى اليوم لخفتها على الأسماع.

وهو بعد لاريب قصد حتمته الوظيفة الدلالية ومدى ارتباطها بها وإلا لبان خلل توحيه واضحا لو كان في استقصاده قهر للمعنى ولي .

وهكذا بدا أن لاسترجاع الصوت في التجنيس الاشتقاقي أثرا كبيرا في إسباغ الموسيقى على الكلام لذا كثر في استعماله استعمالا ربط الشكل بالمضمون من خلال الجرس .

## ٧- الجناس المعكوس

هو تأخير اللفظ المقدم من الكلام وتقديم اللفظ المؤخر<sup>(١)</sup> .  
إذن هو تكرار منتظم للألفاظ ، وهو يقع في الألفاظ و الحروف جميعا . ولذا يسمى العكس ، فهو: (( أن تعكس الكلام فتجعل الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول ))<sup>(٢)</sup> ، ووصف أثره العلوي (ت ٧٤٩ هـ) في الكلام بقوله: (( وله في التجنيس حلاوة و يفيد الكلام رونقا و طلاوة ))<sup>(٣)</sup> .  
ويبدو أن ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) أول من عد العكس جناسا أو مشبها بالتجنيس<sup>(٤)</sup> ، وهو في القرآن كثير نحو قوله تعالى :

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ ﴾<sup>(٥)</sup> .

ففي هذا التقليب في الألفاظ بتقديمه وتأخيرها إحياء إلى أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه . واستعير الفتح للإرسال والإطلاق (( ألا ترى قوله فلامرسل له من بعده مكان فلا فاتح له ))<sup>(٦)</sup> .

ونكرت ( رحمة ) للإبهام والإشاعة كأنه قال: (( من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه ))<sup>(٧)</sup> .

( ١ ) المصدر نفسه : ٣٤٧/٢

( ٢ ) المصدر نفسه : ٣٩٨/٢

( ١ ) ظ . القزويني ، الايضاح : ٣٢٩/١ - ٣٣٠

( ٢ ) ابوهلال العسكري ، كتاب الصناعتين : ٢٩٣ . وينظر : القزويني ، التلخيص : ٣٥٨

( ٣ ) العلوي ، الطراز : ١٩١/٢

( ٤ ) ظ . ابن الأثير ، المثل السائر : ٣٥٦/١

( ٥ ) فاطر : ٢

( ٦ ) الزمخشري ، الكشاف : ٦٠٦/٣ . وينظر: ابن الجوزي ، زاد المسير : ٤٧٣/٦

( ٧ ) الزمخشري ، الكشاف : ٦٠٦/٣

وقد يقع التجنيس المعكوس بين متعلقي فعلين في جملتين ، نحو قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾<sup>(١)</sup> ، فقد تأخر ما كان متقدما ( الحي ) وتقدم ما كان متأخرا ( الميت ) من متعلقي الفعل ( يخرج ) المتكرر في الفقرتين . أو قد يقع بين لفظين في طرفي جملتين كقوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله :

﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِكُمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وكذا كان جناس العكس أحد وسائل الإمام (ع) في إحداث التنغيم ، وأمثله في نهج البلاغة كثيرة ، فمما تتمثل له كتب البلاغة القديمة قول الإمام (ع) من كتاب الى عامله عبد الله بن عباس : ((أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسْرُهُ دَرَكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ، وَ يَسُوؤُهُ فُوتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُذْرِكُهُ...))<sup>(١)</sup> .

ففي صدر كلامه آخر ما قدم في لفظة ( درك ) وقدم ما آخر في لفظة ( فوت ) مما يعني تكرارا منتظما أحدث معه ايقاعا تستلذه الأسماع فتنشد اليه النفوس .

وفي الحق لم يكن الإمام (ع) يقصد الى هذا الجرس في الألفاظ بقدر توحيه المعنى ، فهو ناتج ثانوي عما يريد الإمام(ع) إظهاره من دلالات هذا التقليل . ففي النص السابق أراد بيان حال تقلب النفس الإنسانية بين المسرة والرضا . ويبدو أن ابن عباس(ت ٦٧هـ) أدرك هذا المعنى حين قال : ((ما انتفعت بكلام بعد كلام الله تعالى مثل هذا الكلام))<sup>(٢)</sup> .

وقال العلوي(ت ٧٤٩هـ) معلقا : (( وأنا أقول أيضا ما قرع مسامعي مرة بعد مرة إلا و أحدث لي موعظة، و أنشأ لي عن الغفلة يقظة ))<sup>(٣)</sup> . ومثل هذا قول الإمام (ع) :

( ١ ) الروم : ١٩ . وينظر في أمثلة الجناس المعكوس : القزويني ، الايضاح : ٣٢٩/١-٣٣٠

( ٢ ) الروم : ١٥

( ٣ ) البقرة : ١٨٧

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٥٨/٢

( ٢ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٤٠/١٥

( ٣ ) العلوي ، الطراز : ١٩٢/٢

(إِذِ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لِيُظْهِرَ لِبَلَدَةٍ بَلَدًا ، وَ لِيُعْرِضَ لِعَرَبِلَانٍ عَرَبِلَةً وَ لِيَسْأَطِقَ سَوَاطِقَ سَوَاطِقِ الْقَدْرِ ، حَتَّى يَعودَ أَسْفَلَكُمْ أَعْلَى أَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ ، وَ لِيَسْبِرَ قَبْلَ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَرُوا ، وَ لِيُقَصِّرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا)) (١) .

فهذا التنعيم اريد به تصوير حالة القلب والخلط التي يندر بها من أحداث الفتنة ، فكان لتكرار الأصوات على هذا النحو المعكوس أثره في انشداد الايقاع الى مضمونه . فقدم وأخر ما بين ألفاظ الجمل للإشارة إلى هذا التقلب .

ومثله في بيان حال تقلب الدنيا :

((إِلَّا إِنَّهُ قَدْ أَذْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَكَانَ مُقْبِلًا ، وَ أَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا )) (٢) ، وتبدو قوة الجرس في هذا التجنيس ممتزجة من اللفظة المعكوسة ومن الإشتقاق ايضا . فلفظة ( أدبر ) أعيدت أصواتها مشتقة بلفظة ( مدبر ) ولفظة ( مقبل ) أعيدت بلفظة ( أقبل ) . فكأنه مكتنف على جناسين العكس والاشتقاق .

ولاشك أن في هذا الأسلوب الذي يستبطن التجنيسين مزيدا من التنعيم يسبغ

على العبارة ، نحو قوله (ع) :

((سَنَقَبُوا مُدْبِرًا وَ اسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا )) (٣) .

وقوله : (( وَ يَصْدَعُ شَعْبًا ، وَ يَشَعَبُ صَدْعًا )) (١) .

نخلص من ذلك أن الجناس المعكوس تصوير بالجرس للمعنى قد اتخذ منه

الإمام (ع) ليس وسيلة ايقاع فحسب بل أداة كشف للنفس الإنسانية ، قال من كتاب يصف مالك الأشتر :

((فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهُنْهُ وَ لَا سَظُنْهُ ، وَ لَا بُطُوهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ ، وَ لَا إِسْرَاعُهُ إِلَيَّ مَا الْبُطُءُ عَنْهُ أَمْلَى )) (٢) .

فقد أوجز الإمام (ع) بهذه الكلمات المعكوسة تعقيدات النفس الإنسانية من رضا وإعراض يترتب عليه البطء والإسراع في الإقبال على السلوك .

وقد يجري الإمام (ع) على طبعه فيمضي الألفاظ بجرس أخف ، نحو قوله :

(( أَتَقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مِنْ شَمَرٍ تَجْرِيدًا وَ جَدٍّ تَشْمِيرًا )) (٣) .

فقد كان يمكن أن يقول ( وجرّد تشميرا ) ولكنه أثر إجراء الكلام على مقتضى طبعه .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٥٢/١

( ٢ ) المصدر نفسه : ٤٣٥/١

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٥٢/١

( ١ ) المصدر نفسه : ٣٤٢/١

( ٢ ) المصدر نفسه : ١٤٧/٢

( ٣ ) المصدر نفسه : ٣٥٤/٢

## الرابع : التوازن

### ١- تعريفه وأثره في إحداث النغم القرآني

هو أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في أوزانها<sup>(١)</sup>. وقد أشير في بحث السجع الى التوازن في الكلام وبيان قيمته من التنعيم في العبارة ، ولكن التماسه الكثير في نهج البلاغة حملنا على استقصائه وتبيان أثره في إحداث الإيقاع الصوتي ، فكان استحقاقه من البحث إفراده عن السجع ، لأنه أعم منه فكل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعاً، فهو خاص في اتفاق الوزن من غير اعتبار شريطة .

ويسميه الجاحظ(ت٢٥٥هـ) المزدوج<sup>(٢)</sup> وتابعه عليه أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) فقال: (( لا يحسن منثور الكلام و لا يخلو حتى يكون مزدوجاً، و لا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الأزواج، و لو استغنى كلام عن الأزواج لكان القرآن؛ لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق، و قد كثر الأزواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات فضلاً عما تزوج في الفواصل منه ))<sup>(٣)</sup>.

ولأثرها البين في إحداث النغم فقد أقيم الشعر على أساسها بل الوزن هو (( أعظم أركان حد الشعر ، وأولها به خصوصية ))<sup>(١)</sup> ، وهو بعد (( وجه من أوجه التكرار ))<sup>(٢)</sup> ، فالتكثيف الموسيقي الذي اشتمل عليه منبعه التماثل في زنة الألفاظ إذ كل مفردة في الصدر متطابقة في التوازن مع أختها في العجز الأمر الذي يكتف الإيقاع ويقوي الجرس خاصة مع تكراره .

إذن الموازنة انتظام واعتدال والنفس بطبعها تميل الى الأصوات المنتظمة المتسقة و(( المسجع والموزون أقرب الى أن يثبت في الذكر من غيره من الكلام ))<sup>(٣)</sup>.

وفي القرآن الكريم اعتدال في الفقرات واتساق في النظام الأمر الذي ينتج عنهما جرساً واضحاً وإيقاعاً لافتاً بسبب الأوزان المتماثلة التي جاءت عليها الألفاظ في الفقرات .

فكان لذلك وسيلة بارزة من وسائل الجرس القرآني ، وهو كثير ، قال تعالى:  
﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا \* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾<sup>(٤)</sup> .  
فقوله (عزًّا و ضدًّا) متماثلان في وزنهما، لذا نلمس به نغماً .

( ١ ) ظ . أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعيتين : ٢٢ . العلوي ، الطراز : ٢٢/٣ . ابن الأثير ، المثل السائر : ٣٧٧/١

( ٢ ) ظ . الجاحظ ، البيان والتبيين : ١١٦/٢

( ٣ ) أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعيتين : ٢٦٠

( ١ ) ابن رشيق ، العمدة : ١٣٤/١

( ٢ ) نورثرب فراي ، تشريح النقد : ٣٢٣-٣٢٤

( ٣ ) ابن سينا ، الشفاء ، الخطابة : ٢٢٧

( ٤ ) مريم : ٨١-٨٢

ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ \* خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً \* يوم ينفخ في الصور ونحشر الجرمين يومئذ زرقاً ﴿<sup>(١)</sup>﴾ .

ويبلغ التوازن في الكلام ذروته من الجرس حين تتماثل ألفاظ كل فقرة في الوزن، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنبَأَهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ \* وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ .

فألفاظ الفقرة الأولى على زنة واحدة مما يقابلها من ألفاظ الفقرة الأخرى . وذلك الإنتظام في الأوزان هو منبعث الجرس وإيقاعه ، برغم عدم تماثل الحروف ولكن التماثل هذه المرة في أوزان الكلمات ، لذا عد من بعض أنواع السجع ويسمى المتماثل <sup>(٣)</sup> .

وغير ذلك كثير في سورة الشورى وسورة مريم وسورة طه والمرسلات بل كثيرا ما تقام السور القصار بأسلوب الموازنة لذلك نجد فيها الجرس عاليا لأنه (( يحدث في الصورة الصوتية للكلمات )) <sup>(٤)</sup> .

## ٢- وسائل الإمام (ع) في طلب التوازن

وفي نهج البلاغة نتلمس حرصا في اتباع طريقة القرآن الكريم في ايثار التوازن وتوخييه طلبا للجرس لشد المسامع الى ما يطرح اليها من معان . فهو فيه (( ضرب آخر من موسيقى التعبير يحببه الى السمع ويقربه الى الذوق )) <sup>(١)</sup> . نحو قول الإمام (ع) : ﴿اللَّهُ مَا أَسْتَعْفَلُ بِالمَكِيدَةِ وَ لَا أَسْتَعْمُرُ بِالشَّدِيدَةِ﴾ <sup>(٢)</sup> .

فقد جاءت الفقرتان على زنة واحدة ، فهو حين جاء بالفعل ( أستغفل ) مبنيا للمفعول أتبعه بمثله فقال ( أستغمز ) ، كما وازن بين ( المكيدة ) و ( الشديدة ) .

ويتوسل الإمام (ع) لإدخال التوازن في كلامه بوسائل عدة حرصا منه لإسباغ النغم على عباراته ، مثل قوله (ع) في خطبته الشقشقية يصف المستأثرين بالخلافة دونه:

﴿بِحَابِئِهَا كَرَاجِبِ الصَّعْبَةِ ، إِنَّ أَسْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَ إِنَّ أَسْلَاسَ لَهَا نَقَمَ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فقوله ( أسنق ) ازدواجا لها بـ ( أسلس ) ، إذ كان يمكن له أن يقول : ( شنق ) <sup>(٤)</sup> ،

(١) طه : ١٠٠-١٠١

(٢) الصافات : ١١٧ - ١١٨

(٣) ظ . الزركشي ، البرهان : ٧٦/١

(٤) عز الدين اسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي : ٢٢٣

(١) الحوفي ، بلاغة الإمام علي : ١٥٩

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٤٧/٢

(٣) المصدر نفسه : ٣٤/١

(٤) ظ . ابن السكيت ، إصلاح المنطق : ٤٢٧

لولا الشعاعية التي عرف بها الإمام(ع) في كلامه (( فطبيعة علي بن أبي طالب الشعيرية كثيرا ما تخلق به في جو الخيال والشعر ))<sup>(١)</sup>.

وقال الشريف الرضي(ت ٤٠٦ هـ) معلقا: (( إنما قال (ع) أشنق ولم يقل أشنقها لأنه جعل ذلك في مقابلة قوله (أسلس) فكأنه قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها بالزام وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب على ناقته وقد شنق لها فهي تقصع بجرتها. ومن الشاهد على أن (أشنق) بمعنى شنق قول عدي بن زيد العبادي:

ساءها ما لها تبين في الأيـ دي وإشناقها الى الأعناق<sup>(٢)</sup> ((<sup>(٣)</sup>.

وفي مثل آخر على توخيه التوازن في الكلام، قوله في تخويف أهل النهروان ((فَأَنْتَلِيرُ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرَغَى بِأَتْتَاءِ هَذَا النَّهْرِ، وَ بِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ))<sup>(٤)</sup>. فقد كرر (أثناء هذا النهر) بـ(أهضام هذا الغائط) إيثارا للموازنة فهو (( تكرر لغاية إيقاعية فضلا عن الغاية المعنوية ))<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أن التوازن اسلوب الإمام(ع) الأثير في حالات التعبير عن انفعاله وحماسته ((فالوزن ظاهرة طبيعية ما دامت تؤدي معنى انفعاليا))<sup>(١)</sup>، فمن التماس الموازنة قوله(ع) لأخيه عقيل:

((إِنَّ نَمْرُ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِسْنَانَهَا لِأَجْبَرِهِ، وَ تَجْرُنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَارُهَا لِعَضْبِهِ))<sup>(٢)</sup>. فقال (إنسانها) بمعنى (صاحبها) ولم يقل (إنسان) لأنه أراد مقابلتها بلفظة (جبارها).

وربما يغير في البنية الصرفية للفظ التماسا للازدواج كما مر في بحث السجع كقوله في ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله:

(( مُسْتَقْرُهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٌّ، وَ مَبْرُتُهُ أَشْرَفُ مَبْرِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ، وَ مَمَاهِدِ السَّلَامَةِ ))<sup>(٣)</sup>. فهو لما قال: (في معادن) وهي جمع معدن قال بحكم القرينة والازدواج: (ومماهد) وإن لم يكن الواحد منها (ممهّد) وهو كما قالوا الغدايا والعشايا. وأراد بالسلامة البراءة من العيوب في طهارة النسب.

وقد يلتبس صيغا من المصادر نادرة طلبا للجرس نحو قوله من كتاب إلى أخيه عقيل بن أبي طالب:

(١) البصير، عصر القرآن: ٣٤

(٢) ظ. ابو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ١١٦/٢

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٢٥٢/١

(٤) الإمام علي(ع)، نهج البلاغة: ٩٧/١

(٥) ايليا الحاوي، فن الخطابة: ١٥٨

(١) أحمد الشايب، الأسلوب: ٦٦

(٢) الإمام علي(ع)، نهج البلاغة: ٤٨/٢

(٣) المصدر نفسه: ٢١٥/١

(( فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشًا وَ تَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ ، وَ تَجَوَّالَهُمْ فِي الشَّقَاقِ )) (١) .  
فأعاد المعنى في الفقرة الثانية وطابق في الوزن بين ( تركاضهم ) و ( تجوالهم )  
فهذه الألفاظ مختلفة في التلفظ متفقة في الوزن .

وكثيرا ما بيني الإمام (ع) من الأفعال ( مفعلا ) و ( مفعلة ) ويجمعه توخيا  
لإحداث التوازن الإيقاعي نحو قوله من خطبة له:  
( ( وَ أَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاجِرِ الشَّيْطَانِ وَ مَزَاجِرِهِ )) (٢) . ومداحر الشيطان الأمور التي  
يدحر بها ويطرده (٣) ، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ (٤) . والمزاجر جمع  
مزجر ومزجرة هي الأمور التي يزجر بها (٥) .

وقد يؤثر صيغة على صيغة ابتغاء الازدواج ، نحو قوله: (( مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ  
عَنِ الْحَقِّ وَ خَبَطَ فِي النَّيِّهِ )) (٦) . فخبط وجار على زنة واحدة وإن بدتا مختلفتين  
في النطق .

على حين أثر الفعل المزيد للفعل ذاته في قوله: (( وَ لَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ  
خَالَفَ الْحَقَّ وَ خَابَطَ الْعَيَّ ، مِنْ إِذْهَانٍ وَ لَا إِيهَانٍ )) (١) .  
فجاء بـ ( خابط ) التماسا لموازنتها بـ ( خالف ) . والخبط للبعير اذا ضرب بيديه  
الى الارض ومشى لايتوقى شيئا (٢) .

وفي موضع آخر استعملها بصيغة المبالغة فقال يصف المتصدي للعلم وليس  
بأهله: (( جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالَاتٍ عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ )) (٣) .  
ولاشك أنه أراد المبالغة في وصف جهل من يتصدي للفتيا بغير علم ، إلا أن  
القصد الى التوازن في الكلام واضح .

ولشيوخ الموازنة في كلام الإمام (ع) فقد أورد العلوي (ت ٧٤٩هـ) في الطراز (٤)  
( أمثلة كثيرة من كلامه كقوله (ع):  
(رَعِيْلًا صُمُوْتًا قِيَامًا صُفُوْفًا )) (٥) ، وقوله: (( وَ أَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَ رَغِبَ فِي  
طَلَبٍ وَ كَفَى بِرَاللَّهِ مُنْقِمًا وَ نَصِيْرًا ، وَ كَفَى بِرَالْكِتَابِ حَاجِبًا وَ حَصِيْمًا )) (٦) .

( ١ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٠٩/٢

( ٢ ) المصدر نفسه : ٣٤٥/١

( ٣ ) ظ . الراغب ، مفردات غريب القرآن : ١٦٥

( ٤ ) الأعراف : ١٨

( ٥ ) ظ . ابن منظور ، لسان العرب : زجر

( ٦ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٧٨/٢

( ١ ) المصدر نفسه : ٦٨/١

( ٢ ) ظ . ابن منظور ، لسان العرب : خبط

( ٣ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٥٥/١

( ٤ ) العلوي ، الطراز : ٤٠/٣ .

( ٥ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٥١/١

(٦) وهي في نهج البلاغة: (( وَ أَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَ رَغِبَ فِي طَلَبٍ ، وَ تَهَبَ عَنْ هَرَبٍ وَ رَاقَبَ فِي  
يَوْمِهِ غَدَهُ ، وَ نَظَرَ قُدْمًا أَمَامَهُ ، فَكَفَى بِالْجَنَّةِ تَوَابًا وَ نَوَالًا وَ كَفَى بِالنَّارِ عِقَابًا وَ وَبَالَآ ، وَ كَفَى بِاللَّهِ  
مُنْقِمًا وَ نَصِيْرًا ، وَ كَفَى بِالْكِتَابِ حَاجِبًا وَ حَصِيْمًا )) . ظ . الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٥٨/١

فهذه الكلمات متماثلة في الأوزان مختلفة في الألفاظ .  
والتوازن كما بدا لا يقتصر وروده في نهايات الجمل بل كثيرا ما يجيء في  
داخلها (( ليؤلف انسجاما في نطق الكلمات وفي سماعها ))<sup>(١)</sup> .

نحو قوله من كتاب الى أحد عماله :  
(( وَ مَنْ كَانَ بِقَاطِئِكَ بِأَ هَلِ أَنْ يُسَدَّ بِهِ تَعْرُ ، أَوْ يُفَقِّدَ بِهِ أَمْرٌ أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ ،  
أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جَبَايَةِ ))<sup>(٢)</sup> .  
فقد وقعت الألفاظ ( يسد ، ينفذ ، يعلى ، يشرك ، يؤمن ، ) على زنة المفعولية ،  
فضلا عن تطابق الأفعال الأخيرة في الوزن .

ومثل هذا قوله (ع) لأصحابه لانما: (( فَمَا يُدْرِكُ بِرُكْمٍ تَارَوْ لَا يُبْلَغُ بِرُكْمٍ  
مَرَامٍ ))<sup>(٣)</sup> ، فوازن بين ( يدرك و يبلغ ) .

وقوله من كتاب الى عامله على البصرة :  
(( لَئِنْ بَلَغَنِي أَتَكَ حُنْتُ مِنْ هِيَ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا ، لِأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ سَدَّةً  
تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ ، ضَيْلَ الْأَمْرِ ))<sup>(٤)</sup> .  
والتوازن واضح نغمه في داخل الجمل بين ( صغير و كبير ) و ( الوفر ، الظهر ،  
الأمير ) و ( قليل ، ثقيل ، ضئيل ) .

ومن البين أن تأثير القرآن في كلام الإمام (ع) بأسلوب توخي الموازنة بدا  
بصورة يشد الأداء الى مضمونه ليغدو الجرس شكلا من أشكال المعنى وليس حلية  
عارضة ، فثمة أثر لجرس ألفاظ القرآن خفي في كلام الإمام (ع) يأتي به  
منصوبا كله مثل القرآن . نحو قول الإمام (ع) من كتاب له الى عبد الله بن عباس  
بعد مقتل محمد بن أبي بكر :

(( مَا بَعْدَ فَإِنَّ مِصْرَ قَدْ انْفَتَحَتْ ، وَ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اسْتَسْهَدَ ، فَعِنْدَ  
اللَّهِ نَحْسِبُهُ وَلَا دَنَاصِحًا وَ عَامِلًا كَادِحًا ، وَ سَيْفًا قَاطِعًا وَ رُكْنًا دَافِعًا ، وَ قَدْ كُنْتُ  
حَسَبْتُ النَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ ، وَ أَمْرَتُهُمْ بِرِغَايَتِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ ، وَ دَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَ جَهْرًا وَ  
عَوْدًا وَ بَدَاءً ، فَ مِنْهُمْ الْآتِي كَارِهًا وَ مِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا ، وَ مِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَائِلًا ، أَسْأَلُ  
اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا ، فَوَاللَّهِ لَوْ لَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي  
الشَّهَادَةِ ، وَ طَيْبِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ ، لِأَحْبَبْتُ أَلَّا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا ، وَ  
لَا أَلْقَى بِهِمْ أَبَدًا ))<sup>(١)</sup> .

أليس هذا الايقاع من هذه المدات المنصوبة الحزينة اتباعا لطريقة القرآن في  
ايراد الفواصل المنصوبة المدات في سورة النساء وسورة المائدة؟! .

ولازيادة على القول فوق ما قال ابن ابي الحديد(ت٦٥٦هـ) معلقا عليها: ((  
انظر الى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها ، وتملكه زمامها ، وأعجب لهذه

( ١ ) الحوفي ، بلاغة الإمام علي : ١٦١

( ٢ ) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٩٥/٢

( ٣ ) المصدر نفسه : ١٠١/١

( ٤ ) المصدر نفسه : ١٥٦/٢

( ١ ) المصدر نفسه : ٢٠٨/٢

الألفاظ المنصوبة ، يتلو بعضها بعضا كيف تواتيه وتطويعه ، سلسلة سهلة ، تتدفق من غير تعسف ولا تكلف ، حتى انتهى الى آخر الفصل فقال ( يوما واحدا ، ولا ألتقي بهم أبدا ) وأنت وغيرك من الفصحاء اذا شرعوا في كتاب أو خطبة ، جاءت القرائن والفواصل تارة مرفوعة وتارة مجرورة وتارة منصوبة ، فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها في التكلف أثر بيبين ، وعلامة واضحة ، وهذا الصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز في القرآن )) (١) .  
نحو قوله تعالى على سبيل المثال :

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا \* إِذِ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا \* قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا \* وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا \* يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا \* قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا \* قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا \* فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا \* يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنبِئْهُمْ بِالْحُكْمِ صَبِيًّا ﴾ (١) . فهذه الفواصل المنصوبة لها وقع خاص على الأذن خاصة وأن هذه السورة المباركة تحفل بمعاني التضرع والدعاء لله تعالى وهو ما يتناسب مع مد الصوت على هذا النحو .

من كل ما سبق ، بدا جليا أن الإمام عليا (ع) اقتفى أسلوب التعبير القرآني في طلب الجرس وتقويته في ألفاظه على نحو ربط فيه المضمون بالأداء ، فكان نهج البلاغة صدى حقيقيا لايقاع التعبير القرآني بسبب قدرته على تمثيل المعنى القرآني الجديد وطريقة تأديته بلغة فنية جديدة ، وكانت تلك السمة خصيصة تميز بها عن أهل زمانه .

( ١ ) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٤٥/١٦

( ١ ) مريم : ٢-١٢

# الباب الثاني

الأثر القرآني في نهج البلاغة

" المضمون "

الفصل الأول : مجالات الأثر القرآني بالمضمون

الفصل الثاني: الشاهد القرآني في نهج البلاغة

## الفصل الأول

### مجالات الأثر القرآني :

١ . تعظيم الله و تنزيهه الباري

٢ . عالم الموت و الحياة

٣ . خلق الإنسان والكون

٤ . الجهاد في سبيل الله

٥ . الدعوة إلى التقوى

## توطئة :

بدا مما سبق أن الإمام عليا (ع) متابع دقيق لاقتفاء الصياغات الفنية في التعبير القرآني ، وهي متابعة صدر عنها الإمام (ع) من ثقافة فطرية نشأ عليها ، ولم يجد عنقا في توخيها واستعمالها في موارد بعيدة أحيانا عن التوظيف القرآني ولكنها امتداد له ، واغتراف من منبعه الثر .

ولا ريب أن الإمام (ع) قد أشربت روحه حب القرآن صياغة ومضمونا ، حتى جرى ذلك على لسانه متمثلا ومعيدا ما اختزن في ذاكرته ، فهو (( يتتلمذ للقرآن الكريم ، ويستوحيه في عرفان إسلامه ، وتقرير إيمانه ، فكانت نظرتة إلى الخلق والخالق نظرة قرآنية يبتكر ما شاء ابتكار التلميذ في الحكاية عن الأستاذ ، فكلامه عن الطاووس والخفاش والزرع والسحاب إنما هو الدرس القرآني الذي وعاه من أمر الكتاب بالنظر في المخلوقات ووصف الكتاب لطوائف منها كالنمل والنحل والطيور والأجنة في الأرحام ))<sup>(١)</sup>.

إن المحتوى الذي حملته ألفاظ الإمام (ع) في نهج البلاغة يستند إلى مرتكزات رئيسة مرتبطة ببنية التكوين الفكري لذهنية الإمام (ع) ، والتي لا يمكن فصلها عن المضمون القرآني ، وكان فيها الإمام (ع) (( يصدر عن رؤية كونية شاملة محاورها ثلاثة موضوعات لا انفصال بينها هي : الله والعالم والإنسان ))<sup>(١)</sup>. وحتى التجارب الشخصية التي مر بها الإمام (ع) انصهرت في عوالم هذه المحاور بحيث استطاع أن ينقلها من الموقف الشخصي في الأداء الى أفق عام أرحب في الشمولية وتقديمها زادا للإنسانية يمكن أن تستقي منه عبر مختلف عصورها ، ولعل هذا بعض ما يفسر سر الحياة في نهج البلاغة وسيرورته في الآفاق .

فليس لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) موقف ضيق منطو على تجربة محدودة تموت بموت صاحبها ، بل كل تجاربه الشخصية منطلقة من المفهوم القرآني للحياة والإنسان وارتباطه بخالقه ، ومن هنا نجد تجاربه مما تتواكب معه مفاهيم الإنسانية بمختلف توجهاتها وانتماءاتها لأنها ببساطة مستقاة من المعين القرآني الذي يكتنف الإنسان في الدنيا والآخرة .

ولا مغالاة في القول أن كل كلامه (ع) صدى للمضمون القرآني ، ولكن البحث عن الأثر القرآني الذي يتوخاه المنهج العلمي سينصب على أكثر المعاني وأبلغها إيرادا على لسان الإمام (ع) ومنها :

(١) عباس محمود العقاد ، عبقرية الإمام علي : ٤٢

(١) زكي نجيب محمود ، المعقول واللامعقول : ٣٠

## ١- تعظيم الله وتنزيهه الباري :

وهو في القرآن الكريم محور رئيس ، بل على أساس وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الشرك فتن البشر وقامت المعركة الأزلية بين الإنسان والشيطان ، فمن الطبيعي أن يكون هذا المحور الخطير من أكثر المضامين القرآنية تداولاً ومعالجة.

وهو كذلك في نهج البلاغة ، إذ يندر أن يخلو كلام الإمام (ع) من معاني تعظيم الله تعالى وإثبات وحدانيته وبيان صفاته سبحانه ، وكلها مستقاة من القرآن العظيم ، فلإمام (ع) خطب كثيرة في موضوعة وحدانية الله تعالى ، فضلاً عن دأبه على افتتاح كلامه بذكر الله تعالى والثناء عليه وتعظيمه . ونهج البلاغة كله مثال لذلك . وكلام الإمام علي (ع) في هذا الشأن يأخذ أشكالاً عدة ، منها :

### أ- التوحيد

وقد حفل كلام الإمام (ع) بالتوحيد فالمسائل المتعلقة بالخالق وما وراء الطبيعة من أساسيات موضوعات نهج البلاغة ، وهي متنوعة الاتجاهات منها في الحديث المباشر عن ذات الله المقدسة ومنها في النظر في أحوال الكون والمخلوقات (( وعلنا نستطيع أن نعد البحوث التوحيدية في نهج البلاغة من أعجب بحوث هذا الكتاب، فإنها - بدون مبالغة ، ومع الالتفات إلى الشرائط الزمانية و المكانية للصدور - تقرب من حدود الإعجاز ))<sup>(١)</sup> .

غير أنا سنركز البحث في باب التوحيد عن حديث الإمام(ع) المباشر في ذكر الذات المقدسة ، فلإمام (ع) خطب اختصت بهذا المعنى بشكل لافت ، إذ توسع فيها على أصل المعنى القرآني مفصلاً غاية التفصيل ومقيماً الأدلة العملية والنظرية من أجل إثبات وحدانية الله تعالى.

قال (ع) في إحدى خطب التوحيد :

(( مَا وَحَدَّهُ مَنْ كَيْفُهُ وَ لَا حَقِيقَةً صَابَ مَنْ مَلَّاهُ ، وَ لَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ ، وَ لَا صَمَدَهُ مَنْ أَسَارَ لِئِهِ وَ تَوَهَّمَهُ ، كُلُّ مَعْرُوفٍ بِرَتْقِهِ مَصْنُوعٌ وَ كُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُوفٌ ، فَاعِلٌ لَا بِرَاضِطِرَابِ آلَةٍ مُقَدَّرٌ لَا بِرَجُولِ فِكْرَةٍ ، عَنِّي لَا بِرَاسْتِفَادَةٍ ، لَا تُصَحِّبُهُ الْأَوْقَاتُ وَ لَا تُرْفِدُهُ الْأَدْوَاتُ ، سَبَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنُهُ ، وَ الْعَدَمُ وَجُودُهُ وَ الْإِبْتِدَاءُ أَرْزَلُهُ بِرَسْتَعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرْفَ أَنْ لَا مَسْعَرَ لَهُ ، وَ بِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرْفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ ، وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرْفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ ، ضَادَّ النَّورِ بِالظُّلْمَةِ وَ الْوُضُوحِ بِالظُّلْمَةِ ، وَ الْجُمُودَ بِالْبَلْبَلِ وَ الْحَرُورَ بِالصَّرْدِ مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِلَاتِهَا مُقَارَنٌ بَيْنَ

(١) مرتضى المطهري ، في رحاب نهج البلاغة : ٣٥

مُنْبَائِنَاتِيهَا ، مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُنْبَاعِدَاتِيهَا مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُنْدَانِيَّاتِيهَا ، لَا يُشْمَلُ بِرَحَدٍّ وَلَا يُحَسَبُ بِرِعْدٍ ، وَ إِنَّمَا تُحَدُّ الْأَدْوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَ تُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَيَّ تَطَائِرُهَا ، ... ))<sup>(١)</sup> .  
 ولا يمتلك أحد الجراءة - مستثنين رسول الله 9 طبعاً - على ذكر الذات المقدسة وصفاتها بهذه الدقة غير علي بن أبي طالب (ع) ، بل ليست لأحد هذه المعرفة بالله تعالى سواه ، وكل ذلك للتنشئة الخاصة التي وهبها (ع) في حضن النبوة والقرآن ، وهو القائل : (( وَاللَّهِمَا أَسْمَعُكَمُ الرَّسُولُ شَيْئًا ، إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا الْيَوْمِ مُسْمِعُكُمْوه ))<sup>(٢)</sup> .

ولاشك في أن مرجع هذه المعاني هو الأصل القرآني في نفي الإلوهية عن غير الله تعالى ، ولكن ليس ثمة محددات في القرآن الكريم يمكن بها إرجاع ما جاء من معاني الإمام (ع) في خطبته سوى تأكيدنا على ما أعطي الإمام (ع) من علم وقدرة على التفصيل والاتساع وإمكانية الإضافة إبانة وشرحا لما جاء في الأصل القرآني من الآيات المتكررة في إحاطة الله تعالى بكل شيء وقدرته على كل شيء وأنه لا يجري عليه الزمان أو المكان ، نحو قوله تعالى :

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

وقوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله جل وعلا : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾<sup>(٣)</sup> .

إن معرفة الإمام (ع) بهذه الكليات المطلقة للخالق التي ترد كثيرا في آيات القرآن العظيم ( كل شيء ) هي التي مكنته من التفصيل في حديثه عن الذات المقدسة وإبانته عن قدرة الله تعالى في المواءمة بين المتضادات ما بين الموجودات التي هي داخلية طبعاً في قدرة الله تعالى الكلية .

هناك رؤية شاملة للكون لدى الإمام (ع) استطاع بها أن يوالف بين أجزاء الموجودات ليقينه بأن صانعها واحد ، لذلك فهو (ع) يدأب على إيجاد علاقات خفية بين أجزاء هذا الكون وإن بدت بعيدة فيما بينها كل البعد ، فهو بهذه الروية الشاملة يستنتج من مجموع الحثيات قاعدة عامة بأن من يجمع بينها خالق لا يمكن أن يكون له ضد ، لأن الجمع بين الأضداد مستحيل على غير الله تعالى .

(١) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٦٩/٢

(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٨٠/١

(٣) المائدة : ١٢٠

(١) الأنعام : ١٠١

(٢) الأنفال : ٤٧

(٣) الشورى : ١١

وكذلك أخذ الإمام(ع) كثيرا من قضية ( الإدراك الحسي ) التي ذكرها القرآن الكريم وعمل على إقامة أكثر من دليل ينفي به إمكان رؤية الله تعالى أو إدراكه إدراكا بصريا . قال تعالى :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١) .

بمعنى (( أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه ، لأنه متعال أن يكون مبصرا في ذاته ، لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا كالأجسام والهيئات )) (٢) .

على أن الإمام(ع) - من وجه آخر - لم يفته القول بأن الله سبحانه يدرك بالسبيل الذي به استخلف مخلوقه المميز للإنسان وهو العقل . يذكر أن أحد أصحاب الإمام (ع) يقال له ذعلب اليماني قال له: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين فقال (ع) : (( أ فأعبد ما لا أرى ؟ فقال و كيف تراه ؟ فقال : لا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ ، وَ لَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَامَسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ ... )) (٣) .

فالإمام(ع) - كما القرآن - يبيث في النفس حقائق أخرى للإدراك ، تسمو عن مرامي الأبصار الحسية .

ولطالما أكد الإمام(ع) هذه الفكرة ، كقوله :

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ السَّمْعُ وَاهْدُ ، وَ لَا تُحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ ، وَ لَا تَرَاهُ النَّوَظِرُ ، وَ لَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ، ... ، تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعِرَةٍ ، وَ تَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضِرَةٍ ، لَمْ تُحَظِّبْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا ، وَ بِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا وَ إِيَّهَا حَاكَمَهَا ، لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَّاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيمًا ، وَ لَا بِذِي عَظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْعَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيمًا ، بَلْ كَبُرَ شَأْنًا وَ عَظُمَ سُلْطَانًا)) (١) .

والشواهد معناها الحواس بدلالة قوله مفسرا لها( ولا تراه النواظر ) ، والمشاهد عنى بها المجالس والنوادي وفسرها بقوله ( ولا تحجبه السواتر ) . وأكد إدراك الله تعالى بالعقل بقوله ( تتلقاه الأذهان .. ) أي تلقيا عقليا كما يقول ابن أبي الحديد ، و(( ليس كما يتلقى الجسم الجسم ، بمشاعره وحواسه وجوارحه ، وذلك لأن تعقل الأشياء هو حصول صورها )) (٢) .

وهكذا بدا ، أن الإمام عليا (ع) انطلق من القواعد العامة التي جاءت في القرآن الكريم وأخذ يفصل فيها الكلام ويقوم عليها البراهين .

(١) الأنعام : ١٠٣

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ٤١/٢

(٣) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٢٥/١

(١) المصدر نفسه : ٦٤/٢

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٤٨/١٣

## ب - الولادة ، واتخاذ الأبناء

وهي لا ريب مما يتصل بمبدأ التوحيد ، وقد روج لها المشركون بالله على مر تاريخ الإنسانية ، مسقطين ما عند البشر من نقص البقاء على الخالق ، لذلك ذكرها القرآن كثيرا ، وأبطل حججهم فيها ، نحو قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (١) .

وفي الآية الكريمة إبطال الولد من ثلاثة أوجه : (( أحدها : انه مبدع السموات والأرض ، وهي أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة ، لأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا . والثاني : أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس ، فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة . والثالث : انه ما من شيء إلا وهو خالقه ، والعالم به ، ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء ، والولد إنما يطلبه المحتاج )) (٢) .

وقد تقدم اسم الله في قوله تعالى ( الله ) على ( شركاء ) استعظاما من أن يتخذ الله شريكا من الملائكة أو الجن أو الإنس .

وفي موضع آخر أبطل الله تعالى هذه الشبهات كقوله سبحانه : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ

وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (١)

وقوله سبحانه : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ

سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

هذه المعاني التي وردت كثيرا في القرآن الكريم قد استقاها الإمام (ع) وفصل

الكلام فيها على عادته ، قال (ع) من خطبة في التوحيد :

(( لَمْ يُوَلَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِرِّ مُشَارَكًا ، وَ لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثًا هَالِكًا )) (٣) .

وجاء نفي الإمام (ع) في أن يكون الباري سبحانه مولودا (( جريا على عادة ملوك البشر ، فإن الأكثر أن الملك يكون ابن ملك قبله ، ونفى أن يكون له ولد ،

(١) الأنعام : ١٠٠

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ٤١/٢

(١) المؤمنون : ٩١

(٢) يونس : ٦٨

(٣) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٢٩/١

جريا أيضا على عادة البشر ، في أن كل والد في الأكثر يهلك قبل هلاك الولد ، ويرثه الولد )) (١).

وقال (ع) في موضع آخر :

(( لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً وَ لَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً ، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ )) (٢).  
وذلك لأن من يلد في الأغلب يكون مولودا ، وبذلك يفتقر إلى الكمال لأنه سيحتاج غيره فضلا عن كونه سيحد بحدود المكان والزمان ، وكل تلك الصفات تتناقض والإلهوية ، وتتقاطع مع الوجدانية .

وهذه المعاني مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (٣) .

وتقدمت جملة ( لم يلد ) على جملة ( لم يولد ) ، مع أن الأولى أن يكون مولودا ثم يكون والدا ، لأنه (( إنما وقعت البداية بأنه لم يلد ، لأنهم ادعوا أن له ولدا ، وذلك لأن مشركي العرب قالوا ( الملائكة بنات الله ، وقالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ) ، ولم يدع أحد بأن له ولدا فلذا بدأ بالأهم فقال ( لم يلد ) ، ثم أشار إلى الحجة فقال ( ولم يولد ) ، كأنه قيل : الدليل على امتناع الولدية اتفاقنا على أنه ما كان ولدا لغيره )) (٤).

والإمام (ع) اتبع في الثانية القرآن الكريم فقدم للسبب نفسه قوله : ( لم يلد ) على قوله : ( لم يولد ) .

### ج - التحميد

الحمد والحمدلة تعني (( الشكر خالصا لله جل ثناؤه ، دون سائر ما يعبد من دونه ، ودون كل ما يرى من خلقه ، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره أحد )) (١).  
ولاشك في أن استهلال الخطب بتحميد الله تعالى والثناء عليه إضافة إسلامية جديدة على أسلوب الخطابة العربية ، وهي من مبتكرات الرسول الكريم (ص) فهو الذي أدخلها في خطبه واستنها الناس من بعده ، ولست أشك في أن الإمام عليا (ع) الناشئ في حجر النبوة قد تأثر خطي ابن عمه 9 ومربيه في كل شاردة وواردة . غير أن أصل التحميد القرآن الكريم ، ففي آياته احتفال كبير بهذا الأسلوب والمحتوى (٢) .

وفيما يأتي طائفة من حمد الله تعالى في القرآن من قوله تعالى :

﴿ دَعَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجَدَعَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٠/١٨٢

(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢/٧١

(٣) الإخلاص : ٣-٤

(٤) الرازي ، التفسير الكبير : ٣٢/١٨٣

(١) الطبري ، جامع البيان : ١/٥٩

(٢) ظ. ابتسام المدني ، بنية النص القرآني : ١٢٧-١٢٨ (اطروحة دكتوراه) .

(٣) يونس : ١٠

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُكِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (٢) ،

وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأُنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا ﴾ (٣) .

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ (٤) .

وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

وبهذه المعاني أخذ الإمام (ع) في حمده لله تعالى في استهلالاته لخطبه ، وجعل ينطلق من الحمد مقتبسا ومضمنا مزيدا من المعاني القرآنية التي تعنى بتعظيم الخالق وتنزيهه وتوحيده ، نحو قوله: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِذْ يَهْدِي مَصَائِرَ الْخَلْقِ ، وَ عَوَاقِبُ الْأُمْرِ)) (٢) ، فقد ضمن الإمام (ع) مع أسلوب ( الحمد لله ) معاني قرآنية استنتجها من مجموع آيات كثيرة تكررت بالمعنى نفسه .

فقوله (ع) ( إليه مصائر الخلق ) استفاده من الآيات الكثيرة التي اختتمت بعبارة ( إليه المصير ، إليك المصير ، إلينا المصير ، إلى الله المصير ، إلى المصير ) والتي تكررت بهذا المعنى اثني عشر مرة ، نحو قوله تعالى :

(١) المؤمنون : ٢٨

(٢) الأنعام : ١

(٣) الأعراف : ٤٣

(٤) الإسراء : ١١١

(١) النمل : ١٥

(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٢٩/١

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾<sup>(٢)</sup> . وكذا قوله ( عواقب الأمر ) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وجدير بالذكر إن لفظة ( مصائر و عواقب ) لم تأت في القرآن إلا بصيغة المفرد ، وإنما جمعهما الإمام (ع) لأنه أراد الحكاية والتعبير عنهما ولتكرار ورودهما في آيات عدة .

وفي مثال آخر ، قال الإمام علي (ع) من خطبة له :  
 ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَابَسَ الْعِزِّ وَالْكَبْرِيَاءِ ، وَ اخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ ))<sup>(٥)</sup> .  
 فاختصاص العزة والكبرياء بالله تعالى من معاني القرآن الكريم التي ترد مؤكدة بأساليب مختلفة ، قال سبحانه :

﴿ وَلِلَّهِ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(٦)</sup> .

والتكبير لابد أن يكون بعد التحميد إشارة إلى أن الحامدين إذا حمدوه وجب أن يعرفوا أن أنعامه أجل وأكبر من حمدهم ، وأن الكبرياء مختص به وحده سبحانه<sup>(١)</sup> .

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

والخطاب للرسول 9 على سبيل التعزية والتسلية<sup>(٣)</sup> .

ويبدو أن التحميد القرآني أسلوب مبتكر لمرحلة جديدة لبث المعاني التي جاء بها الفكر الإسلامي الجديد وكان الإمام (ع) خير المستغلين لاقتباسها وتركيب ما تنأثر منها في القرآن وإعادته بأسلوب التحميد ، بل كان أسلوب الإمام (ع) في انطواء التحميد على كثرة ملحوظة من المعاني القرآنية من امتيازاته في خطباته ، بسبب قوة حضور النص القرآني في ذهن الإمام (ع) وقدرته على الاستنتاج والاختصار واعتصار المعاني في جمل مقتضبة دون الإخلال بتأديتها كاملة . نحو قوله (ع) :  
 (( الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدُ بِرِئَاسَةِ النَّعْمِ ، وَ النَّعْمُ بِرِئَاسَةِ الشُّكْرِ ))<sup>(٤)</sup> . فهذا إعادة تمثيل لمعنى قوله تعالى في هذا الشأن :

(١) النور : ٤٢

(٢) فاطر : ١٨

(٣) الحج : ٤١

(٤) لقمان : ٢٢

(٥) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٨٩/٢

(٦) الجاثية : ٣٧

(١) ظ . الرازي ، التفسير الكبير : ٢٧ / ٢٧٥

(٢) يونس : ٦٥

(٣) ظ . الطباطبائي ، الميزان : ٩٣/١٠

(٤) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢٦٤/١

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكُمْ لِمَن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله سبحانه : ﴿ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ

شَكَرَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقدرة على استنباط المعاني القرآنية واستظهارها .

#### د - أسماء الله الحسنى وصفات أفعاله سبحانه

أفاد الإمام (ع) من صفات أفعال الله تعالى وأسمائه سبحانه التي جاءت في القرآن الكريم فأوردتها في كلامه كثيرا ذاكرا ومبيناً وشارحا لما استخفى منها وأشكل ولا ريب في أن عرض هذه الأسماء والصفات التي جاءت في القرآن الكريم تستدعي مزيدا من الإبانة لما تركز في الذهنية العربية حين نزول القرآن من مفاهيم الماديات الصنمية وترسخ فيها من محدودية معبودهم من خلالها .

كان الانتقال بهذه المفاهيم من عالم الحس إلى عالم الغيب أسمى وأرحب بكثير ، وليس سهلا قبوله ، خاصة وان هذه الأسماء والصفات ارتبطت في الأذهان بمعاني الحس والمشاهدة ولم يؤلف الابتعاد عن واقعها وعالمها الحسي .

لكل ذلك نجد في كلام الإمام (ع) تمعنا في الوقوف على هذه الأسماء الكريمة والصفات الشريفة وتبينها بعيدا عن العالم الذي ألفه الناس واعتادوه ، بل سيستغل الإمام (ع) الارتباطات الذهنية القديمة للناس لهذه المفاهيم الجديدة أفضل استغلال في الكشف عن عالم الغيب وتقديمه تقدما يستساغ قبوله .

فقد وقف الإمام (ع) على أكثر أسماء الله الحسنى وصفات أفعاله التي جاءت في القرآن الكريم مثل ( العليم ، المنان ، المنتقم ، القاهر ، الرحمن ، المتجلي ، السميع ، البصير ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الحق ، المبين ، البديع ، اللطيف ، الخبير ، البادي ، الكافي ، القريب ، ... ) ، واجتنابا للإطالة ، سننتقي أمثلة عن سعة علم الإمام (ع) في الأخذ عن القرآن الكريم والكشف عن هذه الأسماء الشريفة .

أخذ لفظ ( السميع البصير ) التي وردت كثيرا في القرآن الكريم في وصف الذات المقدسة ، نحو قوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾<sup>(١)</sup> . وقوله

سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾<sup>(٢)</sup> ،

فقال (ع) مبينا لها :

(( وَ كُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْمُ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ ، وَ يُصْمُهُ كَبِيرُهَا وَ يَنْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا وَ كُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَ لَطِيفِ الْأَجْسَامِ ))<sup>(٣)</sup> .

(١) إبراهيم : ٧

(٢) القمر : ٣

(١) غافر: ٢٠ . وينظر في تفسيرها : الرازي ، التفسير الكبير : ٥٢/٢٧

(٢) الشورى: ١١

(٣) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٣٠/١

لأن السمع في الأجسام المادية الحية آلة يفسر ارتجاج الهواء بين أجزائها إدراكات دماغية ، لذا يصعب عليه تفسير ما لا ينقله الهواء إليها ، ويؤذيه ويصيبه بالصمم ما ينقل إليه من ارتجاج قريب لقوته وهو ما عبر عنه الإمام (ع) بقوله : ( ويصمه كبيرها ) .

ولاشك أن السمع بهذا النحو لا تنطبق صفته على الله تعالى (( فهو سميع بمعنى لا يعزب عن إدراكه مسموع ، وإن خفي فيسمع السر والنجوى بل ما يسمع هو أدق وأخفى ، حمد الحامدين ودعاء الداعين ، وهو السميع الذي لا يتطرق إليه الحدثان ، إذ لم يكن بألة واذان )) (١) .

ويقول في موضع آخر :

﴿بِرُّ لَا بِلِسَانٍ وَ لِهَوَاتٍ ، وَ يَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَ أَدَوَاتٍ﴾ (٢) .  
فقد نفى كون الله تعالى يسمع بهذه الخروق التي تتكون منها الأذن وأجزاؤها كما يسمع الإنسان لتنتزهه عن الآلات الجسمانية .

إذن إطلاق السميع على الله تعالى مجاز حقيقة العلم ، لأن السمع أحد أسباب العلم (( وكون الله سبحانه سميعا يعود الى علمه بالمسموعات )) (٣) .  
أما لفظ (البصير) فهي بمعنى الفاعل من البصر ، والبصر حقيقة في حاسة العين ولكنها تطلق على الله تعالى مجازا في القوة التي بها العلم ، وقد نقلها الإمام (ع) من الفهم المألوف لآلة البصر إلى معنى ابعده وأشمل يليق بالصفة الربوبية ، لأن آلة البصر محدودة تتبين الأشياء بواسطة ما يلقي عليها من إضاءة ، وتعمى بذهاب النور عنها وهو ما عبر عنه الإمام (ع) بخفي الألوان ولطيف الأجسام كاللون مثلا في الظلم ، واللطيف قد يكون الإحساس بوجوده وعدم إمكان رؤيته لعدم لونه مثلا كما في الهواء ، ولا يعني عدم إبصارها ذهابها ، بل للنقصان في العين الباصرة ، لذا أطلق الإمام (ع) لفظ (يعمى) مجازا باعتبار عدم الرؤية لأن العمى أحد أسبابها إطلاقا لاسم السبب على المسبب (١) .

ويؤكد الإمام (ع) هذا المعنى في خطبة أخرى في التوحيد فيقول (ع) :  
﴿بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَةِ﴾ (٢) .

وفي موضع آخر قال : ﴿بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ﴾ (٣) .  
وفي مثال آخر أخذ قوله تعالى :

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٤) .

(١) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١٧٢/٢

(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٧١/٢

(٣) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١٧٠/٤

(١) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٧٣/٢

(٢) المصدر نفسه : ٤٢٥/١

(٣) المصدر نفسه : ١٥/١

(٤) الحديد : ٣ . وينظر في تفسيرها : الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٨٣/٩

فعمل على تفصيل مضامينها واحدا واحدا في أكثر من موضع ومناسبة من كلامه (ع) ، نحو قوله :  
((الأوّل قبل كلّ أوّلٍ و الآخر بعَلَجٍ ، برأ ووليتته وحب أن لا أوّل له ، و برأخريته وحب أن لا آخر له ))<sup>(١)</sup> .

لأن وجود الباري أولا مما يشير إليه العقل ويفرضه أول الموجودات ، وكذلك هو موجود بعد كل شيء ، يشير إليه العقل ويفرضه آخر ما يبقى من جميع الموجودات ، وعلى هذا فالله تعالى (( بالاعتبار الأول يكون أولا قبل كل ما يفرض أولا ، وبالاعتبار الثاني يكون آخر بعد كل ما يفرض آخر ))<sup>(٢)</sup> .  
أما قوله: ( باوليته وحب أن لا أول له ) لأن أوليته سبحانه مبدأ كل شيء ، كما أن آخريته غاية ينتهي إليها كل شيء<sup>(٣)</sup> .

وفي خطبة أخرى أكد الإمام (ع) هذا المعنى فقال :  
((الحمد لله الأوّل فلا شيء قبله ، و الآخر فلا شيء بعده ، و الظاهر فلا شيء فوقه ، و الباطن فلا شيء دونه ))<sup>(٤)</sup> .

فقد جمع الإمام (ع) أربعة اعتبارات اتخذ منها وسائل ثناء على الله تعالى وهي ( الأولية والآخرية و الظاهرية والباطنية ) وعمل على تأكيد كل واحد منها بكماله (( فكمال الأولية بسلب قبلية كل شيء عنه ، وكمال الاخرية بسلب بعدية كل شيء له ، والظاهرية بسلب فوقية كل شيء له ، والباطنية بسلب كل شيء دونه ))<sup>(٥)</sup> .  
وأراد بالظاهر العالي لذلك أكده بقوله ( فلا شيء فوقه ) وأراد بالباطن شدة قربه من الأشياء لأنه تعالى يبطن خفياتها علما ، لذلك أكد هذا المعنى بقوله ( فلا شيء دونه ) .

وغير ذلك كثير من أسماء الله تعالى التي وقف عليها الإمام (ع) وبينها ، نحو قوله (ع) :  
((الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالِ امْتِنَانِهِ ، وَ لَا مِقْدَارِ احْتِنَانِي عَلَيْهِ مِنْ خَالِقِ مَعْبُودٍ كَانُ قَبْلَهُ ))<sup>(١)</sup> .

وهو بيان لقوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وكقوله (ع) : (( ..فلا شيء إلا الواحد القهار ، الذي إليه مصير جميع الأمور ))<sup>(٣)</sup> .

(١) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢٢٤/١

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٩٦/٧

(٣) ظ . ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١١/٣

(٤) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢١٥/١

(٥) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١١/٣

(١) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٨٧/١

(٢) آل عمران : ١٢٠

(٣) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٧٤/٢

وقوله من خطبة له : (( قَاهِرُ مَنْ عَارَهُ وَ مُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ ، وَ مُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ ، وَ غَالِبُ مَنْ عَادَاهُ ))<sup>(١)</sup> .  
 وفي قوله (ناواه) صنعة فرضها توخيه الموسيقى بتسجييعها بـ(عاداه) ، فأصل (ناواه) ناواه ، ولكن الهمزة لينت لأجل اتباعها بأختها .  
 وقول الإمام (ع) من معاني قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

## ٢- عالم الحياة والموت :

ينطلق الإمام (ع) في نظرتة إلى الحياة بالنسبة للإنسان من الحقيقة القرآنية فيها القائمة على مفهوم الاستخلاف والتحويل ، قال تعالى :  
 ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى :  
 ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾<sup>(٤)</sup> .  
 وفي التحويل قال سبحانه :  
 ﴿ وَلَقَدْ جَسَّمْنَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> .  
 وقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

على هذا الأساس ينبنى اتجاهان في النظر الى حقيقة الحياة الدنيا، أحدهما :  
 ايجابي محمود ، والآخر : سلبي مذموم .  
 أما الم محمود في الدنيا ففي كونها تمثل الواقع التطبيقي لقضية الاستخلاف والتحويل التي امتحن الله تعالى بها عباده ، فهي بعبارة أخرى تعد شهادة الفوز في هذا الاختبار الشديد<sup>(٣)</sup> .  
 وليس كل ما في الدنيا مذموما ولكن العبرة فيها في القدرة على استحضار روح خلافة الله تعالى في أرضه وتحويله لنا فيما يملك سبحانه وسط حلاوة الدنيا وملذاتها

(١) المصدر نفسه : ١٨٢/١

(٢) الأنعام : ١٨

(٣) البقرة : ٣٠

(٤) ص : ٢٦

(١) الأنعام : ٩٤

(٢) الزمر : ٨

(٣) ظ. محمد حسين الصغير ، رحلة الإنسان من عالم الذر حتى حياة البرزخ : ٧٣-٧٥

. لذلك يطلق القرآن - من جهة - البشارة للمؤمنين القادرين على استشفاف هذه المفاهيم العميقة ، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (١) .

ومن جهة أخرى ينفي القرآن أن تكون الحياة الدنيا وزينتها مزوية عن المؤمنين ومقصورة على العاصين ، قال تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢) .

ولا ريب في أن القرآن ما نزل ليحارب الحياة الدنيا ، ولا أمر أتباعه بمعاداتها ، وكيف يدعو الله تعالى عباده الى التخلي عن الحياة الدنيا وقد استخلفهم في أرضه وأمرهم بعمارتها ؟ .

بل الله تعالى دعا الى التنظيم والاعتدال فيها ، وفق قوانين تسمو بالإنسان عن أن تكون حياته الدنيا غايته الأولى والأخيرة .

هذه المضامين القرآنية العظيمة في التبصر في حقيقة الدنيا كان وعاؤها صدر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، فقد كان بحق لسان القرآن الناطق ، جاء في نهج البلاغة أن أحد أصحاب الإمام (ع) شكاه اليه أخاه لتخليه من الدنيا ، فاستدعاه الإمام (ع) فلما جاء قال له :

(( يَا عُدَيَّ نَهَبِهِ لَقَدْ اسْتَهَامَ بِرِكَ الْخَبِيثُ أَ ، مَا رَجِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ مَا تَرَى اللَّهُ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ، أَنْتَ أَهْوَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ تِلْكَ ، قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : هَذَا أَنْتَ فِي حُسُونَةِ مَلْبَسِكَ وَجُسُوبَةِ مَا كَلِمِكَ ؟ قَالَ نَوَيْحَكَ إِيَّي لَسْتُ كَأَنْتَ إِسْرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فَرَضَ عَلَىٰ أَيْمَةَ الْحَقِّ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِرُضْعَةِ النَّاسِ ، كَيْلًا يَنْبَغُ بِرَأْفَقِيرِ قَهْرِهِ )) (١) .

لأن الإمام (ع) يثمن قيمة الحياة بالنسبة الى الإنسان ويعدها فرصة ينبغي اغتنامها للاستزادة من الخير والبر والإحسان والعبادة الخالصة لله تعالى ، فهو القائل :

(( اَعْلَمُوا أَنَّه لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ ، إِلَّا وَ يَكَادُ صَاحِبُهُ يَسْبَعُ مِنْهُ ، وَ يَمْلُئُهُ إِلَّا الْحَيَاةُ )) (٢) ، باعتبارها السبيل الى الأعمال الصالحة ولجيلة الإنسان بحبها ، ولأن ذلك منهج فكري يدعو الى العمل لا الى الخمول بحجة الزهادة والتخلي عن الدنيا .

ولطالما أكد الإمام (ع) هذا المبدأ في أذهان الناس ، فقد قال لرجل قد سمعه يذم الدنيا:

(١) يونس : ٦٣ - ٦٤

(٢) الأعراف : ٣٢

(١) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٠/٢

(٢) المصدر نفسه : ٣١٠/١

(( أَيُّهَا النَّامُ لِلدُّنْيَا الْمُعْتَرُّ بِعُرُورِهَا ، الْمُنْخَدِعُ بِأَبَاطِيلِهَا أَوْ تَعْتَرُّ بِالدُّنْيَا تَمُّ نَمُّهَا ، أَتَتْ الْمُتَجَرَّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرَّمَةُ عَلَيْكَ ، مَتَى اسْتَهْوَتْكَ أَمْ مَتَى عَرَّتَكَ ، أَمْ بِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبَلَى لَهُمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى ، ... ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا ، وَ دَارٌ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهَمَّ عَنْهَا ، وَ دَارٌ غَنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا ، وَ دَارٌ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ وَ مُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللَّهِ وَ مَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ وَ مَتَجَرُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَ رَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ )) (١).

وجاء مدح الإمام (ع) للدنيا رغم أن أكثر كلامه في ذمها (( لأن كل ما في هذا العالم فهو صورة ومثال لما في عالم الغيب ، ونسخة منه يعتبر به ويقاس اليه ولو لا ذلك لانسد طريق الترقى الى الحضرة الإلهية وتعذر الوقوف على شيء من أسرارها )) (٢).

أما الجانب المذموم من الحياة الدنيا فهو حين يحيلها الإنسان الى ما يناقض حقيقتها في مفاهيم الاستخلاف والتحويل من فوضى وطغيان واستبداد وقهر وقمع و... ، لذلك دأب الإمام (ع) على التحذير من الركون الى الحياة الدنيا - كما مر في فصل سابق - ، أخذا بالمعاني القرآنية نفسها في وصف الدنيا بالاغترار تارة وبالسفر والمتاع الزائل تارة ثانية وبالاختبار تارة ثالثة ، ومستغلا إمكاناته في القدرة على استحضر المضامين القرآنية و الاتساع فيها.

وإضافة لما ذكر ، فقد جاء كل كلام الإمام (ع) في الحياة الدنيا مستلما من المعاني القرآنية ومتفرعا من أصلها . وفيما يأتي بعض الأمثلة لأكثر المعاني القرآنية التي جاءت في نهج البلاغة في هذا الشأن :

#### أ - الدنيا وزينتها

وقعت هذه اللفظة في القرآن الكريم بمشتقاتها المختلفة في صفة الحياة الدنيا كثيرا كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢) .

وقوله سبحانه : ﴿ زِينٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ (٤) .  
والتزيين بالنسبة للدنيا إظهار الحسن الخارجي (٥) ، لذا حسن وقعها صفة لها .

(١) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٣٦/٢

(٢) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٣١٦/٥

(١) الكهف : ٢٨

(٢) الكهف : ٤٦

(٣) البقرة : ٢١٢

وأخذ الإمام علي (ع) بهذا المعنى في مواعظه وخطبه كلما أراد النصح والتحذير، نحو قوله من كتاب له الى معاوية ناصحا :  
 (( وَ كَيْفَ أَتَتْ صَانِعٌ ، إِذَا تَكشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَتَتْ فِيهِ ، مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِرِزِينَتِهَا وَ خَدَعَتْ بِرِلَّتِهَا... ))<sup>(٣)</sup> .  
 وقوله ( تبهجت ) إضافة جديدة بمعنى تحسنت وتزينت أي صارت ذات بهجة وزينة وحسن .

وقال من خطبة محذرا أصحابه من الدنيا:  
 (( وَأُحْزِنُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنزِلُ قَلْعَةٍ ، وَ لَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ ، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِعُرُورِهَا ، وَ عَرَّتْ بِرِزِينَتِهَا... ))<sup>(٤)</sup> ، وجعل الإمام (ع) الزينة سببا للغرور والغرور سببا للزينة لأن (( زينتها سبب لاستغفالها الخلق ، والاعتزاز بها سبب لاستحسانها ))<sup>(٥)</sup> ، والمنزل القلعة ، المنزل الذي لا يستقر فيه<sup>(٦)</sup> .  
 وأكد الإمام (ع) هذا المعنى بأسلوب آخر في موضع آخر ، فقال :  
 (( وَ لَا تَعْجَبُوا بِرِزِينَتِهَا وَ نَعِيمِهَا ، وَ لَا تَجْرَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا وَ بُؤْسِهَا ، فَإِنَّ عِرَّهَا وَ فَحْرَهَا إِلى ائِقْطَاعٍ ، وَ إِنَّ زِينَتَهَا وَ نَعِيمَهَا إِلى زَوَالٍ .. ))<sup>(٧)</sup> .  
 وهكذا نجد الإمام (ع) متابعا لشؤون الحياة سلبا وإيجابا ، لأنها المضمار الذي تتسابق فيه الأعمال .

## ب - بيع الآخرة بالحياة الدنيا وبالعكس

من المعاني القرآنية التي ترد كثيرا في الكتاب العزيز تشبيه الحياة الدنيا والحياة الأخرى بأشياء من الواقع الإنساني الذي يتعاملون به كالسلع التجارية التي يبيعونها ويشترونها تحقيقا للتأثير وتقريبا للمعنى المراد ، نحو قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾<sup>(١)</sup> .

وقوله تعالى: ﴿ لِيُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ووجد هذا المعنى له صدى في كلام الإمام علي (ع) عن الدنيا و التحذير منها، نحو قوله من وصية الى ولده الحسن عليهما السلام :

(١) هود : ١٥  
 (٢) ظ . الراغب ، المفردات : ٢١٨ . محمد حسين الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني : ٣٠٠  
 (٣) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٤٠/٢  
 (٤) المصدر نفسه : ٢٦٢/١  
 (٥) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٩٤/٣  
 (٦) ظ . ابن منظور ، لسان العرب : قلع  
 (٧) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢٢١/١  
 (١) البقرة : ٨٦  
 (٢) النساء : ٧٤

(( .. فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ وَ لَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ .. )) (١)

وكرره في موضع آخر قائلا :

(( يَا جَابِرُ قَوْمَ الدُّنْيَا بِرَأْرَبَعَةٍ ، عَالِمٌ مُسْتَعْمِلٌ عِلْمَهُ ، وَ جَاهِلٌ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَ جَوَادٍ لَا يَبْخُلُ بِمَعْرُوفِهِ ، وَ فَقِيرٌ لَا يَبْدِعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ )) (٢)

وجدير بالذكر أن الإمام (ع) قلب التشبيه القرآني في تصرفه بهذا المعنى ، حين جعل الدنيا تباع بالأخرة ، ولم ترد في القرآن الكريم لفظة ( بيع ) الأخرة بالدنيا ، وإنما استفادها الإمام (ع) من لفظة ( يشرون ، شروا ، يشري ) التي ترد كثيرا في هذا المعنى كما في الآية السابقة وأكثر منه الإمام (ع) ، ومن هنا جاء توسع الإمام (ع) على أصل هذا المعنى ، نحو قوله ناصحا أصحابه:

(( لَا إِيَّتَهُ قَدْ أَذْبَرَ مَرْدُئِيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا ، وَ أَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا ، وَ أَرْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ ، وَ بَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى ، بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَبْقَى )) (٣)

فأصل فكرة البيع والشراء باقية مستقاة من المعنى القرآني ، ولكن للإمام (ع) إضافات على المعنى المستقى حتمه الموقف الفني الذي عرض فيه ، فهو حين شرع في التزهيد في الدنيا وظف فكرة ( البيع والشراء ) القرآنية في عرض قلة ما بقي من الدنيا ثم وصف هذه القلة المتبقية بالفناء ثم قابله بصفة رابحة وهي الكثرة الباقية لذلك كانت تجارة ( الأخيار ) رابحة حقا .

ويشير ابن أبي الحديد(ت٦٨٨هـ) إلى أن الهدى والرشاد كناية عما أدبر من الدنيا زمن الرسول الكريم وخلفائه وإلى أن الفساد والضلال كناية عما أقبل زمن استيلاء معاوية وأتباعه (١) ، وفي هذا توضيح لمعنى أعم أراد به أن مقدم الرسول الأعظم وظهور الإسلام كان فيه إدبار الشرور بعد ما كان مقبلا ، وأن إقبال الخير بدا فيها بعد أن كان مدبرا .

وإدبار الدنيا بمعنى انقضاء أحوال أهلها فقد تردد كثيرا في نهج البلاغة نحو قوله : (( مَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبِرَتْ وَ أَنْتَ بِرِوْدَاعٍ ... )) (٢) . وهو لاشك غير المعنى المراد الذي ذكر .

وكنى بقوله ( عباد الله الأخيار ) عن نفسه مشيرا الى شدة ثباته على الرحيل لغاية أسمى تأسيا بمن سبقه من أصحابه ، لذلك ذكر بعد هذا الكلام أصحابه المستشهدين

(١) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٩٢/٢

(٢) المصدر نفسه : ٣٩٢/٢

(٣) المصدر نفسه : ٤٣٥/١

(١) ظ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٠١/١٠

(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٨٠/١

فقال : (( لِيُنْخَوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ ، وَ مَضَوْا عَلَيَّ الْحَقُّ أَيْنَ عَمَّارٌ وَ أَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ ، وَ أَيْنَ نُو الشَّهَادَتَيْنِ .. ))<sup>(١)</sup>.

وفي موضع آخر أكد الإمام (ع) هذه الفكرة بقوله أمرا وناصحا :  
(( فَأَتَقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِرَأْ عَمَالِكُمْ ، وَ ابْتَاغُوا مَا يَبْقَى بِرِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ ))<sup>(٢)</sup>.

فقوله ( ما يبقى ) إشارة الى الآخرة و( ما يزول ) إشارة الى الحياة الدنيا ، ومن غير العقل ابتياع ما يزول بما يبقى ، و خلاصة ذلك التنفير من الدنيا والترغيب في الآخرة .

أما عالم الموت وأحوال الآخرة فقد صورته القرآن الكريم بمشاهد محسنة نابضة بالحياة والحركة والخوف معا إمعانا في التذكير والنصح<sup>(٣)</sup> .  
مثل ذلك وصف الموت بالفارس المدرك الفاتك ، نحو قوله تعالى :

﴿ أَيَنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكثيرا ما يستعمل التعبير القرآني الفعل ( حضر ) الحسي مع الموت ذي المعنى الذهني ، نحو قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ

وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقيل الحضور لأسباب الموت<sup>(٦)</sup> .

وتبلغ معاني الآخرة أشد رهبتها في مشاهد النار وأهلها فهي تتغيظ وتسمع وتشهق وتزفر غضبا في قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَوْهُمُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾<sup>(١)</sup> .

ونسب الرؤية الى النار مع أنهم هم الذين يرونها (( لأن ذلك أبلغ كأنها تراهم رؤية الغضبان الذي يزفر غيضا ، فهم يرونها على تلك الصفة ))<sup>(٢)</sup> ، وقوله

سبحانه : ﴿ إِذَا الْقَوَافِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي : (( تغلي بهم غليان  
المرجل ))<sup>(٤)</sup>.

وفي معنى أكثر شدة قال تعالى :

(١) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٣٥/١

(٢) المصدر نفسه : ١٢٨/١

(٣) ظ. محمد حسين الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني : ٣٣٢-٣٣٤

(٤) النساء : ٧٨

(٥) البقرة : ١٨٠

(٦) ظ . الطبرسي ، مجمع البيان : ٤٩٣/١

(١) الفرقان : ١٢

(٢) الطوسي ، التبيان : ٤٧٥/٧

(٣) الملك : ٧

(٤) الزمخشري ، الكشاف : ١٣٦/٤

﴿ هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصَهْرُ بِهِنَّ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ \* وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ \* كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (١) .

وسلك الإمام (ع) سبيل القرآن الكريم في الأخذ بهذه المعاني فأكثر المعاني التي حرص على تقديمها تقديمًا حسيًا هي معاني الموت والعالم الآخر ، نحو قوله : (( فَاحْتَرُوا عِبَاءَ الْمَوْتِ وَ قُرْبَهُ ، وَ أَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِرَأْسِ مَرِّ عَظِيمٍ وَ خَظْبٍ جَلِيلٍ ، بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا ، أَوْ تَوًّا لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا ، فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ أُمَّهَا ، وَ مَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا ، وَ أَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَحْتَكُمْ وَ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكْتُمْ ، وَ هُوَ لَزِمٌ لَكُمْ مِنْ ظِلَاكُم ، الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِرِئَاصِيدِ كُمْ وَ الدُّنْيَا نَطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ ، فَاحْتَرُوا نَارًا فَعَرَّهَا بَعِيدٌ وَ حَرُّهَا شَدِيدٌ وَ عَذَابُهَا جَدِيدٌ ، دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ ، وَ لَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ وَ لَا تُفْرَجُ فِيهَا كُرْبَةٌ )) (٢) .

فقرب الموت ودنو قيام الساعة من العباد معنى طالما رده الكتاب العزيز ، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

ومن معنى (الإدراك) التي رسمها الكتاب العزيز للموت توسع الإمام (ع) في قوله: (( وَ أَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَحْتَكُمْ وَ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكْتُمْ ، وَ هُوَ لَزِمٌ لَكُمْ مِنْ ظِلَاكُم )) (١) .

والفرار من الموت معنى ورد كثيرا في القرآن ، قال تعالى :

﴿ قُلْ لَنْ يُنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ﴾ (٢) .

أما الصفات التي أطلقها الإمام (ع) على نار جهنم فهي مستقاة من الفهم الواعي لآيات القرآن الكريم ذات الشأن ، (القعر البعيد) استنتاج لقوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ (٣) ، لأن (( النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا )) (٤) .

(١) الحج : ١٩ - ٢٢

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٦٨/٢

(٣) النحل : ٧٧

(١) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٦٨/٢

(٢) الأحزاب : ١٦ ، وينظر في تفسيرها : الطباطبائي ، الميزان : ٢٨٧ / ١٦

(٣) الحج : ٢١

(٤) الرازي ، التفسير الكبير : ٢٢ / ٢٣

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾<sup>(١)</sup>، لأن للنار دركات وطبقات كما أن للجنة درجات<sup>(٢)</sup>.

أما قوله (والحر الشديد) فمأخوذ من قوله تعالى:

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، و(العذاب الجديد) جاء من قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَّتَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله: ( ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ) فهو من قوله

تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾<sup>(٥)</sup>.

والمقصود من ذكر جهنم التهويل والتفطيع لأن جهنم اسم لموضع أبعد النار قعرا ، من قولهم بئر جهنم أي بعيدة القعر<sup>(٦)</sup>.

ومن المعاني الأخرى التي استقاها الإمام (ع) من القرآن الكريم في التحذير

من منازل الموت قوله (ع) :

(( وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ ، فَإِذَا حَمُوا تَفُوسَكُمْ ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا ، فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وَ الْعَثْرَةَ تُدْمِيهِ وَ الرَّمْضَاءَ تُحْرِقُهُ ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَائِفَيْنِ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وَ قَرِينِ شَيْطَانٍ عَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ ، حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِعُضْبِهِ ، وَ إِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَيْوَاهَا جَزَعًا مِنْ زَجْرَتِهِ ، أَيُّهَا الْكَبِيرُ الَّذِي قَدْ لَاهَزَهُ الْقَتِيرُ ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمَّتْ أَطْوَافُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ ، وَ تَشَبَّتِ الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لِجُحُومِ السَّوَاعِدِ ))<sup>(١)</sup>.

فقوله في صدر كلامه أخذه من قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى

وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾<sup>(٢)</sup>.

لأنه تعجب متضمن معنى النفي ، وقوله: ( ضجيع حجر وقرين شيطان ) من معاني الكتاب العزيز أو ما به الى قوله تعالى :

(١) النساء : ١٤٥

(٢) ظ . الطبرسي ، مجمع البيان : ٣ / ٢٢٣

(٣) التوبة : ٨١

(٤) النساء : ٥٦

(٥) غافر : ٤٩

(٦) ظ . الرازي ، التفسير الكبير : ٢٧ / ٧٤ . البيضاوي ، تفسير البيضاوي : ٩٦/٥

(١) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٠/١

(٢) البقرة : ١٧٥

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (٢) .

ومالك هو (( خازن جهنم خلقه لغضبه إذا زجر النار زجرة أكل بعضها بعضها)) (٣) ، وذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنُونَ ﴾ (٤) . وهم إنما خاطبوا مالكا لأنهم مبلسون ومحجوبون عن الله تعالى كما ذكر سبحانه: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ (٥) .

ولالإمام علي (ع) خطب كاملة تتحدث عن منازل الموت وتصور أحوال

الآخرة مثل خطبته معلقا على قوله تعالى : ﴿ الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ (٦) :

﴿لَهُ مَرَامًا مَا أَبْعَدَهُ وَ زُورًا مَا أَعْلَاهُ ، وَحَطْرًا مَا أَقْطَعَهُ ، لَقَدْ اسْتَحْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَكِّرٍ وَ تَنَآوَشَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، أَ قَبِ مَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَقْخَرُونَ ، ... ، وَ لَوْ اسْتَنْطَفُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ ، وَ الرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ، ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضَلَالًا وَ ذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَالًا ، تَطُونُ فِي هَامِهِمْ وَ تَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ ، وَ تَرْتَعُونَ فِيمَا لَقَطُوا وَ تَسْكُونُ فِيمَا حَرَّبُوا ، وَ إِتْمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ بَوَالِكِ وَ نَوَائِحِ عَلَيكُمْ ... سَلَكَوا فِي بُطُونِ الْبُرُزْخِ سَبِيلًا سَلَّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيهِمْ فِيهِ ، ... ، وَ إِتْمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشْتَتُوا وَ أَلْفًا فَاقْتَرَفُوا ، . . . وَ لَكِنَّهُمْ سُفُوا كَأَسَا بَدَلْتُهُمْ بِرِ الثُّنُقِ خَرَسًا ، وَ السَّمْعِ صَمَمًا وَ بِالْحَرَكَاتِ سَكُونًا ، فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصَّفَةِ صَرَغَى سُبَاتٍ ، حِيرَانٍ لَا يَلِيَّ سُنُونَ وَ أَحِبَاءٍ لَا يَتَزَاوَرُونَ ، بَلِيَّتٍ بَيْنَهُمْ عُرَا التَّعَارُفِ ، وَ انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ سُبَابُ الْإِخَاءِ ، فَكَلُّهُمْ وَحِيدٌ وَ هُمْ جَمِيعٌ ، وَ بِجَانِبِ الْهَجْرِ وَ هُمْ أَخْلَاءُ ، لَا يَتَعَارَفُونَ لِللَّيْلِ صَبَاحًا وَ لَا لِنَهَارٍ مَسَاءً ، أَيُّ الْجَدِيدِينَ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيهِمْ سَرْمَدًا ، شَاهَدُوا مِنْ أَحْطَارِ دَارِهِمْ أَقْطَعَ مِمَّا خَافُوا ، ... ، فَلَوْ كَانُوا يَنْطِفُونَ بِرِهَا ، لَعَيُّوا بِرِصْفَةٍ مَا شَاهَدُوا وَ مَا عَانُوا ، وَ لَأَيُّ عَمِيثِ آثَارِهِمْ وَ انْقَطَعَتْ أَحْبَابُهُمْ ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعَبْرِ ، وَ سَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ ، وَ تَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ الثُّنُقِ ، . . . وَ إِنَّ لِلْمَوْتِ لَعَمْرَاتٍ هِيَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَعْرَقَ بِرِصْفَةٍ )) (١) .

ولا شك في أن الآيات الكريمة كانت الباعث الذي ألهم الإمام (ع) كل تلك المعاني في مشاهد الموت التي قال عنها ابن أبي الحديد : (( و أقسم بمن تقسم الأمم كلها به ، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة و إلى الآن ، أكثر من ألف مرة ،

(١) البقرة : ٢٤

(٢) ق : ٢٧

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ١١٦

(٤) الزخرف : ٧٧

(٥) المطففين : ١٥

(٦) التكاثر : ١-٢

(١) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٩/٢

ما قرأتها قط إلا و أحدثت عندي روعة و خوفا و عظة ، و أثرت في قلبي و جيبيا و في أعضائي رعدة ، و لا تأملتها إلا و ذكرت الموتى من أهلي و أقاربي ، و أرباب ودي ، و خيلت في نفسي أنني أنا ذلك الشخص الذي وصف حاله ((<sup>(١)</sup>) .

ومن موضوعات العالم الآخر حديث الإمام (ع) عن الجنة وأوصافها وهو حديث قرآني محض ، كقول الإمام (ع) :

(( دَرَجَاتٌ مُتَقَابِلَاتٌ وَ مَنَازِلٌ مُتَقَابِلَاتٌ ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَ لَا يَطْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَ لَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا وَ لَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا ))<sup>(٢)</sup> .

فتفاضل المؤمنون في مساكن الجنان من حديث القرآن الكريم إذ قال تعالى:

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ لِلآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقوله: ( لا ينقطع نعيمها ) أخذه من قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقوله : ( ولا يطعن مقيمها ) أخذه من قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾<sup>(١)</sup> .

وقوله: ( لا يهرم خالدها ) من قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ التَّعِيمِ ، خَالِدِينَ فِيهَا ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله: ( لا ييبأس ساكنها ) مأخوذ من قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وفي صفة أخرى للجنة ، قال الإمام (ع) مشوقا:

(( فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا ، لَعَرَفْتَ نَفْسَكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ لِي الدُّنْيَا ، مِنْ شَهَوَاتِهَا وَ لَذَاتِهَا وَ زَخَارِفِ مَنَاطِرِهَا ، وَ لَذَهَابِ الْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارِ ، غُيِّبَتْ عُرُوفُهَا فِي كُتُبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاجِلِ أَنْهَارِهَا ، وَ فِي تَغْلِيْقِ كِبَائِسِ الْأَوْلُوِّ الرُّطْبِ فِي عَسَالِيحِهَا وَ أَقْنَانِهَا ، وَ طُلُوعِ تِكِّ التَّمَارِ مُحْلِفَةً فِي

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٥٣/١١

(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٦٨/١

(٣) الأنفال : ٤

(٤) الإسراء : ٢١

(٥) هود : ١٠٨

(١) الكهف : ١٠٧-١٠٨

(٢) لقمان : ٨-٩

(٣) فاطر : ٣٤

عُلْفٍ أَكْمَامَهَا ، تُخَدِمُنْ غَيْرَ تَكْلُفٍ قَنَأْتِي عَلَي مُنِيَّةٍ مُجْتَنِيهَا ، وَ يُطَافُ عَلَي نَوَالِهَا فِي أَقْنِيَّةٍ قُصُورِهَا ، بِرِالْأَعْسَالِ أَلْمُ صَفْقَةِ وَ الْحُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ))<sup>(١)</sup> .  
أليس هذا الكلام من نفس القرآن ، وصوته من صدهاء؟<sup>(٢)</sup> .

أليس هذا تفسير لقوله تعالى:

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ؟ .

وقوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله سبحانه في ثمارها: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾<sup>(٥)</sup> ؟ .

وقال (ع): ((وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ ، وَ نُورًا مِنَ الظُّلَمِ وَ يُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ ، وَ يُنْزِلْهُ مَنزِلَةَ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ فِي دَارِ اصْطِنَعَهَا لِنَفْسِهِ ، ظِلًّا عَرِشُهُ وَ نُورًا بِهَجْتِهِ ، وَ زُورًا مَلَائِكُهُ وَ رُقُقًا وَرَسُولُهُ))<sup>(٦)</sup> .

و صدر كلامه (ع) من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾<sup>(٧)</sup> .

وإنزال المؤمنين فيما اشتهدت أنفسهم في جنان الله تعالى معنى حكاه الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾<sup>(٨)</sup> .

ومنزل الكرامة الموعود به المؤمنون من معاني القرآن في قوله تعالى:

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾<sup>(٩)</sup> ، والرسول الرفقاء ورد في قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾<sup>(١٠)</sup> .

وجملة الأمر إن الإمام عليا(ع) استند الى الأصل القرآني في حديثه عن الحياة الدنيا والعالم الآخر وجعل يعيد تركيب المعاني المخترنة في ضوء مواقف فنية جديدة استوجبت منه الإضافة والتعليق .

(١) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٩٥/١ .

(٢) .ظ. ابتسام المدني، الجنة في القرآن الكريم : ٣٧-٤٠ .

(٣) محمد : ١٥ .

(٤) الزخرف : ٧١ .

(٥) الحاقة : ٢٣ .

(٦) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٣٨/١ .

(٧) الطلاق : ٢ .

(٨) الأنبياء : ١٠٢ .

(٩) المؤمنون : ٢٩ .

(١٠) النساء : ٦٩ .

### ٣- خلق الإنسان والكون :

حفل نهج البلاغة بمعان غاية في الجدة على الثقافة العربية خاصة في مجال مراحل خلق الإنسان وأحوال إنشاء الكون من دحو الأرض ورفع السماء وإنشاء السحاب وتثبيت الجبال وغيرها .

وكل تلك المعاني صدى القرآن العظيم ، تلقاها الإمام علي (ع) بأذن واعية وقلب حافظ وعقل متبصر ، واستطاع أن يوظفها من خلال الدرس القرآني في التفكير في أحوال ما يحيط به من طبيعة ليقدمها أدلة واضحة على عظمة وتوحيد الباري جل وعلا تارة ، ويحملها براهين دامغة يسند بها رأيه في النصح والتحذير تارة أخرى .

فمن خطبة له في خلق الإنسان قال (ع) :

(أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَشُعْبِ الْأَسْتَارِ ، نُطْفَةً دِهَاقًا وَ عَاقَةً مَحَاقًا ، وَ حَيْثًا وَ رَاضِعًا وَ وِلِيدًا وَ يَافِعًا ، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا وَ لِسِنًا لَافِظًا وَ بَصَرًا لَاحِظًا ، لَهُمْ مُعْتَبِرًا وَ يُقَصَّرُ مُرَدِّجًا ، حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ وَ اسْتَوَى مِثْلَاهُ ، نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا لَوْ خَبَطَ سَادِرًا مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ ، كَادِحًا سَعِيًا لِدُنْيَاهُ فِي لَذَاتِ رَطْبِهِ وَ بَدَوَاتِ أَرْبِهِ )) (١) .

وقد تضمن هذا النص أطوارا متتابعة لخلق الإنسان بدءا من الحاضنة التي حرص الإمام على اقتباسها من التعبير القرآني وهي ( الأرحام ) فطور النطفة ثم العلقة ثم تكوين الجنين ، وكلها من دقائق المعاني القرآنية ، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عُلُقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلِّغُوهُنَّ أَشَدَّكُمْ ﴾ (١) .

والدهاق - في كلام الإمام (ع) - من دهق الماء إذا أفرغ إفراغا شديدا ، والمحاق هو الليالي الثلاث من آخر كل شهر حين يختفي فيها القمر ويمتحق أي تبطل صورته ، وسمى الإمام (ع) العلقة محاقا ناظرا الى هذه الدقة من مرحلة العلقو إذ لم تحصل لها الصورة الإنسانية بعد ، فكانت محوة محوقة (٢) .

(١) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٦٠/١

(١) الحج : ٥ ، وينظر في إعجازها العلمي : محمد إبراهيم ، القرآن وإعجازه العلمي : ١٠٣ ، الشيخ متولي شعراوي ، معجزة القرآن : ٣٣-٣٤

(٢) ظ. ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة: ٢٧٥/٦ . ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة: ٢٦١/٢

والعلقة هي قطعة الدم الجامدة ، والمضغة اللحمية الصغيرة قدر ما يمضغ ، وفيها تستطيل وتأخذ شكل اللحمية التي عضتها الأسنان أثناء المضغ<sup>(١)</sup> ، (( والمخلقة المسواة الملساء من النقص والعييب ، يقال خلق السواك والعود ، إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء إذا كانت ملساء ، كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم ))<sup>(٢)</sup> .

وجدير بالذكر أن كل تلك الألفاظ في القرآن الكريم التي تتابع مراحل تخلق الإنسان مثل ( أطوار الخلق ، النطفة ، العلقة ، المضغة ، مرحلة تخلق الأجهزة ، مرحلة الخلق الآخر ) (( لم يستطع العلم الحديث إلا أن يستخدمها ))<sup>(٣)</sup> .

وقوله (ع) ( ظلمات الأرحام ) تركيب استفاده من مجموع آيتين في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِي تُصْرَفُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .  
وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

والظلمات الثلاث يعني بها (( ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ))<sup>(٣)</sup> ، وهو عين ما أكده علم الطب الحديث<sup>(٤)</sup> .

وذكر الإمام (ع) في خطبة أخرى عظمة الله تعالى في خلق الإنسان مخاطباً إياه :

(( بُدِئْتُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، وَ وُضِعْتُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ وَ أَجَلٍ مَقْسُومٍ ، تَمُورٌ فِي بَطْنِ أُمَّكَ جَنِينًا لَا تُحِيرُ دُعَاءً وَ لَا تَسْمَعُ نِدَاءً ، ثُمَّ أُخْرِجَتْ مِنْ مَعْرَكٍ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَ لَمْ تُعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا ، فَهَذَا لَاجْتِرَارِ الْغَدَاءِ مِنْ نَدْيِ أُمَّكَ ، وَ عَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَ إِرَادَتِكَ ، هَيْهَاتَ إِنَّ مَنْ يَعْرِضُ عَنْ

(١) ظ.الراغب، المفردات : ٤٦٩ . محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن : ٣٦٩

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ٥/٣ . وينظر : الطبرسي ، جوامع الجامع : ٥٤٨/٢

(٣) عبد الحميد دياب ، أحمد قرقوز ، مع الطب في القرآن الكريم : ٨٠ . ظ.محمد علي البار ، خلق الإنسان بين الطب والقرآن : ٣٧٧ . محمد حسين الصغير، رحلة الإنسان من عالم الذر حتى حياة

البرزخ : ٣٨-٣٩

(١) الزمر : ٦

(٢) آل عمران : ٦

(٣) الطبري ، جامع البيان : ٢٣ / ٢٣٣ . ظ.الزمخشري ، الكشاف : ٣٨٨/٣

(٤) ظ. سليمان عمرفوش ، الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم : ٢٧

صِفَاتِ ذِي الْهَيْبَةِ وَالْأَدْوَاتِ ، فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ ، وَ مِنْ تَنَاوُلِهِ بِرَحْدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَوْ بَعْدُ)) (١).

وهذه المعاني العظيمة بإجمالها وتفصيلها أخذها من آيات القرآن الكريم في هذا الشأن ، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (٢).

غير أن الإمام (ع) سير هذه المعاني الشريفة في الاستدلال على عجز الإنسان عن إدراك صفة الله تعالى بعد عجزه عن إدراك صفة مخلوق مثله ، بينا في الآيات الكريمة إثبات قدرة الله تعالى على إعادة الخلق بعد موتهم .

والسلالة المبنية بوزن القلة<sup>(٣)</sup> هي (( صفة الشيء الذي يخرج منه كأنها تستل منه )) (٤) ، وهي هنا خلاصة الطين لأنها سلت من بين الكدر ، والقرار المكين كناية عن الرحم إذ (( مكن فيه الماء بأن هيئ لاستقرار الماء فيه الى بلوغ أمدته الذي جعل له )) (٥) ، لأنها لو كانت متحركة لتعذر العلوق<sup>(١)</sup> ونشوء الجنين. وكلا اللفظين من مصطلحات القرآن الكريم .

وتأتي لفظة ( الإنشاء ) رديفة في صفة الخلق دائما في التعبير القرآني كما في الآية السابقة ، وهي تدل على أن إنشاء الله تعالى للإنسان من أعظم نعمه عليه وإحداثه من دون سابقة في مادته لأنه من غير المتصور صيرورة الصفات المادية الداخلة في مادة الإنسان من أخذها من الأرض ثم جعلها نطفة ثم علقه ثم مضغه إنسانا ذا شعور وعقل وإحساس فهذه لا سابقة لها تماثلها<sup>(٢)</sup> .

واستمد الإمام (ع) من القرآن الكريم معاني خلق الكون فتكلم بإفاضة عن خلق الأرض ودحوها واختلاف الجبال وتفرق البحار، نحو قوله من خطبة له :  
(( كَبِسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرٍ أَمْوَاجَ مُسْتَقِيمَةٍ ، وَ لُجَجَ بِرَحَارٍ زَاخِرَةٍ تَلْتَطِمُ أَوْ أَيْ مَوَاجِهَا ، ... ، وَ سَكَنْتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةٍ تَيَّارِهِ )) (٣) .

(١) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٨٧/١

(٢) المؤمنون : ١٢-١٦

(٣) ظ . النحاس ، معاني القرآن : ٤٤٦/٤

(٤) الطوسي ، التبيان : ٣٥٣/٧

(٥) الطبرسي ، مجمع البيان : ١٨٠ / ٧

(١) ظ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٨٥ / ٩

(٢) ظ . الطبري ، جامع البيان : ١٦/١٨ . الرازي ، التفسير الكبير : ٨٤/٢٣ . الطباطبائي ، الميزان : ٣٦٣/١٩

(٣) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٩٦/١

ويبدو من كلام الإمام(ع) أن الماء سابق على الأرض ، فقوله ( كبس ) بمعنى أغاص الله تعالى الأرض في الماء بقوة ، ويقال لضرب من التمر الكبس لأنه يكبس حتى يتراص . والأواذي ما عظم من موج البحر . والمدحوة المبسوطه أو المقذوفة المرمية ، وهذه من معاني وألفاظ القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾<sup>(١)</sup> ، أي جعلها كالبيضة وهي (( ادق كلمة في العربية إن لم تكن وحدها تشتمل على معنى البسط والتكوير في آن واحد .. وشكل البيضة يتوافق الآن مع أحدث الآراء العلمية عن الأرض التي تكونت عبر المشاهدة من خارج الغلاف الأرضي ومن على سطح القمر ))<sup>(٢)</sup> .

ومن الجدير بالذكر أن الذائقة الفنية في التعبير لم تفارق عليا (ع) حتى في صياغة هذه المعاني المجردة الجديدة ، فقد حفلت خطبته بالاستعارات والتشبيهات غير المتكلفة ، كاستعارة الاستفحال للأمواج بجامع الهيجان و(( ما يظهر على رؤوس الموج عند اضطرابه وجليانه من رغوّة الزبد كما يظهر من فم الفحل عند هياجه ))<sup>(٣)</sup> ، وكاستعارة السكون للأرض بجامع الهدوء .

وهو دليل لغوي علمي يضاف الى أن هذا الكلام لا يمكن نسبته الا الى قائله وقد تنبه ابن ابي الحديد(ت٦٥٦هـ) الى هذه السمة الأسلوبية من قبل فقال : (( و أنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحدا ، ونفسا واحدا و أسلوبا واحدا ، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه ، مخالفا لباقي الأبعاض في الماهية ، و كالقرآن العزيز أوله كأوسطه و أوسطه كآخره ، و كل سورة منه، و كل آية مماثلة في المأخذ و المذهب و الفن و الطريق ، و النظم لباقي الآيات و السور ، و لو كان بعض نهج البلاغة منحولا و بعضه صحيحا ، لم يكن ذلك كذلك ))<sup>(١)</sup> .

ويمضي الإمام (ع) في حديثه عن خلق الأرض في الخطبة نفسها فيقول :  
(ثُمَّ لَمْ يَدْعُ جُرُزَ الْأَرْضِ ، الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِهَا ، وَ لَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ تَرِيْعَةً لِي بُلُوغَهَا ، حَتَّى أُتْسَأَ لَهَا نَاشِئَةً سَحَابٍ تُخَيِّرُ مَوَاتِنَهَا ، وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا ))<sup>(٢)</sup> .

والجرز هي الأرض التي لا نبات فيها لانقطاع الماء عنها وهي من ألفاظ القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) النزاعات : ٣٠

(٢) شاكر عبد الجبار ، ملامح كونية في القرآن : ١١٥

(٣) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٣٧٠/٢

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٩/١

(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٩٦/١

(٣) الكهف : ٨

وكذلك قوله ناشئة السحاب فهي كلها من معاني وألفاظ القرآن الكريم قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ (١) .

وكلام الإمام (ع) الأخير أخذه من معنى قوله تعالى :

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ (٣) .

ونذكر (ع) الجبال في خطبته هذه فقال :

(( وَ عَدَلَّ حَرَكَاتِهَا بِرِئَاسِيَّاتٍ مِنْ جَلَامِيدِهَا ، وَ تَوَاتِ السَّنَاخِيْبِ الشَّمِّ مِنْ صَيَاخِيْدِهَا ، فَسَكَّنَتْ مِنَ الْمِيْدَانِ لِرُسُوْبِ الْجِبَالِ فِي قِطْعٍ أُدِيْمِهَا )) (٤) .

فجعل الجبال سببا لسكون الأرض عن ميدانها واضطراب حركتها ، في سابقة علمية رائدة ، فقد ذكر ابن أبي الحديد (( ان هذا القول يخالف قول الحكماء ] يعني الجغرافيين والفلكيين [ ، لأن سكون الأرض عند الحكماء لم يكن لذلك بل لأنها تطلب المركز ، وهي حاصلة في حيزها الطبيعي ، لكننا وإن كان مخالفا لقول الحكماء فإننا نعتقده دينا ومذهبا ونعدل عن قول الحكماء ، لأن اتباع قوله (ع) أولى من اتباع أقوالهم )) (٥) .

وهذا المعنى استفاده من أكثر من موضع في الكتاب العزيز نحو قوله تعالى :

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (١) ، وقوله تعالى :

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ (٢) .

والرواسي جمع راسية من رسا إذا ثبت وقر لأن الأرض ترسو بها (٣) ، والراسي الداخل في الأرض (٤) .

والتعبير القرآني ما فتىء يسمى الجبال رواسي صفة لموصوف محذوف ، في دلالة واضحة على وظيفتها في مسك الأرض وخلق توازن يتيح الاستقرار فيها (( ولو أراد أن يمسكها من غير جبال لفعل ، إلا أنه امسكها بالرواسي لأن ذلك أقرب الى أفهام الناس وأدعى الى الاستدلال والنظر )) (٥) .

(١) الرعد : ١٢

(٢) الحج : ٥

(٣) فصلت : ٣٩

(٤) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٩٦/١

(٥) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٤٤٧ / ٦

(١) لقمان : ١٠

(٢) الأنبياء : ٣١

(٣) ظ . الزمخشري ، الكشاف : ٤/٤ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٠/٩

(٤) ظ . الرازي ، التفسير الكبير : ١٦٤/٢٢

(٥) الطبرسي ، مجمع البيان : ٩/٦

قال الرازي معلقا على هذه الآية الكريمة (( واعلم أن الأرض ثباتها بسبب ثقلها وإلا كانت تزول عن موضعها بسبب المياه والرياح ))<sup>(١)</sup> .

وفي كل ذلك (( دلالة على أن للجبال ارتباطا خاصا بالزلازل ولولاها لاضطربت الأرض بقشرتها ))<sup>(٢)</sup> .

ويؤكد العلم الحديث ذلك فالجبال الرواسي وضعت (( لتحفظ التوازن اللازم للكرة الأرضية التي تتكون من منخفضات عميقة في البحار والمحيطات ومرتفعات شامخة من الجبال والهضاب ، وأنه لا بد في هذه الحالة من استقرار للأرض واتزان لانتظام حركتها مع ثباتها وقد أثبتت الأبحاث العلمية نظرية التوازن في الكرة الأرضية بالبراهين الدامغة ))<sup>(٣)</sup> .

وأكد الإمام (ع) هذا المعنى في مواضع كثيرة كقوله :  
(وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا وَارْزَاهَا فِيهَا أَوْتَادًا ، فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا أَوْ تَسِيخَ بِحَمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا ))<sup>(٤)</sup> .

والعماد هو العمود ، والأوتاد أخذها من قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾<sup>(٥)</sup> .

أي ثبتنا الأرض بالجبال كما ثبت البيت بالأوتاد ، فالوتد ما رز في الحائط أو الأرض من الخشب<sup>(٦)</sup> .

وقد تكرر هذا المعنى في موضع آخر في كلام الإمام (ع) فمن دعاء له قال : (( وَرَبِّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَادًا .. ))<sup>(١)</sup> .  
وقوله : ( أرزها ) بمعنى أثبتها فيها من قولهم: رزت الجرادة ترز رزا ، (( وهو أن تدخل ذنبها في الأرض فتلقي بيضاها ))<sup>(٢)</sup> .

وأشار الإمام (ع) الى ثلاث حالات يمكن أن تتحرك بها الأرض لولا وجود الجبال ، الأولى : أن تميد بأهلها أي تضطرب وتتحرك يسارا ويمينا .  
والثانية : أن تسيخ أي تغوص وتهوي للثقل الذي عليها لذلك قال ( بحملها ) كما تسيخ قوائم الفرس في الأرض .

والثالثة : أن تزول عن مواضعها أي تتحرك عن مركزها .  
ويفسر ابن أبي الحديد هذه الحالات بقوله : (( فإن قلت ما الفرق بين الثلاثة : تميد بأهلها ، أو تسيخ بحملها ، أو تزول عن مواضعها ؟ قلت لأنها لو تحركت إما أن تتحرك على مركزها أو لا على مركزها ، والأول هو المراد بقوله : تميد بأهلها

(١) الرازي ، التفسير الكبير : ١٤٣/٢٥

(٢) الطباطبائي ، الميزان : ٢٧٩/١٤ ، ٢١١/١٦

(٣) محمد إسماعيل إبراهيم ، القرآن وإعجازه العلمي : ١٤٥ . ظ. شاکر عبد الجبار ، ملامح كونية : ٥٧-٥٨

(٤) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٤/٢

(٥) النبأ : ٧

(٦) ظ. أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط : ٤٠١/٨ . ابن منظور ، لسان العرب : وتد

(١) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٠٦/١

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٥٨/١١

. والثاني تنقسم أن تنزل الى تحت أو لا تنزل الى تحت ، والنزول الى تحت هو المراد بقوله : أو تسيخ بحملها . والقسم الثاني هو المراد بقوله : أو نزول عن مواضعها )) (١).

وتفيد (على) في قوله: ( فسكنت على حركتها) معنى (مع) ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (٢).

وفضلا عن ذلك فقد أخذ أمير المؤمنين (ع) في حديثه عن خلق الأرض كل الصفات التي أطلقها عليها القرآن الكريم ، كقول الله تعالى:

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ (٣) ، وقوله جل وعلا: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا ﴾ (٤) ، أي وطاء مهينا للتصرف فيه من غير أذية كالمهد للصبي ينوم عليه (٥) .  
وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا ﴾ (٦) .

فهذه المعاني اقتبسها الإمام (ع) بألفاظها فقال :

(( فَجَعَلَهَا لِحَقِّهِ مَهَادًا ، وَ بَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشًا )) (٧) .

وأخذ الإمام (ع) قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ (١) ، فقال من دعاء له :  
(( وَ رَبِّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِأَنَامٍ ... )) (٢) .

ومن معاني خلق السماء أخذ قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ (٣) .

فقال (ع): (( وَ مِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ مُوْطَدَاتٍ بِرِئَاسَةِ عَمَدٍ ، قَائِمَاتٍ بِرِئَاسَةِ سِدِّدٍ )) (٤) ، و (شواهد خلقه ) يعني بها شواهد ظهوره سبحانه لعقول خلقه ، والموطدات المثبتات (٥) .

ونظر (ع) الى معنى قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَاتَتَا رُتْقًا

فَمَقَّتَاهُمَا ﴾ (٦) ، فقال من خطبة في التوحيد:

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٥٩/١١

(٢) الإنسان : ٨

(٣) البقرة : ٢٢

(٤) النبا : ٦

(٥) ظ. الطبرسي ، مجمع البيان : ٢٣٩/١٠ . الزمخشري ، الكشاف : ٢٠٨/٤

(٦) نوح : ١٩

(٧) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٤/٢

(١) غافر : ٦٤

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٠٦/١

(٣) لقمان : ١٠

(٤) الأنبياء : ٣١

(٥) ظ. تستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : ٣٥٤/١

(٦) الأنبياء : ٣٠

(( وَ كَانَ مِنْ أَقْدَارِ جَبْرُوتِهِ ، وَ بَدِيعِ لَطَائِفِ صَنَعَتِهِ ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الرَّاحِرِ ، الْمُنْرَاكِ مِ الْمُنْقَاصِ بَيْسًا جَامِدًا ، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا ، فَفَقَّهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِفَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِرَأْمَرِهِ )) (١) .

والرتق والفتق معنيان متقابلان ، الأول يعني الضم والالتحام ، والثاني يعني الفصل بين المتصلين (٢) .

ويبدو من معنى الآية الكريمة وتأكيد الإمام (ع) لها أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ثم فصل الله تعالى بينهما (٣) ، وقديما قالوا أصل الأجسام الماء والمقصود بالماء هنا الجوهر السائل الذي هو أصل كل الأجسام (٤) ، وخلقت الأرض من زبده والسماء من بخاره (٥) .

وتؤكد أحدث النظريات العلمية في نشأة الأرض والسماء هذا المعنى (( وذلك أنهما كانتا في أول أمرهما ملتصقتين داخل السديم الذي يحتويهما ، ثم أنهما انفصلتا نتيجة انفجارات شديدة حدثت داخل السديم )) (٦) .

وقول الإمام (ع) في صدر كلامه مجاز أفاد التعظيم والأصل فيه (من اقتدار الله تعالى) ، وقوله: (السموات السبع) من معاني القرآن الكريم التي تكررت كثيرا في التعبير القرآني كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١) ، وإعادة (رب) أفاد تعظيم العرش .

ومن تجليات التأثير القرآني في معاني خلق الكون والطبيعة استمداد الإمام (ع) من التبصر في أحوال الكون للوصول من خلالها إلى وجود الصانع الخالق ، وهو أثر لظالما دعا إليه القرآن في آياته الشريفة نحو قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٢) .

فقد استثمرها الإمام (ع) أدلة في تدرج منطقي الى وجود الصانع نحو قوله (ع)

(( فَأَنْظُرُ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ وَ اخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَ تَفَجُّرِ هَذِهِ الْبَحَارِ وَ كَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ ، وَ طُولِ هَذِهِ الْقِيَالِ وَ تَفَرُّقِ هَذِهِ اللَّاعَاتِ ، وَ الْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ ، فَأَلْوِيلُ لِمَنْ جَدَّ الْمُقَدَّرَ وَ أَنْكَرَ الْمُدَبِّرَ ، زَعَمُوا

(١) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٤/٢

(٢) ظ . الراغب ، المفردات : ١٨٧-٣٧١

(٣) ظ . الطوسي ، التبيين : ٢٤٠/٧ . الطباطبائي ، الميزان : ٢٧٧/١٤

(٤) ظ . حامد حفني ، نهج الحياة : ١٠٧

(٥) ظ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٥٣/١١

(٦) محمد إسماعيل إبراهيم، القرآن وإعجازه العلمي: ٦١. ظ. سليمان عمرقوش ، الاكتشافات العلمية

الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم : ١١٩-١٢١

(١) المؤمنون : ٨٦ . وينظر في تفسيرها: ابو السعود ، تفسير أبي السعود : ١٤٨/٦

(٢) الحج : ١٨

أَتَهُمْ كَالْتَلَبِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ، وَ لَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ ، وَ لَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ  
فِيمَا ادَّعَوْا ، وَ لَا تَحْقِيقَ لِمَا أُوعُوا وَ هَلْ يَكُونُ بِنَاءً مِنْ غَيْرِ بَانَ أَوْ جَنَائَةً مِنْ غَيْرِ  
جَانٍ ((<sup>(١)</sup> .

وتحدث الإمام (ع) عن خلق السماء الدنيا و الشمس و القمر مستعينا بما ورد في  
القرآن الكريم من عمق هذه المعاني فقال: (( تَمَّ زِينَتَهَا [ السموات ] بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَ  
ضِيَاءِ الثَّوَابِقِ وَ أَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَ قَمَراً مُنِيراً ، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ وَ سَفِّ  
سَائِرٍ وَ رَقِيمٍ مَائِرٍ ))<sup>(٢)</sup> .

فقد تضمن هذا المقطع من خطبة الإمام (ع) حقائق علمية دل عليها ما توصل  
إليه العلم الحديث ، فقله : (النجوم الثواقب ) يدل على أن ثمة نجوم مضيئة من  
ذاتها ، فالنجم الثاقب هو المتوهج العالي المضيء كأنه في قوته يثقب الأفلاك  
فتنشق عنه وتنزوي<sup>(٣)</sup> ، وأخرى كواكب غير مشتعلة تستمد نورها من غيرها .  
وهذه الحقيقة فهمها الإمام (ع) من قوله تعالى:

﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، ومعنى النجم الثاقب فهو من قوله تعالى :  
﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ \* النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقوله: ( سراجا مستطيراً ) يعني به الشمس ، قال الخليل : ((السراج : الزاهر  
الذي يزهر بالليل .. والشمس سراج النهار، والهدى سراج المؤمنين ))<sup>(١)</sup>  
(مستطيراً) أي يصدر النور بقوة كبيرة ، بينما وصف القمر بأنه منير أي يعكس  
النور الذي يتلقاه من غيره مقتفياً بذلك عن وعي دقيق لآيات الكتاب العزيز في قوله  
تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ﴾<sup>(٤)</sup> ، يعني بها الشمس (( وتوهجت النار إذا  
تلمظت فتوجهت بضوئها وحرها ))<sup>(٥)</sup> ، واختيار صيغة المبالغة بوزن (فعال) الدالة

(١) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٦٥/٢

(٢) المصدر نفسه : ٦٥/٢

(٣) ظ. الزمخشري ، الكشاف : ٢٤١/٤ . الألوسي ، روح المعاني : ٣٧١/٢٩

(٤) الصافات : ٦

(٥) الطارق : ٣-١

(١) الفراهيدي ، العين : (سرج) ٥٣/٦ . ظ. ابن فارس ، مقاييس اللغة : ١٥٦/٣ . الزمخشري ، أساس

البلاغة : سرج ٢٠٦

(٢) الفرقان : ٦١

(٣) نوح : ١٦

(٤) النبأ : ١٣

(٥) الزمخشري ، الكشاف : ٢٠٧/٤ . ظ. الطباطبائي ، الميزان : ١٦٣/٢٠

على كثير الفعل ومزاولته وتجده<sup>(١)</sup> إشعار بقوة الإضاءة مع شدة الحرارة .  
وذكر الدكتور فاضل السامرائي (( أن صيغة (فعال) تدل على الحرفة والصناعة،  
وتقتضي الاستمرار والتكرار ، والإعادة والتجدد، والمعاناة والملازمة))<sup>(٢)</sup> .  
وقوله سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾<sup>(٣)</sup> لأن الضياء أقوى من  
النور وهذا فرق دلالي بينهما<sup>(٤)</sup> .

ووصف الإمام(ع) الشمس والقمر بأنهما في حركة فلكية دائرية مستمرة بقوله :  
( فلك دائر ) و ( رقيم مائر ) أي فلك متحرك .  
وكل ذلك مأخوذ من قوله تعالى : ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>(٥)</sup> .  
وحرص على إتباع دقة التعبير القرآني في قوله تعالى :  
﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾<sup>(٦)</sup> ، في وصف حركة الشمس التي (( تجمع معاني  
الدوران السريع والعدو السريع ))<sup>(٧)</sup> فقال : ( أجرى ) .

وأكد العلم الحديث أن للشمس حركة ذاتية تدور مع مجموعتها بحركة دائرية فقد  
(( قرر علم الفلك بأن الشمس لها مجموعة من الأقمار والكواكب والمذنبات تتبعها  
دائما وتخضع لقوة جاذبيتها وتجعلها تدور من حولها في مدارات متتابعة بيضاوية  
الشكل ، وجميع أفراد هذه المجموعة تنتقل مع الشمس خلال حركتها الذاتية ،  
والخلاصة أن المجموعة الشمسية تجري في الفضاء بسرعة محدودة وباتجاه محدود  
وتبلغ هذه السرعة (٧٠٠) كيلو متر في الثانية وتتم دورتها حول المركز في مدى  
٢٠٠ مليون سنة ضوئية في الثانية ولم يتوصل علماء الفلك الى معرفة هذه الحركة  
واتجاهها إلا في أوائل القرن العشرين ))<sup>(١)</sup> .

(١) ظ.ابن سيدة ، المخصص : ٦٩/١٥ . المبرد ، المقتضب : ١٦١/٣

(٢) فاضل السامرائي ، معاني الأبنية : ١١٠

(٣) يونس : ٥

(٤) ظ.محمد جمال الدين ألقاسمي ، محاسن التأويل : ٩/٩

(٥) الأنبياء : ٣٣ . وينظر في سورة : يس : ٤٠

(٦) يس : ٣٨

(٧) شاكر عبد الجبار ، ملامح كونية في القرآن : ٦١

(١) محمد إسماعيل إبراهيم، القرآن وإعجازه العلمي: ٧٢ . ظ.شاكر عبد الجبار، ملامح كونية في

القرآن : ٦٠-٦١ . ظ.حامد حفني، نهج الحياة : ١١٠

## ٤ - الجهاد في سبيل الله

عصفت الفتن بحياة المسلمين مذ بدأ الإمام(ع) - مع تولي الخلافة - إقامة شرعة الله وإتباع سنة رسوله فحيكت عليه المؤامرات والاحترابات الداخلية التي تحدد الوقوف بوجهها مصير الدولة الإسلامية<sup>(١)</sup> ، لذلك كثر في كلام الإمام (ع) الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله وما تبع ذلك من شكواه من تباطؤ أصحابه واستنقالهم لاستجابة دعوته تارة وفرارهم وعدم صبرهم على القتال تارة أخرى<sup>(٢)</sup> .

ومن هنا استمد الإمام(ع) معانيه في هذا الشأن من القرآن الكريم ، إذ ثمة تشابه ما بين مرحلة تثبيت دعوة الإسلام الجديد التي مر بها الرسول الكريم (ص) إبان حياته وما بين مرحلة الفتن والحروب الداخلية في حياة أمير المؤمنين (ع) . فالقرآن الكريم حفلت آياته الشريفة بحديث الجهاد والمجاهدين وكذلك الشأن في نهج البلاغة ، فكان امتياح الإمام(ع) من معين القرآن طبيعياً غير متكلف لتشابه الحوادث .

تضمن نهج البلاغة الكثير من آيات الجهاد وتعبيراته مثل ( الجهاد ، سبيل الله ، المجاهدون ، حق جهاده ، القتال ) ، كقوله (ع) :

(( وَ اللهُ اللهُ فَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَ أَلْسِنَتِكُمْ ))<sup>(٣)</sup> .

فهو تقسيم أخذه الإمام (ع) من القرآن وراعى فيه تسلسله في تقديم الأهم فلم يحد عنه ، فقدم الأموال في الذكر لأنها أول مصرف وقت التجهيز<sup>(١)</sup> ، مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

والجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو<sup>(٣)</sup> ، والجهاد بالأموال في إنفاقها واجب كالجهاد بالأنفس ، (( فالجهاد بالمال تحمل لمشقة إنفاقها في وجوه البر ، والجهاد بالنفس هو تعريضها لما يشق عليها اتباعاً لأمر الله ))<sup>(٤)</sup> . والجهاد الحق معنى أخذه من القرآن الكريم كقوله موصياً : (( وَ جَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ))<sup>(٥)</sup> .

وهو من قوله تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) ظ . الطبري ، تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك) : ٦٥/٢

(٢) ظ . بئينة ابراهيم ، خطب الجهاد في عصر صدر الإسلام (أطروحة دكتوراه) : ١١٨-١٢٠

(٣) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢٣١/٢

(١) ظ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٥٣/٨ . أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط : ٤٧/٥

(٢) التوبة : ٤١

(٣) ظ.الراغب ، المفردات : ١٠١

(٤) الطوسي ، التبيان : ٥ / ٢٦٩ ، ٥ / ٢٢٤ . الزمخشري ، الكشاف : ١٩١/٢

(٥) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٨١/٢

(٦) الحج : ٧٨

لأن القياس أن يقال ( حق الجهاد ) ولكن لما كان الجهاد مختصا بالله من حيث أنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه ، لأن الإضافة قد تكون بأدنى اختصاص (١). والمقصود بحق الجهاد أن لا تأخذهم فيه لومة لائم ، واستفراغ الوسع في المحافظة على ما أمر وما نهى (٢) .

ومن خطبة أخرى في الجهاد قال الإمام (ع) :

((أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْهَيْدَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَحَهُ اللَّهُ لِحَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى ، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِيئَةِ وَجُنَّةُ الْوَثِيئَةِ ، .، أَلَا وَ إِيَّيْ قَدْ دَعَوْتُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، يَلَاءَ وَ نَهَاراً وَ سِرّاً وَ إِعْلَاناً ، وَ قُلْتُمْ لَكُمْ أَعْرُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَعْرُوكُمْ ، قَوْلَ اللَّهِ مَا عَزَى قَوْمٌ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا تَلَّوْا ، قَتَاكَلْتُمْ وَ تَخَاثَلْتُمْ ، ... ، فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ ، قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةٌ الْفَيْضِ ، أَمْهَلْنَا يُسْبِحُ عَنَّا الْحَرُّ ، وَ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ ، قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرِّ ، أَمْهَلْنَا يَنْسَلِجُ عَنَّا الْبَرْدُ ، كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَ الْقُرِّ ، فَأَنْتُمْ وَ اللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَقْرُ )) (٣) .

وقوله الأول كرره مرارا مثل قوله في موضع آخر :

((الْجِهَادُ الْجِهَادُ عِبَادَةَ اللَّهِ ، أَلَا وَ إِيَّيْ مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا ، فَمَنْ أَرَادَ الْوَّاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيُخْرَجْ )) (٤) .

وهو من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ

الصَّابِرِينَ﴾ (١) ، و(خاصة أوليائه) استخلصه من معنى قوله تعالى:

﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢) .

فجملة (فضل الله المجاهدين) موضحة لما نفى من استواء المجاهدين والقاعدين ، والحسنى هي الجنة ، (( وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم )) (٣) .

وإطلاق (لباس التقوى) عليه أخذه من قوله تعالى:

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ (٤) .

(١) ظ . الزمخشري ، الكشاف : ٢٤/٣ . الطبرسي ، جوامع الجامع : ٥٧٣/٢

(٢) ظ . الرازي ، التفسير الكبير : ٧٢/٢٣

(٣) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٧٨/١

(٤) المصدر نفسه : ٤٣٥/١

(١) آل عمران : ١٤٢

(٢) النساء : ٩٥

(٣) الزمخشري ، الكشاف : ٥٥٥/١

(٤) الأعراف : ٢٦

وفي أحد تفسيرات (لباس التقوى) (( ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب ))<sup>(١)</sup>.

ولا مانع من أن يكون الإمام (ع) قد نقله إلى وظيفة فنية جديدة باعتبار أن لباس التقوى (( لباس الباطن الذي يوارى السوءات الباطنية التي يسوء الإنسان ظهورها وهي رذائل المعاصي من الشرك وغيره ))<sup>(٢)</sup>.

والفرار من الحر معنى ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿فِرَاحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

لأنهم بسفاهتهم هذه (( توقوا بالقعود عن الخروج حر الشمس ، فخالفوا بذلك أمر الله وأمر رسوله ، واستحقوا حر نار جهنم وكفى بهذا الاختيار جهلا ممن اختاره ))<sup>(٤)</sup>.

وتكثر في تعبيرات الإمام (ع) لأصحابه عبارة ( جهاد عدوكم ) كقوله (ع) : (( وَتَصَدَّقْ نِيَّاتِكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ ))<sup>(٥)</sup>.

وقوله : (( إِذَا دَعَوْتُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنِكُمْ ))<sup>(١)</sup>.

في إشارة إلى أن المشقة التي تبذلونها هي من أجل أنفسكم ودفع الأذى عنها وليس في ذلك من على أحد .

وهذا المعنى تردد كثيرا في آيات الكتاب العزيز كقوله تعالى:

﴿وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ، لأن ثواب صبره عائد عليه وواصل إليه دون الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

وكثيرا ما يتعمد الإمام (ع) إيراد كلمة الجهاد مفتخرا لما لها من صدى قرآني ، كقوله :

﴿لِجِدِّ إِيمَانِي بِاللَّهِ، وَجِهَادِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهَجْرَتِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّقِيهِ فِي دِينِ اللَّهِ، أَبْوَاءً وَأَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ.﴾<sup>(٤)</sup>.

ولاشك في إن الإمام (ع) قاصد إلى استعمال هذه المفردة لما لها من مضمون قرآني عظيم امتدح الله تعالى عليه أهله بخاصة أمير المؤمنين (ع)<sup>(٥)</sup>.

(١) الزمخشري ، الكشاف : ٧٤/٢ . الطبرسي ، مجمع البيان : ٢٣٧/٤

(٢) الطباطبائي ، الميزان : ٧٠/٨

(٣) التوبة : ٨١

(٤) الطوسي ، التبيان : ٢٦٩/٥ . ظ. الزمخشري ، الكشاف : ٢٠٥/٢

(٥) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٥٨/١

(١) المصدر نفسه : ٩٢/١

(٢) العنكبوت : ٦

(٣) ظ. الطوسي ، التبيان : ١٨٨ / ٨ . الطبري ، جامع البيان : ١٥٩/٢٠

(٤) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٢٢/١

(٥) ظ. الطبرسي ، جوامع الجامع : ٥٥/٢

وكقوله (ع) متوجعا ومفتقدا لأصحابه :  
 ((وَهُ عَلَى إِخْوِي الَّذِينَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكُمُوهُ ، وَ تَدَبَّرُوا الْفُرْضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَا  
 الشَّيْءَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَ وَثِقُوا بِرَأْفَائِدِ قَاتِبِعُوهُ ))<sup>(١)</sup> ، فجعل من  
 جملة ما وصفهم شدة استجابتهم لنداء الجهاد.  
 والإمام (ع) إنما ذكر ذلك مقدمة لما بعده فقال :  
 (( الْجِهَادُ لِلْعِبَادِ اللَّهِ ، أَلَا وَ إِيَّيْ مُعَسِّكُرٌ فِي يَوْمِي هَذَا ، فَمَنْ أَرَادَ الرِّوَاخَ إِِلَى  
 اللَّهِ فَلْيُخْرَجْ )) .  
 ويعني بالرواح إلى الله تعالى : (( الخروج إلى الجهاد الذي هو سبيله الموصلة  
 إليه وإلى ثوابه ))<sup>(٢)</sup> .

ويرتبط بموضوع الجهاد الصبر وما يعترى النفس من خوف وهلع فيلتقط الإمام  
 (ع) تلك المعاني فيسخرها فيما يريد من تصوير أمر أصحابه في تقلبات أمزجتهم  
 وهلعهم الشديد ، فيقول:  
 ((إِذَا دَعَوْتُمْ إِِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي عَمْرَةٍ ، وَ مِنْ  
 النَّهْوِ فِي سَكْرَةٍ ))<sup>(٣)</sup> .

وهذه الحالة النفسية التي يصفها الإمام (ع) لهؤلاء المرتعبين وجد لها شبيها  
 في القرآن من قبل فاقتبس معناها ، قال تعالى:  
 ﴿ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾<sup>(١)</sup> .

ومثل هذه الدعوة تتكرر في قوله (ع) :  
 ((دَعَوْتُمْ إِِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ ، فَجَرَجَ رُتَمَ جَرَجَةِ الْجَمَلِ الْأَسْرِّ ، .. ثُمَّ خَرَجَ إِِلَى  
 مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّهَا يُسَاقُونَ إِِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ ))<sup>(٢)</sup> .  
 فقد وصف خروجهم إليه بالاضطراب والضعف ، وكل ذلك ذم لهم وتوبيخ  
 يستثير به طباعهم عما هي عليه من التثاقل لاستجابة ندائه<sup>(٣)</sup> .

والإمام (ع) ناظر في كل ذلك إلى ما يتداعى في ذهنه من قوله تعالى:  
 ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ  
 يُنظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله الأخير اقتباس من قوله تعالى:

(١) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٣٥/١

(٢) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٣٩٥/٣

(٣) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٩٢/١

(١) الأحزاب : ١٩ . وينظر في تفسيرها: الرازي ، التفسير الكبير : ٢٥١/٢٥

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٠١/١

(٣) ظ . ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١٠١/٢

(٤) محمد : ٢٠

﴿ كَانَمَا يَسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

ومما يرتبط بموضوعه الجهاد قضية الفرار من المعركة ، وقد ذكره القرآن الكريم في مواضع مختلفة ناهيا عن فعله ومحذرا من مغبته ومبطلا لحجته . وفي نهج البلاغة نجد الإمام(ع) في كلامه بهذا الشأن كثيرا ما يستعين بالمضمون القرآني وينطلق منه في التوسع في تعبيراته ، نحو قوله (ع) من خطبة حث فيها أصحابه على القتال:

(( وَ أَيْمَ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِظَةِ ، لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ ، وَ أَنتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ وَ السَّنَامُ الْأَعْظَمُ ، إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللَّهِ وَ الثَّلَّ اللَّازِمَ وَ الْعَارَ الْبَاقِيَ ، وَ إِنَّ الْفَارَّ لَعَيْرٌ مَزِيدٌ فِي عُمُرِهِ ، وَ لَا مَحْجُوزٌ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ يَوْمِهِ ))<sup>(٢)</sup> .  
واستعار السيف للعاجلة ويعني بها حب البقاء واستعار السيف للأجلة ويعني به العذاب على سبيل المشاكلة . واللهاميم السادات والأجواد من الناس .  
والسنام أعلى أعضاء البعير ويستعار لعلو المنزلة<sup>(٣)</sup> .

وإنما وصفهم الإمام(ع) بهذا ليكون ذلك رادعا لهم ووازا . وذكر لهم معاييب الفرار من إنزال غضب الله وإلزام الذل والعار فيمن يفر مبينا عدم جدوى الفرار بأدلة مقنعة ، استفادها من فكر القرآن ومضامينه كقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَسْعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ومن هذه المعاني توسع الإمام(ع) فرسم بالصورة هذا المعنى الساخر من الفارين ، فمن حكمة له قال (ع) :  
(إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارِ وَ الْمَوْتِ فِي إِقْبَالٍ فَمَا أَسْرَعَ الْمُتَّقَى . )<sup>(٣)</sup> .

ومما سبق بدا موضوع الجهاد في نهج البلاغة صدى لآيات القرآن الكريم يستمد منه الروح ويعضد به الرأي .

(١) الأنفال : ٦

(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢٧٨/١

(٣) ظ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٦/٨

(١) الأحزاب : ١٦ ، وينظر في تفسيرها : الزمخشري ، الكشاف : ٢٥٤/٣

(٢) الجمعة : ٨

(٣) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣١١/٢

## ٥- الدعوة إلى التقوى

اخذ موضوع التقوى من نهج البلاغة الحيز الأكبر فكان حديث الإمام (ع) فيها حديث من بصر بها ولمسها فوعظ ونصح وحذر .  
ولاشك في أن موضوع التقوى مضمون قرآني محض جاء به الإسلام فكرا مجسدا بسلوك عملي لأن التقوى يعني امتزاج النظرية بالتطبيق ، وهذا واحد من أسرار عظمة هذا الفكر القرآني الجديد وبقائه حيا .

وقد بدأ الإمام (ع) بنفسه في إضافة التقوى إليها ليكون للمسلمين قدوة بذلك ، ومن ثم عرج على شرائح الأمة وأطياف المجتمع بالالتزام التقوى منها قرآنيا ، فتحدث أولا عن ذاته (ع) فقال : ﴿إِنَّمَا هِيَ تَقِي أَرْوُضَهَا بِرِ التَّقْوَى ، لِنَأْتِي أَمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ ، وَ تَبَّتْ عَلَى جَوَائِبِ الْمَرْلَقِ وَ لَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَى هَذَا الْعَسَلِ ، وَ لُبَابِ هَذَا الْقَمَحِ وَ نَسَائِجِ هَذَا الْقَرِّ ، وَ لَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ، وَ يَقُودَنِي جَبْغِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ ، وَ لَعَلَّ بِرِ الْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ، وَ لَا عَهْدَ لَهُ بِالسَّبْعِ ، أَوْ أَبْرِيَتْ مِنْ بَطْنَانَا وَ حَوْلِي بَطُونٌ عَرَّتِي ، وَ أَكْبَادٌ حَرَى )) (١) .

وبسبب هذا الارتباط الوثيق لمعنى التقوى بين الفكر والسلوك فقد أكثر الإمام علي(ع) من ترديد هذه المعاني في كل مناسبة في خطبه ووصاياه ورسائله وحكمه منتهلا من القرآن الكريم ما شاء من غير تكلف وتعسر فكان في هذا المعنى وغيره بحق لسان القرآن الناطق .

إن كثرة استعمال الإمام (ع) لهذه المفردة القرآنية ومشتقاتها من أظهر آثار القرآن الكريم في نهج البلاغة فلفظة ( التقوى ) ومشتقاتها مثل ( المتقين ، تقاة ، اتقوا ، اتق ، تقية ..) أكثر المفردات تداولها على لسان أمير المؤمنين (ع) ، لأنه يحكي القرآن أسلوبا ومضمونا وهذه المفردات في القرآن تكثر كثرة ملحوظة .  
وللتقوى في القرآن معان مختلفة منها : الإيمان في قوله تعالى :

﴿ وَالزَّمَّهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ (١) ، أي التوحيد ، وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا وَآتَقَوْا ﴾ (٣) ، أي تابوا ،

﴿ وَآتَقَوْا ﴾ (٢) ، ومنها : التوبة في قوله تعالى : ﴿ وَكَوْنُوا أَهْلَ الْقُرَى آمِنُوا وَآتَقُوا ﴾ (٣) ، أي تابوا ،

(١) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٢٣/٢

(١) الفتح : ٢٦

(٢) الحجرات : ٣

(٣) الأعراف : ٩٦

ومنها : الطاعة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾<sup>(١)</sup> .

ومنها: ترك المعصية كقوله تعالى: ﴿وَاتُوا الْيُتُونَ مِنْ آبَائِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾<sup>(٢)</sup> ، ومنها:

الإخلاص في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٣)</sup>، أي من إخلاص  
القلوب<sup>(٤)</sup>.

وجاءت هذه المعاني ظاهرة في كلام أمير المؤمنين (ع) ، فمن التوبة قوله (ع) من رسالة إلى معاوية: ((فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ ، وَ انْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيَّ))<sup>(٥)</sup> .  
ومن الإخلاص قوله: (( وَ أَقْضِلْ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ ))<sup>(٦)</sup> .  
ومن ترك المعصية قوله: (( اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ ))<sup>(٧)</sup>

وجدير بالذكر أن الإمام عليا (ع) فهم معنى الإيمان من التقوى في الآية السابقة فقال له دون ذكر التقوى: ((لَمْ أَمْرًا صَعْبًا مُسْتَصْعَبًا لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ، اْمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ))<sup>(٨)</sup> .

ومن الآثار البينة للقرآن في نهج البلاغة كثرة إيصاءات الإمام (ع) في كلامه بالتزود من التقوى في الدنيا والتهيؤ بها للقاء الله تعالى فهو معنى استقاه من قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾<sup>(٩)</sup> . فالتقوى تعني الالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيها وهي في ((عرف الشرع والقرآن عبارة عما يتقى به من النار))<sup>(١٠)</sup> .

والزاد الطعام الذي يتخذ للمسافر ، والمزود الوعاء الذي يجعل فيه الزاد ، والتزود من الدنيا هو تزود من الأعمال الصالحة<sup>(١١)</sup> .

وتحقيق الكلام أن (( الإنسان له سفران : سفر في الدنيا وسفر من الدنيا ، فالسفر في الدنيا لا بد له من زاد وهو الطعام والشراب والمركب والمال . والسفر من الدنيا

(١) المؤمنون : ٥٢

(٢) البقرة : ١٨٩

(٣) الحج : ٣٢

(٤) ظ . الرازي ، التفسير الكبير : ٢١/٢

(٥) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٧٨/٢

(٦) المصدر نفسه : ٣٩٦/٢

(٧) المصدر نفسه : ٣٨١/٢

(٨) المصدر نفسه : ٧٩/٢

(٩) البقرة : ١٩٧

(١٠) أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط : ١٠١/٢

(١١) ظ . الراغب ، المفردات : ٢١٧ . الطوسي ، التبيان : ١٦٦/٢ . الطبرسي ، مجمع البيان : ٤٥/٢

لا بد فيه أيضا من زاد ، وهو معرفة الله ومحبته والإعراض عما سواه . وهذا الزاد خير من الزاد الأول ))<sup>(١)</sup> .

وعلى عادة أسلوبه (ع) في التوسع على الأصل القرآني فقد تعامل مع هذا المعنى تعامل من أبصره وأحسه ، فقد كانت تلك الآية الكريمة حاضرة في ذهنه فبنى على أساسها كثيرا من المعاني والصور الفنية ، كقوله (ع) موصيا :  
( ( فَاقْطَعُوا عِلاَئِقَ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهِرُوا بِرِّزَادِ التَّقْوَى ) )<sup>(٢)</sup> ، وقوله : ( ( لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى ) )<sup>(٣)</sup> ، وقوله : ( ( فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا ، مَا تَحْرُرُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ عَدَاً ) )<sup>(٤)</sup> ، وقوله : ( ( فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْقَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ ، فَذُذِلْتُمْ عَلَى الرِّادِ وَأَمْرُكُمْ بِالظَّنِّ ، وَحُبُّكُمْ عَلَى الْمَسِيرِ ) )<sup>(٥)</sup> .

ويبدو من الواضح أن الإمام عليا(ع) يحرص في معانيه القرآنية هذه على الإتيان بلفظة القرآن الأصل وهي ( التزود ) في دلالة ذكية لإبقاء ذهنية المستمع ضمن الإطار القرآني ليتشارك معه في الفكرة ، فهذا المعنى تشترك في اختزانه أذهان المسلمين وهو يستدعيه من ذاكرتهم ليؤثر فيهم غاية التأثير ، لذلك جعل يرددها ويدور حولها .

ولارتباط لفظة التزود بالـ ( التقوى ) فقد أصبح الإمام(ع) يطلقها على أساس هذا الفهم القرآني كما في أقواله الأخيرة . وأحيانا يضيف إليها ما يرادف لفظ التزود متكلا على ارتباط هذه اللفظة بمعنى التقوى مثل قوله : ( ( تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ... وَانْقَلَبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الرِّادِ ) )<sup>(١)</sup> ، وقوله في المؤمن : ( ( جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَقَاتِهِ ) )<sup>(٢)</sup> .

ويبدو أن القرآن الكريم هو الذي أوحى إليه في التوسع بمعاني التقوى وتوليد مزيد منها عن طريق خلع المعاني الحسية عليها كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَكِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) الرازي ، التفسير الكبير : ١٨٤/٥  
(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤/٢  
(٣) المصدر نفسه : ٢٥٧/١  
(٤) المصدر نفسه : ١٢٨/١  
(٥) المصدر نفسه : ٣٦٧/١  
(١) المصدر نفسه : ٤/٢  
(٢) المصدر نفسه : ١٤٤/١  
(٣) الأعراف : ٢٦  
(٤) التوبة : ١٠٨

فحاكى الإمام(ع) هذه المعاني الشريفة وتوسع فيها كقوله: ((لَا وَ إِنْ التَّقْوَى مَطَايَا تَلَّالٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَ أُعْطُوا أَرْزَمَتْهَا فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ ))<sup>(١)</sup> ، وقوله : (( أَنَّ التَّقْوَى دَارٌ حِصْنٌ عَزِيزٌ ، وَ الْفُجُورَ دَارٌ حِصْنٌ تَلِيلٌ ، .. أَلَا وَ بِرِ التَّقْوَى تُقَطَّعُ حُمَةُ الْخَطَايَا ))<sup>(٢)</sup> ، وقوله: ((إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمُثَلَّاتِ ، حَجَّرَتْهُ التَّقْوَى عَنِ تَقْجُمِ الشُّبُهَاتِ ))<sup>(٣)</sup> .

وقال من خطبة في التقوى والمتقين: (( إِنْ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِرِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَ آجِلِ الْآخِرَةِ ، فَتَسَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَ لَمْ يُشَارِكُهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ ، سَكَنُوا الدُّنْيَا بِمَا سَكَنَتْ وَ أَكَلُوا بِهَا بِمَا أَكَلَتْ ، فَحَطُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَطَّى بِهِ الْمُتَرَفُّونَ ، وَ أَحْنَوْا مِنْهَا مَا أَحْنَتْهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِرِ الزَّادِ الْمُبْلَغِ وَ الْمَتَجَرِّ الرَّابِحِ ، أَصَابُوا لِنَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَ نَبَقُوا أَنَّهُمْ حَيْرَانُ اللَّهِ عَدَاً فِي آخِرَتِهِمْ ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَ لَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لِنَّةٍ ))<sup>(١)</sup> .

فعقد مقارنة بين المتقين والعاصين في مفهوم قرآني محض يربط أيما ربط بين التقوى والعمل ولا يجعل من المفاهيم الروحية أمرا معزولا عن الحياة . فالمتقون هم الراحون في الدنيا والآخرة . وقوله (بالزاد المبلغ) أشار به إلى التقوى .

وكلام الإمام(ع) - إضافة إلى ذلك - مسئل من قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ

رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَكَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ولعلم الإمام(ع) بما يراد من معنى ( حق ثقاته ) التي ربما ترد في آيات الكتاب العزيز نحو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِيَّاهُ وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وليقينه بأن التقوى شعور باطني فقد تكرر قوله (ع): (( فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهْلَهُ ))<sup>(٤)</sup> ، وقوله: (( أَسْعِرُوهَا قَلْبًا وَبِكُمْ ))<sup>(٥)</sup> .

وقوله ( برز مهله ) بمعنى فاق أقرانه في أشواطه . وقوله ( أشعر ) من الشعار لا الشعور وهو ثوب القلب<sup>(٦)</sup> واستعير للتقوى كونها (( تلازم النفس وتتصل بالقلب ))<sup>(٧)</sup> .

(١) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٥٢/١

(٢) المصدر نفسه : ٣٧٦/١

(٣) المصدر نفسه : ٥٢/١

(٤) المصدر نفسه : ١٦٨/٢

(٥) النحل : ٣٠

(٦) آل عمران : ١٠٢

(٧) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٠٦/١

(٨) المصدر نفسه : ٨٤/٢

والمعنى اجعلوا التقوى (( شعارا لقلوبكم وهو ما دون الدثار والصق بالجسد منه ، أو يجوز اجعلوها علامة يعرف بها القلب النقي من القلب المذنب كالشعار في الحرب يعرف به قوم من قوم )) (٣) .

وأكد هذا المعنى في موضع آخر فقال : (( فَأَتُوا اللَّهَ ، تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ سَعَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ ، وَ أَصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَ أَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نُومِهِ ، وَ أَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ .. )) (٤) .

أي تقية من استجمع أوصاف الإيمان من خوف الله وترقب رجائه . وظماً الهواجر يقصد بها كثرة الصيام في أشد أوقاته (١) .  
وذكر ذي اللب لأن عمله يصدر عن علم وبصيرة (٢) .

بل لشدة انصهار معاني التقوى في نفس الإمام (ع) كانت كلماته فيها تنفذ إلى القلوب لصدقها وقدرتها على التأثير ، جاء في نهج البلاغة إن أحد أصحاب الإمام علي (ع) الورعين يقال له همام سأله أن يصف له المتقين كأنه يراهم فنصح بترك طلبه لكنه أصر ، فقرأ الإمام (ع) خطبة مرتجلة بين فيها أحوال المتقين وصفاتهم ، وما أن انتهى منها حتى صعق لها الرجل صعقة كانت نفسه فيها لشدة تأثيره بما سمع ورأى من صور التقوى ، فقال الإمام (ع) : (( أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَحَافَهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ َ : هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظَ الْبَالِغَةَ بِأَهْلِهَا )) (٣) .

وكانت معظم الصفات التي خلعتها أمير المؤمنين (ع) على المتقين مستقلة من وصف القرآن الكريم لهم كقوله (ع) : (( مَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ ، عَنِيًّا عَنِ طَاعَتِهِمْ آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاهُ ، وَ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعَةٍ فَتَسَمَّ بَيْنَهُمْ مَعَايِرُ شُهُمٍ ، وَ وَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ ، فَأَلْمَفُوا فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ ، مَنْطَفَهُمُ الصَّوَابُ وَ مَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ وَ مَسِيهِمُ التَّوَاضُعُ ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَ وَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ )) (٤) ، فمقدمة كلامه نظر فيها الى قوله تعالى:

(١) ظ . مغنية ، في ظلال نهج البلاغة : ٢٧٦/٢

(٢) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٢٢٢/٤

(٣) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٢١/١٣

(٤) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٥٨/١

(١) ظ. ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٢٥٦/٢ . محمد عبده ، نهج البلاغة : ١٥٤/١

(٢) ظ. مغنية ، في ظلال نهج البلاغة : ٤٠٢/١

(٣) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٦/١

(٤) المصدر نفسه : ٤٤٣/١

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ (١) .

فكانه (ع) أخذ الألفاظ فألغاها وأتى بمعناها كما يقول ابن أبي الحديد (٢) .  
أما الصفات التي وسم بها المتقين فهي مستخلصة من الفهم العميق لآيات القرآن الكريم في هذا المعنى ، فقوله: ( منطقهم الصواب ) مستل من قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ (٣) . وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (٤) .

أما قوله (ع): ( مشيهم التواضع ) فهو من قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (١) ، وقوله: ( غصوا أبصارهم.. ) فهو من قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (٢) ، وقوله: ( وقفوا أسماعهم.. ) أخذه من معنى قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٣) .

ويمضي (ع) في خطبته فيقول: ﴿لَمَّا اللَّائِلَ فَصَّاهُونَ أَقْدَامَهُمْ ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتِّلُوا وَنَهْرُ تَيْلًا ، يُحْرُتُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَنْبِرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ ، فَإِذَا مَرُّوا بِرَأْيَةٍ فِيهَا تَسْوِيقٌ نَوَاكِلَ لَيْهَا طَمَعًا ، وَ تَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا وَ ظَنُّوا أَنَّهَا تُصَبُّ أَعْيُنُهُمْ ، وَإِذَا مَرُّوا بِهَا فِيهَا تَحْوِيفٌ ، أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ ، وَ ظَنُّوا أَنَّ رَفِيرَ جَهَنَّمَ وَ شَهيقَهَا فِي أُصُولِ آدَانِهِمْ ، فَهَمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ ، مُقَرَّشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَ أَكْفَهُمْ كُوبِهِمْ وَ أَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَالِكِ رِقَابِهِمْ )) (٤) ، فهذه المعاني التي يرسمها بما وهب من طاقة لغوية لاشك تداعت إلى ذهنه مما اختزن من وصف القرآن العظيم لرسوله و صحبه الأصفياء في قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ

(١) الزخرف : ٣٢

(٢) ظ. ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٣٥/١٠

(٣) المؤمنون : ٣

(٤) الفرقان : ٧٢

(١) الفرقان : ٦٣

(٢) النور : ٣٠

(٣) الزمر : ١١٨

(٤) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٣/١

اللَّهُ وَرِضْوَانًا سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴿١﴾ ، وقوله: (يستثيرون به دواء دائهم )  
من معنى قوله تعالى: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

ويتابع الإمام (ع) كلامه فيقول: (( وَ أَمَّا النَّهَارُ لَفِعَاءُ عُلَمَاءِ أَبْرَارٍ أَتْقِيَاءُ ، قَدْ  
بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَرِّي الْقِدَاحِ ، .، فَهُمْ لِأَنفُسِهِمْ مَتَّهَمُونَ وَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ ، إِذَا  
رُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ إِنَّا أَعْلَامُ بِتَقْسِيهِمْ غَيْرِي وَ رَبِّي أَعْلَمُ بِرِي  
مَتِّي بِتَقْسِي )) (٣) . وخوف المؤمنين وخشيتهم من الله تعالى من الصفات التي  
امتدحها القرآن لهم ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ  
آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١) ، وقوله سبحانه: ﴿ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (٢) .

وقوله: ( هم لأنفسهم متهمون ) استخلصه من معنى قوله تعالى:

﴿ وَمَا أْبْرئى نَفْسِي إِذِنَ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (٣) .

وإشفاقهم من أعمالهم واتهامهم لأنفسهم لعلمهم بأنه :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) .

بدا مما سبق من البحث أن معاني القرآن الكريم تنصب انصبابا على لسان  
أمير المؤمنين (ع) فهو يدور حيث تدور ، وهو يرصدها رصدا إيجابيا لتوظيفها  
عباديا في محاور تحدثنا عنها كان أبرزها : البارى عز وجل ، والكون بعوالمه  
الكبرى ، والإنسان في ميادينه كافة .

(١) الفتح : ٢٩

(٢) الإسراء : ٨٢

(٣) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٣/١

(١) الأنفال : ٢

(٢) الأنبياء : ٢٨

(٣) يوسف : ٥٣

(٤) المائدة : ٢٧

## الفصل الثاني

### الشاهد القرآني في نهج البلاغة

توطئة :

أولا : أسلوب الإمام(ع) في استعمال الشاهد القرآني

١. التصريح بنسبة الشاهد
٢. عدم التصريح بنسبة الشاهد
٣. التذييل

ثانيا : توظيف الشاهد القرآني

١. إصلاح الذات وتهذيب النفس
٢. الترغيب والترهيب
٣. الوظيفة العبادية والعقائدية
٤. الاحتجاج
٥. الوظيفة العقلية

ثالثا : فهرس الشواهد القرآنية

## توطئة :

بان مما سبق أن انسياب التأثير القرآني إلى نهج البلاغة أخذ أبعادا مختلفة ، فتباينت أشكاله فيه بتنوع امتياح الإمام (ع) من معينه غير المحدود ، فتارة يستقي الفكرة ويتسع في الكلام على أساسها ، وتارة أخرى يقتبس اللفظ فيوظفه في موقف فني آخر وتارة ثالثة يستعمل الشاهد القرآني بمعناه ومبناه وكل ذلك يدل على انصهار الإمام بآيات القرآن الكريم والتصاق وذوبان روحه في روحه .  
وحتى استعمال الشاهد القرآني له مداخل مختلفة إلى كلام الإمام علي (ع) ، فقد تفرد الإمام (ع) في أساليب استعماله له والاستشهاد به .

## أولا : أسلوب الإمام (ع) في استعمال الشاهد القرآني

لعل واحدا من أسرار لذة القراءة في نهج البلاغة وانفعال المتلقي معه هو التماس مشارب الأخذ المختلفة من القرآن الكريم لأن ذلك أدعى إلى تجدد روح الإصغاء وتنشيط لذة الاستماع .

وما من شك في أن تعدد استقراءات الإمام (ع) من القرآن الكريم أمر فرضه عليه الموقف الفني وحثمه في كلامه العلاقات الجديدة التي بينها ما بين مفردات عباراته ، ولكن لحضور النص القرآني في ذهنه والقدرة على استجلابه ساعة يشاء شأن آخر يدل على تذوق الإمام (ع) للقرآن وشدة حفظه الواعي لمضامينه بحيث لا تنفلت أفكاره من الإطار القرآني ولا يجد هو بعد عننا في استدعاء ما يشاء من ألفاظه ومعانيه وفي أي موضوع يعرضه .  
ومن هنا نجد الاستشهاد بآيات القرآن الكريم يأخذ سمة أسلوبية في كلامه تميزه عن غيره .

ومن استقراء كلامه (ع) في نهج البلاغة يمكن تلمس ثلاثة أساليب لاستشهاد الإمام (ع) بالقرآن هي :

### ١- التصريح بنسبة الشاهد

أي التصريح باسم الخالق في عرض الشاهد القرآني ، ففي كثير من كلامه (ع) يصرح قبل قراءة النص القرآني بنسبته إلى الله تعالى بلفظ القول ، مثل قوله يذكر مبايعته:

(( فَلَمَّا نَهَضْتُ بِرِ الْأَمْرِ نَكَنْتُ طَائِفَةً وَ مَرَقْتُ أُحْرَى وَ قَسَطَ آخِرُونَ ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ ، بَلَىٰ وَ اللَّهُ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَ وَعَوَّهَهَا ، وَ لَكِنَّهُمْ حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي  
أَعْيُنِهِمْ وَ رَاقَهُمْ زُبْرُجُهَا )) (٢) .

وقيل المراد بالعلو التكبر بغير الحق لأن أصل التكبر الشرك ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ  
كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣) ، والمراد بالفساد أخذ الأموال بغير الحق (١) ،  
وقوله: ( تلك ) تعظيم للدار وتفخيم لها أي تلك الدار التي بلغك وصفها (٢) .  
والمعنى الإجمالي للآية الكريمة هو (( أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا  
يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوا في  
الأرض أي ترفعا على خلق الله وتعظما عليهم وتجبرا بهم ولا فسادا فيهم )) (٣) .  
والإمام (ع) يعرض شكواه من كيد المتأمرين عليه وجاء تعمده في التصريح  
بنسبة الآية إلى الله تعالى نكاية بهم وتوبيخا لهم خاصة بعد أن مهد لها بتشبيههم  
بحال من لم يسمع الآية التي قرأها وهي تنطوي على ضمانه من الله تعالى بحسن  
عاقبة المتقين .

فاستشهاده بهذه الآية الكريمة تأكيد لزهده بالدنيا من جهة وتذكير (( بأن العاقبة  
الجميلة من الثواب للذين يتقون معاصي الله ويفعلون طاعته )) (٤) من جهة ثانية .  
وجاء قبح طلب العلو في الأرض لأنه يعد ركونا إليها ، وتركها لطلب العلو في  
الدار الآخرة فضلا عن مخالفة تعاملها بما أراد الله باعتبارها دار ارتحال لا دار  
مقام .

وورد عن أمير المؤمنين (ع) أنه كان يمشي في الأسواق وحده ، وهو وال  
يرشد الضال ، ويعين الضعيف ، ويمر بالبائع والبقال ، فيفتح عليه القرآن ويقرأ  
الآية الكريمة السابقة ويقول نزلت هذه الآية في أهل العدل ، والتواضع من الولاية  
وأهل القدر من الناس ، وجاء عنه قوله : (( من أعجبه شسع نعله على شسع أخيه  
فهو ممن يريد العلو في الأرض )) (٥) .

وقال (ع) في عهده لمالك الأشتري لما ولاه مصرا :  
(وَ إِيَّاكَ وَ الْمَنَىٰ عَلَّ عَيْتِكَ بِإِحْسَانِكَ ، أَوْ التَّوَيْدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ ، أَوْ أَنْ  
تَعْدُهُمْ تَبَعٌ مَوْعِدِكَ بِخُلُقِكَ ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ وَ التَّوَيْدَ يَنْهَبُ بِدُورِ الْحَقِّ ، وَ

(١) القصص : ٨٣

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٤/١

(٣) الصافات : ٣٥

(١) ظ. النحاس ، معاني القرآن : ٢٠٥/٥ . الثعلبي ، تفسير الثعلبي : ٢٦٦/٧

(٢) ظ. الزمخشري ، الكشاف : ٧٥٦/٢

(٣) ابن كثير ، تفسير ابن كثير : ٤١٢/٣

(٤) الطوسي ، التبيان : ١٨٢/٨

(٥) السمعاني ، تفسير السمعاني : ١٦١/٤

الخُلفُ يُوجبُ المَقْتَّ عِنْدَ اللَّهِ وَ النَّاسِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ((<sup>(١)</sup>)) (٢) .

فقد حذره من ثلاث رذائل : المن على الرعية بإحسانه إليهم ، والتزديد فيما فعله بحقهم وهو أن ينسب إلى نفسه من الإحسان إليهم أزيد مما فعل والثالثة : أن يخلف موعوده لهم . ثم بين سبب التحذير ، فالمن يبطل الإحسان إشارة إلى قوله تعالى: ﴿

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ ((<sup>(١)</sup>)) .

والتزديد يذهب بنور الحق ويعني بالحق الإحسان إليهم والصدق في ذكره في موضع الحاجة إليه <sup>(٢)</sup>، و (( لما كان التزديد نوعا من الكذب وهو رذيلة عظيمة لا جرم كان مما يذهب نور ذلك الحق ويطفئه فلا يكون له وقع في نفوس الخلق )) <sup>(٣)</sup>

ونفر عن الخلف بالوعد كونه سببا للمقت عند الله والناس ، أما عند الناس فذلك ظاهر ، وأما عند الله تعالى فقد استشهد له بالآية السابقة محل كلامنا . والآية نزلت في المنافقين ، (( وندأؤهم بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم وهذا من أفصح الكلام وابلغه في معناه )) <sup>(٤)</sup>، وزيادة في تعظيم أمر المقت في نفوس السامعين أورده بصيغة التعجب ( كبر ) <sup>(٥)</sup> لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله واسند إلى ( أن تقولوا ) ونصب ( مقتا ) على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه .

واختير لفظ ( المقت ) لأنه من أشد البغض وأبلغه ، ومنه قيل نكاح المقت إذا تزوج الرجل امرأة أبيه <sup>(٦)</sup> ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه ( عند الله ) أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته <sup>(٧)</sup> .

وقال (ع) ينصح الناس :

((أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَ حَاجِبٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ أَلَا وَ إِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَ الْفَضَاءَ

الْمَاضِي قَدْ تَوَرَّدَ ، وَ إِرَّتِي مُتَكَلِّمٌ بِرِعْدَةِ اللَّهِ وَ حُجَّتِي ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ

(١) الصف : ٣

(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٢٦٣/٢

(١) البقرة : ٢٦٤

(٢) مغنية ، في ظلال نهج البلاغة : ١١٩/٤

(٣) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ١٨٤/٥

(٤) الزمخشري ، الكشاف : ٩٧/٤

(٥) ظ. الزركشي ، البرهان : ٣١٨/٢ . السيوطي ، الإتقان : ٢٠٦ /٢

(٦) ظ . الراغب ، المفردات : ٤٧٠

(٧) ظ . الزمخشري ، الكشاف : ٩٧ /٤ . أبو السعود، تفسير أبي السعود: ٢٤٢/٨

ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١﴾ وَ قُلْتُمْ رَبُّنَا اللَّهُ فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ ، وَ عَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ وَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، ثُمَّ لَا تَمُرُّوا مِنْهَا وَ لَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا )) (٢) .

وكلام الإمام(ع) هذا من أوائل خطبه التي خطب أيام بويغ بعد مقتل عثمان ، وقوله: ( القدر السابق ) يشير به إلى خلافته فقد أثر أن رسول الله 9 أخبره أن الأمر سيفضى إليه منتهى عمره وعند انقضاء أجله(١) .

والاستقامة تقال في الطريق الذي يكون على خط مستو ، وبه شبه طريق الحق(٢) ، وهي هنا كلمة جامعة تعني (( لزوم وسط الطريق من غير ميل وانحراف والثبات على القول الذي قالوه )) (٣) .

والغرض من استشهاده بالآية الكريمة حضهم على العمل في ربط القول بالفعل فلا يكفي الإقرار بالربوبية على اللسان بل ينبغي أن يتبع ذلك الإقرار بالاستقامة في السلوك والعمل وعندها يكون الباعث على العمل نابعا من الإقرار في القلب . وبهذا الإقرار يذكرهم الإمام(ع) فيوصيهم باتباع السلوك القويم .

ولكن لماذا يصرح الإمام(ع) تارة بنسبة الآية الكريمة التي يستشهد بها في كلامه ويعدل عن ذلك تارة أخرى ؟

يبدو من استقراء الآيات الكريمة في نهج البلاغة التي صرح بنسبتها إلى الله تعالى أن الإمام عليا (ع) يصرح بنسبة الآية إذا كان كلامه في معرض الموعظة والنصائح بغية التأثير في نفس السامع لما لذلك من وقع في نفس السامع ، ولأن ذلك أدهى إلى إصاخة أسماعه إليه وتقبله لأنه حجة أخرى يضيفها الإمام(ع) إلى كلامه ودعم رأيه ، فهناك أكثر من اثني عشر موضعا في نهج البلاغة استشهد فيها الإمام(ع) بآيات صرح بنسبتها إلى الله تعالى وأغلبها جاء في الوعظ والنصح .

(١) فصلت : ٣٠

(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤١٨/١

(١) ظ. ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٦/١٠ . ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٣٥٨/٣

(٢) ظ. الراغب ، المفردات : ٤١٨

(٣) الطباطبائي ، الميزان : ٣٨٩ / ١٧

## ٢- عدم التصريح بنسبة الشاهد

أي عدم التصريح بلفظ الجلالة في عرض الشاهد القرآني ، وهو الأكثر ورودا في كلام الإمام (ع) ، إذ اقتبس من الكتاب العزيز آيات كثيرة ناسبت الغرض الذي أوردها الإمام (ع) من أجله في دلالة واضحة على قوة حضور النص القرآني في ذهن الإمام (ع) .

وفي هذا النوع من الاستشهاد بالقرآن نتلمس قدرا عاليا من الإبداع في بناء الجمل يتناسب مع عدم التصريح بنسبة الآية إلى الله تعالى لأن على الإمام (ع) إيجاد مناخ تركيبية للعبارة مناسب لما اقتبس من عظمة الآية وفنية صياغتها وعمق معناها . وهذه القدرة العالية على البناء التركيبية الجملي ستجعل كثيرا من الآيات المستشهد بها تبدو وكأنها من عبارات الإمام (ع) لقوة ارتباطها بالعلاقات الجمالية في كلامه ، ولا مغالاة في القول : لو لا أنها من آيات الكتاب العزيز لما ميزناها من كلام الإمام (ع) .

وعلى أية حال فقد شمل هذا النوع من الاستشهاد بآيات الكتاب العزيز كل المضامين التي تحدث عنها الإمام (ع) من خلق الإنسان والكون وتوحيد الله تعالى وحديثه عن حقه المضيع في الخلافة وشكواه من استبطاء أصحابه لاستجابة أمره . ويمكن القول أن كل ما مر في البحث من آيات كريمة في فصول سابقة شواهد لما نقول ، ومنها قوله (ع) لأصحابه يحثهم على الصمود في الحرب :

(( فَصَمَدًا صَمَدًا حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ ﴿١﴾ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُكُمْ

أَعْمَالَكُمْ ﴿٢﴾ )) (١) ، وقوله (ع) :

(( وَ هَلُمَّ الْجَنَفِي ابْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الذَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ... حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَ سَدَّ قَوَارِهِ مِنْ يَبُوعِهِ ، وَ جَدَّحُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ شِرْبًا وَبِرِيْنَا ، فَإِنْ تَرْتَفَعْنَا وَ عَنُتْهُمْ مَحْنُ الْبَلْوَى ، أَوْ حَمَلْتُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَيَّ مَحْضِهِ وَ إِنْ تُكْفَى الْأُخْرَى ﴿٣﴾ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٤﴾ )) (٣) .

فهذه الآيات التي يقتبسها الإمام (ع) يحاول إيجاد علاقات لها من خلال التمهيد لها بالمعنى وشدها الى صياغاته لتبدو واضحة الدلالة من أنها من كلام الله تعالى ، وفيها إشارة في الوقت ذاته أن لنسيج كلامه دلالة أخرى على ذوبانه في النص القرآني.

(١) محمد : ٣٥

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٣٢/١

(٣) فاطر : ٨

(٤) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٨٢/١

### ٣- التذييل

وأعني به اختتام الكلام بأية من الكتاب العزيز ، وتلك من سمات أسلوب الإمام(ع) في الاستشهاد بالقرآن الكريم فكثيرا ما يذيل كلامه بأية مناسبة لما عرض من أفكار بحيث يجعلها مختزلة في الآية التي ختم بها كلامه . وهذا الأسلوب يكثر في كلامه كثرة بينة خاصة في خطبه إمعانا في التأثير ولاشك في أن لسحر القرآن وقعه في النفس خاصة وأن الإمام(ع) يعتمد اختتام كلامه بأية مناسبة لغرضه وكأنها توقيع منه لخطبته . ولو أننا نملك الآليات التي تبين طريفته في إلقاء خطبه لأمكن الجزم بأن الآية التي يختتم بها الإمام (ع) كلامه لاشك يميزها بعلو نبره أو مد صوته فيها التماسا للتأثير القرآني في نفوس السامعين ورغبة منه لتمييز الآية الكريمة عن كلامه لأنه في الغالب يوردها الإمام(ع) بطريقة عدم التصريح بنسبتها إلى الله تعالى .

وأسلوب الإمام(ع) في تذييل كلامه بالآيات الكريمة يكثر في خطبه التي تنطوي موضوعاتها على الوعظ والنصح والدعوة إلى القتال والتنفير من الدنيا والتذكير بالآخرة والدعاء والترغيب والترهيب ويقبل في خطب التوحيد والموضوعات التي تخف فيها حدة العاطفة كموضوعات خلق الإنسان والسموات والأرض وخلق الحيوان (١) .

قال الإمام علي (ع) من خطبة وعظ فيها الناس :  
(... مَا قَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَّ غَدًا زِيَادَتُهُ ، وَ مَا قَاتَ أَمْسَ مِنَ الْعُمُرِ ، لَمْ يُرَجَّ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ ، الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي وَ الْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي ، فَ﴿ انقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) )) (٣) .

ويؤكد الإمام(ع) في كلامه حقيقة قد يتغافل الإنسان عنها وهي أن رجعة العمر غير مرجوة ورجعة الرزق مرجوة لأن (( الإنسان قد يذهب منه اليوم درهم فيستعيضه أي يكتسب عوضه في الغد ديناراً ، وأما أمس نفسه فمستحيل أن يعود ولا مثله لأن الغد وبعد الغد محسوب من عمره وليس عوضاً من الأمس )) (٤) . وهذا الكلام أكده بقوله الثاني الذي أجراه مجرى المثل وجعل الجائي مرجواً لأنه لا يعلم غيبه . وجعل آخر كلامه آية اختتم فيها وعظه ولخص أفكاره .

(١) ظ. صبحي الصالح ، نهج البلاغة(فهرس الموضوعات) : ٧٣٣ . فارس تبريزيان ، نهج البلاغة

: ٧٠٧-٨٠٨ . أوبس كريم ، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة : ٢٢٢

(٢) آل عمران : ١٠٢

(٣) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٧٦/١

(٤) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٦٠/٧

ويبدو أن لفظ النهي في الظاهر واقع على الموت والمعنى واقع على الإسلام (( أي دوموا على الإسلام فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على هذه الحالة وإنما جاز هذا لأنه لا لبس في الكلام إذ كان معلوما أنهم لا ينهاون عما ليس من فعلهم وإنما يتوجه النهي إلى المعنى الذي هو في مقدورهم ((<sup>(١)</sup>).

ووجه استشهاد الإمام(ع) بالآية هو التمسك بالتقوى والثبات على الإسلام لأن فيهما كل الرجاء .

ويتعمد الإمام(ع) في الدعاء تذييل كلامه بآية كريمة من الكتاب العزيز لإلقاء مزيد من الإيحاء القرآني على دعائه ، فقد ورد أنه (ع) كان يقول إذا لقي العدو محاربا:

اللَّهُمَّ أَقْضِ لِي لَدُنَّكَ الْفُؤُوبُ وَ مَدِّتِ الْأَعْنَاقُ ، وَ شَخَّصَتِ الْأَبْصَارُ وَ تَفَلَّتِ الْأَقْدَامُ وَ أُتْضِيتِ الْأَبْدَانُ ، اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكُونُ الشَّنَانِ ، وَ جَاشَتْ مَرَاجِي الْأَضْغَانِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا ، وَ كَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَ نَسْتُنْتِ أَمْوَئِنَا ﴿ رَبَّنَا اقْتَحِبْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ

وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ ((<sup>(٢)</sup>)) ((<sup>(٣)</sup>) ، قال الإمام (ع) كلامه هذا وهو رافع يديه وأصحابه يؤمنون<sup>(٤)</sup> .

والمراد من معنى الآية الكريمة أي احكم بيننا أو أظهر أمرنا حتى يفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بأن تنزل عليهم عذابا يتبينوا معهم أنهم على الباطل<sup>(٥)</sup> ، (( وهذا استعجال منه للنصر ))<sup>(٦)</sup> ، والآية مأخوذة من دعاء شعيب (ع) يسأل ربه أن يفتح بينه والمؤمنين به وبين المشركين من قومه ، والفتح هو الحكم الفصل لأن الفتح الفصل في الأمر وإزالة الإغلاق عنه والفصل إبانة أحد الشيين حتى يكون بينهما فرجة<sup>(٧)</sup> .

وشعيب (ع) (( دعا بالفتح وكنى به عن الحكم الفصل وهو الهلاك أو هو بمنزلته وأبهم الخاسر من الراجح والهالك من الناجي وهو يعلم أن الله سينصره وأن الخزي اليوم والسوء على الكافرين لكنه (ع) أخذ بالنصفة للحق وتأدب بإرجاع الأمر في ذلك إلى الله تعالى))<sup>(٨)</sup> .

(١) الشريف الرضي ، حقائق التأويل : ٢٠٠ . ظ.ابن الجوزي ، زاد المسير : ١١/٢

(٢) الأعراف : ٨٩

(٣) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٤٩/٢

(٤) ظ. سليم بن قيس ، كتاب سليم بن قيس : ٤٢١

(٥) ظ.الزمخشري ، الكشاف : ٩٦/٢

(٦) الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٠٥/٤

(٧) ظ. الراغب ، المفردات : ٣٧٠-٣٨١ . ظ.ابن منظور ، لسان العرب : فتح ، فصل

(٨) الطباطبائي ، الميزان : ١٩٢/٨

كما أتى بنظير ذلك في قوله السابق: ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ

الْحَاكِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وخير الحاكمين وخير الفاتحين اسمان من أسماء الله الحسنی . إذن في

الآية استعجال للنصر<sup>(١)</sup>، ومن هنا وقع استشهاد الإمام (ع) بها مختتما بها دعاءه .

وذيل الإمام (ع) خطبة له في المنافقين بآية اعتصرت كل المعاني التي

أوردها فيهم ، منها قوله في آخرها :

((وَيَصِفُونَ فَيَمُوهُونَ فَذَ هَوُّنَا الطَّرِيقَ ، وَ أَضَلَّ عُوا المَضِيقَ فَهُمُ لَمَّةُ الشَّيْطَانِ وَ

حُمَّةُ الثَّيْرَانِ ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ))<sup>(٣)</sup> .

والتمويه التزيين للخداع وأصله تغطية الحديد بذهب يحسنها . وتهيئة الطريق

يعني به طريق الباطل لتسلك بتمويهاتهم وإضلاع المضيق إمالة أي جعلوا المسلك

الضيق معوجا بتليبسهم وتمويههم فإذا أسلكوه إنسانا اعوج لاعوجاجه .

وأراد باللمة الجماعة والحة السم وكنى عن إحراق النار بالحة للمشابهة في

المضرة<sup>(٤)</sup> .

وجاء استشهاد الإمام(ع) بالآية الكريمة مطابقا تمام المطابقة لما هو فيه لأن

الآية ضمن سورة نزلت في المنافقين وهي سورة المجادلة ، ويبدو أن كثيرا مما

وصف الإمام(ع) المنافقين مستل من صفات القرآن لهم في السورة التي ذكرناها .

لأن تعبير القرآن في (أولئك) سبقه صفات كثيرة في المنافقين قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾\*

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ

مُهِينٌ \* لَنْ نُّغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ

اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ \* اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ

الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

والأمثلة كثيرة في هذا المجال ولا يسع المقام لمزيد وأكثرها في الوعظ والتحذير .

(١) الأعراف : ٨٧

(١) ظ . الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٠٧/٤

(٢) المجادلة : ١٩

(٣) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٩/١

(٤) ظ. ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٦٩/١٠

(٥) المجادلة : ١٤-١٩ . ظ. في تفسيرها: الطبرسي، مجمع البيان : ٤٢٠/٩ . الطباطبائي، الميزان :

أما في الرسائل فقد جاء استشهاد الإمام (ع) بآيات القرآن العظيم في آخر كلامه في موضوعاتها التي حملت عاطفة حادة من الغضب أو التهديد وهي قليلة مثل رسالته إلى أحد عماله وقد خانه في الأمانة :

(( أُوْقِمُ بِرِاللَّهِ الْعَالَمِينَ ، مَا يَسْرُنِي أَنَّ مَا أَخْتَنُهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي ، أَتْرُكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي فَضَحَّ رُوَيْدًا ، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى وَ دُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى ، وَ عُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِرِالْمَحَلِّ ، الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمَ فِيهِ بِرِالْحَسْرَةِ ، وَ يَتَمَنَّى الْمُضِيعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ ﴿ وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ ﴾ ))<sup>(١)</sup> ، فقله الأخير من قوله تعالى :

﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ، والتنادي نداء استغاثة من نزل به العذاب<sup>(٣)</sup> ، وهو معنى أعاده الإمام (ع) بقوله: (يتمنى المضيع فيه الرجعة) .

وقال الإمام (ع) مهددا في رسالة إلى معاوية ذيل آخرها بقوله :  
(( فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَ يَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ ، وَ أَنَا مُرْقِلٌ نَحَوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَصَارِ ، وَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِرِالْحَسَانِ ، شَدِيدِ زِحَامُهُمْ سَاطِعِ قَتَامُهُمْ ، مَسْرَبِ لَيْنٍ سِرْبَالِ الْمَوْتِ ، أَحَبُّ الْإِقَاءِ إِلَيْهِمْ لِإِقَاءِ رَبِّهِمْ ، وَ قَدْ صَحِبْنَاهُمْ نُزِيَّةً بِدْرِيَّةٍ وَ سُيُوفَ هَاشِمِيَّةٍ ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا ، فِي أَخِيكَ وَ خَالِكَ وَ جَدِّكَ وَ أَهْلِكَ ، ﴿ وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعِيدُ ﴾ ))<sup>(٤)</sup> .<sup>(٥)</sup>

والآية من سورة قصت عقاب الله تعالى لقوم لوط بالحجارة المسومة وقيل المراد ب(الظالمين) ظالمو أهل مكة والمعنى (( وليست هذه الحجارة من ظالمي أهل مكة ببعيد أو المعنى: ليست هذه القرى المخسوفة من ظالمي قومك ببعيد فإنه في طريقهم بين مكة والشام ))<sup>(٦)</sup> .  
واختيرت الآية في هذا المقام لأن فيها وعيدا لأهل مكة<sup>(٧)</sup> .

وما بين معاوية بن أبي سفيان والمشركون من أهل مكة من الشبه في المواقف ما يستدعي التذكير بهذه الآية الكريمة .

## ثانيا : توظيف الشاهد القرآني

إذن للشاهد القرآني وظيفة يأتي به الإمام (ع) تقوية للمعنى وتعزيذا للحجة . ويمكن حصر وظائفه على النحو الآتي :

### ١- إصلاح الذات وتهذيب النفس

- (١) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٧٦/٢
- (٢) ص : ٣ . ظ . في تفسيرها : الطوسي ، التبيين : ٥٤٢/٨
- (٣) الرازي ، التفسير الكبير : ١٧٥/٢٦
- (٤) هود : ٨٣
- (٥) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٧٦/٢
- (٦) الطباطبائي ، الميزان : ٣٤٤/١٠
- (٧) ظ . الزمخشري ، الكشاف : ٢٨٤/٢

لا ريب في أن هذا معنى عام يشمل كل معاني الدعوة إلى مكارم الأخلاق والسمو بالنفس عن الصغائر وكل ما يشد النفس إلى الدنيا ، وتقف على رأسها الركون إلى الدنيا والاستخداء لها . وقد حفل كلام أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة بمواعظ نفر فيها عن الدنيا متوسلا لأجل التأثير والإقناع وإيصال المعاني بوسائل عدة مما امتلك من موهبة حسن استثمار طاقات اللغة ومن حضور قوي للنص القرآني ، كقوله محذرا :

﴿مَا بَعُدَ قَائِي أُحْتَرِّكُمْ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ حَضِرَةٌ ، حُقَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَ تَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِظَةِ ، وَ رَأَتْ بِالْقَلِيلِ وَ تَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ ، وَ لَا تَعْدُو - إِذَا تَنَاهَتْ إِي لَى أُمْنِيَّةً أَهْل الرِّعْبَةِ فِيهَا وَ الرِّضَاءِ بِهَا - أَنْ تُكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى : ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ

مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (١) لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ ، إِلَّا أَعْقَبَتْهَا عِبْرَةٌ ، وَ لَمْ يَلْقَ فِي سَرَائِهَا بَطْنًا ... )) (٢) .

والإمام (ع) في معرض التزهيد بالدنيا وملذاتها ولم يجد مثلا لذلك مثل الآية التي تمثل بها فقد (( شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفًا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن )) (٣) . فقد صور هذا المشهد السريع قصر الحياة الدنيا بلقطات سريعة خاطفة اختصرت الحياة كلها فهو ماء ينزل من السماء فيختلط به النبات فيصبح هشيمًا أي نباتًا يابسًا متكسرا تذرؤه الرياح (( فهذا التعقيب الذي تمثله هذه الفاء في تتابع المراحل يتفق مع طريقة العرض السريعة )) (٤) .

ويرى الإمام (ع) أن تهذيب النفس وإصلاحها يبدأ من التخلي عن ملذات الدنيا لذلك كثر في كلامه الإيحاء بذلك والتنفير من الركون إلى الدنيا كقوله مذكرا ومخوفا :

﴿كَأَنَّ قَدْ صِرْتُمْ إِي لَى مَا صَارُوا إِي لَيْهِ ، وَ ارْ تَهَنْكُمْ تَلِكَ الْمَضْجَعِ وَ ضَمَّكُمْ تَلِكِ الْمُسْتَوْدَعِ ، فَكَيْفَ بِرِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِرِكُمْ الْأُمُورُ ، وَ بُعِثَرَتِ الْقُبُورُ ﴾ هُنَالِكَ تَبَلَّوْا كُلَّ نَفْسٍ مَا

أَسْلَفَتْ وَرَدُّوْا إِي لَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٥) (( (٦) .

(١) الكهف : ٤٥ . ظ. في تفسيرها: الطباطبائي ، الميزان : ٣١٨/١٣

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٥٧/١

(٣) الزمخشري ، الكشاف : ٤٨٦/٢

(٤) سيد قطب ، التصوير الفني : ١٠٨ . ظ. عباس الفحام: التصوير الفني في خطب الإمام علي (ع) :

٨١-٨٣ (رسالة ماجستير ) جامعة الكوفة ١٩٩٩ م .

(٥) يونس : ٣٠

(٦) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٥١/٢

وهناك اسم يشار به للبعيد والمعنى : في ذلك الموقف تختبر كل نفس حالها لمعرفة بتحصيل أعمالها (( إن كان حسنا فهي سعيدة وإن كان سيئا فهي شقية )) (١)

أما الفقرات الثلاث من الآية (( أعني بها ( تبلوا كل نفس ) الخ ، وقوله ( وردوا الى الله ) الخ ، وقوله ( وذل عنهم ) الخ ، كل منها تعين الأخرين على إفادة حقيقة معناها ، ومحصل مفاد المجموع ظهور حقيقة الولاية الإلهية يومئذ ظهور عيان وأن ليس لغيره تعالى إلا الفقر والملوكية المحصنة فيبطل عند ذلك كل دعوى باطلة وينهدم بنيان الأوهام )) (١) .  
ولاشك في أن هذا الاستشهاد القرآني يضيف إحياء مؤثرا في نفوس السامعين ويجعل حجة الإمام (ع) عليهم أقوى .

وفي مورد آخر من موارد إصلاح النفس حذر الإمام (ع) من الوقوع في العصبية الضيقة كقوله :  
(( .أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ ، وَ طَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقِهِ ، فَقَالَ أَنَا نَارِيٌّ وَ أَنْتَ طِينِيٌّ ، وَ أَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَا وَقَعَ النَّعَمَ ، فَ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (٢) فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ ، فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ ، وَ مَحَامِدِ الْأَفْعَالِ وَ مَحَاسِنِ الْأُمُورِ )) (٣) .

يذكر أن مناسبة خطبة الإمام (ع) هذه (( أن أهل الكوفة قد فسدوا في آخر خلافة أمير المؤمنين وكانوا قبائل في الكوفة ، فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنزل قبيلة أخرى ، فينادي باسم قبيلته : يا للنخع ! مثلا ، أو يا لكندة ! نداء عاليا يقصد به الفتنة وإثارة الشر ، فيتألب عليه فتیان القبيلة التي مر بها فينادون : يا لتميم ! ويا لربيعة ! ويقبلون إلى ذلك الصائح فيضربونه ، فيمضي إلى قبيلته فيستصرخها ، فتسل السيوف وتثور الفتن ، ولا يكون لها أصل في الحقيقة إلا تعرض الفتيان بعضهم لبعض )) (٤) .

ووجه تمثل الإمام (ع) بالآية الكريمة حب النفس والتعصب للأناية لأن الآية جاءت تحكي قول المترفين من الأغنياء والجبابرة ضيقي الأفق فهم يقولون إنا: (( فضلنا عليكم بالأموال والأولاد ، ولو لم يكن ربكم راضيا بما نحن عليه من الدين والفضل لم يخولنا ذلك )) (٥) .

(١) الزمخشري ، الكشاف : ٢٣٥/٢ . ظ. الطبرسي ، مجمع البيان : ١٨٢/٥ . الفيض الكاشاني ، تفسير الصافي : ٤٠١/٢

(١) الطباطبائي ، الميزان : ٤٧/١٠

(٢) سبأ : ٣٥

(٣) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٠٤/٢

(٤) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٦٨/١٨

(٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٠٥/١٤

وذكر إبليس كونه أصل العصبية ومبداها والمترفون وهم الذين أطغتهم النعم تلاميذ إبليس وكل منهما ينطلق من مفهوم واحد من العصبية للنفس<sup>(١)</sup> .

ومثل هذا تحذير الإمام(ع) من الوقوع في حبال الشيطان فقال :  
( ( فَاحْتَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عِدَّتَكُمْ بِرِدَائِهِ ، وَ أَنْ يَسْتَقِرَّكُمْ بِرِدَائِهِ وَ أَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِرَحِيلِهِ وَ رَجْلِهِ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ فُوقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ ، وَ أَعْرَقَ لَكُمْ بِالتَّرْعِ الشَّدِيدِ ، وَ رَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، وَ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَتَّبِعَنَّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾<sup>(١)</sup> قَفْأً بِرَعِيْبٍ بَعِيدٍ وَ رَجْمًا بِرِظْنٍ مُصِيبٍ ))<sup>(٢)</sup> ، والإغواء الإضلال .

وقال (ع) يعظ بسلوك الطريق الواضح :  
( ( أَيُّهَا النَّاسُ إِمَّا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَ السُّخْطُ ، وَ إِمَّا عَقْرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِرِ الْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرِّضَا ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَعَرَّوْهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فَلَمَّا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِرِ الْحَسْفَةِ ، حُورَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ ))<sup>(٤)</sup> ، والمراد بكلام الإمام(ع) (( إنما يجمع الناس في عذاب الله رضاهم بالمنكرات ومعاصي الله وإن لم يباشرها أكثرهم وسخطه لمحابه من الأعمال ))<sup>(٥)</sup>

ووجه الاستشهاد بالآية كون قصة ثمود مصداقا حقيقيا لما قال الإمام(ع) لأن عاقر الناقة واحد ولكن العذاب شمل الجميع لرضاهم بذلك الفعل المنكر .  
وقوله الأخير تفسير للعذاب الذي لحق قوم ثمود (( فشبه صوت أرضهم في خسوفها وذهابها في الأرض بصوت السكة المحماة عند الحرث بها وإنما زادها صفة المحماة تنبيها على قوة تصويتها وسرعة غوصها لأن المحماة يكون لها في الأرض نشيش زائد على ما يقتضيه حركتها ويعينها الحمى على النفوذ ))<sup>(٦)</sup> .  
وأراد الإمام(ع) بتعريف( العذاب ) التخصيص أي: عذاب يوم عظيم سبق أن حذروا منه .

والإمام(ع) في ذلك متبع للقرآن في قوله تعالى:

﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

وقال داعيا الى سمو النفس :

(١) ظ. ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٢٩٢/٤  
(١) الحجر : ٣٩ . ظ. في تفسيرها : الرازي ، التفسير الكبير : ٣٩/١٤  
(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٩١/٢  
(٣) الشعراء : ١٥٧  
(٤) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٦٩/١  
(٥) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٣٩٢/١  
(٦) المصدر نفسه : ٤٧٤/٣  
(٧) الشعراء : ١٥٨ . ظ. في تفسيرها : الزمخشري ، الكشاف : ١٢٤/٣

(( لَا يُزْهَدُكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِرِشْيَةٍ مِنْهُ ، وَ قَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ ، أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ )) وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ ﴿ (١) )) (٢) ، ويعني بالكافر هنا ناكر الجميل والمعروف وبالشاكر المستحسن للإحسان لذاته ولو صدر من عدوه ، والمعنى (( اصنع المعروف لأنه معروف أو طلبا لمرضاة الله ، وإن أبيت إلا أن تتقاضى عليه مدحا وثناء فإنك واجد لسانا من الطيبين يشكرك ويذكرك حتى ولو كفر بنعمتك وفضلك من أنعمت عليه وتفضلت )) (١) ، وحب الله تعالى للمحسنين بمعنى إثابتهم وتنعيمهم (٢) و (( محبة الله للعبد أعم درجات الثواب )) (٣) .  
وقال (ع) معرفا بالزهد :

(( الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (٤) مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي وَ لَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي ، فَقَدْ أَحَدَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ )) (٥) ، ووقع اختلاف الإسناد في الآية الكريمة في قوله: ( ما فاتكم ) و ( ما آتاكم ) إذ أسند الفوت إلى الأشياء بينما أسند الإيتاء إلى الله تعالى (( لأن الفوات والعدم ذاتي للأشياء فلو خليت ونفسها لم تبق ، بخلاف حصولها وبقائهما فإنه لا بد من استنادهما إلى الله سبحانه )) (٦) .

ويبدو أن الإمام (ع) يفسر الزهد تفسيراً عملياً وهو الرضا بالميسور فلا حزن لمفقود ولا فرح بموجود (٧) ، وليس هو بعد المغالاة في التقشف والانزواء عن الحياة .

(١) آل عمران : ١٣٤

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٥٣/٢

(١) مغنية ، في ظلال نهج البلاغة : ٣٤١/٤ - ٣٤٢

(٢) ظ. الطوسي ، التبيان : ٥٩٤ / ٢

(٣) الرازي ، التفسير الكبير : ٨/٩

(٤) الحديد : ٢٣

(٥) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٥٦/٢

(٦) الطباطبائي ، الميزان : ١٦٨/١٩

(٧) ظ. مغنية ، في ظلال نهج البلاغة : ٤٧٠/٤

## ٢- الترغيب والترهيب

حفل كلام الإمام علي (ع) بكثير من معاني الترغيب فيما وعد الله تعالى المؤمنين من جنات وعيون ، وبكثير من معاني الترهيب من عواقب التمرد على قوانين الله سبحانه على أرضه ، والإمام (ع) في كل ذلك يقتفي سبيل القرآن العظيم في إتباع أسلوب الرغبة والرغبة فكان طبيعياً أن ينتهل من آياته ويستعين بها في تعزيز موضوعه في أذهان السامعين .  
فما جاء من الترغيب قوله (ع) :

(( ﴿ وَسَيَقُولُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ <sup>(١)</sup> ) فَذُؤْمِنَ الْعَذَابُ وَ انْقَطَعَ الْعِثَابُ ، وَ رُحِزُوا عَنِ النَّارِ وَ ظَلَمَاتٌ بِهِمُ الدَّارُ ، وَ رَضُوا المَثْوَى وَ القَرَارَ ، الدَّيْنِ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً ، وَ أَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً ، وَ كَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا تَخَشَعًا وَ اسْتِعْفَارًا ، وَ كَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا تَوْحُّشًا وَ انْقِطَاعًا ، فَجَعَلَ اللهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَابًا وَ الْجَزَاءَ تَوَابًا ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> فِي مَلِكٍ دَائِمٍ وَ نَعِيمٍ قَائِمٍ )) <sup>(٣)</sup> .

يرغب الإمام (ع) في السعي إلى الفوز بالجنة فيتمثل بالآية الكريمة التي تصور الخلائق في مرحلة من مراحل الحشر يوزف فيها المتقون إلى الجنة زمرا زمرا أي جماعات جماعات (( مرتبة حسب ترتب طبقاتهم في الفضل )) <sup>(٤)</sup> .  
ويراد بالسوق (( سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين والمراد بذلك السوق إسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على الملوك )) <sup>(٥)</sup> .

وإذا كان الشاهد القرآني واضحاً في كلام الإمام (ع) فإن اقتباساته لألفاظ القرآن في التشويق إلى الجنة قد ملأت كلامه مثل اقتباسه لقوله تعالى:  
﴿ فَمَنْ رُحِزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، ومثل ألفاظ ( المَثْوَى ، القَرَارَ ، المَابَ ، الجزاء ) .

ويلاحظ قوة ارتباط الآية الثانية التي استشهد بها بعلاقات تركيبية في عبارات الإمام (ع) بحيث تبدو وكأنها من نسيج كلامه ، وتلك سمة أسلوبية أشرنا إليها في طريقة الإمام (ع) باستشهاده بآيات القرآن الكريم .

(١) الزمر : ٧٣

(٢) الفتح : ٢٦

(٣) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٨٢/٢

(٤) الألوسي ، روح المعاني : ٣١ / ٢٤

(٥) الرازي ، التفسير الكبير : ٢٧ / ٢٢ . ظ. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٥/١٥

(٦) آل عمران : ١٨٥

والإمام (ع) نقل الآية بتوظيف آخر وبنى لها علاقة جديدة في مهارة لا يقدر عليها إلا من انصهر وذاب في كلمات القرآن ، قال تعالى:

﴿ فَانزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (١) .

وقال الإمام (ع) من خطبة في الاستسقاء :

(( وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْمَ تَعْفَارَ سَبَبًا لِذُرُورِ الرِّزْقِ وَ رَحْمَةَ الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَ يُجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (٢) فَ رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَ اسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ وَ بَادَرَ مَنِيئَتَهُ ، اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَ الْأَكْنَانِ وَ بَعَدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَ الْوِلْدَانِ رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ وَ رَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ وَ خَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَ نَهْمَتِكَ اللَّهُمَّ فَاسِدٌ قِنَا غَيْبِكَ وَ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ وَ لَا تُهْلِكْنَا بِالسَّنِينِ وَ لَا تُؤَاخِذْنَا ﴿ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ (٣) يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ )) (٤) .

والآية جاءت في القرآن تحكي دعاء نوح (ع) بوعد قومه بالنعم المتوافرة وانفتاح أبواب السماء بالرحمة إن استغفروا ربهم ، وفي الأمر بالاستغفار لتعليل بقوله: ( إنه كان غفارا ) ( دلالة على أنه تعالى كثير المغفرة وهي مضافا إلى كثرتها منه سنة مستمرة له تعالى ) (٥) .

ووجه الاستشهاد بالآية الكريمة كون الاستغفار فيها سببا للرزق واستدرار غيث السماء بصريح الآية لأن جواب الأمر ( استغفروا ) هو قوله : ( يرسل عليكم السماء مدرارا ) ويراد بالسماء السحاب على عادة الموروث الأدبي العربي ، والمدرار صيغة مبالغة تعني كثرة الدرور بالأقطار .

وقوله الأخير تركيب من آيتين ، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (٦) .

وقوله تعالى: ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ (٧) .

وكل ذلك يأتي في ظل تحشيد عناصر الترغيب من طلب الاستغفار واستدرار السماء وابتغاء التوبة .

(١) الفتح : ٢٦

(٢) نوح : ١٠ - ١٢

(٣) الأعراف : ١٥٥

(٤) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٢٥/١

(٥) الطباطبائي ، الميزان : ٣٠ / ٢٠

(٦) البقرة : ٢٨٦

(٧) الأعراف : ١٥٥

ورغب في الصبر فقال (ع) :

﴿إِنْ أَتَاكُمْ اللَّهُ بِرِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوهَا ، وَ إِنْ ابْتَلَيْتُمْ فَاصْبِرُوا ف﴾ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ (١) ))

(٢) ، فجاء اختتام كلام الإمام (ع) بآية رغبت بطلب الصبر ، بل هي في القرآن الكريم وردت متعلقة بالصبر قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) .

وفي الآية (( تنبيه على أن الصبر عاقبته النصر والظفر والفرح والسرور كما كان لنوح (ع) وقومه )) (٤) .

وحبب إلى أهله طلب العفو في قوله يوصيهم ليلة مقتله (ع) :  
(( ..وَ إِنْ أَقْنُ فَاغْفِرْ لِي قَرْبَةً وَ هُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ  
﴿ فَاعْفُوا ﴾ (٥) ، ﴿ الْآتِحِبُونَ أَنْ يُغْفَرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٦) وَ اللَّهُ مَا فَجَأَ نِي مِنَ الْمَوْتِ وَ ارْدُ كَرْهَتُهُ  
وَ لَا طَالِعُ أَتَكَرُّهُ وَ مَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ وَ طَالِبٍ وَجَدَ ﴿ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ  
لِلْأَبْرَارِ ﴾ (٧) )) (٨) . وفي الآية تحضيض على العفو .

وناسب تمثل الإمام (ع) بقوله : ( فاعفوا ) خطاب الجماعة لأهله لأن ما سبق الآية قوله تعالى : ﴿ وَيَعْفُوا وَيُصْفَحُوا الْآتِحِبُونَ أَنْ يُغْفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩) .

وكل ذلك يؤكد قوة تلاحم الجمل في الشاهد القرآني مع عبارات الإمام (ع) من خلال قدرته على تهيئة المناخ المتوافق مع عمق المعاني القرآنية فضلا عن توشي صياغة فنية تليق بإعجاز النص المقتبس .

لذلك نعيد القول بأن الآيات التي ليس فيها فاصل بينها وبين عبارات الإمام (ع) منسجمة كل الانسجام مع النص الذي استضافها وليس ثمة غرابة يمكن تلمسها فيما بينهما ، وهذا ما ينطبق على الاستشهاد الآخر في آخر كلام الإمام (ع) بالآية الكريمة .

إذن التمثيل بالقرآن على لسان أمير المؤمنين (ع) يأخذ أشكالا عدة ويؤكد حقيقة ذوبان الإمام (ع) في القرآن الكريم .

(١) هود : ٤٩

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٢٠/١

(٣) هود : ٤٩

(٤) الرازي ، التفسير الكبير : ٨/١٨

(٥) البقرة : ١٠٩ . ظ. السيد المرتضى ، رسائل المرتضى : ٢٤٥ /٢

(٦) النور : ٢٢

(٧) آل عمران : ١٩٨

(٨) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٥٩/٢

(٩) النور : ٢٢

أما الترهيب فقد جاء في كلام الإمام (ع) في موضوعات التهديد والاعتاظ بالموت ومراحل القيامة مستقيا من معاني القرآن ومتمثلا بشواهد إضفاء على الكلام مزيدا من التقديس والروحانية والتأثير . كقوله (ع) واعظا ومحذرا:  
 (( فَاتَّعِظُوا لِعِبَادَةِ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ ، وَارْتَجِرُوا بِالنُّزْرِ الْبَوَالِغِ ، وَانْتَفِعُوا بِالتَّنْكَرِ وَالْمَوَاعِظِ ، فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقْتُمْ مَخَالِبَ الْمَنِيَّةِ ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأُمْنِيَّةِ ، وَدَهَمْتُمْ مُمْطِعَاتِ الْأُمُورِ وَالسِّيَاقَةَ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْرُودِ وَكُلِّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ )) (سائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا) (٢).

فهو يحذر من الغفلة عن الموت من دون الاستعداد له بالأعمال الصالحة ليوم القيامة الذي تساق فيه النفوس سوقا ويشهد منها عليها ، والسياسة حث الماشية على المسير من الخلف بعكس القيادة فهي جلبها من الأمام (٣) ، وجيء بـ (أورد ) بلفظ الماضي ولم يقل : ( يقدم قومه فيوردهم ) لأن (( الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل : يقدمهم فيوردهم النار لا محالة )) (٤) .  
 والورد المورود أخذه من قوله تعالى في فرعون:

﴿ يَتَدَمُّ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَبُنْسَ الْوَرْدِ الْمَوْرُودِ ﴾ (٥) ، والوارد (( الذي يتقدم القوم فيسقي لهم ويقال لكل من يرد الماء وأرد )) (٦) ، والورد هو المورد والمورود الذي شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء ، وقوله: ( بنس الورد ) لأن (( الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده )) (٧) .

ويعرض الإمام (ع) في خطبة من خطب التوحيد مشهدا من مشاهد القيامة يردع به الذين يدعون التجسيم لله سبحانه فيقول :  
 ﴿لَقَدْ شَهِدْنَا أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَائِنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ وَتَلَاجِمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِنُدْبِيرِ حِكْمَتِكَ لَمْ يَعْقِدْ غَيْبِضْمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ وَ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ وَ كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ نَبْرُؤَ التَّابِعِينَ مِنْ لَبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ : ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ \* إِذْ

(١) ق : ٢١ . ظ.في تفسيرها: الزمخشري،الكشاف : ٧ / ٤ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢٨٣/١٥:

(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ١٦٧/١

(٣) ظ.ابن منظور ، لسان العرب : سوق ، قود . الطباطبائي،الميزان : ٣٤٩ / ١٨

(٤) الزمخشري ، الكشاف : ٢٩٢ / ٢

(٥) هود : ٩٨

(٦) الراغب ، المفردات : ٥١٩

(٧) الزمخشري ، الكشاف : ٢٩٢/٢ . الرازي ، التفسير الكبير : ٥٤/١٨

نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ كُنْتَبَ الْعَادِلُونَ بِرِّكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَ تَحَلُّوكَ حُلِيَّةَ  
الْمَخْلُوقِينَ بِرَأَوْهَامِهِمْ .. )) (٢) .

فالكافرون يوم الحساب يتبرأ بعضهم من بعض وهم في النار في حالة شنيعة  
من التخاصم (٣) ، ويوحى الشاهد القرآني الذي تمثل به الإمام (ع) بأن هؤلاء  
المجسمة كافرون لأن الآية تحكي قول الكافرين يوم القيامة في قوله تعالى:  
﴿ فَكَبُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ \* وَجُنُودٌ أُولَئِكَ أَجْمَعُونَ \* قَالُوا وَهَمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ \* تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) ، لأنهم في النار يخاصم بعضهم بعضا ، وما  
بين (تباين ) و ( تلاحم ) صنعة بديعية سليمة فرضها الذوق الفني الذي لا يفارق  
الإمام (ع) في تعبيراته .

وقال محذرا من عاقبة الاستكبار في الدنيا :  
( ( ... فَاعْلَمُوا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِرَأْيِكُمْ تَارِكُوهَا وَ طَاعَتُونَ عَنْهَا وَ اتَّعَطُوا فِيهَا بِالَّذِينَ  
﴿ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ (٥) حُمِلُوا إِلَى فُجُورِهِمْ فَلَا يُدْعُونَ رُكْبَانًا وَ أُتْرِلُوا الْأَجْدَاتُ فَلَا  
يُدْعُونَ ضَيْفَانًا .. )) (٦) .

يخوف الإمام (ع) من الطغيان في الدنيا فيختار شاهدا من القرآن منسجما لما هو  
فيه لأنه من آيات نزلت في قوم عاد الذين اغتروا بأجسامهم لما تهددهم العذاب إذ  
ظنوا أنهم سيدفعونه بقوتهم وكانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم  
أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده ، وكان ذلك سببا داعيا إلى  
الاستكبار (٧) .  
إذن وجه الشاهد فيها كونها (( تتضمن الإنذار بالعذاب الدنيوي )) (٨) .

ويخوف الإمام (ع) الناس من مغبة استدراجهم فيقول :  
﴿ عَتَبُوا بِرَمَا أَصَابَ الْأَمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَ صَوْلَاتِهِ وَ  
وَقَائِعِهِ وَ مَلَاتِهِ ، وَ اتَّعَطُوا بِمَتَاوِي حُدُودِهِمْ وَ مَصَارِعِ جُنُودِهِمْ ... فَلَا تَعْتَبِرُوا  
الرِّضَا وَ السُّحْطَ بِالْمَالِ وَ الْوَالِدِ ، جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ ، وَ الْإِخْتِبَارِ فِي مَوْضِعِ الْغِنَى

(١) الشعراء : ٩٧-٩٨

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٨٩/١

(٣) ظ . الطبري ، جامع البيان : ١١٠/١٩

(٤) الشعراء : ٩٤-٩٨

(٥) فصلت : ١٥

(٦) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٥٩/١

(٧) ظ . الزمخشري ، الكشاف : ٤٤٨/٣ . الطبرسي ، مجمع البيان : ١٢/٩ . الرازي ، التفسير الكبير

: ١٨/١١ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٣٨٤/١٥

(٨) الطباطبائي ، الميزان : ٣٧٥/١٧

وَ الْإِقْدَارَ ، وَ قَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نَسَارِعِ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١) إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ ، بَرَأَ وَلِيَّائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ )) (٢) .

وفي الآية تهديد باستدراجهم من خلال تمكينهم وفيها تسلية للرسول 9 ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره والمعنى : (( أن هذا الإمداد ليس إلا استدراج لهم إلى المعاصي واستمرار إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع وإكرام ومعالجة بالثواب قبل وقته )) (٣) .  
وفي لفظ ( نمدهم ) ما يوحي بذلك قال الراغب : (( وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه )) (٤) ، فمن استعماله في المحبوب قوله تعالى :

﴿ وَأَمْدَدْنَاَهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (٦) .

وفي المكروه قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾ (٧) .

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٨) .

وقال مخوفا من انقلاب الأمور الدينية إلى أضعافها :  
((يُهَا النَّاسُ سَيِّئاً عَظِيمُكُمْ زَمَانٌ يُكْفَىٰ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَىٰ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ آعَانَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ وَ لَمْ يُعِزِّكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ وَ قَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ (٩) )) (١٠) .

ومراد الآية أن الله تعالى لا يلجئ الناس إلى الصلاح إذا فسدوا ، بل يتركهم واختيارهم امتحانا لهم ، فمن أحسن أثيب ومن أساء عوقب . ويحتمل أن يكون المراد بالابتلاء في قوله تعالى : ( وإن كنا لمبتلين ) الابتلاء فيما بعد على وجه الاستقبال (١١) وهو ما يتناسب والمعنى الذي يريده الإمام (ع) .

(١) المؤمنون : ٥٥

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٩٦/٢

(٣) الزمخشري ، الكشاف : ٣٥/٣

(٤) الراغب ، المفردات : ٤٦٥

(٥) الطور : ٢٢

(٦) آل عمران : ١٢٥

(٧) مريم : ٧٩

(٨) البقرة : ١٥

(٩) المؤمنون : ٣٠

(١٠) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٣٠/١

(١١) ظ . الرازي ، التفسير الكبير : ٩٦/٢٣ .



### ٣- الوظيفة العبادية

وأعني بها ما جاء على لسان أمير المؤمنين (ع) من ذكر أو أمر أو تبيان أو إيحاء بالعبادات التي أمر الله تعالى بها عباده أن يؤديها كالحج والصلاة والجهاد وأداء الأمانة وطلب الاستغفار ، وكان فيها الإمام (ع) يستند في تأكيدها في كل ذلك إلى آيات الكتاب العزيز يعزز بها كلامه ويتوخى من ذكرها التأثير .  
فقد أوصى الإمام (ع) بالصلاة كثيرا كقوله :

(( تَعَاهِدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْبِرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَأَبَا مَوْقُوتًا )) (١) لَا تَسْمَعُونَ إِلَيَّ جَوَابَ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سَأَلُوا ﴿ مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿ (٢) وَ إِنَّهَا لَتَحْتُ التُّوبَ حَتَّى الْوَرَقَ وَ تَطْلِفُهَا إِطْلَاقَ الرَّبِيقِ وَ شَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بِالْحَمَّةِ تُكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ وَ قَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رَجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَسْعَاهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَ لَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَ لَا مَالٍ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ (٣) وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ( صلى الله عليه وآله وسلم ) نَهَبًا بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِرِجَّةِ الْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَمْرًا لَكَ بِالصَّلَاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَ يَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ) ((٥) .

وقوله: ( تعاهدوا ) يريد به القيام عليها لأجل المحافظة عليها وأصله من تجديد العهد . ويراد في الآية بـ ( كتابا ) فرضا واجبا كقوله تعالى:  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٦) .

والكتابة كناية عن الفرض ، ويقصد بـ ( موقوتا ) جعل الصلاة لها فرضا واجبا يؤدي في أوقاتها ونجومها (٧) .

وذكر الراغب أصل معنى الصلاة بقوله: (( والصلاة التي هي العبادة المخصوصة أصلها الدعاء وسميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه ... وقال بعضهم : أصل الصلاة من الصلاء ،.. صلى الرجل أي أزال عن

(١) النساء : ١٠٣

(٢) المدثر : ٧٤-٧٥

(٣) النور : ٣٧

(٤) طه : ١٣٢

(٥) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٦٦/١

(٦) البقرة : ١٨٣

(٧) ظ. الزمخشري ، الكشاف : ٥٦١/١ . الرازي ، التفسير الكبير : ٢٨/١١ . الطباطبائي ، الميزان :

نفسه بهذه العبادة الصلاة الذي هو النار الموقدة ... ويسمى موضع العبادة الصلاة ومنه تسمية الكنائس بالصلوات نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بَعْضًا لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (١) (( ٢) .

ولأهمية الصلاة في الفكر الإسلامي فقد أكد الإمام (ع) وجوب أدائها بأكثر من استشهاد قرآني فضلا عن ذكره للحديث النبوي تقوية للمعنى وإلزاما للحجة على السامعين . وفي القرآن الكريم أوامر كثيرة في الصلاة كقوله تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (٣) .

وقوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (٤) .

وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (٥) .

ومن الأثر النبوي قوله صلى الله عليه وآله : (( الصلاة عمود الدين )) (٦) .

وكثيرا ما يردف التعبير القرآني في ذكر الصلاة لفظ ( الإقامة ) لأن (( إقام الصلاة إذا قام بحقوقها ولا يقال لمن لم يوف بشرائطها أنه اقامها )) (٧) . لذلك فكل المواضع التي مدحها الله تعالى في القرآن جاءت بلفظ (إقامة الصلاة) ومشتقاتها نحو ( أقيموا ، أقم ، مقيمون ، إقامة ، أقاموا ) إحياء بأدائها الكامل . بينما إذا خوطب المنافقون وأهل النار تأتي بلفظ ( المصلين ) من دون الإقامة كقوله تعالى يحكي قول أهل النار في الآية التي استشهد بها الإمام (ع) :

﴿قَالُوا لِمَ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (٨) ، ومثله قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ

سَاهُونَ﴾ (٩) ، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى﴾ (١٠) .

وأكد الإمام (ع) أهمية الصلاة بشاهد آخر من الكتاب العزيز خص الله تعالى فيه ( الصلاة ) من بين الذكر مع أنها داخلة فيه فقال سبحانه :

(١) الحج : ٤٠

(٢) الراغب ، المفردات : ٢٨٥

(٣) البقرة : ٤٣

(٤) البقرة : ٢٣٨

(٥) المؤمنون : ١-٢

(٦) السيوطي ، الجامع الصغير : ١٢٠/٢ :

(٧) الرازي ، التفسير الكبير : ٤٦/١٢

(٨) المدثر : ٤٣

(٩) الماعون : ٤-٥

(١٠) التوبة : ٥٤

﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ

وَالْأَبْصَارُ﴾<sup>(١)</sup> ، و ( إقام ) أصله ( إقوام ) وهو مصدر معتل الفعل والتاء فيه ( إقامة

( عوض من العين الساقطة للإعلال ولما أضيفت أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت التاء<sup>(٢)</sup> ، والمراد من معنى الآية (( أنهم لا يشتغلون بشيء عن ذكرهم المستمر بقلوبهم لربهم وذكورهم المؤقت بأعمالهم من الصلاة والزكاة ))<sup>(٣)</sup> .

ويمضي الإمام (ع) بالأمر بأداء الصلاة وإقامتها فيأتي بشاهد رابع من القرآن العظيم فيه ارتباط بالرسول الكريم (ص) لذكر الإمام له قبل الاستشهاد بالآية الكريمة ، ذكر الطبرسي بشأن الآية الكريمة عن الإمام الباقر (ع) أنه: (( أمره الله تعالى أن يخص أهله دون الناس ، ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزلة ليست للناس ، فأمرهم مع الناس عامة ، ثم أمرهم خاصة ))<sup>(٤)</sup> .

أما استشهاد الإمام (ع) بالحديث النبوي فقد جاء مكملًا للصورة العبادية التي

يعرضها الإمام (ع) لأهمية الصلاة .

ولا جرم أن الصلاة أحب الأشياء إلى النبي (ص) وقد كان بها نصبا (( فلقد صلى حتى تورمت قدماه من الصلاة ))<sup>(٥)</sup> .

وقوله الأخير مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾<sup>(٦)</sup> ، أي

احبسها على الصبر .

والحج من الطقوس العبادية الأخرى التي نكرها الإمام (ع) وكان للشاهد

القرآني في كلامه حضور واضح كقوله (ع) :

(( وَفَرَضَ عَلَيْنَا حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنَامِ يَرُدُّونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ وَ يَأْتُونَ لِهَيْبَتِهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ وَ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلامَةً لِنَوَاضِعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ وَ إِنْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ ... جَعَلَهُ نُحْبَانَهُ وَ تَعَالَى لِلإِسْلَامِ عَلاماً وَ لِلْعَائِدِينَ حَرماً فَرَضَ حَقَّهُ وَ أَوْجَبَ حَجَّهُ

وَ كَتَبَ عَلَيْنَا وَ قَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ

فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٧)</sup> ))<sup>(٨)</sup> .

(١) النور : ٣٧

(٢) ظ . الراغب ، المفردات : ٢٨٥ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٦/١٤

(٣) الطباطبائي ، الميزان : ١٢٨/١٥

(٤) الطبرسي ، مجمع البيان : ٦٦ / ٧

(٥) الرازي ، التفسير الكبير : ١٣١/٣٢

(٦) الكهف : ٢٨

(٧) آل عمران : ٩٧

(٨) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٤/١

وأصل الحج هو القصد للزيارة<sup>(١)</sup> ، وقيل فيه إذا جاء اللفظ مكسورا فهو اسم للعمل وإذا جاء مفتوحا فهو مصدر<sup>(٢)</sup> .

وقوله: (يألهون) بمعنى يشتمون وجاهدهم وشوقهم إلى البيت الحرام وفيه إشارة إلى تعلق المؤمنين بحب الله ورسوله<sup>(٣)</sup> ، وشبهه ورود الوافدين على بيت الله الحرام ب ورود الأنعام لتزاحمهم وللانتفاع بالري بعد الضمأ .

وجاء استشهاد الإمام (ع) بالآية - إضافة إلى قدسيته وتأثيرها في السامعين - كونها مشتملة على تأكيدات كثيرة لفرض الحج فقوله تعالى: ( الله ) يشعر بان ذلك له تعالى مشفوعا بـ ( على ) الدالة على الاستعلاء ، وعبارة ( الله على الناس ) لفظة (( يعبر بها عن وجوب الواجبات وفرض المفترضات ))<sup>(٤)</sup> .

وفي النهي عن الشرك بالله تعالى قال الإمام علي (ع) :  
( ( أَلَا وَ إِنَّ الظُّمَّ ثَلَاثَةٌ : فَظُّمٌ لَا يُعْفَرُ ، وَ ظُّمٌ لَا يُتْرَكُ ، وَ ظُّمٌ مَعْفُورٌ لَا يُطْلَبُ ، فَأَمَّا الظُّمُّ الَّذِي لَا يُعْفَرُ فَالشَّرْكُ بِاللهِ ، قَالَ اللهُ : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن شَرَكَ بِهِ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وَأَمَّا الظُّمُّ الَّذِي يَعْْفَرُ فَظُّمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ ، وَأَمَّا الظُّمُّ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُّمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ))<sup>(٦)</sup> . ووقوع الظلم على الشرك معنى استدل عليه من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>(٧)</sup> .

وقال (ع) من وصية لأحد عماله في وجوب العمل بطاعة الله ورسوله والرجوع إلى أمرهما في حال الاختلاف:  
( ( وَ ارْجِعْ إِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ وَ يَسْتَبْرِئُكَ مِنَ الْأُمُورِ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْسَادَهُمْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾<sup>(٨)</sup> فَالرُّدُّ إِلَى اللهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ وَ الرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِرِسْوَتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمَفْرَقَةِ ))<sup>(٩)</sup> .

وفي كلام الإمام (ع) دعوة إلى التدبر في معارف الدين وإعمال الذهن في حقائقه من خلال تقليب ما يعن من شبهات على الكتاب العزيز فإن استغلق الحل

(١) ظ . الراغب ، المفردات : ١٠٧

(٢) ظ . الرازي ، التفسير الكبير : ١٦٢/٨

(٣) ظ . مغنية ، في ظلال نهج البلاغة : ٧٠/١

(٤) الشريف الرضي ، حقائق التأويل : ١٩٦ . ظ. أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط : ١٢/٣

(٥) النساء : ٤٨ ، ١١٦

(٦) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٢١/١

(٧) لقمان : ١٣

(٨) النساء : ٥٩ . ظ. في تفسيرها: الطباطبائي ، الميزان : ١٣١/٤

(٩) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٥٠/٢

فيعرض على الرسول الكريم (ص) أو من ينوب منابه وأكد الإمام (ع) وصيته محتجا بالآية الكريمة .  
وكلامه في آخر وصيته تفسير معنى الرد إلى الله تعالى ورسوله .

وفي أداء الأمانة قال (ع) :  
((تَمَّ أَدَاءَ الْأُمَّةِ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا إِيَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ وَالْأَرْضِينَ الْمَذْحُورَةَ وَالْجِبَالَ دَاتِ الطُّولِ الْمُتَّصِبَةَ فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَمْتَعَتْ شَيْئًا طُولًا أَوْ عَرْضًا أَوْ قُوَّةً أَوْ عِزًّا لَا مُمْتَعَنَ وَلَا كِنَ أَشَقَقَ مِنَ الْعُدُوبَةِ وَ عَقَلَ مَا جَهَلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَ هُوَ الْإِنْسَانُ ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١) )) (٢) .

ويبدو أن الإمام (ع) يعني بأداء الأمانة المعنى الأعم الذي لأجله خلقه الله تعالى لأن الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض وأبين حملها وحملها الإنسان (( هي الكمال الحاصل له من جهة التلبس بالاعتقاد والعمل الصالح وسلوك سبيل الكمال بالارتقاء من حضيض المادة إلى أوج الإخلاص الذي هو أن يخلصه الله لنفسه فلا يشاركه فيه غيره فيتولى هو سبحانه تدبير أمره وهو الولاية الإلهية )) (٣)

وفي معنى آخر قال (ع) من رسالة إلى عامله على مكة :  
((مُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلَّا يَأْخُذُوا مِمَّا كُنْ أَجْرًا ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ (٤) فَأَلْعَفُكَ الْمُقِيمُ بِهِ ، وَ الْبَادِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَفَقَّا اللَّهَ وَ إِيَّاكُمْ لِمَحَابَّتِهِ وَ السَّلَامِ . )) (٥) .

وفي كلام الإمام (ع) نهى لأهل مكة عن أخذ الأجرة ممن يسكن بيوتهم محتجا لذلك بالآية (١) ، والآية تعني أن (( المقيم فيه والخارج منه متساويان في أن لهما حق العبادة فيه لله )) (٧) .

(١) الأحزاب : ٧٢

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٦٦/١

(٣) الطباطبائي ، الميزان : ٣٤٨/١٦

(٤) الحج : ٢٥

(٥) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٨٩/٢

(٦) ظ. ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة : ٢١٧/٥ . ظ. ابن الجوزي ، زاد المسير : ٢٨٨/٥

(٧) الطباطبائي ، الميزان : ٣٦٧/١٤

## ٤- الاحتجاج

وكثر في كلام الإمام (ع) في الاحتجاج الشاهد القرآني وله حضور يدل على سرعة بديهة الإمام (ع) في استجلابه وعمق وعيه في القرآن ، إذ بان كثير من الشواهد التي استعرضت أن الإمام (ع) محيط بكامل مناخ الآية التي يستشهد بها ، يعرف صلتها بما قبلها وبما بعدها وذلك الأمر هو الذي أتاح له إمكانية عقد النسيج المناسب للشواهد القرآنية في كلامه ، ومن هنا سنجد للشاهد القرآني المستعمل في كلام الإمام (ع) قوة في إسكات الخصم وقدرة على بيان الشبهة بما لا يدع مجالاً للمريب .

ورد في نهج البلاغة أنه قال له بعض اليهود :  
( ( مَا دَعَفْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ ! ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ : إِنْ مَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ وَ لَكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (١) )) (٢) .

فقد كنى الإمام (ع) بقوله: ( ما جفت أرجلكم ) عن إنقاذ الله تعالى لهم من الغرق بمعجزة فلق البحر ومع هذا فهم سرعان ما رجعوا سيرتهم الأولى فبمجرد أن مروا بعد إنقاذ الله تعالى لهم على قوم اتخذوا من تماثيل البقر أصناماً لهم عكفوا على عبادتها سألوا موسى (ع) أن يجعل لهم إليها مثلهم ولهذا حقق ما في نفوسهم السامري حين أخرج لهم عجلاً (٣) .

لذلك اختار الإمام (ع) شاهداً يبين جهلهم وضلالهم ، فقوله تعالى: ( إنكم تجهلون ) ( تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكدته لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع )) (٤) .  
ووصفهم بالجهل لأن العبادة غاية التعظيم وهي لا تليق إلا بمن يصدر عنه غاية الإنعام (٥) .

وقال الإمام علي (ع) للخوارج لما أنكروا التحكيم :  
( ( إِنَّا لَمَ نُحَكِّمِ الرَّجَالَ وَ إِنَّمَا حَكَمْنَا الْقُرْآنَ ، هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّقَائِنِ لَا يَنْطَوِي لِسَانَ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ ، وَ إِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرَّجَالُ ، وَ لَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلَّى عَنْ كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ

(١) الأعراف : ١٣٨

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٨١/٢

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٧٣/٧

(٤) الزمخشري ، الكشاف : ١١٠/٢ . ظ. الطبرسي ، مجمع البيان : ٣٧٤/٤

(٥) الرازي ، التفسير الكبير : ٢٢٣/١٤

تَعَالَى وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (١) فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نَحْكَمَ بِكِتَابِهِ وَ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتَيْهِ إِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَحُنُّ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ وَ إِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَحُنُّ أَحَقُّ النَّاسِ وَ أَوْلَاهُمْ بِهَا وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُمْ أَدْجَالًا فِي التَّحْكِيمِ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ تِلْكَ لِتَبَيِّنَ الْجَاهِلَ وَ يَتَبَيَّنَ الْعَالِمُ وَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ((٢)).

فقد فند الإمام (ع) دعوى الخوارج التي أرادوا بها الباطل حين رفعوا شعار (( لا حكم الا لله ، الحكم لله يا علي لا لك )) (٣) بأدلة علمية وشرعية مستندا فيها إلى الكتاب العزيز ومبينا تفسير الرجوع فيما يختلف فيه المسلمون إلى القرآن والسنة النبوية الشريفة. وبين أحقيته بالقرآن وبالسنة لقربه منهما في الشكل والمضمون ، وسد كل أبواب الذرائع أمام الخوارج .

ودل الإمام (ع) بكلامه بأنه أولى بالكتاب والسنة من جميع الناس على أنه أولى بالخلافة من جميع الناس ولكنه رفع نفسه أن يصرح بذكر الخلافة (( فدل على ما كنى عنه بالأمر المستلزم له )) (٤).

وقال (ع) من كتاب جوابا إلى معاوية :

((أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَنَكَّرَ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وآله) لِيَدِينَهُ وَ تَأْ يَرِيدُهُ إِيَّاهُ لِمِنَّةُ أَمِينٍ أَصْحَابِهِ فَلَقَدْ حَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا إِذْ طَفِقْتَ تُحِبُّ رُبَّنَا بِرَبْلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنَّا وَ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي بَدِينِنَا فَكُنْتَ فِي تِلْكَ كِنَاقِلِ الثَّمْرِ إِلَى هَجْرًا وَ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى التُّضَالِ ... فَدَعَّ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ فَإِنَّمَا صَنَاعُ رَبَّنَا وَ النَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا لِمَنَعْنَا قَدِيمَ عِرْنَا وَ لَا عَادِي طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَكُنَّا وَ أَتَكُنَّا فَعَلَ الْأَكْفَاءُ وَ لَسْتُمْ هُنَاكَ وَ أَسَى يَكُونُ تِلْكَ وَ مِمَّا التَّبْرِيُّ وَ مِنْكُمْ الْمَكْتَبُ وَ مِمَّا أَسَدُ اللَّهِ وَ مِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ وَ مِمَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ مِنْكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ وَ مِمَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَ مِنْكُمْ حَمَلَةُ الْحَطْبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَ عَلَيْنَا قَدْ سَلَمْنَا قَدْ سَمِعَ وَ جَاهِلِيَّتِنَا لَا تُدْفَعُ وَ كِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَا وَ هُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى: ﴿وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (٥) وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ

أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦) ، فَحُنُّ مَرَّةً أَوْلَى بِرَأْفَةٍ وَ تَارَةً أَوْلَى بِرِطَابَةٍ وَ لَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ

(١) النساء : ٥٩

(٢) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٩١/١

(٣) ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين : ٥١٣ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٣٨/٢

(٤) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ١٠٥/٨

(٥) الأنفال : ٧٥

(٦) آل عمران : ٦٨

بِرَسُولِ اللَّهِ ( صلى الله عليه وآله ) فَلَجُوا عَلَيْهِمْ فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ وَ إِنْ يَكُنْ بِرِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَي دَعْوَاهُمْ .. )) (١)

وفي رد الإمام (ع) مجموعة من الأدلة الدامغة التي تبين أحقيته في ميراث النبوة فضلا عن تذكيره بتاريخ مزدهر من التضحيات من أجل الإسلام عمر به بيت بني عبد المطلب وخاصة بيت شيخ الأباطح أبي طالب رضوان الله عليه . ولا يكتفي بذلك بل راح الإمام (ع) يقلب وجوه الآية الكريمة لتبيان الأولوية والتقدمة على غيره .

فذوو الأرحام والقرباة بعضهم أحق بميراث بعضهم من غيرهم ، والآية التي استشهد بها الإمام (ع) (( تنسخ ولاية الإرث بالمؤاخاة التي أجازها النبي بين المسلمين في أول الهجرة وتثبت الإرث بالقرباة سواء كان هناك ذو سهم أو لم يكن أو كان عسبة أو لم يكن فالآية مطلقة كما هو ظاهر )) (٢) .  
ووجه التمثيل بالآية الأولى إثبات حقه من طريق القرباة والرحم ، أما في الآية الثانية فمن طريق درجة طاعته وتفانيه في الله ورسوله والإمام (ع) في ذات الوقت الذي يثبت فيه طاعته وقربه من النبي صلى الله عليه وآله يعرض تعريضا شديدا بخصمه معاوية إذ أخرجه من رتبة الطاعة باستشهاده الأخير بالآية الكريمة .

ويمضي الإمام (ع) في تبيان رده في هذا الكتاب فيقول :  
(( وَ مَا كُنْتُ لِأَهْتَدِرَ أَيُّ كُنْتُ أَتَقِمُّ عَلَيْهِ أَحَدَانًا فَإِنْ كَانَ التَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَ هِدَايَتِي لَهُ قُرْبٌ مَلُومٌ لَا تَنْبَ لَهُ ... وَ مَا أَرَدْتُ ﴿إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ٣) لَوْ تَكَرَّرَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَ لِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ فَلَا قُدْرَةَ أَضْحَكَتْ بَعْدَ اسْتِعْبَارِ مَتَى أَقْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ وَ بِالسُّيُوفِ مُخَوِّفِينَ )) (٤)

والآية التي استشهد بها الإمام (ع) جاءت تحكي قول شعيب (ع) إلى قومه ، والمعنى ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي ولشهرة شعيب بالصلاح بين قومه فكانه (( قال لهم إنكم تعرفون من حالي إنني لا أسعى إلا في الإصلاح وإزالة الفساد والخصومة ... وليس غرضي منه إيقاع الخصومة وإثارة الفتنة )) (٥) وشعيب (ع) أثبت استطاعة وقدرة في ضوء قوله ( ما استطعت ) (٦) .

ويؤكد شعيب (ع) بأسلوب الحصر تمام توكله على الله تعالى وعلى معرفته بالمعاد وأن لا مرجع للخلق إلا إلى الله سبحانه في دلالة على معرفته بالله تعالى وقد

(١) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٧٤/٢

(٢) الطباطبائي ، الميزان : ١٤٢/٩

(٣) هود : ٨٨

(٤) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ١٧٦/٢

(٥) الرازي ، التفسير الكبير : ٤٤ / ١٨

(٦) ظ . الطباطبائي ، الميزان : ٣٦٩ / ١٠

ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله أنه كان إذا ذكر شعيبا (ع) قال : (( ذلك خطيب الأنبياء ))<sup>(١)</sup> إشارة (( لحسن مراجعته في كلامه بين قومه ))<sup>(٢)</sup> .

ويبدو واضحا وجه تخير الإمام (ع) للآية الكريمة في الاستشهاد والحجاج بها ، فموقف الإمام (ع) كموقف شعيب (ع) الذي استوفى ربه في إمضاء الأمر على سننه وطلب منه التأييد والإظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لأطماعهم فيه<sup>(٣)</sup> . ونؤكد معرفة الإمام (ع) العميقة بمحيط الآية التي يتخذ منها شاهدا في كلامه إذ كان قوله: ( وما أردت إلا الإصلاح .. ) جعله موافقا لما جاء في أصل الآية المباركة : ﴿ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْأَصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾<sup>(٤)</sup> ، تلك المعرفة التي جعلت من شواهد منسجمة كل الانسجام مع صياغاته فضلا عما تضيفه من قوة في الحجة وقدسية في المضمون .

وخطب الإمام علي (ع) خطبة أخبر بها عن الملاحم بالبصرة فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب ! فضحك (ع) وقال للرجل - وكان كلبيا- :

(( يَا أَحَا كَلْبِ ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وَ إِمَّا هُوَ تَعَلَّمَ مِنْ ذِي عِلْمٍ ، وَ إِمَّا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَ مَا عَدَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِن اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي

الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾<sup>(٥)</sup> فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مَكْنِيٌّ أَوْ أُتْنَى ، وَ قَبْرِيحٌ أَوْ جَمِيلٌ ، وَ سَخِيٌّ أَوْ بَخِيلٌ ، وَ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، وَ مَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطْبًا ، أَوْ فِي الْجَنِّ لِلتَّبَيُّنِ مُرَافِقًا ، فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يُعْلَمُ حَدًّا إِلَّا اللَّهُ ، وَ مَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّامِنِيهِ ، وَ دَعَا لِي بِأَنْ يَعْبِيَهُ صَدْرِي ، وَ تَضَنَّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي ))<sup>(٦)</sup> .

والشاهد في التمثيل بالآية الكريمة هو إزالة اللبس بين علم الغيب المختص بالله تعالى وبين ما يعلم به الأنبياء والأوصياء من قبل الله تعالى . فالآية عدت ثلاثة أمور غيبية تعلق بها علم الله تعالى وهي العلم بالساعة فقد استأثر الله علمه لنفسه فلا يعلمه إلا هو وتنزيل الغيث وعلم ما في الأرحام ويختصان به تعالى إلا أن يعلم غيره .

وعد أمرين آخرين يجهل بهما الإنسان هما: عدم معرفته بما يجري عليه من الحوادث ، وجهله بمكان وفاته<sup>(٧)</sup> .

(١) الرازي ، التفسير الكبير : ٤٧/١٨

(٢) المصدر نفسه والصحيفة . وينظر الزمخشري ، الكشاف : ٢٨٨/٢

(٣) ظ. الزمخشري ، الكشاف : ٢٥/١؟

(٤) هود : ٨٨

(٥) لقمان : ٣٤

(٦) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٩٩/١

(٧) ظ. الطباطبائي ، الميزان : ٢٣٨/١٦

وقوله الأخير أشار به إلى ضبط قلبه لما علم من إخبار بالمغيبات واشتمال جوانحه عليه ، ذكر الرازي أثرا عن النبي (ص) أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَأَعْيَةٌ﴾<sup>(١)</sup> قال صلى الله عليه وآله : (( سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي ، قال علي : فما نسيت شيئا بعد ذلك ، وما كان لي أن أنسى ))<sup>(٢)</sup>.

و من كلام له (ع) في ذم اختلاف العلماء في الفتنيا:  
 ((تَرُدُّ عَلَيَّ أَحَدَهُمُ الْقَضِيَّةَ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ ، فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ، ثُمَّ تَرُدُّ ذَلِكَ الْقَضِيَّةَ بِعَيْنِهَا عَلَيَّ غَيْرَهُ ، فَيَحْكُمُ فِيهَا خِلَافَهُ ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَفْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً وَإِلَهُمْ وَاحِداً ، وَتَبِيهُهُمْ وَاحِداً وَ كِتَابَهُمْ وَاحِداً ، أَمْ مَرَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْاِخْتِلَافِ فَأَطَّوهُ ، أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِيناً نَاقِصاً ، فَاسْتَبْتَعْنِي عَلَيَّ إِتْمَامِهِ ، أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَ عَلَيَّ أَنْ يَرْضَى ، أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَاماً ، فَفَصَّرَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وآله) عَنْ تَبْلِيغِهِ وَ أَدَائِهِ ، وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وَ قَالَ وَ فِيهِ تَبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَ تَكَرَّرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدَّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً ، وَأَنَّهُ لَا اِخْتِلَافَ فِيهِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اِخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾<sup>(٤)</sup> ، وَ إِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، لَا تَقْفَى عَجَائِبُهُ وَ لَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتِ إِلَّا بِهِ ))<sup>(٥)</sup>.

لخص الإمام (ع) خمسة أوجه من الاحتجاج ، جعل الرابع منها استدلالاً بالشاهد القرآني في قوله تعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقوله سبحانه : ﴿ تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾<sup>(٧)</sup> على اشتمال القرآن على جميع الأحكام وكل ما ليس في الكتاب وجب ألا يكون في الشرع .

واستدل بالوجه الخامس من الاحتجاج في قوله تعالى:  
 ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اِخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾<sup>(٨)</sup> ، (( فجعل الاختلاف دليلاً على أنه ليس من عند الله ))<sup>(٩)</sup> .

(١) الحاقة : ١٢  
 (٢) الرازي ، التفسير الكبير : ١٠٧ / ٣٠  
 (٣) الأنعام : ٣٨  
 (٤) النساء : ٨٢  
 (٥) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٥٨ / ١  
 (٦) الأنعام : ٣٨  
 (٧) النحل : ٨٩  
 (٨) النساء : ٨٢  
 (٩) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٢٩٠ / ١

## ٥- الوظيفة العقلية

لا ريب في أن القرآن الكريم أعلى من شأن العقل لأن به يتوصل إلى معرفة الخالق وعبادته سبحانه من خلال الدعوات المتكررة في الكتاب العزيز إلى التفكير في أحوال الخلائق للوصول من طريقه إلى الدليل العلمي إلى وجود الله تعالى ليحصل انطباق العمل مع المضمون بسبب حضور القناعة في النفس .

ومن هنا فلا انفصال بين كل التوظيفات التي ذكرت للشاهد القرآني في كلام الإمام (ع) وبين الوظيفة العقلية لأن من نافلة القول أن تلك الشواهد ابتليت على أساس الفهم العقلي الواضح ولكن لأن مضامينها تتحو مناحي مباشرة لما جاءت من أجله فقد سوغ جعلها في وظائف عبادية أو احتجاجية أو في إصلاح الذات وغيرها.

وفي كلام الإمام علي (ع) الكثير من الشواهد القرآنية التي استدلت فيها من طريق العقل على وجود الخالق مثل خطبه في خلق الإنسان والحيوان والطبيعة ، لذا يمكن أن تكون الموضوعات التي مرت أمثلة تطبيقية أخرى تبين طبيعة توظيف الإمام (ع) للشاهد القرآني في المجال العقلي .

ومن مثال آخر على استدلاله المنطقي قوله ناصحا :

((اللَّهُ تَعَالَى مَعْتَدِرَ الْعِبَادِ ، وَ أَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ ، وَ فِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُعْلَقَ رَهَائِبُهَا ، أَسْهَرُوا عُيُونَكُمْ وَ أَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ ، سَوِّعُوا أَقْدَامَكُمْ وَ اتَّقُوا أَمْوَالَكُمْ ، وَ خُنُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَ لَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (١) ، وَ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (٢) ، فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ثَلٍّ ، وَ لَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ ، اسْتَنْصِرْكُمْ وَ لَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) ، وَ اسْتَقْرِضْكُمْ وَ لَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ، وَ ﴿هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٤) رَادًا أَنْ يَبْلُغَكُمْ ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٥) ، فَبَادِرُوا يَا عَمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ ، رَاقِقَ بِهِمْ رُسُلَاهُ وَ

(١) محمد : ٧

(٢) الحديد : ١١

(٣) إبراهيم : ٤

(٤) لقمان : ٢٦

(٥) هود : ٧

أَزَارَهُمْ مَلَائِكَتُهُ ، وَ أَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسْبِيبًا تَأَبَدًا ، وَ صَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لِعُوبًا وَ نَصَبًا ، ﴿ ذَلِكِ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١) أَ قَوْلُ مَا تَسْمَعُونَ ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ﴾ (٢) عَلَي تَقْسِي وَ أَنْفُسِكُمْ ، وَ هُوَ هَبْرِي ﴿ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٣) ((٤).

والقرض كناية عن قهر النفس على طاعة الله في العمل والإنفاق في سبيله (٥) ، ووصف القرض بالحسن لأجل الترغيب في العمل للأخرة وتعظيم استحقاتها (٦) .

والقرض الحسن هو (( الإنفاق في سبيله ، شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه إياه )) (٧) .

وفائدة إجراء الكلام على طريقة الاستفهام لأن الترغيب في الدعاء إلى الفعل يكون أقرب من ظاهر الأمر في الإقبال عليه (٨) .

وأكد الإمام (ع) قواعد منطقية تمكن الإنسان من تجاوز اختبار الدنيا والوصول إلى الفوز بالنجاة من خلال الاستدلال العقلي في الآيتين الكريمتين فوضع نصرة الله تعالى بالإخلاص في الدعوة إليه والاستجابة إلى أوامر الجهاد في سبيله شرطاً لنصرة الله تعالى بالمقابل لهم وتثبيت أقدامهم يوم زل الأقدام وهي كناية عن الدخول في النار .

وقرر قاعدة قرآنية أخرى يعيشها الناس في يومياتهم ، القرض مقابل الاسترداد على أساس مضاعفة غير متناهية ، لأن الكثير من الله تعالى لا يحصى وليس له منتهى (٩) ، فمن يخسر مثل هذه الصفقة ولا يبادر في العمل بطاعة الله والإنفاق في سبيله ؟ .

وفي كلام الإمام (ع) ارتباط ظاهر بين فرض القتال والترغيب في القرض الحسن لما يستلزم القتال من تهيئة عدته من إنفاق وسلاح ومن هنا وقع استشهاد (ع) بالآية .

(١) الحديد : ٢١

(٢) يوسف : ١٨

(٣) آل عمران : ١٧٣

(٤) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٠/١

(٥) ظ . الرازي ، التفسير الكبير : ١٧٩/٦

(٦) ظ . الشريف الرضي ، حقائق التأويل : ٢٦٤

(٧) الزمخشري ، الكشاف : ٦٣/٤

(٨) ظ . الرازي ، التفسير الكبير : ١٧٩/٦

(٩) ظ . الطبرسي ، مجمع البيان : ١٣٧/٢

ثم نبه الإمام (ع) إلى حقيقة أخرى ، هي استغناء الله تعالى عن النصره والقرض ، وتأكيد على أنها فرصة من الله تعالى إلى عباده للفوز في الاختبارات ، فتعليقه على الآيات تفسير وتوضيح لطبيعة الاستنصار والاستقراض.

وذكر الإمام (ع) الغاية من الاختبار والابتلاء في طبيعة تأتي النفوس إلى الإتيان بالفضائل ثم يكون الاستحقاق الإلهي بقدر العمل على أساس قاعدة عقلية إثابة الإحسان بالإحسان والإساءة بالإساءة .

والإمام (ع) إنما ذكر الجانب المحسن لأنه المناسب في مقام تشجيعه على الجهاد والإنفاق مع الاستبطن في كلامه على التخويف في قوله: ﴿أَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسْبِيَسَ نَارَ أَوْ بَدَأَ ، وَ صَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْفَى لُغُوبًا وَ نَصَبًا ۝﴾ (١) . ولا شك أن في كل ذلك تحريكا للأذهان وإعمالا للعقل لفهم الكيفية في التعامل مع فرص الحياة الدنيا للفوز برضا الخالق.

ويلحظ تناسب إيراد ( العزيز الحكيم ) مع الاستنصار ، و ( الغني الحميد ) مع الاستقراض متابعا في ذلك فهم هذه العبارات القرآنية في محيط معناها القرآني نحو قوله تعالى:

﴿ وَمَا تَنْصُرُوا إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝﴾ (٢) .

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝﴾ (٣) ، ومعنى جنود السموات أخذه من قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝﴾ (٤) ، والخزائن من قوله تعالى: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُو الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝﴾ (٥) ، وقوله الأخير مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝﴾ (٦) .

وهذه الحقيقة العقلية أعني المجازاة على قدر الاستحقاقات كررها الإمام (ع) في كلامه كثيرا فهي رغم أنها حقيقة منطقية ثابتة ولكن الإنسان قد يتعافل عنها أو يتناساها .

(١) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٤٤٠/١

(٢) آل عمران : ١٢٦

(٣) فاطر : ١٥

(٤) الفتح : ٧

(٥) الحج : ٦٤

(٦) آل عمران : ١٧٣

مثل قوله (ع) :

(( بَعَثَ اللَّهُ رُسُلًا مِمَّا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ ، وَ جَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ لِئَلَّا تَحِبَّ الْحُجَّةَ لَهُمْ لِإِنِّ عَفْدَارَ إِلَيْهِمْ ، فَدَعَاهُمْ بِرِلسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَسَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةَ ، لَا أَتَى جَهْلًا مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونٍ أَسْرَارِهِمْ ، وَ مَكُونٍ ضَمَائِرِهِمْ ، وَ لَكِنْ لِيَبْلُؤَهُمْ ﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (١) ، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً وَ الْعِقَابُ بَوَاءً )) (٢) .

وفي استدلال عقلي آخر قول أمير المؤمنين (ع) حكاه عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام أنه قال:  
( ( كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَ قَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَنُوتِكُمْ الْآخَرَ فَنَمَسَكُوا بِهِ ، أَمَّا الْأَمَانُ لِذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ٩ ، وَ أَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالِاسْتِعْفَارُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣) )) (٤) .  
وقد علق الشريف الرضي على براعة الإمام (ع) في استدلاله فقال : (( وهذا من محاسن الاستخراج و لطائف الاستنباط )) (٥) .

وذكر الطبرسي في بيان الآية الكريمة سبب إمهال الله تعالى لأهل مكة فقال معناه: (( وما كان الله يعذب أهل مكة بعذاب الاستئصال وأنت مقيم بين أظهرهم لفضلك وحرمتك يا محمد ، فإن الله بعثك رحمة للعالمين ، فلا يعذبهم إلا بعد أن يفعلوا ما يستحقون به سلب النعمة بإخراجك عنهم )) (٦) .

أما الأمان الثاني فقد قيل في معناه : (( وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين )) (٧) .

وقد وفر الشاهد القرآني للإمام (ع) إمكانية الاستدلال العقلي على كثير من المفاهيم الإسلامية الجديدة من طريق تفسير القرآن بالقرآن مثل تفرقه بين الأمان من العذاب والياس من رحمة الله تعالى .

(١) الكهف : ٧

(٢) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٢٨/١

(٣) الأنفال : ٣٣

(٤) الإمام علي(ع) ، نهج البلاغة : ٣٢٥/٢

(٥) المصدر نفسه والصفحة .

(٦) الطبرسي ، مجمع البيان : ٤٦٠/٤ . ظ. الطباطبائي ، الميزان : ٦٨/٩

(٧) الزمخشري ، الكشاف : ١٥٦/٢ . ظ. الفيض الكاشاني ، تفسير الصافي : ٣٠٠/٢

نحو قوله (ع) :

(( لا تأمنن على خير هذه الأمة عذاب الله ، لقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْخَاسِرُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ولا تيأسن لشر هذه الأمة من روح الله ، لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> .

وقال (ع) من خطبة في أهل القبور:

(( اسْتَبْدَلُوا وَاطَّهَّرُوا الْأَرْضَ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالتُّورِ ظُلْمَةً فَجَاءُوهَا كَمَا قَارِقُوهَا ، حُفَاةَ عُرَاةٍ قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِرَأْ عَمَالِهِمْ، إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> .

فوجه التمثل بالشاهد القرآني بيان قدرة الله تعالى على إعادة الخلق في المعاد لأن مجيئهم إلى الدنيا أشبه مفارقتهم لها فلا غرابة في إعادته من جديد بمعنى آخر إن إرجاعهم بنفس سهولة بدئهم <sup>(٦)</sup> ، والمعنى (( نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيها للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء )) <sup>(٧)</sup> .

وأول الخلق يعني به أول إيجاده عن العدم . وجاء تنكير ( خلق ) لإرادة التفصيل وهو يقوم مقام الجمع <sup>(٨)</sup> .

(١) الأعراف : ٩٩

(٢) يوسف : ٨٧

(٣) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٣٩٣/٢

(٤) الأنبياء : ١٠٤

(٥) الإمام علي (ع) ، نهج البلاغة : ٢٥٩/١

(٦) ظ. الطوسي ، التبيان : ٣٨٤/٤ . الطباطبائي ، الميزان : ٣٢٩/١٤

(٧) الزمخشري ، الكشاف : ٥٨٥/٢

(٨) ظ. المصدر نفسه والصفحة . الألوسي ، روح المعاني : ١٠٢/١٧

## ثالثا : فهرس الشواهد القرآنية

وإتماما للفائدة فيما يأتي فهرس تفصيلي بالآيات القرآنية التي استشهد بها الإمام علي (ع) في كلامه في خطبه ورسائله وحكمه مرتبة بحسب أسبقيتها في نهج البلاغة :

### أولا : الخطب : قال تعالى :

١. ﴿ اسْجُدُوا لِلَّهِ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ (البقرة: من الآية ٣٤)
٢. ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ \* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (الحجر: ٣٧-٣٨)
٣. ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٧)
٤. ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: ٨٣)
٥. ﴿ مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: من الآية ٣٨)
٦. ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: من الآية ٨٢)
٧. ﴿ كَانَمَا يَسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (الأنفال: من الآية ٦)
٨. ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد: من الآية ٣٥)
٩. ﴿ وَتَعَلَّمْنَ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (ص: ٨٨)
١٠. ﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (ق: من الآية ٢١)
١١. ﴿ تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* إِذْ نَسَوْنَكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء: ٩٧-٩٨)
١٢. ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ \* لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٦-٢٧)
١٣. ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران: من الآية ٢٦)، التحريم ٨
١٤. ﴿ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود: من الآية ٤٩)
١٥. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٣٠)
١٦. ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ (الكهف: من الآية ٤٥)

١٧. ﴿ قَالُوا مِنْ أَسَدٍ مَنَا قُوَّةً ﴾ (فصلت: من الآية ١٥)
١٨. ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (الانبياء: من الآية ١٠٤)
١٩. ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٠٢)
٢٠. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (النساء: من الآية ٥٩)
٢١. ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ (لقمان: من الآية ٣٤)
٢٢. ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة: من الآية ١٥٦)
٢٣. ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ ﴾ (الروم: من الآية ٤١)
٢٤. ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ (نوح: ١٠-١١)
٢٥. ﴿ وَلَا يَنْبِئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (فاطر: من الآية ١٤)
٢٦. ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْنُونَ ﴾ (العنكبوت: ١-٢)
٢٧. ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر: من الآية ٨)
٢٨. ﴿ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ (المرسلات من الآية: ٢١-٢٢)
٢٩. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت: ٣٠)
٣٠. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٨٢)
٣١. ﴿ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (الطلاق: من الآية ٢)
٣٢. ﴿ إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد: من الآية ٧)
٣٣. ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد: ١١)
٣٤. ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (هود: من الآية ٧)

٣٥. ﴿ذَكَرَ فَضْلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الجمعة: ٤)
٣٦. ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (الرعد: من الآية ١٥)
٣٧. ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة: من الآية ١١٧)
٣٨. ﴿وَسَبِّحْ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (الزمر: من الآية ٧٣)
٣٩. ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (سبأ: من الآية ١٣)
٤٠. ﴿وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (ص: من الآية ٣)
٤١. ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ (الدخان: ٢٩)
٤٢. ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (ص: ٧١-٧٢-٧٣ من الآية ٧٤)
٤٣. ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٣٩)
٤٤. ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَنَبِينٍ \* نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٥، ٥٦)
٤٥. ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سبأ: ٣٥)
٤٦. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨)
٤٧. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة: من الآية ١٩)
٤٨. ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (المدثر: ٤٢-٤٣)
٤٩. ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ (النور: من الآية ٣٧)
٥٠. ﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرَ عَلَيْهَا﴾ (طه: من الآية ١٣٢)
٥١. ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: من الآية ٧٢)
٥٢. ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ (الشعراء: ١٥٧)
٥٣. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (النازعات: ٢٦)

٥٤. ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ (التكاثر: ١-٢)

٥٥. ﴿هُنَالِكَ تَبْلُغُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (يونس: ٣٠)

## ثانياً: الرسائل والوصايا

١. ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (غافر: من الآية ٧٨)

٢. ﴿رَبَّنَا اقْتَحِبْنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف: من الآية ٨٩)

٣. ﴿الْآتِحِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: من الآية ٢٢)

٤. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: من الآية ١٩٨)

٥. ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (الأنفال: من الآية ٧٥)

٦. ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٦٨)

٧. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (هود: من الآية ٨٨)

٨. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (هود: من الآية ٨٣)

٩. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: من الآية ٢٢)

١٠. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: من الآية ٥٩)

١١. ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٣)

١٢. ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (الأعراف: من الآية ٨٧)

١٣. ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ (الحج: من الآية ٢٥)

## ثالثاً: المواعظ والحكم

١. ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (ص: من الآية ٢٧)

٢. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣)

٣. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (الأنفال: من الآية ٢٨)

٤. ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٦٨)
٥. ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (البقرة: من الآية ١٩٧)
٦. ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٣٤)
٧. ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص: ٥)
٨. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل: من الآية ٩٠)
٩. ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٣٨)
١٠. ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (الحج: من الآية ١١)
١١. ﴿ فَلَا يَأْتِيَنَّ مِنْ مَكْرٍ لِلَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (الأعراف: من الآية ٩٩)
١٢. ﴿ إِنَّهُ لَا يُيَاسُّ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف: من الآية ٨٧)
١٣. ﴿ لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (الحديد: من الآية ٢٣) .

ومن هذا الفهرس يمكن استخلاص الحقائق الآتية :

أولا : يلحظ الغنى المتنوع للآيات الكريمة في كلام الإمام علي (ع) بسبب تعدد مشاربه من سور مختلفة من القرآن العظيم .

ثانيا : القدرة الفائقة على استحضار النص القرآني الأمر الذي يدل على شدة انصهاره (ع) بكلمات الكتاب العزيز وذوبانه في آياته الشريفة ومعانيه العظيمة .

ثالثا : تلحظ كثرة استشهادات الإمام (ع) في خطبه على رسائله ووصاياه لما للشاهد القرآني من أثر كبير في استجلاب الأذهان وشد الانتباه في مجال الخطابة خاصة إذا تذكرنا أن فن الخطبة فن شفاهي يعتمد الإلقاء ورهافة الأسماع.

وخلاصة ما سبق توضح أن للإمام علي (ع) أسلوبه في استحضار الشاهد القرآني واستجلابه حتمه عليه موقفه الفني ، فإذا ما جاء بالشاهد من غير نسبة إلى الله تعالى ينسج له علاقات جمالية تجعل كلامه منصهرا في الشاهد القرآني ، وإذا ما جاء به في آخر كلامه فإنه يختم به موجزا ما يعرض من أفكار ، وهو في كل ذلك يحسن توظيفه في مجالات شتى من إصلاح النفس والترغيب والترهيب والوظائف الدينية والاحتجاجية والعقلية .

## الخاتمة

قدم البحث محاولة في قضية الأثر القرآني المبكر والحقيقي بالكلام العربي والمتمثل في نهج البلاغة المجموع فيه كلام امير المؤمنين (ع) ، فبدا بالدليل العلمي والعملي أن نهج البلاغة هو الصدى الحقيقي للقرآن الكريم على صعيد الشكل والمضمون .

وها قد أفضت فصول رحلة البحث الى خاتمة يمكن جعلها في شطرين يتضمن الأول خلاصة ما توصل اليه البحث من نتائج ويشتمل الثاني على ما خرج اليه البحث من اقتراحات وتوصيات .

**أولا : النتائج :** ويمكن تلخيصها بما يأتي :

١- عالج التمهيد قضية الأثر والتأثر وبان أثر الإبداع القرآني في كلام الإمام(ع) بسبب انصهار روح الإمام بروح القرآن فكان تفهم الإمام(ع) تفهما واعيا للعلاقات التركيبية التي بنيت عليها الجملة القرآنية .

٢- انقسم البحث على بابين انفتحا على الشكل والمضمون لمحاولة الإحاطة بأثر القرآن بنهج البلاغة واشتمل كل باب على مجموعة من الفصول انتهت الى النتائج الآتية : في باب الشكل : اشتمل على ثلاثة فصول هي :

- بحث الفصل الأول في دراسة الألفاظ والبناء الجملي وخلص الى أن الإمام علي (ع) اعتمد الطريقة القرآنية في استعمال المفردات وانتقائها أو الاختصاص بها بعد نقل دلالاتها القديمة الى دلالات إسلامية جديدة ، فكان ذلك سببا في منح زخم كبير من الحياة للألفاظ العربية وبث الأنفاس فيها .  
فقد ثبت في البحث أن ثمة ثلاثة استعمالات للألفاظ العربية في نهج البلاغة تأثر فيها بالقرآن الكريم هي :

الأول : ألفاظ اختص بها القرآن الكريم بعد أن نقل دلالاتها من الجاهلية الى الإسلام فهي بذلك قرآنية محضة ، واقتبسها الإمام(ع) بنفس الإستعمال الدلالي .

الثاني : ألفاظ أثر الاستعمال القرآني انتقاءها من مفردات العربية في تعبيراته فهي قرآنية الإستعمال ، واستعملها الإمام (ع) بنفس الدقة في الإنتقاء .

الثالث : ألفاظ استعملها القرآن ولكن الإمام (ع) نقل دلالاتها الى توظيف آخر ولكنه يواكب موردها في القرآن الكريم .

أما بشأن التركيب الجملي فقد اتخذ الإمام علي(ع) أساليب التعبير القرآني دليلا في بناء الجمل التي حصرناها بشكليين الجمل القصيرة والطويلة ، وقد كانت لكل منهما ركائز اعتمدت في إقامتها ، وكان الإمام(ع) في كل ذلك متابع دقيق للبناء الجملي القرآني في إخراج المعاني وأدائها .

وقد سوغت لنا مقدرة الإمام (ع) على الإنصهار في الجملة القرآنية وإعادة صياغتها وفق مواقفه الفنية على الدخول في بناء جملة بأساليب بناء الجمل القرآنية فكان تحديد شكلي الجمل القصيرة والطويلة بسبب اعتمادها في البناء اللغوي القرآني وكثرته في نهج البلاغة . وكانت ركائز الجمل القصيرة هي :

الأولى : التقديم والتأخير

الثانية : الحذف

الثالثة : الأمر

الرابعة : الاستفهام

وركائز الجملة الطويلة هي :

الأولى : الشرط

الثانية : جملة ( إن )

الثالثة : جملة القسم

الرابعة : النداء

وقد حاولنا في شواهدنا انتخاب الجمل ذات الأثر القرآني المباشر في نهج البلاغة سبيلا لتقديم الدليل العملي المقنع للأثر القرآني ، لأن أكثر بناء الجمل كانت من استعمالات الكلام العربي القديم غير أن الأمام(ع) أظهر فرقاً بين البناءين ، قوته وديمومته في القرآن الكريم بشهادة الزمن ، وضعفه وانحسار كثير من صورته في الفن القولي الجاهلي .

- ودرس الفصل الثاني الأداء البياني القرآني وأثره في نهج البلاغة في المجال المجازي اللغوي والعقلي ، وقد بان من الشواهد قدرة الإمام (ع) على التمثيل بأساليب القرآن المجازية مقتبسا مرة وموظفا هذا الاستعمال في مواقف فنية جديدة مرة ثانية . لذلك وقفنا على الأمثلة المشتركة بين نص القرآن الكريم ونهج البلاغة فكان البحث بأنواع صور المجاز المرسل والعقلي طريقا عمليا لتقديم الدليل البين على الأثر القرآني المجازي بنهج البلاغة . فضلا عن الوقوف مليا عند التشبيه والاستعارة والكناية ، وكان ما انتهى إليه البحث في التشبيه القرآني ثلاثة آثار بينة هي :

الأول : صيغ المثل القرآني وتأثر نهج البلاغة بصورها  
الثاني : اللوحات التشبيهية بين القرآن ونهج البلاغة .  
الثالث : التشبيهات المفردة في ضوء القرآن ونهج البلاغة .

وخلصنا من كل ذلك الى التأثير الواضح لنهج البلاغة بالتشبيه القرآني .

وفي مبحث التركيب الإستعاري التمس البحث ايجاد الظواهر الفنية الواضحة  
الأثر فاستخلصنا ثلاثة ظواهر فنية استمدها الإمام (ع) من أسلوب التعبير القرآني  
، وقد حصرت ب :

الأول : التوليد وقد قدمنا لأمثله استعارات الليل والنهار واستعارات الحق والباطل  
لكثرتها وتنوعها في القرآن الكريم واقتفاء أثرها في نهج البلاغة .

الثاني : ظاهرة التشخيص أثرا فنيا استنتق الجمادات وبث الحياة الأدمية في  
المعقولات . وقد حفل به التعبير القرآني فهو وليد الاستعارة التي تتداخل فيها  
العلاقات وينصهر بعضها ببعض ، فتبدو فنية الكلام في أعلى مراحلها وأبداع صورته  
، الأمر الذي تأثره الإمام (ع) وكثر في تعبيراته .

الثالث : الاستعارة التمثيلية وقد التمس البحث ايجاد الشاهد الفعلي الذي يدل على أثر  
الأسلوب الاستعاري القرآني بكلام الإمام (ع) .

وفي بحث الكناية توصل البحث الى التماس تتبع الإمام (ع) لهذا الفن  
البياني في القرآن الكريم من خلال ما يأتي :

الأول : استثمار جدة الكناية القرآنية وتوظيفها في مواقف فنية جديدة في نهج  
البلاغة .

الثاني : استثمار الكناية في تصوير الحالات الإنسانية من خوف ورضا وفرح وأمن  
بالإضافة إلى التعبير المهذب والصدى الأخلاقي الرفيع .  
وخلص البحث من كل ذلك على قدرة الإمام (ع) على استحضر النص القرآني  
واقتناسه والتوليد على أصله .

- أما الفصل الثالث فقد درس البناء النغمي المتولد من جرس الألفاظ في التراكيب  
الجمالية من خلال السجع والتكرار والجناس بأنواعه والموازنة ، وهو بناء ناتج من  
المعنى وشدة ملازمة اللفظ له ، وخلصنا الى أن هذا البناء الدقيق الذي انتظم  
التعبير القرآني قائم على موازنة دقيقة بين المضمون والأداء ، وتبين أن الإمام

(ع) بسبب فهمه وانصهاره في المعاني القرآنية متابع للتغيم القرآني مؤثر لإدخالها كلامه من غير إخلال بالمعنى بل بدا أن الموسيقى ناتج ثانوي للمضمون على الرغم من توخيها وطلبها في الكلام .

- ودرس الباب الثاني المضمون القرآني وأثره بنهج البلاغة بفصلين انطوى الأول على المجالات الموضوعية الأكثر تداولاً في كلام الإمام(ع) وهي :

- التوحيد

- عالم الموت والحياة

- خلق الإنسان والكون

- الجهاد في سبيل الله

- الدعوة إلى التقوى

وانتهينا إلى أن الإمام(ع) كان في كل تلك المعاني الجديدة يستعين بالمعنى القرآني فيستقي منه مقتبسا ومولدا ، فلم تشغله جدة المعاني عن التماس صور المجاز المختلفة وطلب البديع الذي فطر عليه .

أما الفصل الثاني فقد درس الشاهد القرآني أثرا آخر للمضمون القرآني في نهج البلاغة وقد اشتمل على ثلاثة مباحث هي :

الأول : أسلوب توظيف الإمام(ع) للشاهد القرآني ، وخلصنا إلى أن في كلام الإمام

(ع) ثلاثة أساليب في استعمال الشاهد القرآني هي :

١ . التصريح بنسبة الشاهد إلى الله تعالى

٢ . عدم التصريح بنسبته إلى الله تعالى .

٣ . التذييل بختم الكلام بالشاهد القرآني .

ودرس المبحث الثاني توظيف الشاهد القرآني فتم حصره على أساس كثرته في

موضوعات الإمام (ع) فكانت في :

الأول : إصلاح الذات وتهذيب النفس

الثاني : الترغيب والترهيب

الثالث : الوظيفة العبادية والعقائدية

الرابع : الاحتجاج

الخامس : الوظيفة العقلية

أما المبحث الثالث فقد قدم فهرسا بالشواهد القرآنية بحسب أسبقيتها في نهج البلاغة إتماما للفائدة وحصرها لها وقد خلص البحث منها بكثرتها في الخطب وشدة إحاطة الإمام (ع) بالنص القرآني وقوة حضوره فضلا عن تنوعه من سور كثيرة من القرآن الكريم .

وقد انتهينا من هذا الفصل الى تقديم مظهر آخر من مظاهر الأثر القرآني في نهج البلاغة من خلال مقدرة الإمام (ع) على استثمار النص القرآني وقوة حضوره في ذهن الإمام (ع) .

وكانت النتيجة المستخلصة من البحث كله هي أن نهج البلاغة من أظهر تجليات القرآن الكريم في الأدب العربي ، وأن كلام الإمام علي (ع) فيه من أرقى نماذج النصوص البلاغية في التعبير الفني .

## ثانيا : اقتراحات موضوعية

١- إعادة قراءة نهج البلاغة كأثر مبكر للقرآن الكريم في الكلام العربي عامة وفي الأدب العربي خاصة ، واستيحاء كلام الإمام (ع) في نهج البلاغة بهذه الروح الموضوعية ، واستخلاص النتائج العلمية لتبيان صحة انتسابه إلى الإمام علي (ع) ، لا الحكم عليه مسبقا بالوضع والانتحال .

فقد أثبتت نتائج البحث دحض الحجج التي طعنت بصحة نسبة نهج البلاغة الى الإمام علي مثل توافره على الموسيقى والصنعة البديعية ونحو اشتماله على كثير من المصطلحات المبكرة كالناسخ والمنسوخ والأول والظاهر وغيرها من الحجج التي لا تصمد أمام النتائج التي توصلنا إليها ، فقد صح أن كل ما في نهج البلاغة من شكل ومضمون من صياغات مختلفة ومعان جديدة مأخوذة من التعبير القرآني ، ومن الظلم الحكم على نهج البلاغة بنظرة قديمة مكرورة من دون التمعن في ما انطوى عليه من أداء رفيع ومعنى عميق متناسبين وعظمة التأثير القرآني .

٢- لقد برهن البحث من خلال الأدلة العلمية أن الفهم الواعي للإمام علي (ع) آيات الكتاب العزيز وعلمه بما يخفى وراء الكلمات الشريفة في القرآن من معان ظاهرية وقدرته على استكشاف المعاني الغامضة وتفسيرها من خلال القرآن بالقرآن وقوة حضور النص في ذهنه وتثقيف نفسه (ع) بثقافة القرآن قولا وعملا - أقول كل ذلك - أتاح للإمام علي (ع) إمكانية تقفي الصياغات القرآنية وتلوين كلامه بنغم القرآن لأن كلماته في التعبير لم تعد غريبة على أداء المضامين القرآنية الجديدة ، فلا يشغله طلب الفن القرآني الرفيع من بيان وبديع معا عن التعبير عنها لأنها ستغدو صورة لفكرته التي انمزج بها وطبع عليها .

٣- ينبغي النظر الى الإطار الجامع للأساليب التعبيرية بين القرآن العظيم ونهج البلاغة ، فلاكتشاف أسرار التعبير في هذا الأثر اللغوي ( أعني نهج البلاغة )

ينبغي البحث فيه عن الطريقة التي اتبعتها الإمام في اقتفاء الأسلوب القرآني من استغلال الطاقة القصوى للغة الموسيقية منها والتركيبية وعقد الموازنات الدقيقة بين الأداء والمضمون .

٤- دراسة أثر نهج البلاغة في الأدب العربي بوصفه أول نتاج بشري متأثر متأثرا مباشرا ومبكرا بأساليب التعبير القرآني والممهّد للتأثير القرآني في الأدب والميسر للفهم الواعي لأساليب التعبير القرآني . فمن خلال رحلتنا في نهج البلاغة بدا لنا أن كثيرا من الشعراء والخطباء قد نهلوا من صور وصياغات ومعاني نهج البلاغة ، فضلا عن كونه سبيلا مهّد للمبدعين محاولة التوفيق بين الصنعة والطبع على الطريقة القرآنية بمعنى إقامة الصياغة الفنية البديعية بدون إخلال بالمعنى وقهره على اللفظ .

و دراسة نهج البلاغة على هذا الأساس ستفتح السبيل أمام الدارسين للكشف عن كثير من الإبداع الخطابي عند كثير من الأدباء المبدعين كخطب ابن نباتة وعبد الحميد الكاتب وكثير من الشعراء في العصر العباسي وما تلاه من العصور .

٥- الإفادة مما حفل به نهج البلاغة من نظريات اقتصادية واجتماعية وعسكرية وسياسية وإقامة الدراسات الأكاديمية في خطب ورسائل الإمام علي (ع) لتبيان أثرها في إصلاح المجتمع ومدى تطبيقها في الواقع الراهن .

٦- إدخال كتاب ( نهج البلاغة ) مادة أساسية في الدراسات الأكاديمية الأولية والعليا وبمراتب متفاوتة لما له من أثر بالغ في صقل اللسان وصونه عن اللحن ناهيك عما حفل من معان سامية تزيد في النفس همتها وتبعث فيها الحماسة والشهامة والفضيلة .

٧- تسليط الضوء على المأثور الإنساني المشترك الذي انطوت عليه كلمات الإمام (ع) في نهج البلاغة ، ففيه إعلاء لقيمة الإنسان وهو معنى ظلت تبحث عنه الإنسانية عبر تاريخها المرير حتى وقتنا الحاضر ، فنهج البلاغة فيه من الثراء الإنساني ما يتيح له أن يجمع بني الإنسان من كل مشاربهم وطوائفهم تحت ظله ينهلون من معينه ويقتبسون من نوره . وهو - لاشك - أمر عجزت عن تحقيقه كل فلسفات الأرض .

## المصادر والمراجع

### أولاً : المصادر

- القرآن الكريم .
- الأَبْشِيهِي ، أبو الفتح ، محمد بن أحمد (ت ٨٥٠هـ) .  
المستطرف في كل فن مستظرف .  
مطبعة وأوفسيت منير ، بغداد ، ١٩٨٦ م .
- الأَلُوسِي ،: أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي ( ت ١٢٧٠هـ) .  
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .  
إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- الأَمَدِي ، أبو القاسم ، الحسن بن بشر ( ت ٣٧٠ هـ) .  
الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري .  
تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ م .
- الأَنْبَارِي ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت ٥٧٧هـ) . أسرار العربية .  
تحقيق: محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .
- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد الجزري (ت ٦٣٧هـ) .  
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .  
تحقيق: د. احمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، الرياض - دار الرفاعي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ابن الأثير الحلبي ، أحمد بن اسماعيل (ت ٧٣٧هـ) .  
جواهر الكنز .  
تحقيق الدكتور محمد زغول سلام ، شركة الإسكندرية للطباعة والنشر ، منشأة المعارف ، الإسكندرية .
- أرسطو طاليس .  
الخطابة .  
ترجمة عبد الرحمن بدوي ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٥٩ م .

- ابن أبي الإصبع ، زكي الدين ، عبد العظيم بن عبد الواحد ( ت ٦٥٤هـ ). تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن .  
تحقيق : الدكتور حفني محمد شرف ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
- الأصبهاني ، أبو الفرج ، علي بن الحسين ( ت ٣٥٦هـ ) .  
الأغاني .  
مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .
- الأصمعي ، أبو سعيد ، عبد الملك بن قريب ( ت ٢١٦هـ ) .  
فحولة الشعراء .  
شرح وتحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي و طه محمد الزيني . المطبعة المنيرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٣م .
- امرؤ القيس ، حندج بن حجر .  
ديوان امرؤ القيس .  
شرحه وضبط نصوصه وقدم له : الدكتور عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم للطباعة ، بيروت .
- الباقلاني ، أبو بكر ، محمد بن الطيب الباقلاني ( ت ٤٠٣هـ ) .  
إعجاز القرآن .  
تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣م .
- البروسي ، اسماعيل حقي البروسي ( ١١٣٧هـ ) .  
تفسير روح البيان .  
المطبعة العثمانية ، استانبول ١٣٣٠هـ .
- البغدادي ، عبد القادر بن عمر ( ت ١٠٩٣هـ ) .  
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب .  
تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة ، الناشر : مكتبة الخانجي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٨٩م .
- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ( ت ٢٧٩هـ ) .  
فتوح البلدان .  
شرحه ووضع ملاحقه وفهارسه : الدكتور صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة - ١٩٥٧م .
- البيضاوي ، أبو سعيد ، عبد الله ابن عمر بن محمد ( ت ٦٨٥هـ ) .  
أنوار التنزيل وأسرار التأويل .  
الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- البيهقي ، أبو بكر ، أحمد بن الحسين ( ت ٤٥٨هـ ) .  
السنن الكبرى .  
دار الفكر - بيروت .
- الثعالبي ، أبو زيد ، عبد الرحمن بن محمد بن المالكي ( ت ٨٧٥هـ ) .

## الجواهر الحسان في تفسير القرآن .

حقق أصوله وخرج أحاديثه الشيخ علي محمد عوض والشيخ عادل عبد الموجود ،  
وشارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة ، دار إحياء التراث العربي ،  
مؤسسة التاريخ العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م ، بيروت - لبنان .

- ثعلب ، لأبي العباس احمد بن يحيى المعروف بثعلب (ت ٢٩١ هـ).  
قواعد الشعر .

تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .

- الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر ( ت ٢٥٥ هـ) .

البيان والتبيين .

تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ،  
١٩٨٥ م .

- الجاحظ ، الحيوان .

تحقيق ، عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة  
١٩٦٩م .

- الجاحظ ، رسائل الجاحظ .

تح: عبد السلام محمد هارون ، مطبعة الخانجي ، ١٣٨٤ هـ .

- الجرجاني ، أبو بكر ، ، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)  
أسرار البلاغة .

تحقيق: هلموت ريتز ، مطبعة وزارة المعارف ، الطبعة الثانية ، استانبول، ١٩٥٤م .

- الجرجاني .

دلائل الإعجاز .

تعليق وشرح محمد عبد المنعم الخفاجي، الطبعة الأولى ، مطبعة الفجالة الجديدة،  
القاهرة، ١٩٦٩م .

- ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) .

الخصائص .

تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الثانية ، دار الهدى للطباعة ، بيروت- لبنان .

- ابن جني .

سر صناعة الإعراب .

تحقيق: مصطفى السقا، ومحمد الزفزاف، وإبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين،  
الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٤ هـ -  
١٩٥٤م .

- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ) .

زاد المسير في علم التفسير .

تحقيق : محمد عبد الرحمن والسعيد بن بسيوني ، دار الفكر ، ١٩٨٧ م .

المكتب الإسلامي ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

- الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣-٣٩٨هـ).  
تاج اللغة وصحاح العربية .  
تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٥م.
- ابن حجة الحموي ، أبو بكر بن علي (٨٣٧هـ) .  
خزانة الأدب وغاية الأرب .  
تح : كوكب نياب ، دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م .  
- ابن حجر ، العسقلاني شهاب الدين (ت ٨٥٢هـ).  
فتح الباري في شرح البخاري .  
دار المعرفة ، بيروت - لبنان .
- ابن أبي الحديد ، أبو حامد ، عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦ هـ). شرح نهج البلاغة .  
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ١٩٥٩ م
- حسان بن ثابت الأنصاري (ت ٦٠هـ) .  
ديوان حسان بن ثابت .  
تحقيق : الدكتور وليد عرفات ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ١٩٧١م .
- أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ).  
البحر المحيط .  
دار الفكر الطبعة الثانية ( ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ).
- ابن الخشاب ، أبو محمد ، عبد الله بن احمد (ت ٥٦٧هـ).  
المرتلج .  
تحقيق ودراسة: علي حيدر ، دمشق ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م بدون تاريخ .
- الخفاجي ، الأمير عبد الله بن سنان (ت ٤٦٦ هـ).  
سر الفصاحة .  
تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح ، مصر ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م .
- الدارمي ، أبو محمد ، عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥هـ) .  
سنن الدارمي .  
طبع بعناية : محمد أحمد دهمان ، دمشق ، بدون تاريخ .
- الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ).  
التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب .  
الطبعة الثانية، طهران .
- الرازي .  
نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز في علوم البلاغة وبيان إعجاز القرآن الشريف.

- مطبعة الآداب - القاهرة ، ١٣١٧ هـ .
- **الراغب الأصفهاني** ، أبو القاسم ، الحسين بن محمد ( ت ٥٠٢ هـ ) .
- المفردات في غريب القرآن** .
- تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- **ابن رشيقي** ، أبو علي ، الحسن بن رشيقي القيرواني ( ت ٤٥٦ هـ ) .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** .
- تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، الطبعة الثانية ، مصر ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- **الرماني** ، أبو الحسن ، علي بن عيسى ( ت ٣٨٦ هـ ) .
- النكت في إعجاز القرآن** ، ضمن ( ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ) .
- حققها وعلق عليها: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر .
- **الزجاج** ، أبو إسحاق ، ابراهيم بن السري ( ت ٣١١ هـ ) .
- تفسير أسماء الله الحسنى** .
- تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، دار الثقافة العربية - دمشق ، ١٩٧٤ م .
- **الزركشي** ، بدر الدين ، محمد بن عبد الله الزركشي ( ت ٧٩٤ هـ ) .
- البرهان في علوم القرآن** .
- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٧ م .
- **الزمخشري** ، أبو القاسم ، جار الله محمود بن عمر الخوارزمي ( ت ٥٣٨ هـ ) .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل** .
- مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٦٦ م .
- **الزمخشري** .
- أساس البلاغة** .
- دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- **الزمخشري** .
- الفائق في غريب الحديث والأثر** .
- تحقيق: علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .
- **السبكي** ، بهاء الدين ، أحمد بن علي ( ت ٧٦٢ هـ ) .
- عروس الأفراح في شروح تلخيص المفتاح** .
- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٣٧٠ هـ .
- **أبو السعود** ، محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي ( ت ٩٥١ هـ ) .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** .

وضح حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، الطبعة الأولى - ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية - بيروت.

- ابن السكيت ، يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ).

إصلاح المنطق .

شرح وتحقيق: احمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٦٥م.

- السكاكي ، أبو يعقوب ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (ت ٦٢٦هـ).  
مفتاح العلوم .

ضبطه وكتب هوامشه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- السكري ، أبو سعيد الحسن بن الحسين (ت ٢٧٥هـ ) .

شرح أشعار الهدليين .

حققه : عبد الستار أحمد فراج وراجعه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- ابن سلام ، محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) .

طبقات فحول الشعراء .

تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني - مصر ، الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

- سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦هـ) .

كتاب سليم بن قيس .

تحقيق: محمد باقر الأنصاري ، بدون تاريخ .

- السمعاني ، أبو المظفر ، منصور بن محمد (ت ٤٨٩هـ) .

تفسير السمعاني .

تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم .  
دار الوطن ، السعودية - الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ - ١٩٩٧م .

- سيويه ، أبو بشر ، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) .

الكتاب .

تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

- ابن سيدة ، علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي (ت ٤٥٨هـ) .

المخصص .

دار إحياء التراث العربي ،-بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- ابن سينا ، أبو علي ، الحسين بن عبد الله (ت ٤٢٨هـ) .

الشفاء ، الخطابة .

تحقيق : الدكتور محمد سليم مراد ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن بكر (ت ٩١١هـ) .

الإتقان في علوم القرآن .

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

- السيوطي .

الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير .

دار الفكر ، الطبعة الأولى ، بيروت . ١٩٨١ م .

- السيوطي .

معتك الأقران في إعجاز القرآن .

تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي للطباعة.

- السيوطي .

الدر المنثور في التفسير المأثور .

دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

- الشريف الجرجاني ، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ) .

التعريفات .

تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

- الشريف الرضي، أبو الحسن ، محمد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦هـ) .

تلخيص البيان في مجازات القرآن .

تحقيق : محمد عبد الغني حسن ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

- الشريف الرضي .

المجازات النبوية .

تحقيق : محمود مصطفى، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧ م .

- الشريف الرضي .

حقائق التأويل في متشابه التنزيل .

شرحه الأستاذ محمد الرضا آل كاشف الغطاء ، دار المهاجر للطباعة والنشر

والتوزيع .

- الصفدي ، صلاح الدين ، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ) .

جنان الجناس في علم البديع .

الطبعة الأولى ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ١٢٩٩هـ .

- ابن طباطبا، أبو الحسن ، محمد بن احمد العلوي (٣٢٢هـ) .

عيار الشعر .

تحقيق : الدكتور طه الجابري والدكتور ، محمد زغلول سلام ، شركة فن الطباعة

، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

- الطبرسي ، أبو علي ، الفضل بن الحسين ( ت ٥٤٨ هـ ) .  
**جوامع الجامع** .  
تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ .  
- الطبرسي .  
**مجمع البيان في تفسير القرآن** .  
حقوق وعلق عليه : لجنة من العلماء والمثقفين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .  
- الطبري ، أبو جعفر ، محمد بن جرير ( ت ٣١٠ هـ ) .  
**جامع البيان عن تأويل آي القرآن** .  
الطبعة الثانية، الحلبي ١٣٧١ هـ - ١٩٥٤ م .  
- الطبري .  
**تاريخ الطبري ( تاريخ الرسل والملوك )** .  
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ١٩٨٧ م .  
- الطوسي ، أبو جعفر ، محمد بن الحسن ( ت ٤٦٠ هـ ) .  
**التبيان في تفسير القرآن** .  
تحقيق: أحمد حبيب القصير ، المطبعة العلمية - النجف الأشرف ، ١٩٥٧ م .  
- ابن عبد السلام ، عز الدين ، عبد العزيز بن عبد السلمي ( ت ٦٦٠ هـ ) .  
**تفسير العز بن عبد السلام** .  
تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي ، بيروت - دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ م .  
- ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي ( ت ٣٢٧ هـ ) .  
**العقد الفريد** .  
تحقيق: أحمد أمين وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .  
- أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التيمي ( ت ٢١٠ هـ ) .  
**مجاز القرآن** .  
عارضه بأصوله وعلق عليه د. محمد فؤاد سزكين ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .  
- أبو العتاهية ، اسماعيل بن القاسم ( ت ٢١٠ هـ ) .  
ديوان أبي العتاهية .  
دار بيروت للطباعة والنشر - لبنان ١٩٨٦ م .  
- العسكري ، أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل ( ت ٣٩٥ هـ ) .  
**جمهرة الأمثال** .

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، المؤسسة العربية الحديثة -  
القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٤ م .  
- العسكري .

كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر .  
تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية،  
١٩٥٢ .

- العسكري .  
الفروق اللغوية .  
ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق الغرناطي (ت ٥٤١هـ) .  
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .  
تحقيق: احمد صادق الملاح، القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

- العكبري ، أبو البقاء ، عبد الله بن أبي عبد الله الحسين (ت ٦١٦هـ).  
التبيان في إعراب القرآن .  
تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي  
وشركاه .

- علي بن أبي طالب (ع) (ت ٣٦هـ) ، بجمع الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ).  
نهج البلاغة .  
تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت - لبنان ، دار الجيل ، الطبعة  
الثانية ١٤١٦ق .

- العلوي ، يحيى بن حمزة (ت ٧٤٩هـ) .  
الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم دقائق الإعجاز .  
تصحيح : سيد بن علي المرصفي ، مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩١٤م .  
- الفارابي ، أبو نصر ، محمد بن طرخان (ت ٣٣٩هـ) .  
الموسيقى الكبير .

تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة ، مراجعة وتصدير: محمود الحفني، دار الكتاب  
العربي، القاهرة ، بدون تاريخ.

- ابن فارس ، أبو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) .  
مقاييس اللغة .  
تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي  
الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ .  
- ابن فارس .

الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها .

علق عليه ووضع حواشيه : أحمد حسن بسبح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،  
الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .  
- الفراء ، أبو زكريا ، يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ) .  
معاني القرآن .

تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ،  
الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

- الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) .  
العين .

تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ، مؤسسة دار  
الهجرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩ هـ .

- الفيروز آبادي ، مجد الدين ، محمد بن يعقوب ( ت ٨١٧ هـ) .  
القاموس المحيط .  
المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٩٣٥ م .

- الفيض ، محمد بن المرتضى المولى محسن الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ) .  
التفسير الأصفي .

تحقيق : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية . الطبعة الأولى ، مطبعة مكتب الإعلام  
الإسلامي ، طهران ، ١٣٥٤ هـ .

- القاضي الجرجاني ، علي بن عبد العزيز (ت ٢٩٠ هـ - ٣٦٦ هـ) .  
الوساطة بين المتنبى وخصومه .

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء  
الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .

- ابن قتيبة ، أبو محمد ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) .  
تأويل مشكل القرآن .

تحقيق : أحمد صقر ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧٣ م .  
- ابن قتيبة .

الشعر والشعراء .

تحقيق : الدكتور أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٦ م .

- قدامة بن جعفر ، الكاتب البغدادي (٣٣٧ هـ) .  
نقد الشعر .

تحقيق : كمال الدين مصطفى ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٦٣ م .

- القرطاجني ، أبو الحسن ، حازم القرطاجني (٦٨٤ هـ) .

- منهاج البلاغ وسراج الأدباء .
- تحقيق : محمد الحبيب بن خوخة ، الطبعة الرسمية ، تونس ، ١٩٦٦ م .
- القرطبي ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) .
- الجامع لأحكام القرآن .
- الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م .
- القزويني ، أبو المعالي ، جلال الدين ، محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩هـ) .
- الإيضاح في علوم البلاغة .
- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
- القزويني .
- التلخيص في علوم البلاغة .
- ضبطه وشرحه: الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٣٢ م .
- ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله ، محمد بن أبي بكر الزرعي (ت ٧٥١هـ) .
- بدائع الفوائد .
- دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
- ابن كثير ، أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) . تفسير القرآن العظيم .
- دار الأندلس - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .
- الكرمانى ، تاج القراء ، محمود بن حمزة بن نصر (ت ٥٠٥هـ) .
- أسرار التكرار في القرآن .
- دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار بو سلامة للطباعة والنشر ، تونس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ م .
- كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني (ت ٢٦هـ) .
- ديوان كعب بن زهير .
- تحقيق: علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- كعب بن مالك الأنصاري (ت ٥٠هـ) .
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري .
- دراسة وتحقيق : الدكتور سامي مكّي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م .
- مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) .
- الموطأ .

- صححه وخرج أحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت \_ لبنان ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م .
- المبرد ، أبو العباس ، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ) .  
الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف .  
تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مطبعة عيسى البابي ، مصر ١٣٥٥هـ .  
- المبرد .  
- المقتضب .
- تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ .  
- المتقي الهندي ، علاء الدين بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ) .  
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال .  
ضبطه وفسر غريبه : الشيخ بكري حياني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت \_ لبنان ١٩٨٩م .
- المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦ هـ) .  
أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) .  
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- المرزباني ، أبو عبيد الله ، محمد بن عمران (ت ٢٩٦هـ- ٣٨٤هـ) .  
الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء .  
عنيت بنشره : جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٤٣هـ .  
- ابن مزاحم ، نصر المنقري (ت ٢١٢هـ) .  
وقعة صفين .
- تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ١٣٨٢هـ .  
- ابن المعتز ، عبد الله بن المعتز (ت ١٩٦هـ) .  
البدیع .  
تحقيق: كراتشوفسكي ، مطبوعات جب التذكارية ، لندن ، ١٩٣٥م .
- ابن معصوم المدني ، علي بن احمد (ت ١١١٩ هـ) .  
أنوار الربيع في أنواع البديع .  
تحقيق: شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان - النجف الأشرف ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .
- المفضل الضبي ، أبو العباس المفضل بن محمد الضبي (ت ١٦٨هـ) .  
المفضليات .  
بقلم ضابطها وشارحها حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية - مصر ١٩٢٦م .
- المفيد ، الشيخ أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن النعمان ( ٣٣٦-٤٣١هـ) . الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد .

تحقيق : مؤسسة أهل البيت (ع) لتحقيق التراث ، دار المفيد ، الطبعة الثانية ، بيروت - لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

- المناوي ، محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ) .  
التوقيف على مهمات التعاريف .

تحقيق : الدكتور محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت \_ دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .

- ابن منظور، أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ).  
لسان العرب .

دار صادر ودار بيروت ، لبنان ١٣٧٩هـ - ١٩٥٥م.

- ابن ميثم البحراني ، كمال الدين ، ميثم بن علي بن ميثم ، (ت ٦٧٩هـ).  
شرح نهج البلاغة (المصباح شرح الكبير) .  
مطبعة خدمات ، الطبعة الثانية ، طهران ١٤٠٤ ق .

- الميداني ، أبو الفضل ، أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ).  
مجمع الأمثال .

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

- ابن نايقا ، أبو القاسم ، عبد الله بن محمد بن نايقا البغدادي (ت ٤٨٥هـ). الجمان  
في تشبيهات القرآن .

تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ، دار الجمهورية ، بغداد  
١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .

- النحاس ، ابو جعفر ، أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ) .  
معاني القرآن .

تحقيق: محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ،  
١٤٠٩هـ .

- النسائي ، أبو عبد الرحمن ، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٢١٥هـ - ٣٠٣هـ).  
خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) .

حققه وصحح أسانيده ووضع فهارسه : محمد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة .  
- النسفي ، أبو البركات ، عبد الله بن احمد بن محمود (ت ٧١٠هـ).

مدارك التنزيل وحقائق التأويل .

المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٣٩م .

- أبو نواس، الحسن بن هاني (ت ١٩٩هـ) .

شرح ديوان أبي نواس .

ضبط معانيه وشروحه : إيليا الحاوي ، الشركة العالمية ، بيروت ، ١٩٨٧م .

- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣هـ) .

السيرة النبوية .

قدم لها وعلق عليها وضبطها: طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل - بيروت ١٩٧٥م

- ابن هشام ، جمال الدين الأنصاري (ت ٧٦١هـ).

مغني اللبيب عن كتب الأعراب .

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ .

- ياقوت الحموي ، ابو عبد الله ، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ) .

معجم البلدان .

دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩م .

## ثانياً : المراجع الحديثة

- ابتسام مرهون الصفار(الدكتورة) .

اثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري .

دار الرسالة ، الطبعة الأولى ، بغداد - ١٩٧٤ م .

- إبراهيم أنيس (الدكتور) .

الأصوات اللغوية .

مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦١م .

- إبراهيم أنيس .

دلالة الألفاظ .

الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة البيان العربي - مصر ، ١٩٦٣م .

- إبراهيم أنيس .

موسيقى الشعر .

مطبعة لجنة البيان العربي ، مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٥م .

- ابراهيم السامرائي (الدكتور) .

مع نهج البلاغة ، دراسة ومعجم .

دار الفكر ، عمان ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

- ابراهيم سلامة (الدكتور) .

بلاغة أرسطو بين العرب واليونان .

الطبعة الثانية ، مطبعة مخمير ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .

- احسان النص .

الخطابة العربية في عصرها الذهبي .

دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٣م .

- أحمد أحمد بدوي (الدكتور) .  
من بلاغة القرآن .  
الطبعة الثالثة مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٠ م.
- احمد الشايب .  
الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) .  
مطبعة السعادة ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- احمد محمد الحوفي (الدكتور) .  
بلاغة الإمام علي .  
نهضة مصر للطباعة - القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- أحمد مختار (الدكتور) .  
علم الدلالة .  
مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- أحمد مطلوب (الدكتور) .  
البلاغة العربية .  
مطبعة وزارة التعليم العالي ، المكتبة الوطنية بغداد ١٩٨٠ م .
- إسماعيل الصدر .  
حياة أمير المؤمنين في عهد النبي .  
مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٤ م .
- أمين الخولي .  
فن القول .  
مطبعة مصطفى البابي ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
- أنيس المقدسي (الدكتور) .  
تطور الاساليب النثرية في الادب العربي .  
دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، بيروت- ١٩٦٠ م .
- أويس كريم محمد .  
المعجم الموضوعي لنهج البلاغة .  
مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد- ايران ، ١٤٠٨ ق .  
- ايليا الحاوي .  
فن الخطابة وتطوره عند العرب .

- مؤسسة خليفة للطباعة ، بيروت – لبنان ( بدون تاريخ ) .
- بدوي طبانة(الدكتور) .  
بلاغة القرآن .  
دار الشؤون الثقافية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٠هـ-١٩٩١م .
- بدوي طبانة .  
البيان العربي (دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى) . دار العودة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٢م .  
- البرقوقي ، عبد الرحمن .  
شرح ديوان المتنبي .  
دار الكتاب العربي ، بيروت- لبنان ، بدون تاريخ .
- بكري شيخ أمين(الدكتور) .  
التعبير الفني في القرآن الكريم .  
دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م .
- التستري ، محمد تقي .  
بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ..  
دار أمير كبير للنشر ، طهران ، الطبعة الأولى ١٣٧٦ق .
- تمام حسان(الدكتور) .  
مناهج البحث في اللغة .  
دار الثقافة – المغرب ١٩٧٩ م .
- جابر عصفور(الدكتور) .  
مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي .  
المركز العربي للثقافة والعلوم ، ١٩٨٢ م .
- جابر عصفور .  
الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب .  
دار التنوير ، الطبعة الثانية ، بيروت – لبنان ١٩٨٣م .
- جبور عبد النور .  
المعجم الأدبي .  
دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ م .
- جواد المصطفوي الخراساني .  
الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة في شروحه .  
بازار سلطاني – طهران ، ( بدون تاريخ ) .
- جميل سعيد(الدكتور) .

دروس في البلاغة .  
مطبوعات دار المعلمين العالية مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥١ م .

- جورج جرداق .

روائع نهج البلاغة .

مطبعة باقري ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧ م .

- حامد حفني (الدكتور) وآخرون .

نهج الحياة .

الطبعة الأولى ، طهران ، بدون تاريخ .

- حبيب الله الخوئي ، العلامة ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي .

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة .

طهران ، المكتبة الإسلامية ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ ق .

- حسين جمعة (الدكتور) .

في جمالية الكلمة ، دراسة جمالية بلاغية نقدية .

من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٢ م .

- داود سلوم (الدكتور) .

سوسيولوجيا النقد العربي القديم ( دراسة العلاقة بين الناقد والمجتمع ) .

مؤسسة المختار - القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ م .

- درويش الجندي (الدكتور) .

النظم القراني في كشاف الزمخشري .

مطبعة مصر ، ١٩٦٩ م .

- رضا الموسوي الهندي ، السيد (ت ١٣٦٢ هـ) .

ديوان السيد رضا الهندي .

راجعه وعلق عليه : الدكتور عبد الصاحب الموسوي ، دار الأضواء ، الطبعة

الأولى ، بيروت ، ١٩٨٨ م .

- رمضان عبد التواب (الدكتور) .

المدخل إلى علم اللغة .

الطبعة الأولى ، مطبعة المدني - القاهرة ، ١٩٨٢ م .

- زكي مبارك (الدكتور) .

عبقرية الشريف الرضي .

مطبعة حجازي ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٢ .

- الزركلي ، خير الدين .

الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين).  
دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

- زكي نجيب محمود (الدكتور) .  
في فلسفة النقد .

الطبعة الأولى ، دار الشروق ، ١٩٩٨ م .

- زكي نجيب محمود .

المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري .

دار الشروق ، القاهرة - بيروت ن بدون تاريخ .

- الزيات ، أحمد حسن .

دفاع عن البلاغة .

الطبعة الثانية ، مصر - القاهرة ١٩٦٧ م ، لم يذكر مكان الطبع .

- سعيد علوش .

معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ، عرض وتقديم وترجمة .

دار الكتاب اللبناني - بيروت ، سوشبريس - الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ،

١٩٨٥ م

- سليمان عمرقوش (الدكتور) .

الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم .

دار الحرمين - الدوحة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- سيد قطب .

التصوير الفني في القرآن الكريم .

دار المعارف - مصر ، ١٩٥٩ م .

- سيد قطب .

النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه .

دار الفكر العربي ، طبعة الشروق .

- شاكر عبد الجبار .

ملاحح كونية في القرآن .

مطبعة منير - بغداد ١٩٨٥ م .

- شكري عياد (الدكتور) .

موسيقى الشعر العربي .

دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

- الشنقيطي ، أحمد الأمين .

- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن .  
تحقيق:مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٥ م .
- الصاوي الجميلي ، مصطفى .  
منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه .  
دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٩ م .
- صبحي الصالح(الدكتور) .  
نهج البلاغة .  
الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٧ م .
- صلاح فضل (الدكتور) .  
نظرية البنائية .  
مكتبة الانجلو -القاهرة ، ١٩٧٨ م .
- طه أحمد ابراهيم .  
تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري .  
دار الحكمة ، بيروت - لبنان ، بدون تاريخ .
- طه حسين(الدكتور) وآخرون .  
التوجيه الأدبي .  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة / ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .
- عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطئ (الدكتورة) .  
الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق .  
دار المعارف، مصر، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- ابن عاشور، محمد الطاهر ( ت ١٣٩٣ هـ ) .  
التحرير والتنوير .  
طبع الدار التونسية للنشر ، بدون تاريخ .
- عاطف جودت نصر(الدكتور) .  
الخيال مفهوماته ووظائفه .  
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ م .
- عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز .  
مع الطب في القرآن الكريم .  
مؤسسة العلوم للقرآن ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٠ ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ م .

- عبد السلام المسدي (الدكتور) .  
الأسلوبية والأسلوب .  
الدار العربية للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ م .  
- عبد العليم السيد فودة .  
أسلوب الاستفهام في القرآن .  
المجلس الأعلى لرعاية الفنون ، القاهرة . مؤسسة دار الشعب ، بدون تاريخ .  
- عبد الله الطيب المجذوب (الدكتور) .  
المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها .  
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الأولى - مصر ١٩٥٥ م .

- عبد الواحد حسن الشيخ ( الدكتور ) .  
البديع والتوازي .  
مطبعة الإشعاع ، الطبعة الأولى ، مصر - ١٩٩٩ م .

- عز الدين اسماعيل (الدكتور) .  
التفسير النفسي للأدب .  
دار العودة - بيروت . ١٩٦٣ م .  
- عز الدين اسماعيل (الدكتور) .  
الأسس الجمالية في النقد العربي ، عرض وتفسير ومقارنة .  
دار الشؤون الثقافية - بغداد ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٦ م .

- العقاد ، عباس محمود .  
عبقرية الإمام علي .  
دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت .  
- العقاد ، وعبد القادر المازني .  
الديوان في النقد والأدب .  
الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٢١ م .  
- العقاد .  
ابن الرومي ، حياته من شعره .  
الطبعة الرابعة ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٧ م .

- علي الجندي (الدكتور) .  
فن الجناس .  
مطبعة الاعتماد - مصر ، ١٩٥٤ م .

- علي جواد الطاهر (الدكتور) .

## مقالات .

مطبعة اتحاد الأدباء العراقيين – بغداد ١٩٦٢ م .

- فارس تبريزيان .

نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة الدكتور صبحي الصالح .  
تحقيق الشيخ فارس تبريزيان ، دار الهجرة للطباعة ، قم ، الطبعة الثانية .

- فاضل السامرائي(الدكتور) .

التعبير القرآني .

بيت الحكمة – جامعة بغداد ١٩٨٧ م .

- فاضل السامرائي .

معاني الأبنية في العربية .

ساعدت جامعة بغداد على نشره الطبعة الأولى ( ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ) .

- فاضل السامرائي .

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل .

طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ م .

- فؤاد زكريا(الدكتور) .

مع الموسيقى .

الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧١ م .

- فوزي عطوي .

المعلقات العشر، دراسة ونصوص .

الشركة اللبنانية للكتاب – بيروت ١٩٦٩ م .

- قاسم حبيب جابر ( الدكتور ) .

الفلسفة والإعتزال في نهج البلاغة .

المؤسسة العالمية للدراسات ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م ،

- القاسمي ، محمد جمال الدين .

محاسن التأويل .

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت – الطبعة الثانية ١٩٧٨ م .

- قيس الأوسي(الدكتور) .

أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين .

بيت الحكمة، بغداد ، ١٩٨٨ م .

- كريم الوائلي(الدكتور) .

الخطاب النقدي عند المعتزلة .  
دار الكتب والوثائق ، بغداد ٢٠٠٦ م .

- كمال أبو ديب (الدكتور) .  
في البنية الايقاعية للشعر العربي .  
دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨١ م .

- ماهر مهدي هلال (الدكتور) .  
جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب .  
دار الحرية للطباعة - بغداد ، ١٩٨٠ م .

- مجيد عبد الحميد ناجي (الدكتور) .  
الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية .  
المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ، بيروت - الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ م .

- مرتضى المطهري .  
في رحاب نهج البلاغة .  
ترجمة هادي اليوسفي ، دار التعارف للمطبوعات ، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان  
١٩٧٨ م .

- محمد إبراهيم إسماعيل .  
القرآن وإعجازه العلمي .  
دار الفكر العربي ودار الثقافة العربية للطباعة .

- محمد جواد مغنية .  
في ظلال نهج البلاغة ، محاولة لفهم جديد .  
دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٢ م .

- محمد حسن آل ياسين .  
عبد الله بن رواحة .  
مطبعة الديواني، بغداد ، ١٩٨٧ م .

- محمد حسنين أبو موسى (الدكتور) .  
البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية .  
دار الفكر العربي ، دار الحمامي للطباعة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- محمد حسين الحسيني الشيرازي .  
توضيح نهج البلاغة .  
دار تراث الشيعة ، طهران ، بدون تاريخ .

- محمد حسين الجلاي .  
دراسة حول نهج البلاغة .  
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ .

- محمد حسين الأعرجي (الدكتور) .  
الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي .  
مطبعة الإشعاع - الاسكندرية .

- محمد حسين علي الصغير (الدكتور) .  
رحلة الإنسان من عالم الذر حتى حياة البرزخ .  
مؤسسة البلاغ ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ م .

- محمد حسين علي الصغير .  
الصورة الفنية في المثل القرآني، دراسة نقدية وبلاغية .  
دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١ م .

- محمد حسين علي الصغير .  
أصول البيان العربي ، رؤية بلاغية معاصرة .  
دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ م .

- محمد حسين علي الصغير .  
الصوت اللغوي في القرآن .

دار المؤرخ العربي ، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م .

- محمد حسين علي الصغير .  
نظرات معاصرة في القرآن الكريم (ملاحم الإعجاز في القرآن العظيم) .  
دار المؤرخ العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م .

- محمد حسين علي الصغير .  
مجاز القرآن .  
دار المؤرخ العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م .

- محمد حسين الطباطبائي .  
الميزان في تفسير القرآن .  
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الثانية ، بيروت - لبنان ١٩٧٢ م .

- محمد عبد المطلب (الدكتور) .  
البلاغة والأسلوبية .  
مطابع الهيئة المصرية القاهرة ، ١٩٨٤ م .

- محمد عبدة .

- نهج البلاغة .  
مطبعة بابل - بغداد ١٩٨٤ م .  
- محمد علي البار (الدكتور) .  
خلق الإنسان بين الطب والقرآن .  
الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثامنة ، جدة ١٤١٢هـ - ١٩٩١ م .  
- محمد غنيمي هلال (الدكتور) .  
النقد الأدبي الحديث .  
مطبعة الاستقلال - مصر ، الطبعة الرابعة ١٩٦٩ م .
- محمد فؤاد عبد الباقي .  
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .  
دار الحديث ( ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ) .
- محمد مهدي البصير (الدكتور) .  
عصر القرآن .  
مطبعة النعماني ، الطبعة الثانية - بغداد ، بدون تاريخ .
- محمد مصطفى هدارة (الدكتور) .  
مشكلة السرقات في النقد الأدبي .  
مطبعة لجنة البيان العربي ، الطبعة الأولى ١٩٥٨ م .
- محمد مندور (الدكتور) .  
في الميزان الجديد .  
مطبعة النهضة ، الطبعة الثالثة - مصر ، بدون تاريخ .
- محمد النويهي (الدكتور) .  
الشعر الجاهلي ، منهج في دراسته .  
الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ، بدون تاريخ .
- محمد ياس الدوري (الدكتور) .  
دقائق الفروق اللغوية .  
دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م .
- محمد ظاهر درويش (الدكتور) .  
الخطابة في صدر الإسلام ، العصر الديني - عصر البعثة النبوية .  
دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .
- محمد متولي الشعراوي .

- معجزة القرآن .  
مطبعة الدار العربية ، بغداد ، بدون تاريخ .
- مصطفى جمال الدين (الدكتور) .  
الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة .  
مطبعة النعمان، النجف الأشرف ، ١٩٧٠م .
- مصطفى صادق الرافعي .  
إعجاز القرآن والبلاغة النبوية .  
الطبعة الثانية ، دار الكتاب - بيروت ، ١٩٩٠ م .
- مصطفى ناصف (الدكتور) .  
الصورة الأدبية .  
مكتبة مصر - القاهرة ١٩٥٨م .
- مناف مهدي الموسوي (الدكتور) .  
علم الأصوات اللغوية .  
عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- مهدي المخزومي (الدكتور) .  
في النحو العربي، نقد وتوجيه .  
منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤م.
- منير سلطان (الدكتور) .  
البدیع تأصيل وتجديد .  
منشأة المعارف ، الاسكندرية - ١٩٨٦م .
- نعمة رحيم العزاوي (الدكتور) .  
النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري .  
دار الحرية للطباعة بغداد - ١٩٧٨ م .
- نور الدين السد .  
الأسلوبية وتحليل الخطاب (الأسلوبية والأسلوب) .  
دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر الطبعة الأولى ١٩٧١م .
- وليد قصاب (الدكتور) .  
عبد الله بن رواحة . دراسة في سيرته وشعره (ت٨هـ) .  
دار الضياء للنشر والتوزيع - الأردن ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م .

## ثالثا : المراجع الأجنبية

- أرشيبالد مكليش .  
الشعر والتجربة .  
ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي، مراجعة توفيق صايغ، دار اليقظة العربية للتأليف  
والترجمة والنشر - بيروت - نيويورك، ١٩٦٣ .
- تشارلتن .  
فنون الأدب .  
ترجمة : زكي نجيب محمود ، القاهرة ١٩٤٥ م .
- جورج فندريس .  
اللغة .  
ترجمة : عبد الحميد الدواخلي و د. محمد القصاص ، مكتبة الانجلو -القاهرة  
١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م .
- رينيه ويليك و أوستن وارين .  
نظرية الأدب .  
ترجمة : محيي الدين صبحي ، مراجعة الدكتور حسام الخطيب ، الطبعة الثالثة ،  
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية ١٩٦٢ م .
- ستيفن أولمان .  
دور الكلمة في اللغة .  
ترجمة الدكتور كمال بشر ، الناشر مكتبة الشباب - المنيرة ، بدون تاريخ .
- سي - دي لويس .  
الصورة الشعرية .  
ترجمة الدكتور احمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن إبراهيم ، مؤسسة  
الفليج للطباعة والنشر - الصفاة ، الكويت ، بدون تاريخ .
- لاسل أبر كروبي .  
قواعد النقد الأدبي .  
ترجمة الدكتور محمد عوض محمد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،  
الطبعة الثانية ١٩٤٤ م .
- لويس هارتيك .

## الفن والأدب .

تعريب : الدكتور بدر الدين قاسم الرفاعي ، مراجعة الدكتور عمر شخاشيرو ، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٦٥ م .

Modern trends in islam.H.A.R.Gibb the –  
uni.chicago.1975.P.4

- نورثرب فراي .

تشريح النقد ، محاولات أربع .

ترجمة : الدكتور محمد عصفور ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ١٤١٢ هـ -  
١٩٩١ م .

- ويلبريس . سكوت .

خمسة مداخل إلى النقد الأدبي ، مقالات معاصرة في النقد .

ترجمة وتقديم وتعليق : الدكتور عناد غزوان إسماعيل وجعفر صادق الخليلي ، دار  
الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق ١٩٨١ .

## رابعاً : الأطاريح والرسائل الجامعية

- ابتسام عبد الكريم المدني .

الجنة في القرآن الكريم ، دراسة جمالية .

(رسالة ماجستير) ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، ١٩٩٦ م .

- ابتسام عبد الكريم المدني .

بنية النص القرآني ، دراسة موازنة بين البنى العقائدية واللغوية والفنية .

اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١ م .

- أحمد صالح النجموي .

السماء والأرض في القرآن ، دراسة دلالية .

(رسالة ماجستير) ، الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٣ م .

- أصيل محمد كاظم .

أساليب التوكيد في نهج البلاغة ، دراسة تحليلية .

(رسالة ماجستير) ، جامعة القادسية .

- بثينة إبراهيم دهش .

خطب الجهاد في عصر صدر الإسلام .

اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٩٧ م .

- حسن حميد محسن فياض .  
الرؤية الإسلامية في شعر المخضرمين .  
( أطروحة دكتوراه ) ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠١ م .

- فراس عبد الكاظم حسن .  
المبني للمجهول في نهج البلاغة ، دراسة لغوية .  
(رسالة ماجستير) ، كلية التربية- جامعة بابل ، ٢٠٠٣ م .

- عباس علي الفحام .  
التصوير الفني في خطب الإمام علي (ع) .  
(رسالة ماجستير) ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ١٩٩٩ م .

- هدى عطية عبد الغفار .  
السجع القرآني ، دراسة أسلوبية .  
رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة عين شمس ، ٢٠٠١ م .

## خامسا : البحوث والدوريات

- إيمان الشنيني .  
التناسق النشأة والمفهوم .  
مجلة أفق الثقافية ، العدد الأول ، أكتوبر ٢٠٠٣ م .

- حاكم حبيب الكريطي (الدكتور) .  
القسم في الشعر الجاهلي ، دراسة أدبية .  
مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، جامعة الكوفة ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، ٢٠٠٦ م .

- علي ناصر (الدكتور) .  
الجملة الطويلة في القرآن الكريم .  
كلية التربية ، جامعة بابل .

- محمد حريز .  
البنية الإيقاعية وجماليتها في القرآن .  
مجلة التراث العربي ، العدد ٩٩ و ١٠٠ ، ٢٠٠٥ م ، دمشق .  
من الانترنت موقع ( اتحاد الكتاب العرب ) .

## سادسا : الانترنت والمكتبات الألكترونية

- **مصحف النور للنشر المكتبي** ، الإصدار الثاني ٢٠٠١م ، إصدار شركة سيما فور للتقنية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، يمكن تحميله مجانا من الشبكة العالمية من الموقع : ([www.noor.com](http://www.noor.com)) أو ([www.deen.com](http://www.deen.com)) .
- **المعجم الفقهي** ، الإصدار الثالث ٢٠٠١م ، إصدار مركز المعجم الفقهي ، الحوزة العلمية بقم المشرفة ( [www.almarkaz.net](http://www.almarkaz.net) ) .
- **مكتبة الأدب العربي** ، الإصدار الأول ١٩٩٩م ، إعداد : مركز الخطيب ، عمان - الأردن ([www.turath.com](http://www.turath.com)) .
- **مكتبة التفسير وعلوم القرآن** ، الإصدار ١٩٩٩م ، إعداد : مركز الخطيب ، الأردن - عمان ([www.turath.com](http://www.turath.com)) .
- **الموسوعة الشعرية** ، الإصدار الثالث ، تصدر عن المجمع الثقافي ، دولة الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٣ ( ) ([www.cultural.org.ae](http://www.cultural.org.ae)) .
- **موسوعة نهج البلاغة** ، مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية ([www.noorsoft.org](http://www.noorsoft.org)) .

# Abstract

There is no doubt that journey of research is hard and exciting in the same time . its hard because of surrounding the speech of Al-Imam Ali is so difficult thing for its wealthy and richness in the meaning and forms whether to be succussful or to failure there is no way between them for this reason the the researcher is in great danger . and the journey is exciting since the analyzation of the speech Al-Imam Ali and searching among its lines which is useful to the studier who get more intelligence and education as a daily be haivour that all achieved after reconciliation of god .

It is not strange that the dedication of studiers in ancient time and this time to invistigate the secrets of expression in this book and discover what hid behind in meaning in it what makes one happy that all the acadimic researches in all the Iraqi universities study and analyse in both Master and Phd letters in different human especially in economical social political rhetoric grammatical philosiphical in addition to legislative and moral specializations . the book will still that source which enrich studiers it will endless ready to give crowded sweet source

The more interesting thing in Nahj Al Balagha the countinuing life in it from it . the more researcher increase its reading increases the benefit and new because it is alinguistic effect no tedious in any time you hear it . the secret of this continuing life in Nahj Al balagha is the holy Quran because the Quranic expression and meaning covers all the words and meaning in speech of Nahj Al balagha . for all these reasons the title of this research is chosen (the Quran effect in Nahj Al-balagha) .

